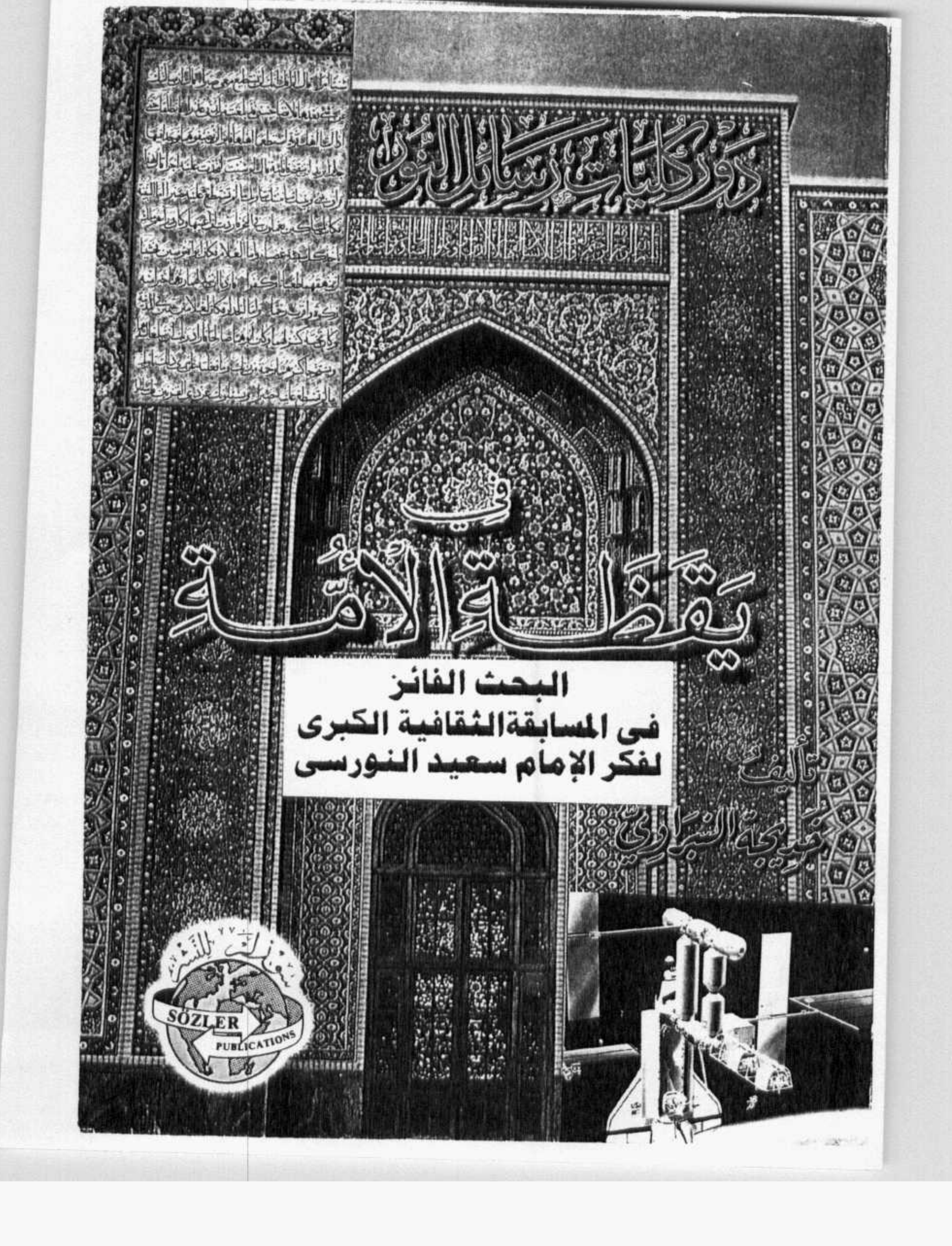
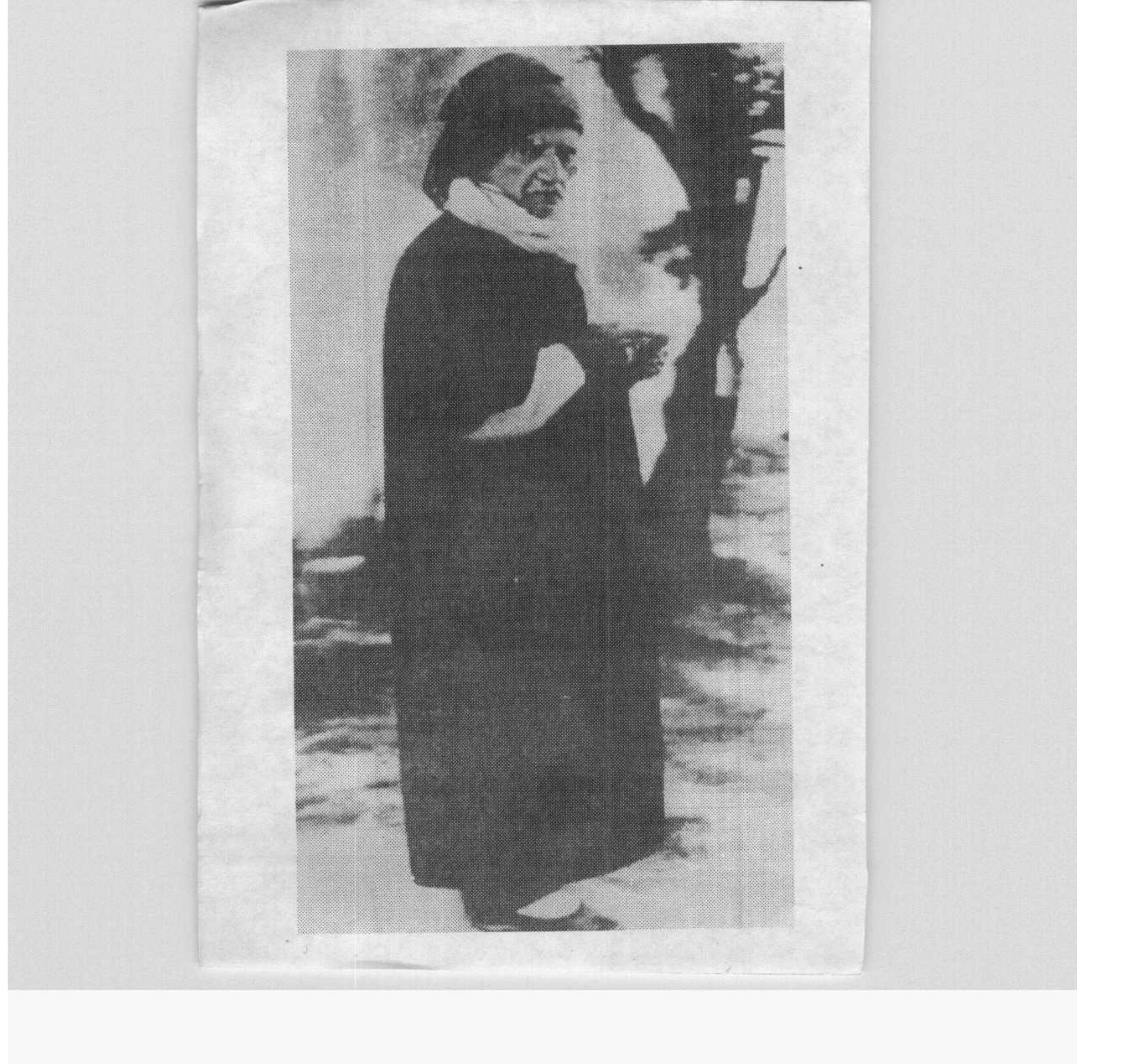

دور كليات رسائل النور
في
يقظة الأمة
البحث الفائز
فى المسابقة الثقافية الكبرى
لفكر الإمام سعيد النورسى
تأليف
SÖZLER
PUBLICATIONS





الطبعة الأولى

١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

رقم الإيداع : ٢٣٥٩ / ٩٨

الترقيم الدولى : .I.S.B.N

977 - 5323 - 12 - 6

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : [illegible]

تمهيــد

﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ (الأعراف: ٤٣).

الحمد لله صدقا وعدلا، الذى أنعم علينا بنعمة الإيمان، وهداية القرآن، وبعثة خير الأنام. الذى أقام أمة الإسلام على دعائم الحب والخير والسلام. والحمد لله الذى خلق فى أمة محمد ﷺ، من يحملون مشعل الدين، من العلماء المخلصين العاملين، فى كل زمان ومكان، لينيروا الطريق أمام الحيارى والتائهين.

والحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه أن رزقنى حب البحث العلمى الجاد، بحثاً عن الحقيقة فى أجلى صورها وأروع مظاهرها. حيث يكشف الله خلال رحلة البحث العلمى، بعضا من أسرار علمه وخزائن كنوزه، التى أودعها فى قلوب عباده المؤمنين، فيترجمونها فيوضات تجرى بأقلامهم، تدعو أولى العقول والبصائر أن ينهلوا من فيض العلى القدير العليم الخبير.

والواقع أننى عندما قرأت موضوعات المسابقة، اخترت نقطة تتناسب وعجزى البشرى. ولكننى بعد ما اطلعت على كليات رسائل النور، وجدت أنه انتقاص وغبن لحق هذا العالم الرائد، الذى يعتبر بحق موسوعة فكرية، أن أقتصر على زاوية جانبية من فكره، الذى يشبه المحيطات فى خضمها وكنوزها. وأنه من الإنصاف والعدل أن ألقى نظرة كلية على فكر العالم التقى الورع "سعيد النورسى" رحمه الله رحمة واسعة، وجازاه عن جهاده فى سبيل الحق خير الجزاء.

ومن هذا المنطلق، ولتحقيق أدنى معانى الوفاء للأخوة الإيمانية فقد اخترت موضوع "دور كليات رسائل النور فى يقظة الأمة" لتوفية هذا العالم الجليل بعض حقه، فى بيان معالم فكره الأساسية، يدفعنى إلى ذلك الحب فى الله، ونبع الوفاء الإسلامى. أما الوفاء الحقيقى لهذا الشيخ الراحل، فهو ما

نادى به العالم الفاضل "محمد فتح الله كولن" حيث قال[١] "صحيح أن العديد من أصدقائنا الشباب، قدموا دراسات وأطروحات ماجستير ودكتوراه، حول رسائل النور، ولكن لم تكن أيًا منها كافية، لإعطاء القيمة الحقيقة لذلك العملاق، بإبراز مستوى فكره الرفيع. وكل ما نتمناه هو تأسيس معهد يأخذ على عاتقه، القيام بهذه المهمة فى أقرب فرصة".

حقا إن هذه هى الوسيلة الوحيدة للوفاء بحق هذا العالم الموسوعة "سعيد النورسى" وخاصة أن فكره عميق، ويستمد أنواره من آفاق عالية، وبالتالى لا يسهل للعامة استيعابه بسهولة، وذلك كما قال د. عبد الملك السعدى فى تقديمه لأحد أجزاء رسائل النور[٢] "لذا فإن حكمى على الكتاب بأنه: كتاب علمى رصين، وليس كتابا ثقافيا، يسهل تناول ما فيه لكل من له خلفية إسلامية، بل يستفيد منه أهل التخصص بهذا الشأن، وليس للعامة فيه نصيب".

ومع ذلك، فإننا نتقدم بالشكر والدعاء من الأعماق لكل من بذل جهدا فى سبيل تعريفنا بفكر هذا العالم، الذى يستحق بكل جدارة لقب "بديع الزمان" بل وكل زمان.

وأشواقا أشواقا، لكل العلماء المخلصين العاملين، الذين أحببناهم واستفدنا بعلمهم على طريق الحق، ورحلوا عن عالمنا إلى مدارج النور، حيث لا بين ولا أين ولا جهة ولا قرار.

وصل اللهم وسلم وبارك لنا فى سيدنا محمد، وآله الأطهار الأبرار، وصحبه الأخيار، وكل من اهتدى بهديه واتبع سنته، إلى يوم الدين.

---

(١) من تقديم فى الجزء السادس (المثنوى العربى النورى)، ص أ، ترجمة: أورخان محمد على.

(٢) د. عبد الملك عبد الرحمن السعدى (تقديم لكتاب صيقل الإسلام جزء ٨، ص ١٠).

المقـــــدمـــة

إنه لمن دواعى فخـرى وسرورى: أن أتقدم بهذا البحث المتواضـع، للأمة الإسلامية بأسرها، داعية الله ﷺ، أن أكون لبنة فى هذا البناء، الذى يهدف إلـى وقف تدهور أمـة الإسـلام، وأن أكـون قـد أسـهمت -بعونـه وتوفيقه- فى توضيح جهد عالم جليل، من العلماء المخلصين، الذين بذلوا الجهد فى استخراج كنوز الدين، لبعث الأمة من غياهب المتخلفين إلى نـور الحق المبين.

إنه "بديع الزمان سعيد النورسى" العـالم المجـاهد الـذى يتميز بأسلوبه الرفيع، فى إرشاد المسلمين، حيث انتهج نهج الرسول الأمين، والصحابـة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين: فرأى أن الطريق الأمثل للإصــلاح، هو ما بدأ به الحبيب المصطفى صلوات ربـى وسـلامه عليـه، وهـو غرس اليقين فى قلوب المسـلمين، هذا اليقين الـذى أصبـح كالكهربـاء تسـرى فـى أوصالهم، فتعطيهم قوة دافعة، تجعلهم ينطلقون فى رحاب الأرض، يرفعون رايـة الحق، ويعمرونهـا بالإيمـان والحـب والسـلام، وأسـمى معـانى العـدل والرفاهية والرخاء، النابعة من شريعة الإسلام الغراء.

وهذا ما عبر عنه الإمام النورسى فى إحدى رسائل النور قائلا[١]: "إنه بنسبة قوة الحقائق، يزدادون رقيا وتقدما. هكذا يرينا التاريخ، ويرينـا أيضـا أنـه بقدر ضعـف تمسـكهم بتلـك الحقـائق، يصــابون بـالتوحش والتخلـف والاضمحـلال والوقـوع فـى ألـوان مـن الهـرج والمـرج والاضطرابـات، ويغلبون على أمرهم، أما سائر الأديـان الأخرى، فـالأمر فيهـا علـى عكس الإسلام. أى: بقدر ضعف تمسك أتباعها، وضعف تعصبهم وصلابتهم فـى دينهم، يـزدادون رقيـا وتقدمـا، وعلـى قـدر تعصبهـم وتمسـكهم بدينهـم، يتعرضون للانحطاط والاضطرابات".

وقد اشتمل هذا البحث على ستة فصول، تحقق فـى مجموعهـا الهـدف المنشود من بيان دور كليات رسائل النور فى يقظة الأمة:

---

(١) الخطبة الشامية، ص ٤٩٣، من صيقل الإسلام.

الفصل الأول: تشخيص العلة لتخلف الأمة الإسلامية:

وهو فصل ضرورى لبيان الأمراض التى دبت فى صميم قلب العالم الإسلامى وأدت به إلى التخلف.. وهو يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تناول الأمراض بالشرح والتحليل.. من وجهة نظر الإمام النورسى، وهو: اليأس، وموت الصدق، وحب العداوة، والجهل بالروابط النورانية التى تربط بين المؤمنين، وسريان الاستبداد، والأنانية التى تتمثل فى حصر الهمة على المنافع الشخصية.

المبحث الثانى: يبين منهج النورسى فى علاج تلك الأمراض.. وذلك ببعث الأمل فى عبور المسلمين هوة التخلف نتيجة المنهج الاستدلالى، حيث يملك الإسلام الاستعداد للرقى المعنوى والرقى المادى، مع شرح مقومات كل منهما.

الفصل الثانى: دور رسائل النور فى يقظة الأمة عقائديا:

يتناول هذا الفصل: الإطار العام للجهد الخارق، الذى بذله الإمام النورسى، فى دعم عقيدة المسلمين، وتحريرها من سيطرة الجهل والأوهام، ويتكون هذا الفصل من أربعة مباحث هى:

المبحث الأول: المنهج الاستدلالى وأثره فى تدعيم العقيدة.. حيث تناول مقاصد القرآن الأساسية، وعظمة **إحاطة العقيدة الإسلامية، واقتلاع جذور** توهم الخلاف بين العلم والدين مما **يسبب تخلف المسلمين**. وأصول **فى فهم** الأحاديث الشريفة دفعا للأوهام التى تؤدى إلى زعزعة العقيدة.

المبحث الثانى: كيف نشأت المذاهب المختلفة فى الإسلام؟.. وذلك بسبب نفوذ الإسرائيليات والفلسفة فى الفكر الإسلامى، والإفراط والتفريط الذى أدى إلى اختلاف الأمة الإسلامية. وتناول ذلك المبحث مسالة النزاع بين أهل السنة والشيعة، التى تسبب شرخا كبيرا فى جدار الوحدة الإسلامية. وأهمية اتباع السنة عند استيلاء البدع، وكيف يمكن مواجهة الفتن فى الأمة الإسلامية.

المبحث الثالث: معالجة انبهار المسلمين بحضارة أوروبا.. ببيان الأسس الواهية التى تستند إليها أوروبا ودحضها، ومقارنة بين تلميذ أوروبا وتلميذ القرآن. والرد على من يريد تقليد أوروبا.

المبحث الرابع: متطلبات إنقاذ الإيمان.. والتى تتلخص فى ضرورة ثبات المسلم وصلابته والتمسك بالشرائع الإسلامية، وفهم القرآن فهما عميقا واعيا. والأمل بأن المستقبل سيكون للإسلام لما يتميز به من قوى معنوية ومادية.

<u>الفصل الثالث: دور رسائل النور فى يقظة الأمة علميا:</u>

ويبين دور رسائل النور فى تحديد ملامح النهضة العلمية للمسلمين ولذلك انقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القرآن ينبوع التقدم العلمى.. ويبين كيف أن القرآن يحوى إشارات ودلائل التقدم العلمى وكيف أن الأنبياء هم رواد البشرية فى تقدمها المعنوى والمادى .

المبحث الثانى: ضرورة ترابط العلم والإيمان.. لأن العلوم تعرفنا بخالقنا، والإيمان يعين على تحمل أعباء الحياة، والتفكير فريضة إسلامية لأنه يذيب الغفلة، وكيف أن الحضارة المادية تسبب شقاء الإنسان إذا لم تقترن بمعرفة الخالق، لأن الإيمان يداوى جميع جروح الإنسان.

المبحث الثالث: قواعد البحث العلمى لتحقيق اليقظة المطلوبة.. وتتمثل تلك القواعد فى: الاهتمام بالبحث العلمى لأنه ضرورة عقائدية.. وأصول التحقيق العلمى ونواحى الاجتهاد المطلوبة فى عصرنا الحاضر.

<u>الفصل الرابع: دور رسائل النور فى يقظة الأمة اجتماعيا:</u>

ويبرز هذا الفصل دور الإمام النورسى لتحقيق النهضة الاجتماعية للأمة الإسلامية. وما يتبع ذلك من نهضة فى جميع المجالات، لأن الإنسان هو المحرك الذى يدير عجلة الحياة.

وينقسم هذا الفصل إلى أربعة مباحث نظرا لتشعب الموضوعات التى يعالجها والخاصة بالمجتمع الإسلامى:

المبحث الأول: الإيمان دعامة الحضارة الاجتماعية.. ويبين هـذا المبحث أهمية الإيمان فى تنظيم الحياة الاجتماعية، وكيف أن تفسخ العقيدة يصير ضررا محضا على تلك الحياة، وماذا قدم الإسلام لرقى المجتمع، وكيفية انهزام الحياة الاجتماعية الإسلامية عند التمسك بأذيال أوروبا.

المبحث الثانى: كيف حقق الإسلام السلام الاجتماعى.. ويبين هذا المبحث دور الإسلام فى صقل الروح والعقل والقلب والضمير، لتحقيق السلام الاجتماعى فى حياة الأمة الإسلامية، حيث سجلنا ما تحويه رسائل النور من أن الإسلام دين السلام، والدساتير الإسلامية التى ترعى الحقوق الاجتماعية، وكيف أن الحرص داء مضر على الحياة الاجتماعية، أشد من النزاع والعداء بين المسلمين.

المبحث الثالث: المرأة واليقظة الاجتماعية.. ويتكلم عن أهمية دور المرأة فى المجتمع، وكيف يتحقق الزواج الكفء، وفتنة النساء فى آخر الزمان، ودور الجمعيات المفسدة فى إضلال النساء الغافلات، ثم التكلم عن بعض قضايا المرأة التى بين فيها الإمام النورسى عظمة الإسلام فى علاجها، مثل قضية الحجاب وتعدد الزوجات وقضايا الميراث وقضية عمل المرأة.

المبحث الرابع: كيف يتحقق الترابط للشعوب الإسلامية؟.. ويبين فيه الإمام النورسى حكمة انقسام المجتمع إلى طوائف وقبائل، وذلك للتعارف والتعاون، وليس للتنازع والتخاصم ويوضح نتائج القومية السلبية وأضرارها، وكيف أن القومية الإيجابية سبب للتعاون والتساند، وأن التقليد الأعمى للأوروبيين يؤدى إلى الهزء والسخرية، ويحذر الذين يغالون فى العنصرية، مبينا لهم أهمية حمية الإسلام. وكذلك يحذر المتحمسين للقومية السلبية، وينادى بضرورة اتحاد الأمة الإسلامية ونبذ العداوة الجانبية، وأهمية التآخى بين المسلمين.

<u>الفصل الخامس: دور رسائل النور فى يقظة الأمة سياسيا:</u>

يوضح هذا الفصل معنى السياسة لغة، وتعريف السياسة علميا. ثم ...وء على مفهوم الفكر السياسى فى الشريعة الإسلامية، والمفاهيم

السياسية التى أرساها الحبيب المصطفى وهو يشيّد دعائم أمة الإسلام.. كل هذا كمقدمة لفهم دور الإمام النورسى فى يقظة الأمة سياسيا، والنابع من أصول الشريعة الغراء.

لذا ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: المفهوم السلبى والإيجابى فى عالم السياسة.. ويدور هذا المبحث حول نظرة النورسى إلى المفهوم السياسى الحق، وكيف أن أية سياسة لا تكون نابعة من منهج الشريعة الغراء فهى شيطان ينبغى الاستعاذة منه. ولذلك يتناول آراء الإمام النورسى فى هذا الصدد، وتتلخص فى: كيف أن السياسة والدين توأمان لا ينفصلان. والفرق بين السياسة البشرية والسياسة القرآنية. وكيف أن اتهام الفكر السياسى الإسلامى بالرجعية خطر جسيم يهدد الأمة الإسلامية، ولماذا هجر النورسى الحياة السياسية التى تقوم على المصالح والأهواء – ونظرته إلى المنهاج السياسى الحق.

المبحث الثانى: النورسى ودعائم الفكر السياسى الإسلامى.. ويتناول آراء النورسى حول دعائم الفكر السياسى الإسلامى، النابعة من القرآن والسنة، وجهاده فى ترسيخ تلك الدعائم، كسلوك تطبيقى فى بنيان الأمة الإسلامية. وتتمثل تلك الدعائم فى: العدل – الشورى – المساواة – الحرية – الجهاد.

المبحث الثالث: قضايا سياسية تعوق نهضة الأمة الإسلامية.. يرى النورسى أن الشعور الدينى هو الدافع الأساسى وراء تحقيق يقظة الأمة السياسية، والتاريخ شاهد على ذلك، فكلما تمسك المسلمون بدينهم حققوا التقدم الحضارى.

وتناولنا فى هذا المبحث القضايا السياسية التى تعوق نهضة الأمة الإسلامية، حيث تشكل عقبة كئودا على مسار تقدم الأمة ورقيها فى جميع المجالات. ومن تلك القضايا: نظام الحكم – علاقة الجيش بالسياسة – الأحزاب والسلطة السياسية – تكوين رأى عام قوى – الإرهاب: بواعثه وكيف يمكن احتواؤه – الوحدة الإسلامية ضرورة حيوية لمواجهة التكتلات الدولية.

الفصل السادس: دور رسائل النور في يقظة الأمة اقتصاديا:

لم يتكلم الإمام النورسى عن الاقتصاد كأسلوب إنتاج وتوزيع وتخصيص موارد وتحليل جزئى و.. ولكنه تكلم عنه كأسلوب حياة وطريقة معيشة، أى أنه تكلم عن الاقتصاد من أوسع أبوابه وهو: التوازن العام فى اقتصاديات الدولة.. وقد تناول الشيخ قضية من أخطر القضايا التى تواجهها الأمة الإسلامية ألا وهى قضية: التجويع كسلاح اقتصادى لهدم عقيدة المسلمين.. ويمكن أن تسمى هذه القضية بأسماء مختلفة حسب مدلولات العصر مثل: الحصار الاقتصادى - التبعية الاقتصادية - الضغوط الاقتصادية لصالح الدولة الأقوى - التكتلات الدولية لمواجهة شبح الإسلام المخيف.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: كيف يتحقق التوازن الاقتصادى؟.. ويدرس النورسى التوازن الاقتصادى ضمن التوازن العام فى الكون، ويرى أن التوازن من ناحية الطلب: يتطلب الرشد الاستهلاكى، وضرورة ضغط الطلب الاستهلاكى الترفى، نظرا لمساوئ الإسراف على الاقتصاد القومى. ويضع ضوابط الاعتدال أو حد الإشباع فى الاقتصاد الإسلامى، ويضع مفاهيم الرشد الاقتصادى فى الإسلام.

والتوازن من ناحية العرض: يتطلب العمل الجاد المخلص الدءوب فى ميادين الزراعة والصناعة والتجارة، لزيادة العرض الكلى وعلاج الفقر الذى يعانى منه المسلمون حاليا، نتيجة قصور الناتج الكلى عن الوفاء باحتياجات الطلب الكلى. وتكلم النورسى عن مزايا تقسيم العمل، وأهمية التكتلات الاقتصادية فى الأمة الإسلامية، القائمة على إخلاص الوجه لله، لمواجهة التحديات الدولية.

المبحث الثانى: التجويع كسلاح اقتصادى لهدم العقيدة.. ويتكلم النورسى عن دور الجوع فى فتنة آخر الزمان، وكيف تساهم المدنية الحديثة بمساوئها فى زيادة فقر البشرية نتيجة زيادة الحاجات الإنسانية عن الموارد الاقتصادية. ويساهم فى مضاعفة حدة المشكلة: السلع الرفاهية وأثر المحاكاة بين الناس.

وكذلك يلعب الربا دوره في زيادة تجويـع المسلمين، لأنـه يسـاهم فـى سوء تخصيص الموارد، لصالح السلع التى تدر ربحا اكبر، بصرف النظر عن أهميتها فـى الشرع، كمـا أن فوائد البنوك تذهـب لصـالح الظـالمين السفهاء، الذين يسيطرون على البنوك العالمية.

ومواجهة سلاح التجويع يكون بالرشـد فـى الاستهلاك، والإيمـان بـأن الرزق بيد القدير، ولا موت من الجوع، والسعى لاستغلال مصـادر الثروة الاقتصادية أحسن استغلال، وضرورة فرض الزكاة وتحريم الربا، والتقـوى هى السلاح الأقوى، لأن الاستعانة بتعاليم الشرع فى مواجهة الحياة، تساعد على تحقيق خيرى الدنيا والآخرة معا، مهمـا كـانت الصعوبـات والتحديات التى تواجه الأمة الإسلامية.

وفى خاتمة البحث: قدمت النتائج والتوصيات، التـى اشـعر أنهـا أمانـة فى عنق كل مسلم يسعى إلى الإصلاح الحقيقـى، ويبتغـى الرشـاد والتوفيق للمسلمين، لتعويض مـا فـاتهم مـن سنوات التخلف، ومـا تبعـه مـن تمـزق وهوان يملأ النفوس مرارة، والقلوب أحزانا، علـى مجد ضـائع، ومقدسـات تائهة بين تراكمات السنين.

ولقد حاولت قدر جهدى أن أجعل من رسائل النور منهلا عذبا يرتـوى منه الخاصة والعامة، لتعم الاستفادة. وفى نفس الوقت التزمت أمانة البحـث العلمى، فتخيرت من كلمات الشيخ ما يتناسب مـع العقول، فـى نظـم يحقق الهدف والمضمون.

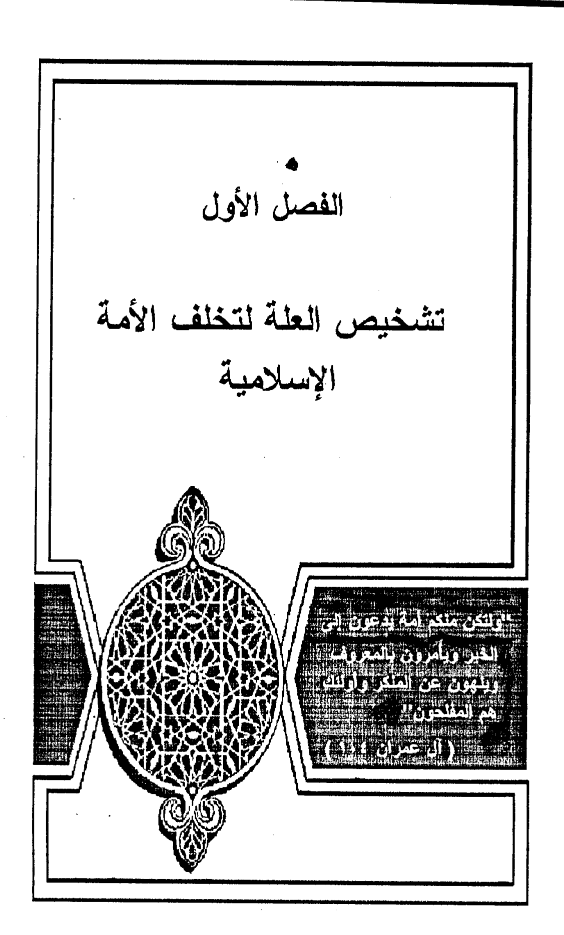
كما حرصت كل الحرص، أن اغترف معظم كلمات البحث من كلمات الإمام النورسى.. إذ كلما حاولت كتابة أية مقدمة أو تعليق، أجد أن كلمـاتى تتضاءل أمام عمق ونورانية كلمات الشيخ، فأنسحب خجلا، وأتـرك المجـال له، تأدبا واحتراما لعالم جليل، أنعم الله عليه بفيوضات عظيمة.

وقد كان جُلّ همى، ألا أكرر كلمـات الشيخ، وخاصـة أن كـل رسـائله عميقة المعنى، غزيرة المضمون، تصلح فى أكثر مـن مجـال.. وأحمـد اللـه جلّ شـأنه، أن الفيوضـات التـى منحهـا للإمـام النورسـى، فيهـا مـن الـثراء والكنوز ما يسمح بانتقاء المراد دون تكرار.

فسلام الله عليك ورحمته ورضوانه يا إمام أنار قلوبنا، وفجّر فيها ينابيع الحب للبشرية جمعاء.. لأن رسائل النور صيغت بمداد الحب الأعظم ألا وهو حب النور الباقي.. فاللهم لا تفتنا بعده، ولا تحرمنا أجره.. واجمعنا معه ومع الأحبة محمد وصحبه.

الفصل الأول

تشخيص العلة لتخلف الأمة الإسلامية



تشخيص العلة لتخلف الأمة الإسلامية

لما كان تخلف أمة الإسلام هو الشغل الشاغل لكل العلماء المخلصين، بل هو الأمر الموجع للقلب لكل المسلمين، لذلك فقد تكلم عن ذلك الأمر الكثيرون: كل في مجال تخصصه، وكل بقدر جهده وما أوتى من علم وحكمة وبصيرة.

ونظرا لأن بحثنا يتعلق بدور كليات رسائل النور في يقظة الأمة، وليس هناك يقظة بدون تشخيص العلة، وتوجيه الأذهان إلى موطن الداء، فقد رأينا أن نبدأ بهذا الفصل محاولين بعون الله تعالى وتوفيقه، أن نغترف من تلك الرسائل ما يوضح في مجموعه المؤشرات الفكرية للفقيه المجاهد "سعيد النورسى" وسعيه الدءوب لانتشال الأمة الإسلامية من غياهب الضياع.

والحق يقال: إن طريقة دراسة هذا العالم المخلص، لأسباب تخلف الأمة الإسلامية، تتسم بالصدق والتميز. لأنه لا يتناولها من ناحية الأسباب المادية مثل: موارد الثروة الاقتصادية –قصور وسائل الانتاج– تخلف الفن الانتاجي–...

فهو يرى أن كل هذه الوسائل يمكن تداركها، بالاستعانة بالتطور العلمي، والاقتباس من أحدث ما وصلت إليه الحضارة الغربية.

ولكن الشئ الذى لا يمكن تحصيله من الشرق ولا من الغرب، ولا بكل أموال الدنيا، هو الرقى الروحى والعقلى الذى تدعونا إليه العقيدة الإسلامية.

ولذلك فإنه يدرس أسباب تخلف الأمة من ناحية إصابتها بالأمراض المعنوية نتيجة بعدها عن نبع التعاليم السماوية.

المبحث الأول

أمراض دبَّت فى صميم قلب العالم الإسلامى

يقول الإمام النورسى رحمه الله[1]: لقد تعلمت الدروس فى مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية. وعلمت فى هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى، فى الوقت الذى طار فيه الأجانب – وخاصة الأوروبيين – نحو المستقبل. وتلك الأمراض هى:

أولا : حياة اليأس الذى يجد فينا أسبابه وبواعثه.

ثانيا : موت الصدق فى حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثا : حب العداوة.

رابعا : الجهل بالروابط النورانية التى تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامسا : سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادسا : حصر الهمة فى المنفعة الشخصية.

وسنحاول تناول كل نقطة من هذه النقاط الست بالشرح ساعين وراء بغيتنا فى كليات رسائل النور نجمع اللآلئ فى عقد منظوم، حتى يتم المراد ويكتمل العلاج.

أولا: حياة اليأس الذى يجد فينا أسبابه وبواعثه:[2]

إن اليأس داء قاتل، وهو الذى أوقعنا صرعى كالأموات –حتى تمكنت دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليونى نسمة من التحكم فى دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها فى خدمتها.. وهذا اليأس هو الذى قتل فينا الخصال الحميدة، وصرف أنظارنا عن النفع العام، وحصرها فى المنافع الشخصية.. وهذا اليأس هو الذى أمات فينا الروح

---

(١) الخطبة الشامية من "صيقل الإسلام"، ص ٤٩١: ٥١٥.

(٢) الكلمة الثانية من الخطبة الشاملة (اليأس داء قاتل) ص ٥٠٥ من صيقل الإسلام.

المعنوية الخارقة باليأس، حتى تمكن الأجانب الظلمة -منذ أربعة قرون- أن يتحكموا فى ثلاثمائة مليون مسلم ويكبلوهم بالأغلال.

بل قد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس، يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسئولية، ويخلد إلى الكسل قائلا: "مالى وللناس، فكل الناس خائرون مثلي" فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام.

فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرأى منا، فنحن عازمون على أن نقتص من قاتلنا، فنضرب رأس ذلك اليأس. بسيف الآية الكريمة: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (الزمر: ٥٣). ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف: (ما لا يدرك كله لا يترك جله).

إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان، وهو المانع عن بلوغ الكمالات، والمخالف لروح الحديث القدسى الشريف: (أنا عند ظن عبدى بي).

وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس هو من شأن الشهامة الإسلامية قط. وليس هو من شأن العرب الممتازين بسجايا حميدة هى مفخرة البشرية. فلقد تعلم العالم الإسلامى من ثبات العرب وصمودهم الدروس والعبر. وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس، ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك، الذين هم مع العرب جيش الإسلام الباسل، فيرفعوا معا راية القرآن عالية خفاقة، فى أرجاء العالم إن شاء الله.

على طريق معالجة اليأس:

وضع العالم الفذ معالم على طريق معالجة اليأس تتناسب مع ميدان جهاده فى تربية النفوس على الإيمان. فخاطب المسلم فى مواطن عدة ينفض عنه غبار اليأس، ويجعله إيجابيا ناضجا، له قدرة على ممارسة الحياة، بالطريقة التى يخططها ويرسم أبعادها الإسلام:

فيقول فى رسالة (زهرة من رياض القرآن الحكيم)[1]:

---

(١) الرسالة السابعة فى "المثنوى العربى النورى"، ص٢٧٢.

- يا شبان الترك: فهل بعد كل ما رأيتم من ظلم أوروبا معكم وعداوتهم لكم، تتبعونهم فى سفاهاتهم وأفكارهم بل تلتحقون بصفهم بلا شعور؟ ألا إنكم تكذبون فى دعوى الحرية، إذ هذا الاتباع استخفاف بالملية واستهزاء بالملة، "هدانا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم".
- اعلم يا من يستكثر عدد الكفار، ويتزلزل باتفاقهم على إنكار بعض حقائق الإيمان: أن القيمة ليست فى الكمية، إذ الإنسان إذا لم يصر إنسانا انقلب حيوانا شيطانا. والكفار الذين لا دين لهم نوع خبيث من حيوانات الله، خلقهم لعمارة الدنيا وللنار. وليكون كل كافر، واحدا قياسيا لدرجات نعمه تعالى على عباده المؤمنين.

ويقول فى اللمعات:[1]

- يا أهل الإيمان: إن أمضى سلاحكم ضد المهالك المفزعة بسبب الشياطين وأهم وسيلتكم إلى البناء والتعمير هو: الاستغفار والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى بقولكم: أعوذ بالله. واعلموا أن قلعتكم هى سنة رسولكم عليه أفضل الصلاة والسلام.

ويقول فى الملاحق:

- إنه فى خضم التيارات الرهيبة والحوادث المزلزلة للحياة والعالم، ينبغى أن يكون الإنسان على ثبات وصلابة لا تحد بحدود، وضبط للنفس لا نهاية له، واستعداد دون حدود للتضحية[2].
- إن أعظم إحسان أعده فى هذا الزمان وأجل وظيفة هو: إنقاذ الإنسان لإيمانه، والسعى لإمداد إيمان الآخرين بالقوة[3].

ويقول فى علاج أربعة أمراض منها اليأس[4]:

---

(١) اللمعة الثالثة عشرة من "اللمعات" الإشارة الرابعة، ص ١١٤.

(٢) ملحق قسطمونى ص ٢٠٠ من الملاحق.

(٣) ملحق أمير داغ-١، ص ٢٥٩ من الملاحق.

(٤) من قطرة، ص ١٢٦، المثنوى.

- اعلم أنك إذا اندهشت من العذاب، ما وفقت للعمل، تتمنى عدم العذاب، فتتحرى ما ينافيه، فترى الأمارات المنافية براهين، فتخطفك الشياطين. فاستمع بقلب شهيد قوله تعالى: ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (الزمر: ٥٣).

وفى ذيل الذيل لدواء اليأس يقول الشيخ رحمه الله[1]:

- أيها المسلم: لا ترخ يدك عن الإسلام الذى هو حامى وجودنا وكياننا، تجاه الدمار الذى تولده هذه النتيجة المخيفة لتقدم أوروبا، بل عضّ عليه بالنواجذ واستعصم به بقوة، وإلا فمصيرك الهلاك.

إن الذى ينفث فيهم الحياة هو الأمل.. والذى يقتلنا هو اليأس، وقد اشتهر أحدهم بقوله: "أستطيع أن أحرك الكرة الأرضية من مكانها، إذا وجدت نقطة استناد" ففى هذا القول المفترض حكمة عجيبة هى: أن هذا الإنسان الصغير جدا، إذا ما وجد نقطة استناد، يستطيع أن يدير أعظم الأشياء كالكرة الأرضية.

فيا أهل الإسلام إن نقطة استنادنا تجاه المصائب والدواهى، التى ألقت بثقلها العظيم على العالم الإسلامى، هى الإسلام الذى يأمر بالاتحاد النابع من المحبة، وبامتزاج الأفكار الناشئ من المعرفة، وبالتعاون الذى تولده الأخوة.

حقا يمكن للمسلمين أن يصحوا ويبدأوا بالرقى، متى ما نبهوا وبُثّ فيهم روح النماء والأمل.. **ولكن لا صحوة مع اليأس!**

ثانيا: موت الصدق فى حياتنا الاجتماعية والسياسية:[2]

لقد علمتنى زبدة تتبعاتى وتحقيقاتى فى الحياة بتمخض الحياة الاجتماعية أن: "الصدق" هو أساس الإسلام، وواسطة العقد فى سجاياه الرفيعة، ومزاج مشاعره العلوية. فعلينا إذن أن نحيى الصدق الذى هو

---

(١) ص ٣٦٧: ٣٧٠ من صيقل الإسلام.

(٢) الكلمة الثالثة من الخطبة الشامية، ص ٥٠٦، من (صيقل الإسلام)، (٨). وكذلك الكلمة (السابعة والعشرون) ص ٥٧٤ من (الكلمات) (١).

حجر الزاوية فى حياتنا الاجتماعية فى نفوسنا، ونداوى به أمراضنا المعنوية. أجل! إن الصدق هو عقدة الحياة فى حياة الإسلام الاجتماعية، أما الرياء فهو نوع من الكذب الفعلى. وأما المداهنة والتصنع فهو كذب دنئ مرذول. أما النفاق فهو كذب ضار جدا. والكذب نفسه إنما هو افتراء على قدرة الصانع الجليل.

إن الكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق وحقيقة. وعلى هذا فالبون شاسع بين الصدق والكذب، بُعد ما بين المشرق والمغرب. وينبغى أن لا يختلط الصدق والكذب اختلاط النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة، قد خلطتا أحدهما بالآخر، فاختلطت كمالات البشرية ومثلها، بسفسافها ونقائصها.

إن الصدق والكذب بعيدان أحدهما عن الآخر بعد الكفر عن الإيمان، ولهذا فإن عروج محمد ﷺ فى خير القرون إلى أعلى عليين بواسطة الصدق، وما فتحه من كنوز حقائق الإيمان وأسرار الكون، جعل الصدق أروج بضاعة وأثمن متاع فى سوق الحياة الاجتماعية، بينما تردى مسيلمة الكذاب وأمثاله إلى أسفل سافلين بالكذب. إذ لما حدث ذلك الانقلاب العظيم فى المجتمع، تبين أن الكذب هو مفتاح الكفر والخرافات، وأفسد بضاعة وأقذرها. فالبضاعة التى تثير التقزز والاشمئزاز لدى جميع الناس إلى هذا الحد، لا يمكن أن تمتد إليها يد أولئك الذين كانوا فى الصف الأول من ذلك الانقلاب العظيم. إنهم الصحابة الكرام الذين فطروا على تناول أجود المتاع وأثمنه وأفخره، وحاشاهم أن يلوثوا أيديهم المباركة بالكذب، ويمدوها عمدا إلى الكذب، ويتشبهوا بمسيلمة الكذاب. بل كانوا بميولهم الفطرية السليمة، وبكل ما أوتوا من قوة، فى طليعة المبتاعين للصدق، الذى هو أروج مال وأقوم متاع، بل هو مفتاح جميع الحقائق، ومرقاة عروج محمد ﷺ إلى أعلى عليين.

ولأن الصحابة الكرام قد لازموا الصدق، ولم يحيدوا عنه ما أمكنهم ذلك، فقد تقرر لدى علماء الحديث والفقه "أن الصحابة عدول، رواياتهم لا تحتاج إلى تزكية، وكل ما رووه عن النبى ﷺ صحيح". فهذه الحقيقة المذكورة، حجة قاطعة على اتفاق هؤلاء العلماء على صدق الصحابة.

وهكذا فإن الانقلاب العظيم الذى حدث فى خير القرون، أدى إلى أن يكون البون شاسعا بين الصدق والكذب، كما هو بين الكفر والإيمان.. إلا أنه بمرور الزمن، قد تقاربت المسافة بين الصدق والكذب، بل أعطت الدعايات السياسية أحيانا رواجا أكثر للكذب، فبرز الكذب والفساد فى الميدان، وأصبح لهما المجال إلى حد ما.

بناء على هذه الحقيقة فلا نجاة إلا بالصدق، فالصدق هو العروة الوثقى، أما الكذب للمصلحة فقد نسخه الزمان، ولقد أفتى به بعض العلماء ومؤدّاه للضرورة والمصلحة، إلا أنه فى هذا الزمان لا يعمل بتلك الفتوى. إذ أسئ استعماله، إلى حد لم يعد فيه نفع واحد، إلا بين مائة من المفاسد، ولهذا لا تُبنى الأحكام على المصلحة.

مثال ذلك: إن سبب قصر الصلاة فى السفر هو المشقة، ولكن لا تكون المشقة علة القصر، إذ ليس لها حد معين، فقد يساء استعمالها، لذا لا تكون العلة إلا السفر.. فكذلك المصلحة، لا يمكن أن تكون علة للكذب، لأنه ليس للكذب حد معين، وهو مستنقع ملائم لسوء الاستعمال، فلا يناط به الحكم. وعلى هذا فالطريق اثنان لا ثالث له: "إما الصدق وإما السكوت" وليس للكذب مجال فيه. ثم إن انعدام الأمن والاستقرار فى الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذى تقترفه البشرية، وبتزييفها وافتراءاتها، ما هو إلا نتيجة كذبها وسوء استعمالها للمصلحة. فلا مناص للبشرية إلا سد ذلك الطريق الثالث، وإلا فإن ما حدث خلال نصف هذا القرن، من حروب عالمية وانقلابات رهيبة ودمار فظيع، قد يؤدى إلى أن تقوم قيامة على البشرية، أجل! عليك أن تصدق فى كل ما تتكلمه، ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق، فإذا ما أدى الصدق أحيانا إلى ضرر فينبغى السكوت. أما الكذب فلا يسمح به قطعا فى الإسلام.

عليك أن تقول الحق فى كل ما تقوله، ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه إن لم يكن الحق خالصا، فقد يؤثر تأثيرا سيئا، فتضع الحق فى غير محله.

ثالثاً: حب العداوة:

إنه مرض اجتماعي خطير، وحالة اجتماعية مؤسفة، أصابت الأمة الإسلامية، يدمى لها القلب، رغم أن أشد القبائل تأخرا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية، عند إغارة العدو الخارجي عليهم[1].

وإذ تقدر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه، لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة، فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء، الذين لا يحصرهم العد عليهم، فلقد تراصف الأعداء حولهم، وأطبقوا عليهم من كل مكان، إن هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة بحق الإسلام والمسلمين.

وأذكر للمناسبة حكاية ذات عبرة: كانت هناك قبيلتان من عشيرة "حسنان" وكانت بينها ثارات دموية، حتى ذهب ضحيتها أكثر من خمسين رجلا، ولكن ما إن يداهمها خطر خارجي من قبيلة "سبكان" أو "حيدران" إلا تتكاتفان وتتعاونان، وتتسيان كليا الخلافات لحين صد العدوان.

فيا معشر المؤمنين: أتدرون كم يبلغ عدد عشائر الأعداء المتأهبين للإغارة على عشيرة الإيمان؟ إنهم يزيدون على المائة، وهم يحيطون بالإسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة. فبينما ينبغي أن يتكاتف المسلمون لصد عدوان واحد من أولئك، يعاند كل واحد وينحاز جانبا، سائرا وفق أغراضه الشخصية، كأنه يمهد السبيل لفتح الأبواب أمام أولئك الأعداء، ليدخلوا حرم الإسلام الآمن. فهل يليق هذا بأمة الإسلام؟

وإن شئت أن تعدد دوائر الأعداء المحيطة بالإسلام: فهم ابتداء من أهل الضلالة والإلحاد، وانتهاء إلى عالم الكفر ومصائب الدنيا، وأحوالها المضطربة جميعها. فهي دوائر متداخلة تبلغ السبعين دائرة، كلها تريد أن تصيبكم بسوء، وجميعها حانقة عليكم، وحريصة على الانتقام منكم، فليس

---

(١) المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٤٩، من المكتوبات.

أمام جميع أولئك الأعداء الألداء، إلا ذلك السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة، **ألا وهى الأخوة الإسلامية**.

فأفق أيها المسلم! واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة، بحجج تافهة وأسباب واهية، خلاف الوجدان الحى، وأى خلاف مناف لمصلحة الإسلام كلية.. فانتبه! ولقد ورد فى الأحاديث الشريفة ما مضمونه: أن الدجال والسفيانى وأمثالهما، من الأشخاص الذين يتولون المنافقين، ويظهرون فى آخر الزمان، يستغلون الشقاق بين الناس والمسلمين، ويستفيدون من تكالبهم على حطام الدنيا، يهلكون البشرية بقوة ضئيلة، وينشرون الهرج والمرج بينها، ويسيطرون على أمة الإسلام ويأسرونها.

توجيهات الشيخ لنبذ العداوة والبغضاء:

نظرا لضراوة العداوة والبغضاء فى تفتيت عضد الأمة الإسلامية، والإلقاء بها فى متاهات التخلف والضياع، مصداقا لقول الحق **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال: ٤٦)**.

أقول نظرا لمعول هدم العداوة فى بنيان المسلمين، فإن الشيخ النورسى بفطرته الإيمانية المخلصة، وحماسته المتوهجة لرأب صدع أمة الإسلام، لم يأل جهدا فى دعوة المسلمين عامة، وتلاميذه خاصة، إلى التآلف والتراحم والمحبة، بما يعجز القلم عن تسجيله هنا. ونظرا لقاعدة "ما لا يدرك كله لا يترك كله" فسنذكر بعضا من توجيهات الشيخ على سبيل المثال لا الحصر:

فى المكتوب الثانى والعشرين خاطب الشيخ المؤمنين قائلا[١]:

- أيها المؤمنون: إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠)** وحصنوا أنفسكم بها من أيدى أولئك الظلمة، الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية، وإلا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم، بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، إذ لا يخفى أن طفلا صغيرا يستطيع أن يضرب

---

(١) ص ٣٥٠ من المكتوبات.

بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تلعب دورا فى رفع كفة ميزان وخفض الأخرى، ولو كان فيها جبلان متوازنان.

- فيا معشر أهل الإيمان: **إن قوتكم** تذهب أدراج الرياح، من جراء أغراضكم **الشخصية** وأنانيتكم **وتحزبكم، فقوة قليلة** جدا تتمكن من أن **تذيقكم الذل والهلاك.** وإن كنتم **حقا مرتبطين بملة الإسلام، فاستهدوا** بالدستور **النبوى العظيم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"**[٢] وعندها **فقط تسلمون من ذل الدنيا،** وتنجون **من شقاء** الآخرة.
- إن **الإخلاص واسطة الخلاص،** ووسيلة **النجاة** من العذاب، **فالعداء** والعناد **يزعزعان** حياة **المؤمن المعنوية، فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ** يضيع **الإخلاص!** ذلك **لأن** المعاند الذى ينحاز إلى رأيه وجماعته، يروم **التفوق على خصمه، حتى فى أعمال** البر التى يزاولها، **فلا يوفق توفيقا** كاملا إلى عمل خالص لوجه الله. ثم إنه لا يوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه، الموافقين له فى أحكامه ومعاملته على غيرهم. وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر "الإخلاص والعدالة" بالخصام والعداء.

ويخاطب الشيخ إخوانه ومريديه فى الشعاع الثالث عشر قائلا[٣]:

- إن ثباتكم وصلابتكم تبطل جميع خطط الماسونيين والمنافقين، لتفريقنا والتهوين من شأننا، فتجعلها بائرة عقيمة.
- اعلموا يا إخوتى: أن أهم أساس لقوتنا ونقطة استنادنا هى التساند، وإياكم والنظر إلى تقصيرات بعضكم البعض، مما يولده الانفعال فى الأعصاب من جراء هذه المصائب، **فلا يغضب بعضكم على بعض.**
- إن سبب اهتمامى البالغ بتساندكم وترابطكم، لا ينحصر فى منافعه التى تكسبها رسائل النور وتمسها، وإنما لعوام المؤمنين ممن ليسوا ضمن

---

(٢) أخرجه البخارى برقم (٤٨١) و (٣٤٤٦) و (٦٠٢٧) ومسلم برقم (٥٨٥) و (٢٦٢٧) والترمذى (١٩٩٣ تحفة) وقال حديث صحيح.

(٣) ص ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٧٨، ٥٦٠ من الشعاعات.

الإيمان الحقيقي، فهم أحوج ما يكونون إلى نقطة استناد، وإلى حقيقة ثابتة عضت عليها جماعة بالنواجذ.

- تخلوا يا إخوتي عن استياء بعضكم من بعض، الشبيه بإلقاء الشرارة في البارود، واحملوا الآخرين عن التخلي عنها. إذ بخلاف ذلك، هناك احتمال قوي أن يلحق الضرر بنا، وبالخدمة القرآنية والإيمانية بالأرطال، بسبب حق جزئي شخصي لا يعادل درهما.

وهكذا نشهد للشيخ -رحمه الله- أنه جاهد في الله حق جهاده، لتوحيد بنيان الأمة الإسلامية، بدءا بالفرد وانتهاء بالمجموع. وفي جميع الميادين والمجالات، ندعو الله أن يتقبل جهاده، ويحقق رجاءه، فيجمع شمل المسلمين، إنه على كل شئ قدير.

رابعا: العمل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض:

إن تلك الروابط من أعظم النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين، فهم إخوة مهما تباعدت بهم الديار، وبدون إنفاق الأموال الطائلة، في سبيل عقد المؤتمرات أو وسائل الدعاية والإعلان، لأن ما يربطهم أجَّل من ذلك جميعا، فقد ألف الله بين قلوبهم، برباط من نور محبته. فهو القائل سبحانه وتعالى: **﴿وألف بين قلوبهم. لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (الأنفال: ٦٣).**

وفي هذا يقول الإمام النورسي رحمه الله[1]:

إن صفة المحبة: هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية، وهي التي تدفع إلى تحقيق السعادة لها، وإن صفة العداوة والبغضاء: هي عامل تدمير للحياة الاجتماعية وهدمها، ولذلك فهي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تتجنب وينفر منها.

ولقد أظهرت الحربان العالميتان مدى ما في روح العداوة من ظلم فظيع ودمار مريع، وتبين أن لا فائدة منها البتة. وعليه فلا ينبغي أن تجلب سيئات أعدائنا عداوتنا، فحسبهم العذاب الإلهي ونار جهنم.

---

(١) "المحبة" وهي الكلمة الرابعة من الخطبة الشامية، ص ٥٠٩ صيقل الإسلام.

إن غرور الإنسان وحبه لنفسه، قد يقودانه أحيانا إلى عداء إخوانه المؤمنين ظلما، وبدون شعور عنه، فيظن المرء نفسه محقا، مع أن مثل هذه العداوة تعد استخفافا بالوشائج والأسباب، التى تربط المؤمنين بعضهم ببعض، كالإيمان والإسلام والإنسانية، وحطا من شأنها.

أجل إن أسباب المحبة هى: الإيمان والإسلام والإنسانية، وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة، والحصون المعنوية المنيعة. أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن: فإنما هى أمور خاصة تافهة تفاهة الحصيات. لذا فإن إضمار العداء لمسلم إضمارا حقيقيا، إنما هو خطأ جسيم، لأنه ضد الخلق الإسلامى القاضى بالإنصاف وحسن الظن. وكما أن الظلمة والنور لا يجتمعان، فكذلك المحبة والعداوة لا تجتمعان فى قلب المؤمن.

ولأن الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شئ، لا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشية فى روح المؤمن، إذ يرى أعدى عدوه نوع أخ له. ولأن الكفر يؤسس جاذبية وافتراقا بين كل الأشياء، يشتد فى الكافر الحرص والعداوة والتزام النفس والاعتماد عليها[1] .

جهاد النورسى لإرساء دعائم الترابط بين المؤمنين:

نظرا لأهمية الوحدة فى عصر التكتلات العالمية: الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية، فقد اهتم الإمام النورسى بوحدة المسلمين اهتماما بالغا، ويعتبر فى فكره هذا سابقا لعصره، فإن كانت الوحدة لازمة فى كل العصور، إلا أنه فى عصرنا هذا، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى، والتغيرات العالمية التى صاحبت هذا الانهيار، أصبح اتحاد المسلمين عقائديا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا، ضرورة حياتية، فلا مكان للشاة الشاردة فى عصرنا هذا، إلا التبعية وما يصحبها من عبودية.

وننقل هنا ما نادى به الشيخ فى رسائل النور لتحقيق وحدة المسلمين:

- فى خطابه إلى مجلس الأمة قال النورسى[1]:

---

(١) قطرة من بحر التوحيد، ص ١٥٨، من المثنوى العربى النورى.

(١) من الرسالة الخامسة (حباب من عمان القرآن الكريم) ص ٢٠٢ من المثنوى.

إن الذين يولونكم الحب قلبا ولسانا، ويثمنون خدماتكم وانتصاراتكم فى "حرب الاستقلال" هذه، هم جمهور المؤمنين، وبخاصة طبقة العوام، وهم المسلمون الصادقون فهم يحبونكم بجد، ويعتزون بكم بصدق، ويساندونكم بإخلاص، ويقدرون تضحياتكم، ويمدونكم بأضخم ما تنبه لديهم من قوة. وأنتم بدوركم ينبغى لكم الاتصال بهم، والاستناد إليهم، لأجل مصلحة الإسلام، واتباعا لأوامر القرآن الكريم: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ **(آل عمران، ١٠٣)**، وإلا فإن تفضيل المتجردين من الإسلام، والمبتوتى الصلة بالأمة، من مقلدى أوروبا المعجبين بها، وترجيحهم على عامة المسلمين، مناف كليا لمصلحة الإسلام، وسيولى العالم الإسلامى وجهه إلى جهة أخرى، طلبا للمساعدة والعون.

- وفى موضع آخر من رسائل النور يخاطب النورسى المؤمن، فى كل زمان ومكان قائلا[٢]:

اعلم أن: سر تساند المؤمنين فى عباداتهم ودعواتهم فى جماعاتهم، سر عظيم وأمر جسيم، إذ يصير به كل فرد، كالحجر المجصوص، فى البناء المرصوص، يستفيد من إخوانه فى الإيمان بألف ألف ما يستفيد من عمل نفسه.. وبهذا التعاون العلوى المعنوى، يترقى الإنسان من أسفل سافلى الحقارة والصغر والعجز، إلى أعلى عليى الخلافة وحمل الأمانة وقابلية المكرمية، بتسخير السماوات والأرض له.

- وفى موضع ثالث يقول رحمه الله[٣]:

إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعى حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تستدعى وحدة المجتمع. إن الإيمان هو الذى يهب لك من النور والشعور، ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة، ما يبلغ عدد الأسماء الحسنى فيرشدك مثلا إلى:

---

(٢) الرسالة الحادية عشرة (شعلة من أنوار شمس القرآن)، ص ٤٠٦، ٤٠٧ من المثنوى.
(٣) المكتوب الثانى والعشرون، ص ٣٤١: ٣٤٨ من المكتوبات.

أن خالقكما واحد، ما لكما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد.. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف.. ثم إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد.. إلى أن تبلغ المائة. ثم إنكما تعيشان معا فى قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، فى بلاد واحدة وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة.

فلئن كان هناك هذا القدر من الروابط، التى تستدعى الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعا، ويفضل عليها أسبابا واهية، أوهن من بيت العنكبوت، تلك التى تولد الشقاء والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداء وغلا حقيقيا مع أخيه المؤمن! أليس هذا إهانة بتلك الروابط التى توحد؟ واستخفافا بتلك الأسباب التى توجب المحبة، واعتسافا لتلك العلاقات التى تعترض الأخوة؟ فإن لم يكن قلبك ميتا ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك، فستدرك هذا جيداً.

وإذا قيل: لقد ورد فى الحديث الشريف "اختلاف أمتى رحمة"[(١)]، والاختلاف يقتضى التفرق والتحزب والاعتداد بالرأى. **فالجواب:** أن الاختلاف الوارد فى الحديث هو الاختلاف الإيجابى البناء المثبت ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه، وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين، أو الطعن فى وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيدا لإكمال النقص، ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا، أما الاختلاف السلبى: فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا فى نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأى عمل إيجابى بناء.

---

(١) قال السخاوى فى المقاصد: رواه البيهقى فى المدخل بسنده منقطع.. وأخرجه الطبرانى والديلمى أيضا وفيه ضعيف.

وصفوة القول:

إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته، وفق الدساتير السامية التى وضعها الحديث الشريف "الحب فى الله والبغض فى الله"[(١)] والاحتكام إلى أمر الله فى الأمور كلها - فإن النفاق والشقاق يسودان المجتمع. نعم إن الذى لا يستهدى بتلك الدساتير، يكون مقترفا ظلما فى الوقت الذى يروم العدالة.. ولا شك أن الظلم يقوض أركان أى مجتمع.

خامسا: سريان الاستبداد وسريان الأمراض المعدية المتنوعة:

إن الاستبداد هو الديكتاتورية أى حكم الفرد الواحد، والاستقلال بالرأى حتى لو كان خطأ. وعلى عكس الاستبداد تأتى الشورى وهى محصلة الآراء. وتعنى بالمفهوم السياسى العصرى "الديمقراطية". ونظرا لأهمية الشورى فى رقى المجتمع عموما، وتحضره نتيجة تحقيق أقصى منفعة ممكنة بأقل إمكانيات ممكنة.. فإن شريعة الإسلام قد وضعتها فى مكانة عالية، وجعلتها دعامة من دعائم الفكر السياسى والاجتماعى، بقول الحق تبارك وتعالى لرسوله الكريم: **﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ (آل عمران ١٥٩)**. ومن هذا المنطلق فقد اهتم الإمام النورسى اهتماما بالغا بالشورى، وظهر ذلك الاهتمام فى نواح عدة من رسائل النور.

أولها: الكلمة السادسة من الخطبة الشامية (الشورى) حيث قال:[(١)]

إن مفتاح سعادة المسلمين فى حياتهم الاجتماعية إنما هو الشورى، فالآية الكريمة تأمرنا باتخاذ الشورى فى جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨)**.

أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشرى، إنما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدار رقى البشرية وأساس علومها. وإن سبب تخلف القارة الكبرى، التى هى آسيا عن ركب الحضارة، إنما هو لعدم قيامها بتلك الشورى الحقيقية.

---

(١) رواه مسلم والبخارى فى كتاب الإيمان.

(١) ص ١٥٤ من صيقل الإسلام.

إن مفتاح قارة آسيا وكشاف مستقبلها إنما هو الشورى أى: كما أن الأفراد يتشاورون فيما بينهم، كذلك ينبغى أن تسلك الطوائف والأقاليم المسلك نفسه، فتتشاور فيما بينها. فإن فك أنواع القيود التى كبلت ثلاثمائة، بل أربعمائة مليون مسلم، ورفع أنواع الاستبداد عنهم إنما يكون بالشورى والحرية الشرعية، النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية الشرعية التى تتزين بالآداب الشرعية، وتنبذ سيئات المدنية الغربية.

إن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان إنما تأمر بأساسين:

١ - "أن لا يذلل المسلم ولا يتذلل".. من كان عبدا لله لا يكون عبدا للعباد.

٢ - ﴿أن لا يجعل بعضكم بعضا أربابا من دون الله﴾.. إذ من لا يعرف الله حق معرفته يتوهم نوعا من الربوبية لكل شئ فى كل حسب نسبته، فيسلطه على نفسه.

نعم إن الحرية الشرعية عطية الرحمن، وتجل من تجليات الخالق الرحمن الرحيم وهى خاصة من خصائص الإيمان.

وإذا قيل:

لم تهتم بالشورى إلى هذا الحد؟ وكيف يمكن أن تتقدم البشرية عامة وآسيا والإسلام بوجه خاص بتلك الشورى؟.

الجواب:

فكما أوضحت لمعة "الإخلاص" وهى اللمعة الحادية والعشرون: أن الشورى الحق تولد الإخلاص والتساند، إذ أن ثلاث ألفات هكذا (III) تصبح مائة وإحدى عشرة، فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقى، يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مائة شخص. ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة: أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص، بالإخلاص والتساند الحقيقى والشورى فيما بينهم.

فما دامت احتياجات البشر لا حد لها وأعداؤه دون حصر، وقوته ورأس ماله جزئيان محدودان جدا، ولاسيما بعد ازدياد المخربين

والمتوحشين، نتيجة تفشى الإلحاد.. فلا بد أن يكون أمام أولئك الأعداء غير المحدودين، والحاجات التى لا تحصر، نقطة استناد تنبع من الإيمان، فكما تستند حياته الشخصية إلى تلك النقطة، فإن حياته الاجتماعية أيضا، إنما تستطيع أن تدوم وتقاوم، بالشورى الشرعية النابعة من حقائق الإيمان، فتوقف أولئك الأعداء الشرسين عند حدهم، وتلبى تلك الاحتياجات.

ثانى نواحى اهتمام الشيخ بالشورى:

دعوته إلى إنشاء مجلس شورى للاجتهاد:[1]

نادى الشيخ بذلك وقت الخلافة الإسلامية، واستند فى تلك الدعوة إلى عدة أسباب جوهرية:

- يجب ألا تسند الفتوى إلى شخص واحد، لأن المسئولية جسيمة، ومقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية.
- الزمان الآن زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوى ينبثق من روح الجماعة، ومجالس الشورى تملك تلك الشخصية المعنوية الحاكمة.
- لابد أن يكون مجلس الشورى على مستوى عال، كى يتمكن أن يسمع صوته للآخرين، ويحافظ على أحكام الدين.
- فكما نرى فى كتب الشريعة: أن مدار الفتوى الإجماع ورأى الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضا، ليكون فيصلا قاطعا لدابر الفوضى الناشبة فى الآراء.

ثالث تلك النواحى:[1]

طالب الشيخ بتشكيل مجلس شورى علمى منتخب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص فى علم، ليقوموا بتأليف تفسير للقرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان الذى هو مفسر عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة فى التفاسير، ويهذبوها ويذهبوها. وهذا الأمر مشروط

---

(١) السنوحات، ص ٣٥١: ٣٥٤ من صيقل الإسلام.

(١) محاكمات عقلية، ص ٣٧ من صيقل الإسلام.

بأن تكون الشورى مهيمنة فى كـل شئ، والأفكـار العامـة مراقبـة، وحجيـة الإجماع حجة عليه.

رابع تلك النواحي: [٣]

هاجم الشيخ سـيئات اسـتبداد الأحاسيس، التـى تؤسـس المذاهـب غالبـا على التعصب وتضليل الآخرين. وهـذا مذمـوم فـى نظـر الشـرع، منـاف للأخوة الإسلامية، مفرق للانتسـاب الجنسـى (الإنسـانى). ودعـا الشـيخ إلـى محاسن مشاورة الأفكار، التى تؤسس المعتقدات على البراهين القاطعة، مما يؤدى إلى عدم تمويه الأفكار وخداعها، بإلباس الباطل لباس الحق.

هذا وسنحاول أن نلقى النظر على اهتمام الشيخ بالشورى فى مجـالات أخرى من البحث بعون الله وتوفيقه.

سادسا: حصر الهمة فى المنفعة الشخصية:

تلك آخر الأمراض الستة التى ذكرها النورسـى وسـببت تخلـف الأمـة الإسلامية، حيث جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى، فى الوقت الـذى طار فيه الأجانب وخاصة الأوروبيين، نحـو المستقبل[١]. ويشـخص الشـيخ تلك العلة بحكمة بالغة، تدل علـى ثـراء فكـرى وعمـق روحـى بعيد المـدى فيقول ﷺ[٢]:

إن الدرس الـذى تعلمتـه مـن الشـورى الشـرعية هـو: أن سيئة امـرئ واحـد فـى هـذا الزمـان، لا تبقـى علـى حالهـا سيئة واحـدة. وإنمـا قـد تكبـر وتسرى حتى تصبح مائة سيئة. كمـا أن حسـنة واحـدة أيضـا لا تبقـى علـى حالها حسنة واحدة، بل قد تتضاعف إلى الآلاف. فكمـا إذا ارتكـب فـرد فـى عشيرة ما جريمة، فإن عشـيرته بأسـرها تكون مسـئولة ومتهمـة فـى نظـر العشيرة الأخرى، وكـأن كـل فـرد مـن تلـك العشـيرة هـو الـذى قـد ارتكـب

---

(٣) محاكمات عقلية، ص ٥١ من صيقل الإسلام.

(١) الخطبة الشامية، ص ٤٩١ من صيقل الإسلام.

(٢) الكلمة الخامسة (تضاعف السيئات والحسنات) من الخطبة الشامية، ص ٥١٠: ٥١٤، من صيقل الإسلام.

الجريمة، فتلك الجريمة قد أصبحت بمثابة الألوف منها، كذلك إذا قام أحد أفراد تلك العشيرة بحسنة واحدة، افتخر بها سائر أفراد العشيرة، وكأن كل فرد منها هو الذى كسب تلك الحسنة.

فلأجل هذه الحقيقة، فإن فى زماننا هذا، ولا سيما بعد أربعين أو خمسين سنة، ليس المسئ هو وحده المسئول عن سيئته، بل تتضرر الأمة الإسلامية بملايينها بتلك السيئة. وستظهر أمثلة هذه الحقيقة بكثرة بعد أربعين أو خمسين سنة[٣].

فيا أيها المسلمون! لا يعتذرنّ أحدكم بالقول: "إننا لا نضر أحدا، ولكننا لا نستطيع أن ننفع أحدا أيضا، فنحن معذورون إذن". فعذركم هذا مرفوض، إذ أن تكاسلكم وعدم مبالاتكم وتقاعسكم عن العمل، لتحقيق الاتحاد الإسلامى والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية، إنما هو ضرر بالغ وظلم فاضح.

وهكذا، فكما أن سيئة واحدة تتضاعف إلى الألوف، فإن حسنة واحدة فى زماننا هذا – وأعنى بالحسنة هنا ما يتعلق بقدسية الإسلام –لا تقتصر فائدتها على فاعلها وحده، بل يمكن أن تتعداه ليعم نفعها معنويا– ملايين المسلمين، ويشد من حياتهم المادية والمعنوية. وعليه فإن هذا الزمان، ليس زمان الانطراح على فراش الكسل، والخلود إلى الراحة وعدم المبالاة بالمسلمين، بترديد أنا مالى".

إن مصالح الطوائف الصغيرة، وسعادتها الدنيوية والأخروية، ترتبط بالطوائف الكبيرة. إذن فإن ذنب الطوائف الكبيرة عظيم بالتكاسل والتقاعس، كما أن حسناتها جليلة وسامية أيضا.. وأنا بفهمى القاصر أتصور المجتمع الإسلامى ككل، أشبه ما يكون بمصنع ذى تروس وآلات عديدة. فإذا ما تعطل ترس من ذلك المصنع، أو تجاوز على رفيقه الترس الآخر، فسيختل حتما نظام المصنع الميكانيكى.. فينبغى أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية وليتجاوز كل عن الآخر.

---

(٣) يدل هذا على قدرة الشيخ على التنبؤ، من استنباط الأحداث بحكمة. وقد صدق تنبؤه، نتيجة عالمية الاتصال، حتى أصبح العالم كقرية صغيرة، يؤثر كل حدث فيه على بقية البلدان.

كيف نشأت الأنانية في الأمة الإسلامية:(١)

هنا أنبه ببالغ الأسى والأسف: إلى أن قسما من الأجانب، كما سلبوا أموالنا الثمينة وأوطاننا، بثمن بخس دراهم معدودة مزورة، كذلك فقد سلبوا منا قسما من أخلاقنا الرفيعة، وسجايانا الحميدة، والتى بها يترابط مجتمعنا، وجعلوا تلك الخصال الحميدة، محورا لرقيهم وتقدمهم، ودفعوا إلينا نظير ذلك، رذائل أطباعهم وسفاهة أخلاقهم.

فمثلا: إن السجية الملية التى أخذوها عنا هى قول واحد منهم: "إن مت أنا فلتحيا أمتى، فإن لى فيها حياة باقية". هذه السجية أقوى أساس وأمتنه لرقيهم وتقدمهم، قد سرقوها منا، إذ هذه الكلمة إنما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الإيمان، فهى لنا وللمؤمنين جميعا. بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجايا فاسدة، فترى ذلك الأنانى الذى فينا يقول: "إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر"، "وإن لم أر السعادة فعلى الدنيا العفاء" فهذه الكلمة الحمقاء إنما تنبع من عدم وجود الدين، ومن عدم معرفة الآخرة، فهى دخيلة علينا تسممنا. ثم إن تلك السجية الغالية، عندما سرت إلى الأجانب، أكسبت كل فرد منهم قيمة عظيمة حتى كأنه أمة وحده، لأن قيمة الشخص بهمته، فمن كانت همته أمته، فهو بحد ذاته أمة صغيرة قائمة: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ (النحل ١٢٠).

وبسبب عدم تيقظ أناس منا، وبحكم أخذنا الأخلاق الفاسدة من الأجانب، فإن هناك من يقول: "نفسى نفسى" مع ما فى أمتنا الإسلامية من سمو وقدسية. فألف رجل مثل هذا الشخص، الذى لا يفكر إلا بمصلحته الشخصية، ولا يبالى بمصلحة الأمة، إنما ينزل بمنزلة شخص واحد.

"من كانت همته نفسه، فليس من الإنسان، لأنه مدنى بالطبع"، فهو مضطر لأن يراعى أبناء جنسه، فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الاجتماعية، فمثلا: إن الذى يأكل رغيفا عليه أن يفكر: كم يحتاج إلى الأيدى العاملة التى تحضر له ذلك الرغيف، فهو يقبل تلك الأيدى معنى.. وكذا الثوب الذى يلبسه، كم من الأيدى والآلات والأجهزة تضافرت لتهيئته

---

(١) تابع كلام الشيخ عن المرض السادس الذى أصاب أمة الإسلام، ص ٩٣ من صيقل الإسلام.

وتجهيزه. وقيسوا على منوال هذين المثالين، لتعلموا أن الإنسان مفطور على الارتباط بأبناء جنسه من الناس، لعدم تمكنه من العيش بمفرده، وهو مضطر إلى أن يعطى لهم ثمنا معنويا لدفع احتياجاته. لذا فهو مدنى فطرى، والذى يحصر نظره فى منافعه الشخصية وحدها، إنما ينسلخ من الإنسانية، ويصبح حيوانا مفترسا. وهذا ما تأباه الشريعة الإسلامية.

الملخص:

تلك كانت نظرة سريعة على الأسباب التى أدت إلى تخلف الأمة الإسلامية، كما أوردها العالم الفذ والإمام الورع سعيد النورسى. ونعود فنجمل ما فصلناه فى نقاط مختصرة، أجاب بها الشيخ على سؤال يدور حول موضوعنا هذا والسؤال هو:

ما الذى ألقانا فى غياهب الضياع وأقعدنا عن معالى الأمور؟[1]

إنها إجابة من نوع فريد، لعالم تقى ورع، جمع بين عالم الشريعة وعالم الحقيقة: لذلك شخص أسباب التخلف بطريقته المتميزة فقال رحمه الله:

- إن الحياة حركة وفاعلية، أما الشوق فجوادها، وهو مطية الهمة. فحالما تمتطى همتكم صهوة جواد الشوق، ناشدة معالى الأمور، فى ميادين معركة الحياة، إذا بـ "**اليأس**" أول ما يصادفها، هذا العدو الألد هو الذى يفت من قوة الهمة.. فعليكم أن تضربوه بسيف الآية الكريمة: **﴿لا تقنطوا﴾ (الزمر: ٥٤).**
- ثم يشن "**حب الظهور وميل التفوق**" هجومه، هذا الميل المغروز فى الإنسان، يحاول التحكم على خدمة الحق، الخالصة من الحسد والمنازعة، فيهوى بضرباته على رأس الهمة، ويطرحها الأرض من على جوادها.. فعليكم أن تبعثوا إليه حقيقة الآية الكريمة **﴿كونوا قوامين﴾ (النساء: ١١٤).**

---

(١) المناظرات، ص ٤٣٣ من صيقل الإسلام.

- ثم يبرز إلى الميدان "**الاستعجال**" فيزل قدم الهمة ويقلبها على عقبيها، بطفراته خطوات ترتب الأسباب والمسببات، فتشوش مراحل العلل التى وضعها الله سبحانه فى سننه الكونية.. فعليكم أن تحتموا منه بالخندق الأمين للآية الكريمة: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ (آل عمران، ٢٠٠).
- ثم يتصدى لها: "**الرأى الشخصى المستبد**" والتفكير الانفرادى الذى يبدد أعمال الإنسان، رغم أنه مكلف بفطرته رعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين.. فعليكم أن تصدوه بالحقيقة الشامخة فى الحديث الشريف: "خير الناس أنفعهم للناس"[1].
- ثم يخرج إلى ساحة المعركة عدو آخر وهو: "**التقليد**" فيجد الفرصة سانحة لتقليد الكسالى والمتخلفين، وبه يقصم ظهر الهمة.. فعليكم تحديه بالحقيقة الشاهقة، تلك هى حكمة الآية الكريمة: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ (المائدة، ١٠٥) كيلا تبلغ يد العدو أذيال الهمة.
- ثم يلوح العدو الغدار وهو: "**التسويف**" الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس، فينشأ منه تأجيل الأعمال الأخروية، من اليوم إلى الغد، وهكذا حتى يمسك يد الهمة، ويقعدها عن النهوض.. فعليكم الاقتداء بسر الآية الكريمة ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ (آل عمران، ١٢٢) على الله لا على غيره. فاجعلوا التوكل عليه سبحانه حصنا للهمة.
- ثم يدخل الساحة العدو الملحد وهو: "**التدخل فى ما هو موكول أمره إلى الله**" فينزل هذا التدخل بضرباته القاسية، ولطماته الموجعة على وجه الهمة، حتى يعمى بصرها.. فعليكم أن ترسلوا عليه الحقيقة الدائبة والرابحة دوما، وهى الآية الكريمة: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ (هود، ١١٢) كى تقفه عند حده فلا يتجاوزه، إذ ليس للعبد أن يتأمر على سيده.
- وأخيرا يقبل "**حب الراحة والدعة**" الذى هو أم المصائب ووكر الرذائل، فيصفد الهمة الكريمة بسلاسله وأغلاله، ويقعدها عن طلب معالى

---

(١) حديث حسن أخرجه القضاعى فى مسند الشهاب وابن عساكر فى تاريخ دمشق، ٢/٤٢٠/٢ وانظر الصحيحة ٤٢٦ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨.

الأمور، ويقذفها فى هاوية السفالة والذلة.. فعليكم أن تخرجوا على ذلك السفاح الساحر، البطل المجاهد فى الآية الكريمة: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩).. حقا إن لكم فى الجهاد وتحمل المشاق راحة كبرى. وأن الذى يملك فطرة حساسة، تكون راحته فى السعى والعمل.

وهكذا فإن الإمام النورسى: يرى أن أسباب تخلف المسلمين هى أسباب معنوية فى المقام الأول، وليست أسباب مادية.. فكم من دولة هى أفقر من الدول الإسلامية فى موارد الثروة الاقتصادية، مثل اليابان ودول جنوب شرق آسيا، ومع ذلك بقوة إرادة الشعوب وعزمها على التغيير، قد استطاعت أن تحقق التقدم المنشود.

فهل آن الأوان لنرتشف من نبع شريعتنا العذب، لنشفى به تلك الأمراض المعنوية، التى ألقتنا فى غياهب الضياع وأقعدتنا عن معالى الأمور؟

هذا ما سنعرفه فى المبحث التالى..

المبحث الثاني

الأمل في عبور المسلمين هوة التخلف

بعد أن شخّص الإمام النورسى العلة فى تخلف الأمة الإسلامية، لم يرض أن يترك المسلمين حيارى فى ظلمات اليأس، وخاصة أن هذا اليأس هو سبب هام من أسباب التخلف الذى يعتصرنا ويدمى قلوبنا، مع أن شريعة الإسلام تقتلع اليأس من نفوس المؤمنين بجذوره الخفية، التى قد تتداعى أسباب نموها، فتعكر صفو الحياة بأسرها.

لذلك فقد أفرد رسالة خاصة قيمة، يبعث بها الأمل فى عبور المسلمين هوة التخلف، وذلك لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وبدأ الرسالة معرفا الأمل بأنه: شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها، ثم قال[1]:

إنه بناء على ما تعلمته من دروس الحياة، يسرنى أن أزف إليكم البشرى يا معشر المسلمين، بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق، ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية.. إن المستقبل سيكون للإسلام، وللإسلام وحده. وإن الحكم **لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان.** لذا فعلينا الرضى بالقدر الإلهى **وبما قسمه لنا، إذ لنا مستقبل زاهر،** وللأجانب ماض مشوش مختلط.

فهذه دعواى، لى عليها براهين عدة، سأذكر واحدا ونصفا فقط منها، بعد أن أمهد لها ببعض المقدمات.

أما المقدمات فهى: أن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها، استعدادا كاملا لدفع أهلها إلى مراقى التقدم المعنوى والمادى معا.

---

(١) الخطبة الشامية، الكلمة الأولى "الأمل" ص ٤٩٢: ٥٠٤، من صيقل الإسلام.

أولا: استعداد الإسلام للرقي المعنوي:

إن التاريخ الذى يسجل الوقائع الحقيقية، أصدق شاهد على حقيقة الأحداث. فها هو التاريخ يرينا أن **القائد الياباني** الذى هزم الروس، يدلى بالشهادة الآتية فى صدد عظمة الإسلام وحقانيته:

"إنه بنسبة قوة الحقائق الإسلامية، وبنسبة التزام المسلمين تلك الحقائق، يزدادون رقيا وتقدما، هكذا يرينا التاريخ. ويرينا أيضا أنه بقدر ضعف تمسكهم بتلك الحقائق يصابون بالتوحش والتخلف والاضمحلال والوقوع فى ألوان من الهرج والمرج والاضطرابات، ويغلبون على أمرهم".. أما سائر الأديان الأخرى، فالأمر فيها على عكس الإسلام، أى: بقدر ضعف تمسك أتباعها، وضعف تعصبهم وصلابتهم فى دينهم، يزدادون رقيا وتقدما، وعلى قدر تعصبهم وتمسكهم بدينهم، يتعرضون للانحطاط والاضطرابات.

هذا هو حكم التاريخ.. وهكذا مر الزمان إلى الآن. وما أرانا التاريخ قط منذ خير القرون والعصر السعيد إلى الآن، أن مسلما قد ترك دينه مرجحا عليه -بالمحاكمة العقلية والدليل اليقيني- دينا آخر، على حين أن كثيرا من أتباع الأديان الأخرى -حتى المتعصبين منهم كالروس القدامى والإنكليز- قد رجحوا بالمحاكمة والدليل العقلى دين الإسلام على أديانهم فدخلوا فى الإسلام.

ولا عبرة هنا بتقليد العوام الذى لا يستند إلى دليل، كما لا عبرة بالمروق عن الدين والخروج على حقائقه، فهذه مسألة أخرى. علما بأن التاريخ يفيدنا بأن عدد من يدينون بالإسلام -بالمحاكمة العقلية- جماعات وأفواجا يزداد يوما بعد يوم.. ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام، وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى فى الإسلام جماعات وأفواجا، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام.

حاجة البشرية إلى الدين:

إن البشرية التى أخذت تصحو وتتيقظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة، أدركت كنه الإنسانية وماهيتها، وتيقنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملا بغير

دين، بل حتى أشد الناس إلحادا وتنكرا للدين، مضطر إلى أن يلجأ إلى الدين فى آخر المطاف لأن:

"نقطة استناد" البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الداخل والخارج، مع عجزه وقلة حيلته، وكذا "نقطة استمداده" لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا "معرفة الصانع" والإيمان به والتصديق بالآخرة. فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك. وما لم يوجد فى صدفة القلب جوهر الدين الحق، فسوف تقوم قيامات مادية ومعنوية على رأس البشر، وسيكون أشقى الحيوانات وأذلها.

موانع استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضى استيلاءً تاماً:

- المانع الأول والثانى والثالث:
  - جهل الأجانب.
  - وتأخرهم عن عصرهم (أى بعدهم عن الحضارة).
  - وتعصبهم لدينهم.

فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمى ومحاسن المدنية.

- المانع الرابع والخامس:
  - تحكم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم.
  - تقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليدا أعمى.

فهذان المانعان أيضا يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشرى إلى البحث عن الحقائق.

- المانع السادس والسابع:
  - تفشى روح الاستبداد فينا.
  - وانتشار الأخلاق الذميمة النابعة من مجافاة الشريعة ومخالفتها.

إن زوال قوة استبداد الفرد الآن، يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة، بعد ثلاثين أو أربعين سنة. ثم إن فوران الحمية الإسلامية، والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق الذميمة، كفيلان

برفع هذين المانعين، بل هما على وشك أن يرفعا، وسيزولان زوالا تاما إن شاء الله.

- المانع الثامن:

توهم وجود نوع من التناقض بين مسائل العلم الحديث والمعنى الظاهرى لحقائق الإسلام، فوقف أهل العلوم الحديثة موقف المعارض للإسلام، لعدم اطلاعهم على حقيقة التشبيه والمجاز. ولكن بعد الاطلاع على الحقيقة، لا يجد أعتى الفلاسفة مفرا من الاستسلام والانصياع.. وهناك مؤلفات قيمة لعلماء الإسلام فى هذا المجال (بيان الحقائق العلمية السامية فى القرآن الكريم).. مما يدل على أن هذا المانع الثامن سيضمحل تماما.

والفضل ما شهدت به الأعداء:

وإليكم مثالين فقط من بين مئات الأمثلة:

المثال الأول:

أن مستر **كارلايل** أحد مشاهير فلاسفة القرن التاسع عشر، وأشهر فيلسوف من القارة الأمريكية، يلفت أنظار الفلاسفة وعلماء النصرانية بقوله:

"لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة، والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة، وما كاد يظهر الإسلام، حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن بحق فإنها حطب ميت أكلته نار الإسلام فذهب، والنار لم تذهب".

ويزيد مستر كارلايل فيقول بحق الرسول ﷺ: "هو الرجل العظيم الذى علمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغى إليه قبل كل شئ".

ويقول أيضا: "إن كنت فى ريب من حقائق الإسلام، فالأولى بك أن ترتاب فى البديهيات والضروريات القطعية، لأن الإسلام من أبده الحقائق، وأشدها ضرورة".

المثال الثانى:

هو الأمير **بسمارك**[1] الذى يعتبر من أشهر رجال الفكر فى تاريخ أوروبا الحديث. يقول هذا الفيلسوف:

"لقد درست الكتب السماوية بإمعان، فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التى تكفل سعادة البشرية، وذلك للتحريف الذى حصل فيها، ولكنى وجدت قرآن محمد ﷺ يعلو على سائر الكتب. وقد وجدت فى كل كلمة منه حكمة. وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله. ولا يمكن أن يكون كتاب كهذا من كلام البشر. فالذين يدعون أن هذه الأقوال أقوال محمد ﷺ يكابرون الحق، وينكرون الضروريات العلمية، أى أن كون القرآن كلام الله أمر بديهي".

وهكذا تنتج حقول الذكاء فى أمريكا وأوروبا، محاصيل رائعة من أمثال كارلايل وبسمارك من جهابذة المحققين.

وفى ضوء هذه الحقيقة أقول وبكل اطمئنان واقتناع:

إن أوروبا وأمريكا حبالى بالإسلام، وستلدان يوما ما دولة إسلامية، كما حبلت الدولة العثمانية بأوروبا وولدت دولة أوروبية.

إن الإسلام وحده سيكون حاكما على قارات المستقبل حكما حقيقيا ومعنويا، وأن الذى سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية، ليس إلا الإسلام والنصرانية الحقة المنقلبة إلى الإسلام والمتفقة معه، والتابعة للقرآن بعد تحررها من التحريفات والخرافات.

ثانيا: استعداد الإسلام للرقي المادي:

إن الأسباب القوية التى تدفع الإسلام إلى الرقى، تبين أن الإسلام سيسود المستقبل ماديا أيضا، لأن فى قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامى، قد اجتمعت وامتزجت خمس قوى لا تقهر، وهى فى منتهى الرسوخ والمتانة:

---

(١) من مشاهير السياسيين الألمان (١٨١٥-١٨٩٨) وأحد الذين حققوا الوحدة الألمانية وجعلوها فى مقدمة الدول فى القرن التاسع عشر.

(عن مترجم رسائل النور، الأستاذ إحسان قاسم الصالحي).

القوة الأولى:

"الحقيقة الإسلامية" التى هى أستاذ جميع الكمالات والمثل، الجاعلة من ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم نفس واحدة والمجهزة بالمدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة، ولها من القوة ما لا يمكن أن تهزمها قوة مهما كانت.

"نفهم من أستاذية القرآن وإشارات درسه: أن القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنما يدل البشرية على أن نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق فى المستقبل بالترقى. ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول له: هيا اعمل واسع لتتجز أمثال هذه المعجزات: فاقطع مثلا مسافة شهرين فى يوم واحد، كما قطعها سليمان عليه السلام.. واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية، كما داواها عيسى عليه السلام.. واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر، وانقذ البشرية من العطش، كما فعل موسى عليه السلام بعصاه، وابحث عن المواد التى تقيك شر الحرق بالنار، والبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام. والتقط أبعد الأصوات واسمعها، وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب، كما فعل ذلك بعض الأنبياء.. وألن الحديد كالعجين، كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع فى يدك ليكون مدارا لجميع الصناعات البشرية، كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام، فاعملوا على محاكاتهما وتقليدهما.. وهكذا قياسا على هذا، نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقى المادى والمعنوى، ويلقى علينا الدروس، ويثبت أنه أستاذ الجميع.

القوة الثانية:

"الحاجة الملحة" التى هى الأستاذ الحقيقى للمدنية والصناعات، والمجهزة بالوسائل والمبادئ الكاملة. وكذا "الفقر" الذى قصم ظهورنا فالحاجة والفقر قوتان لا تسكتان ولا تقهران.

القوة الثالثة:

"الحرية الشرعية" التى ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقة، نحو المعالى والمقاصد السامية، والتى تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتى تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهزة

بأنماط من الأحاسيس، كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر.

القوة الرابعة:

"الشهامة الإيمانية" المجهزة بالشفقة والرأفة. أى: لا يرضى الذل لنفسه أمام الظالمين ولا يلحقه بالمظلومين. وبعبارة أخرى: عدم مداهنة المستبدين، وعدم التحكم فى المساكين أو التكبر عليهم.

القوة الخامسة:

"العزة الإسلامية" التى تعنى إعلاء كلمة الله. وفى زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادى، والدخول فى مضمار المدنية الحقيقية. ولا ريب أن شخصية العالم الإسلامى المعنوية، سوف تدرك وتحقق فى المستقبل تحقيقا تاما، ما يتطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام.

لقد قلنا فى البداية أننا سنقيم برهانا ونصف برهان على دعوانا، وقد انتهى الآن البرهان مجملا. وجاء دور نصف البرهان وهو الآتى:

ثبت بالبحث والتحرى الدقيق، والاستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن: الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال، هو السائد المطلق فى نظام الكون، وهو المقصود لذاته أى هى المقاصد الحقيقية للصانع الجليل، كما أن الشر والقبح والباطل والسيئات، جزئى وتبعى وثانوى فى خلقة الكون.

كما ثبت بالاستقراء التام، وتحريات العلوم وأبحاثها، أن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها، لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية، فى خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلاقات بين العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهارته الجزئية، الصنائع الإلهية والإيجاد الربانى المنتظم.

وثبت أيضا بشهادة الحقائق التى قدمها الإسلام للبشرية: أن المسلمين هم أفضل البشر وأشرفهم، وهم أهل الحق والحقيقة. كما ثبت بشهادة التاريخ والوقائع والاستقراء التام، أن أشرف أهل الحق المشرفين من بين البشر المكرمين وأفضلهم: هو محمد ﷺ الذى يشهد له ألف من معجزاته وسمو أخلاقه، وحقائق الإسلام والقرآن.

من هذه الحقائق الثلاث: أقسم بما آتانى الله من قوة، أنه لا يمكن أن يخرج البشر على سنة الله الجارية فى الكون، ويخالف بقية إخوانه من طوائف المخلوقات، ويقضى بغلبة الشر على الخير.. ولذلك لا يمكن أن تستمر هذه الحالة فى عداء الإسلام هكذا.

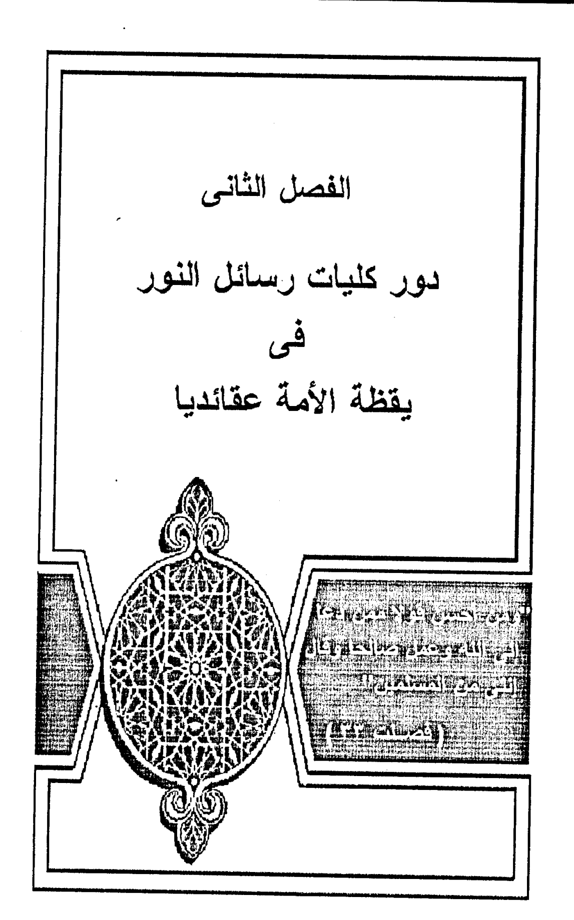
فما لم تقم قيامة مفاجئة على البشرية، فإننا نرجو من رحمة الرحمن الرحيم: أن تكون الحقائق القرآنية وسيلة لإنقاذ البشرية، من السقوط إلى أسفل سافلين، وتطهر وجه الأرض من الأدناس والأدران، وتقيم سلاما عاما شاملا.

ونحن بدورنا: ندعو الله أن يستجيب دعاء الشيخ النورسى، وكل عباده الصالحين، وينصر بفضله الإسلام والمسلمين. ويحقق لهم خيرى الدنيا والدين.

وبعد.. تلك كانت نظرة عامة على حال الأمة الإسلامية من خلال رسائل النور.. ونعود فنتناول دور تلك الرسائل فى يقظة الأمة فى جميع المجالات: عقائديا – علميا – اجتماعيا – سياسيا – اقتصاديا. وذلك خلال فصول البحث المختلفة، حيث نبرز الدور الخلاق، الذى قام به هذا الإمام التقى المجاهد، ليقظة المسلمين من سباتهم، نتيجة غياب الوعى الإسلامى، واستسلامهم لمغريات العصر المادية، من سلع استهلاكية ووسائل ترفية.

وكان الأجدر بهؤلاء المسلمين، أن يكونوا حملة مشعل الدين، ليوقظوا الأمم من غفلتها، لا أن يكونوا من المتخلفين، الجالسين على موائد اللئام، يلتقطون الفتات وهم منبهرون.

وهنا تظهر عظمة جهاد النورسى، لإرجاع الأمة الإسلامية إلى ينبوع شريعتها العذب الفياض، لتخطو خطواتها فى الحياة، وهى عزيزة الجانب موفورة الكرامة، فتحقق أرقى الحضارات التى تصل الأرض بالسماء، لأنها قائمة على العلم والإيمان.


الفصل الثانى
دور كليات رسائل النور
فى
يقظة الأمة عقائديا

يقظة الأمة عقائديا

دور كليات رسائل النور:

إن التكلم عن دور كليات رسائل النور، في يقظة الأمة عقائديا لهو من الصعوبة بمكان، بل إنه السهل الممتنع للأسباب الآتية:

- إن رسائل النور هي تفسير حقيقي للقرآن الكريم، ببيان إعجاز معانيه الجليلة، وتبين أن في الضلالة جحيما معنويا في هذه الدنيا، كما تثبت أن في الإيمان نعيما معنويا في الدنيا أيضا[1].

ولما كان القرآن هو دستور عقيدة المؤمنين، وهو زاخر بكنوز المعاني واللآلئ؛ فإن رسائل النور قد أسبغ الله عليها من أنوار قرآنه، فأصبحت زاخرة بالمعاني، والسباحة فيها تحتاج إلى أولي العزم من ذوي الألباب والبصائر.

- أن الإمام النورسي ما كتب رسائل النور، إلا لأنه يستغيث ألما من حرقة فؤاده، على تدني الأمة ويقول[2]:

"لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه، وحصرنا النظر في قشره وظاهره أيها الأخوة المسلمون، هيا لنعتذر إليه، ونطلب رضاه فنمد إليه معا -متفقين- يد الصداقة نبايعه ونعتصم بحبله المتين".

وواضح من هذه الكلمات أن الأساس الذي بنى عليه الشيخ النورسي منهاجه لإصلاح الأمة هو دعم العقيدة. وبالتالي فإن البنيان الشامخ لرسائل النور، كانت كل لبنة فيه ممزوجة بعصارة العقيدة الإسلامية، ونضجت تحت وهج الشريعة. فأصبح الفصل بينهما لتحديد معالمها أو التكلم عنها يتميز بالصعوبة.

---

(١) نهج رسائل النور في التبليغ، (الخطبة الشامية) ص ٤٨٢، من صيقل الإسلام.

(٢) محاكمات عقلية، ص ٢٢، من صيقل الإسلام.

- إن ذلك العالم التقي الورع، قد أنعم الله عليه بنعمة الإيمان والإخلاص، وكان هو عبدا شكورا، أحس من أعماق فؤاده بعظم تلك النعم، وما تحمله من أمانة جسيمة، فظل يكتب ويكتب، بكل ما آتاه الله من قوة وعلم ويقين، فكانت كل كلمة من كلماته تتوهج بنور اليقين، وتحمل معها الإخلاص في انتشال الأمة من وهدة الضلال، والعروج بها إلى مدارج الأنوار، وذلك بعد غرس أساسيات العقيدة الصافية في قلوب المسلمين، فتثمر أزهارا ورياحين، تملأ الدنيا عبقاً وأريجاً، يجذب نفوس الضالين والحائرين. لذلك فإن عملية انتقاء تلك الأزهار تحير العقول والأبصار، فأيها ننتقي وأيها نترك؟
- لقد تكلم الشيخ رحمه الله في جميع مجالات العقيدة، التي لا يحدها حدود ولا تقيدها قيود: فتكلم عن الوحدانية ودلائلها، وكيف تطيب بها الحياة وتزدهر، وتكلم عن دلائل النبوة، ونبوة سيدنا محمد ﷺ وتكلم عن حقيقة الدنيا في القرآن والفلسفة، وتكلم عن إعجاز القرآن الكريم وتكلم عن ضياع الدنيا والدين، إذا فرط المسلمون في حقائق دينهم وأصول عقيدتهم الراسخة، وتكلم عن قيمة الإنسان المؤمن وقيمة الإنسان الكافر، وكيف أن القرآن رحمة للعالمين وفيه كنوز العلوم، وعظمة إحاطة الإسلام، والعلة الغائية للحياة، و.. .

لقد تكلم عن الكثير والكثير من مجالات عقيدة المسلمين.. فكيف لا يكون من الصعوبة بمكان، أن أتخير من ذلك الكثير، بعض النذر اليسير الذي يحقق المقصود من العنوان، ويكون مؤشرا تهتدي به أمة الإسلام في كل مكان، للحفاظ على عقيدتها، وصيانتها من كل ما يخدش بريقها وأصالتها، على مر الأزمان.

لذلك أستعين بالله وأقسم ذلك الفصل إلى أربعة مباحث أساسية:

١ – المنهج الاستدلالي وأثره في تدعيم العقيدة.
٢ – كيف نشأت المذاهب المختلفة في الإسلام؟
٣ – معالجة انبهار المسلمين بحضارة أوروبا.
٤ – متطلبات إنقاذ الإيمان.

على أن يكون معروفا أن تلك النقاط الأساسية لا تمثل كل دور الإمام النورسى فى يقظة الأمة عقائديا، بل هو غيض من فيض، ومؤشر لجهد ضخم، وعنوان لموضوع كبير، لأن جهد الشيخ الحقيقى لا يقدره حق قدره إلا العليم الخبير، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وهو الذى أمد النورسى بقبس من كنوز علمه، وهو الذى سيجازيه على أداء الأمانة.

فاللهم جازه خير الجزاء عن كل من انتفع بعلمه، واستفاد بإشاراته وتوجيهاته. إنك على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.

المبحث الأول

المنهج الاستدلالي وأثره في تدعيم العقيدة

مقاصد القرآن الأساسية:[1]

إن مقاصد القرآن الأساسية، وعناصره الأصلية المنبثة في كل جهاته أربعة وهي: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل.

أي: أن القرآن هو وحده الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الحكمة (الفلسفة) من الكائنات: من أين؟ وبأمر من تأتون؟ من سلطانكم ودليلكم وخطيبكم؟ ما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟.

ولهذا فذكر الكائنات في القرآن الكريم – مما سوى المقاصد – إنما هو ذكر استطرادي لبيان **طريق الاستدلال**، على الصانع الجليل بانتظام الصنعة. نعم الانتظام يشاهد، بل يظهر نفسه بكل وضوح، فالصنعة المنتظمة، تشهد على وجود الصانع وعلى قصده وإرادته، شهادة صادقة قاطعة، إذ تتراءى في كل جهة من جهات الكون، وتتلألأ من كل جانب. وتعرض جمال الخلق إلى أنظار الحكمة، حتى كأن لكل مصنوع لسان يسبح بحكمة صانعه، كل نوع يشهد مشيرا بإصبعه إلى حكمة الصانع.

فما دام القصد هو هذا، وما دمنا نتعلم من كتاب الكائنات الرموز والإشارات الدالة على الانتظام، وأن النتيجة الحاصلة واحدة، فكيفما كانت تشكل الكائنات في ذاتها –فلا علينا– إذ لا تتعلق بنا. ولكن كل فرد من افراد الكائنات، الذي دخل ذلك المجلس القرآني الرفيع، موظف بأربع وظائف:

الأولى: إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره.

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٢٩ من صيقل الإسلام.

الثانية: إظهاره أن الإسلام زبدة العلوم الحقيقية، حيث أن كلا من الأفراد موضوع وخلاصة لعلم من العلوم الحقيقية.

الثالثة: إثبات تطابق الإسلام، مع القوانين والنواميس الإلهية الجارية في العالم، وانطباقه عليها لينمو الإسلام ويترعرع، بإمداد تلك النواميس الفطرية، حيث أن كل فرد من الكائنات نموذج لنوع. نعم إن الإسلام -الدين المبين- يتميز بهذه الخاصية عن سائر الأديان المترددة بين الهوى والهوسات، لفقدانها الجذور العريقة الممدة لها، فتارة تضئ وأخرى تنطفئ وتتغير بسرعة.

الرابعة: توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء والحث عليها والتنبيه إليها، من حيث أن كل فرد منها نموذج لحقيقة من الحقائق. فمثلا: إن القسم بالأجرام العلوية والسفلية في القرآن الكريم، إنما هو لتنبيه الغافلين دوما وحثهم على التفكير. فالقسم القرآني قرع العصا لمن غطّ في نوم الغفلة.

فالذى تحقق الآن هو الآتى:

أن القرآن الكريم الذى هو معجز، وفى أسمى بلاغة وأرفعها، يسلك بلا ريب أوضح طرق الاستدلال وأصوبها وأقصرها وأوفقها لأساليب اللغة العربية، أى أنه يراعى حياة العوام لأجل إفهامهم وإرشادهم، أى يذكر الدليل: وهو انتظام الكون بوجه يكون معروفا لديهم وتأنس به عقولهم.

عظمة إحاطة العقيدة الإسلامية:[1]

إن من عظمة إحاطة العقيدة الإسلامية: امتداد أساسات جدرانها من أعلى عليى كليات صفات ذى العرش، ومسائل خلق العرش والسماوات والأرض وملائكتها، إلى جزئيات خطرات القلب، مع امتلاء ما بينها بدساتير محكمة رصينة.

---

(١) شمة (٣) من المثنوى، ص ٣٤٣، ٣٥٨.

ومن عجائب جامعية فطرة الإنسان، أن أدرج الفاطر الحكيم فى هذا الجرم الصغير موازين لا تعد، لوزن ما لا يحد من مدخرات رحمته، وأدمج فيه آلات لا تحصى جهازاتها المعنوية، لفهم ما لا يتناهى من مكنونات كنوز أسمائه الحسنى: انظر إلى حواسك العشرة: كيف أحاطت بألوان عالم المسموعات والمبصرات والمذوقات وغيرها.. وكذا أعطاه جزئيات صفات وأحوال من الإرادة والعلم والسمع وغيرها، لفهم صفاته المحيطة وشئونه الواسعة. وكذا لف على أنانيته لفائف بعدد العوالم وألوانها، ليعرف حالها بتلك اللطائف. وكذا ألبس على قامة ماهيته أقمصة بعدد حجب الربوبية، ليترقى فيها بقطعها كما قال الرسول ﷺ: "إن الله ﷻ دون سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وما يسمع من نفس شيئا من حس تلك الحجب إلا زهقت" **(رواه الطبراني في الكبير (٥٨٠٢) عن سهل بن سعد).**

وكذا أودع فيه لطيفة مدركة[١]، بصورة عجيبة، بحيث تصير الحافظة التى هى فى صغر الخردلة كعالم واسع، تسير تلك اللطيفة فى تلك الخردلة دائما، ولا تصل إلى ساحلها، ومع ذلك قد يضيق على تلك اللطيفة هذا العالم الكبير، فتحيط هى بهذا العالم، وتحيط بها وبجميع ميادين جولانها ومكاتيب مطالعتها هذه الخردلة. فسبحان من صغرها بلا غاية، فى حين كبرها بلا نهاية. **﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).**

ومن هذا السير تتفطن لتفاوت مراتب الإنسان: فمن الإنسان من يغرق فى ذرة، ومن الإنسان من تغرق فيه الدنيا، ثم إن الإنسان قد يفتح بمفتاح من مفاتيحه الموهوبة، عالما واسعا من أبسط ما انتشرت إليه الكثرة، فيضل فيها فلا يصل إلى الوحدة والتوحيد إلا بعسر عظيم. فللإنسان فى معناه وسيره الروحى طبقات: ففى طبقة يتيسر له باليسر والسهولة الحضور والتوحيد، وفى طبقة أخرى تستولى الغفلة والأوهام، وقد تتسع عليه الضيقة، بحيث يغرق فى الكثرة غرقا تاما، فينسى الوحدة رأسا.

---

(١) يقصد بهذه اللطيفة المدركة: عقل الإنسان.

عم يبحث القرآن والرسول؟[1]

اعلم أن القرآن والمنزل عليه القرآن يبحثان عن مسائل عظيمة، ويثبتان حقائق جسيمة، ويبنيان أساسات واسعة، كأمثال إثبات وحدانية من يطوى السماء **﴿كطى السجل للكتب﴾ (الأنبياء: ١٠٤)**. **﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾ (الزمر: ٦٧)**، **﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ (النحل: ٧٧)** بالنسبة إليه، **﴿ويحى الأرض بعد موتها﴾ (الروم: ١٩)**.

ويحشر في تلك الأحياء أزيد من ثلاثمائة ألف حشر ونشر وقيامات، بإحياء أنواع النباتات والحيوانات، وكتابتها على صحيفة الأرض في نهاية الاختلاط والاشتباك، مع غاية التمييز بلا خبط ولا غلط. مع أن حشرا واحداً من تلك القيامات المشهودة، ليس بأهون من حشر طائفة الإنسان، إذ يزيد عدد طائفة واحدة من طوائف الذباب الذى يوجد فى عمر سنة، على عدد الإنسان فى عمر الدنيا. وكذا يقولان: **﴿الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السماوات والأرض﴾ (الزمر: ٦٢، ٦٣)**، و **﴿خلقكم وما تعملون﴾ (الصافات: ٩٦)**، **﴿أعد للكافرين عذابا أليما﴾ (الأحزاب: ٨)**، ويقولان: **﴿ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ (الزلزلة: ٨)**.

وهكذا من عظائم المسائل المبرهنة المهمة، فليس نظرهما فى الكائنات كنظر الفنون الفلسفية والعقول الإنسانية، بل مثلهما كمثل من يعرفك صنعة لتعرف صانعها، والمصنوع فى قبضته يقلبه، ويريك باطنه وصحائفه وتلافيفه وغايات جهازاته عند صانعه، ويعلمك كتابا بمعانيه وإشاراته.. ومثل الإنسان وفلسفته: كمثل من يعرفك مصنوعا بعيدا من يدكما ومن فهمكما، وإنما يصل نظركما إلى سطحه ولا ينفذ إلى باطنه، فيلقمك مسائل سطحية كوساوس شطحية لا تسمن ولا تغنى، وكمثل أجنبى أعجمى لا يعرف من العربية كلمة، لكن له معرفة بمناسبات النقوش والصور، فشرع يعلمك كتاب الفصوص المذهب، ببيان مناسبات نقوش الحروف، وكيفية صورها ووضعية بعضها إلى بعض.. وهكذا من سفاسف واهية صورية.

---

(١) شمة (٣) من المثنوى، ص ٣٤٧.

فإذا كان هذا هكذا، فلا تجعل مقاييس العلوم الإنسانية محكا لحقائقهما (أى القرآن والرسول ﷺ ولا تزنهما بميزانها، إذ لا توزن الجبال الراسيات بميزان الجواهر النادرات، ولا تطلب تزكيتهما بها بجعل دساتيرها الأرضية، مصداقا على تلك النواميس السماوية، فلا تظنن التزلزل بتحريك الأهواء الضالة لبعض التفرعات الجزئية، فأهمية الشيء بقدر قيمته.

تبديد الظلمات عن النفس العمياء[1]

إنه أسلوب رائع ذلك الذى اتبعه الإمام النورسى فى إيقاظ العقيدة فى نفوس المسلمين. وهو أسلوب المحاورة مع نفسه، لبعث الاطمئنان فيها وإراءتها أشعة من نور القرآن الكريم، تبدد الظلمات من حولها، وتكون نموذجا يحتذى به من غيرها.

ونسجل هنا شعاعا واحدا، من أشعة أربعة يضئ بها الطريق لنفسه، وعلى من يريد مزيدا من التفصيل، الرجوع إلى بقية الأشعة ليستزيد من أنوار تلك الرسائل القيمة.

يقول الشيخ رحمه الله مخاطبا نفسه:

يا نفسى الجاهلة تقولين: إن أحدية ذات الله سبحانه وتعالى، مع كلية أفعاله، ووحدة ذاته مع عمومية ربوبيته دون معين، وفرديته مع شمول تصرفاته دون شريك، وحضوره فى كل مكان مع تنزهه عن المكان، ورفعته المطلقة مع قربه إلى كل شئ، ووحدانيته مع أن كل شئ فى قبضته بالذات.. جميعها من الحقائق القرآنية.. وتقولين إن القرآن حكيم، والحكيم لا يحمل العقل ما لا يقبله.. بيد أن العقل يرى منافاة ظاهرة فى هذه الأمور.. لذا أطلب إيضاحا يسوق العقل إلى التسليم.

الجواب:

ما دام الأمر هكذا، وتطلبين ذلك لبلوغ الاطمئنان فإننا نقول مستندين إلى فيض القرآن الكريم: إن اسم "النور" وهو من الأسماء الحسنى، قد حل

---

(١) الكلمة السادسة عشرة، ص ٢١١ من الكلمات.

كثيرا من مشكلاتنا، ويحل بإذن الله هذه المسألة أيضا.. نقول كما قال الإمام الربانى أحمد الفاروقى السرهندى، منتقين طريق التمثيل الواضح للعقل والمنور للقلب:

لما كان التمثيل أسطع مرآة عاكسة لإعجاز القرآن، فنحن أيضا سننظر إلى هذا السر من خلال التمثيل وذلك: أن شخصا واحدا يكسب صفة كلية بواسطة مرايا مختلفة. فبينما هو جزئى حقيقى، يصبح بمثابة كلى مالك لشئون شاملة عامة، فمثلا: الشمس، وهى جزئى مشخص، ولكن بوساطة الأشياء الشفافة تصبح بحكم الكلى، حتى أنها تملأ سطح الأرض بصورها وانعكاساتها، بل تكون لها من الجلوات بعدد القطرات والذرات الساطعة. وحرارة الشمس وضياؤها، وما فيه من ألوان سبعة، يحيط كل منها بالأشياء التى تقابلها ويشملها ويعمها، وفى الوقت نفسه، فإن كل شئ شفاف يخبئ فى بؤبؤ عينه -مع صورة الشمس- الحرارة والضياء والألوان السبعة أيضا، جاعلا من قلبه الطاهر عرشا لها.

بمعنى: أن الشمس مثلما تحيط بصفة واحديتها، بجميع الأشياء التى تقابلها، فهى من حيث أحديتها، توجد بنوع من تجلى ذاتها فى كل شئ، مع (خاصيتها) وأوصافها الكثيرة.

وما دمنا قد انتقلنا من التمثيل إلى التمثيل، فسنشير إلى ثلاثة أنواع من التمثيل لتكون محور مسألتنا هذه:

أولها: الصور المنعكسة للأشياء المادية الكثيفة، هى غير وليست عينا، وهى موات وليست مالكة لأية خاصية غير هويتها الصورية الظاهرية.

فمثلا: إذا دخلت -يا سعيد- إلى مخزن المرايا، فسيكون سعيد واحد: ألف سعيد - ولكن الذى يملك الحياة من هذه الألوف، هو أنت فقط لا غير، والبقية أموات ليست لهم خواص الحياة.

ثانيها: الصور المنعكسة للنورانيات المادية، هذه الصور المنعكسة ليست عينا، وليست غيرا فى الوقت نفسه، إذ لا تستوعب ماهية النورانى المادية، ولكنها مالكة لأكثر خواص ذلك النوارنى، فتعتبر ذات حياة مثله.

فمثلا: عندما تنشر الشمس أشعتها على الكرة الأرضية، تظهر صورتها فى كل مرآة، فكل صورة منعكسة منها تحمل ما يماثل خصائص الشمس، من ضوء وألوان سبعة. فلو افترضت الشمس ذات شعور، وأصبحت حرارتها عين قدرتها، وضياؤها عين علمها، وألوانها السبعة صفاتها السبع، لكانت توجد تلك الشمس الوحيدة الفريدة فى كل مرآة فى اللحظة نفسها، ولاتخذت من كل منها عرشا لها يخصها، ومن كل منها نوعا من هاتف، فلا يمنع شئ منها، ولأمكنها أن تقابل كلا منها بالمرآة التى فى أيدينا. ومع أننا بعيدون عنها، فإنها أقرب إلينا من أنفسنا.

ثالثها: الصور المنعكسة للأرواح النورانية، هذه الصور حية، وهى عين فى الوقت نفسه، ولكن لأن ظهورها يكون وفق قابليات المرايا، فالمرآة لا تسع ماهية الروح بالذات.

فمثلا: فى الوقت الذى كان سيدنا جبريل ﷺ يحضر فى مجلس النبوة على صورة الصحابى دحية الكلبى، كان يسجد فى الحضور الإلهى بأجنحته المهيبة أمام العرش الأعظم، وهو فى اللحظة نفسها، موجود فى أماكن لا تعد ولا تحصى، إذ كان يبلغ الأوامر الإلهية. فما كان فعل يمنع فعلا.

ومن هذا السر نفهم كيف يسمع الرسول ﷺ صلوات أمته كلها، فى الأنحاء كافة، فى الوقت نفسه، إذ ماهيته نور وهويته نورانية.

ونفهم كذلك كيف أنه ﷺ يقابل الأصفياء يوم القيامة فى وقت واحد، فلا يمنع الواحد الآخر. بل حتى الأولياء الذين اكتسبوا مزيدا من النورانية، والذين يطلق عليهم اسم "الأبدال" هذا القسم يقال إنهم يشاهدون فى اللحظة نفسها، فى أماكن متعددة ويروى عنهم أن الشخص نفسه ينجز أعمالا متباينة كثيرة جدا.. إذ كما يصبح الزجاج والماء وأمثالهما من المواد مرايا للأجسام المادية، كذلك يصبح الهواء والأثير وموجودات من عالم المثال، بمثابة مرايا للروحانيات، ووسائط سير وتجوال لها فى سرعة البرق والخيال. فتتجول تلك الروحانيات، وتسبح فى تلك المنازل اللطيفة، والمرايا النظيفة بسرعة الخيال، فتدخل فى ألوف الأماكن فى آن واحد.

وهكذا رأينا بطريق الاستدلال: مخلوقات عاجزة ومسخرة كالشمس، ومصنوعات شبه نورانية مقيدة بالمادة كالروحانى، يمكن أن توجد فى موضع واحد، وفى عدة مواضع فى الوقت نفسه بسر النورانية.. فكيف إذن بمن هو مجرد عن المادة ومقدس عنها؟! ومن هو منزه عن التحديد بالقيد. وظلمة الكثافة ومبرأ عنها؟!. بل ما هذه الأنوار والنورانيات كلها إلا ظلال كثيفة لأنوار أسمائه الحسنى، بل ما فى جميع الوجود والحياة كلها، وعالم الأرواح وعالم المثال، إلا مرايا شفافة لإظهار جمال ذلك القدوس الجليل، الذى صفاته محيطة بكل شئ وشئونه شاملة كل شئ.

تُرى أى شئ يستطيع أن يتستر عن توجه أحديته، التى هى ضمن تجلى صفاته المحيطة، وتجلى أفعاله بإرادته الكلية وقدرته المطلقة وعلمه المحيط؟.. وأى شئ يصعب عليه؟.. وأى شئ يستطيع أن يتخفى عنه؟.. وأى فرد يمكنه أن يظل بعيدا عنه؟.. وأية شخصية يمكنها أن تقترب منه دون أن تكتسب الكلية؟

فإن كانت لك أيها المسلم قوة فى القلب، وعلو فى العقل، فحاول أن تطبق النقاط الواردة فى التمثيل بالحقيقة.

وهكذا اجتهد الشيخ النورسى -رحمه الله- فى إيقاظ عقيدة المسلمين ودعم أواصرها، بكل ما آتاه الله من علم وقوة ويقين، فحشد الأدلة وساق البراهين التى تقنع العقل، وتحقق الأحدية بينه وبين القلب والروح والنفس.. فجازاه الله عنا خير الجزاء.

اقتلاع جذور توهم الخلاف بين العلم والدين:

هناك كثير من آيات القرآن الكريم احتار بعض العلماء فى تفسيرها، ويا ليتهم وقفوا عند هذه الحيرة وطبقوا قاعدة: "من قال لا أعرف فقد أفتى"، ولكنهم فسروها تفسيرا يتفق ودرجة علمهم الظاهرى، فأصبحت تلك التفسيرات كالغبار الذى يحجب وجه العقيدة الناصع المتلألئ، بل وجعلت كثيرا من المسلمين فى حالة انفصام فكرى، بين أصول العقيدة وتطور البحث العلمى، بل وجعلت أعداء الإسلام يوصمونه بالتخلف والجمود، وأن ما يعيش فيه المسلمون من تخلف هو بسبب معتقداتهم الدينية.

وإزاء ذلك الوضع الحرج، وتلك الفرية الشنعاء على عقيدة سمحاء، تبلغ عنان السماء، فى تألقها ونضوجها وسموها.. أدلى الإمام النورسى بدلوه فى الاغتراف من كنوز معانى القرآن العظيم، وحمل قلمه مبددا شبهات الشيطان بخيله ورجله، حتى يكون المسلمون على عقيدة راسخة تجعلهم يخطون خطواتهم فى الحياة بخطوات ثابتة وعقول ناضجة.

وفى ذلك يقول الشيخ رحمه الله[1]:

إن أعظم سبب سلب منا الراحة فى الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

فيا للعجب! كيف يكون العبد عدو سيده، والخادم خصم رئيسه، وكيف يعارض الابن والده!! فالإسلام سيد العلوم ومرشدها ورئيس العلوم الحقة ووالدها.

فيا من يمعن النظر فى كتابى هذا: اعلم أن ما أريد أن أسديه بهذا الكتاب من خدمة هو:

رد شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلام حقه، بإظهار الطريق المستقيم الذى عليه الإسلام، ودفع أوهام أهل الإفراط والغلو المغرمين بظاهر الإسلام دون حقيقته، والذين يستحقون لقب "الصديق الأحمق" ببيان الجانب الآخر من ذلك الطريق السوى، وإمداد علماء الإسلام الأوفياء الصادقين العقلاء، وهم المرشدون الحقيقيون الأصلاء الذين يسعون فى إظهار هذا الصراط القويم، يحدوهم الأمل الكامل فى النصر، ويمهدون السبيل إلى مستقبل عالم الإسلام الزاهر.

المسألة الأولى: كروية الأرض:

يقرر الإمام النورسى أنه: قد يكون بديهيا فى عصرنا الحاضر ما هو نظرى فى الماضى[1]: ففى العالم ميل للاستكمال، وميل الترقى هذا ينمو

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٢٣، ٢٤، من صيقل الإسلام.

ويترعرع مستمدا من تلاحق الأفكار، الذى ينبسط بتكامل المبادئ واكتمال الوسائل، وبناء على هذا، فإن مسائل كثيرة فى هذا الزمان قد أصبحت فى عداد البديهيات والعلوم المعتادة، بينما كانت فى السابق شديدة الخفاء والغموض ومحتاجة إلى سرد البراهين. ونرى كثيرا من مسائل الجغرافية والفلك والكيمياء والهندسة العملية، يعرفها حتى صبيان هذا الزمان، علما بأنها كانت ظنية وخفية على "ابن سينا" وأمثاله من الفلاسفة. مع أنه لو وزن أبو الفلسفة بمئات من فلاسفة هذا الزمان، لرجحهم فى الذكاء وقوة الفكر وكمال الحكمة وسعة القريحة. فالنقص إذا ليس فى "ابن سينا" فهو ابن الزمان، بل فى أبيه الزمان.

لذلك قال الإمام الغزالى رحمه الله[1]:

ومن أنكر أمرا ثابتا بالبرهان القطعى ككروية الأرض بحجة الحفاظ على الدين، فقد جنى على الدين جناية عظمى، إذ هذا ليس وفاء للإسلام بل خيانة له".

وقال الشيخ حسين الجسر معنفا (منكر كروية الأرض) بقوة الحق ودون تردد:

"من كان ينكر كروية الأرض مستندا إلى الدين فى سبيل حمايته، فهو صديق أحمق أضر على الدين من العدو الألد".

ولهذا يخلص الشيخ النورسى إلى أن:

من الأمور المشيرة إلى ضعف العقيدة، أو إلى الميل إلى مذهب السوفسطائى، أو إلى طالب الإسلام حديثا ولم يتملكه بعد.. هو الكلمة الحمقاء: "هذه الحقيقة منافية للدين"! لأن الذى يجد احتمالا لمنافاة ما هو ثابت بالبرهان القاطع مع الدين، الذى هو الحق والحقيقة ويخاف من هذه

---

(١) البديهى ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال. والنظرى هو ما يحتاج إلى نظر واستدلال (محاكمات عقلية، ص ٢٢) من صيقل الإسلام.

(١) محاكمات عقلية، ص ٧٠ : ٧٣ من صيقل الإسلام.

المنافاة لا يخلو من: إما أنه قد اختفى في دماغه سوفسطائي يشوش له الأمور، أو استتر في قلبه موسوس يثير الشغب والفوضى. أو أصبح طالبا للدين حديثا يريد أن يتملكه بالتنقيد.

المسألة الثانية: الثور والحوت:(٢)

هناك رواية صحيحة تُسند إلى ابن عباس تقول: سُئل الرسول ﷺ: على أي شئ تقوم الأرض؟ أجاب على الثور والحوت.

وعلم الجغرافيا يقول: إن الأرض كوكب معلق يدور في السماء كأي كوكب آخر، فلا ثور ولا حوت.

وقد أزال الشيخ النورسي –رحمه الله– هذا التعارض فقال: إن عددا من المحدثين طبقوا هذه الرواية على حكايات خرافية، وردت عن الإسرائيليات من علماء بني إسرائيل الذين أسلموا، وبذلك غيروا معنى الحديث. فكما أن للقرآن الكريم متشابهات، يرشد العوام للمسائل الدقيقة العميقة بالتشبيه والتمثيل. فكذلك الحديث الشريف له متشابهات يعبر بها عن الحقائق الواسعة بتشبيهات مأنوسة لدى العوام: وقد ذكر الشيخ عدة وجوه لإزالة التعارض بين الحديث الشريف والنتائج العلمية، نذكر منها وجها واحدا على سبيل المثال لا الحصر:

إن الأرض التي هي شقيقة صغيرة للسماوات ورفيقة أمينة للسيارات، قد عين الله لها ملكين مشرفين يحملانها: يطلق على أحدهما "الثور" وعلى الآخر "الحوت".. والحكمة في تسميتهما بهذين الاسمين هي: أن الأرض قسمان: البر والبحر، أي اليابسة والماء. فالذى يعمر البحر أو الماء هو الحوت أو السمك، أما الذى يعمر البر والتراب فهو الثور، حيث أن مدار حياة الإنسان هو الزراعة المحمولة على كاهل الثور.

---

(٢) اللمعة الرابعة عشرة، ص ١٣٨: ١٤٢ من اللمعات.
والمسألة الثانية من محاكمات عقلية، ص ٧٣: ٧٥، من صيقل الإسلام.

فالملكان الموكلان بالأرض إذن هما قائدان لها، ومشرفان عليها، لذا لهما تعلق وارتباط ومناسبة -من جهة- مع طائفة الحوت ونوع الثور. ومن جهة أخرى ربما -والعلم عند الله- يتمثلان في عالم الملكوت وفي عالم المثال على صورة الحوت والثور.

فإشارة إلى هذه المناسبة والعلاقة، قال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ: "الأرض على الثور والحوت" فأفاد بجملة واحدة وجيزة بليغة، عن حقيقة عظيمة عميقة، قد لا يعبر عنها في صحيفة كاملة.

المسألة الثالثة: جبل قاف:[1]

إن العلم بوجود شئ، غير العلم بنوعيته وماهيته، ولا يشير من قطعي المتن إلى قاف إلا الآية الكريمة ﴿ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾

أما ما اشتهر بين العوام ومن هم مثلهم: أن "قاف" جبل محيط بالأرض متعدد، ما بين كل اثنين منه مسافة خمسمائة سنة، وذروته تمس السماء، إلى آخر خيالاتهم.. فهذا بسبب دخول الحكايات الإسرائيلية المحرفة إلى خيال العرب، نتيجة إسلام عدد من علماء أهل الكتاب. وبعد فترة من الزمن أصبحت حكاياتهم كأنها حقائق، وسببت كثيرا من الشبهات والشكوك.. وإذا أردت أن تعرف عقيدتي في هذه المسألة: فاعلم أنني أجزم بوجود "قاف" ولكنني أحيل كيفيته إلى ثبوت حديث صحيح متواتر. فإن ثبت الحديث في بيان كيفيته، أؤمن به على ما أراد النبي ﷺ الذى هو صدق وصحيح وحق، لا على ما تخيله الناس، لأنه قد يكون المفهوم غير المراد.

وأما ما فهمناه من هذه المسألة فهو:

أولا: أن جبل "قاف" هو سلسلة هيمالايا التي هي أم أعظم جبال "جامولار" والتي هي سلسلة أحاطت بمعظم الشرق، والتي كانت حاجزة بين البدويين والمدنيين سابقا. ويقال: إنه قد تشعب من عرق هذه السلسلة أكثر جبال الدنيا. ومن هذا الأصل نشأ الفكر المشهور بإحاطة "قاف" للدنيا.

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٧٦: ٧٨ من صيقل الإسلام.

ثانيا: أن عالم المثال برزخ بين عالمى الشهادة وعالم الغيب. فهو يشبه الأول صورة والآخر معنى. هذا المفهوم يحل ذلك المعمى واللغز. فيمكن أن يكون "قاف" الموجود فى هذه الكرة الأرضية بذرة "قاف" ذى عجائب موجود فى عالم المثال.

ثالثا: أن ملك الله واسع لا ينحصر فى هذه الكرة الفقيرة، وفضاء الله أوسع، ودنيا الله أعظم من أن يضيق بـ "قاف" ذى عجائب. وليس خارجا من الإمكان العقلى. إنه يناطح برأسه كتف السماء -التى هى موج مكفوف- رغم بعده خمسمائة سنة من أيام الله عن كرتنا الأرضية، إذ يجوز أن يكون "قاف" شفافا وغير مرئى كالسماء.

رابعا: لم لا يجوز أن يكون "قاف" سلسلة عظيمة تجلت فى دائرة الأفق، مثلما أن اسم الأفق يكون مصدرا لـ "قاف" لأنه أينما نظر المرء، تتراءى له دائرة من سلاسل جبلية كالدوائر المتداخلة، وهكذا بالتدريج والتعاقب، يثبت النظر ويبقى مسلما أمره إلى الخيال، حتى يتخيل الخيال دائرة من سلاسل جبلية محيطة بالأرض، تمس أطراف السماء، فتشاهد متصلة بها بدلالة الكروية، حتى لو كان البعد خمسمائة سنة.

المسألة الرابعة: سد ذى القرنين:[1]

من الحقائق القرآنية التى لا تقبل الإنكار: "ذو القرنين". وهو شخص مؤيد من عند الله، بنى سدا بين جبلين بإرشاده وتدبيره، دفعا لفساد الظالمين والبدويين.. ويأجوج ومأجوج قبيلتان مفسدتان. وأن السد سيدمر حالما يأتى أمر الله.. وعلى هذا فما دل عليه القرآن قطعى الدلالة، ولا يمكن إنكار حرف منه.. ولكن تفصيلات تلك المواضيع وكيفياتها، ليست قطعية الدلالة فى القرآن. فهى مظنة الاجتهاد وفيها مجال للتأويل.

ورأينا هو (بناء على ما بينه أهل العلم المحققون):

---

(١) اللمعة السادسة عشرة، ص ١٦٤: ١٦٦ من اللمعات.
ومحاكمات عقلية، ص ٧٩: ٨٢ من (صيقل الإسلام).

ذو القرنين هذا: ليس هو الإسكندر الرومى (المقدوني). لأن الاسم لا يسمح بذلك، وكذلك التاريخ، فقد جاء الإسكندر قبل الميلاد بحوالى ثلثمائة سنة. أما ذو القرنين فهو أحد ملوك اليمن، لأن أسماء ملوك اليمن تبدأ بكلمة "ذي" مثل "ذى يزن". وقد عاصر سيدنا إبراهيم ﷺ، وتلقى الدرس من سيدنا الخضر ﷺ. "أى قبل الميلاد بآلاف السنين".. وعلى كل فهو مؤيد من عند الله ومرشد لبناء سد الصين.

وأما السد: فمهما اختلفت فيه الآراء فهو ردم عظيم أو جدار جسيم بنى لدفع شر المفسدين.

أما يأجوج ومأجوج: فالأمر القاطع أنهما طائفتان من مخلوقات الله كانتا أهل غارة وفساد على الحضارة والمدنية لأجل القضاء عليها.

أما خراب السد فقيل: عند القيامة، وقيل: قريب منها، وقيل: يخرب بحيث يعد من أماراتها.

وهناك روايات تشير: إلى أنه مع قرب قيام الساعة ستسقط الحضارة الجديدة أيضا وتنهار، تحت ضربات أقدام أفكارهم الإرهابية والفوضوية المرعبة.

وعلى كل، فانهدامه علامة على كهولة الأرض وشيب البشر، فإن الفوضى والاضطراب الذى يولده يأجوج ومأجوج، هو فى حكم حمى تصيب البشرية لهرمها.

حقا: إن من لم يجد اللب ينهمك فى القشر.. ومن لم يعرف الحقيقة يزل إلى الخيالات. ومن لم ير الصراط المستقيم يقع فى الإفراط والتفريط. ومن لا يملك ميزانا ولا موازنة له يخدع وينخدع كثيرا. إن القرآن يقص القصص لأخذ العبر منها. فلا يلزمك التفاصيل، خذ حظك منها وامض إلى شأنك.. فمثلما أسس ذو القرنين هذا السد، فقد بنيت سدود كثيرة أخرى، بهمة ملوك إيران القدماء.. فى جبال القفقاس فى منطقة المضيق، صدا للنهب والسلب والغارات التى امتهنتها أقوام التتر. وهناك سدود كثيرة من هذا النوع، فالقرآن الكريم يخاطب البشرية كافة، ويذكر ظاهرا حادثة

جزئية، يمكن أن تذكر بأحداث أخرى مشابهة لها، على مدى العصور والأجيال.

المسألة الخامسة: الدجال الذى هو من علامات الساعة:[1]

قال عنه الرسول ﷺ أن يوما من أيامه كسنة، ويوما كشهر، ويوما كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم[2] وأن الدنيا تسمع صوته، ويسيح الأرض فى أربعين يوما.

فالذين لم ينصفوا قالوا: هذه الرواية ضرب من المحالات وأنكروها. حاشى لله، بل إن حقيقتها -والعلم عند الله- هى الآتى:

إن فى الحديث الشريف إشارة إلى ظهور شخص من جهة الشمال، الذى هو أكثف منطقة لعالم الكفر، يقود تيارا عظيما يتمخض من المادية الجاحدة، ويدعو إلى الإلحاد وإنكار الخالق، فمعنى الحديث فيه إشارة إلى ظهور هذا الشخص من شمال العالم. وتتضمن هذه الإشارة رمزا حكيما وهو:

أن الدائرة القريبة للقطب الشمالى تكون السنة فيها كيوم وليلة، حيث أن ستة أشهر منها ليل، والستة الأخرى نهار. أى يوم الدجال هذا كسنة واحدة كما ورد (يوم كسنة). فهذه إشارة إلى ظهوره قريبا من تلك الدائرة.

أما المراد بـ (يوم كشهر): فهو أنه كلما تقدمنا من الشمال نحو مناطقنا، يكون النهار أحيانا شهرا كاملا، حيث لا تغرب الشمس شهرا فى الصيف، وهذه إشارة أيضا إلى تجاوز الدجال إلى عالم الحضارة بعد ظهوره فى الشمال. وهذه الإشارة آتية من إسناد اليوم إلى الدجال.. وهكذا، كلما اقتربنا نزولا من الشمال إلى الجنوب نرى الشمس لا تغرب أسبوعا، إلى أن يكون الفرق فى الشروق والغروب ثلاث ساعات، أى كأيامنا

---

(١) الكلمة الرابعة والعشرون: ص ٢١٢: ٢٩٣، من الكلمات.

(٢) فى رواية مسلم (قلنا يارسول الله: ما لبثه فى الأرض؟ قال أربعين يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة،وسائر أيامه كأيامكم). (صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/٦٥).

الاعتيادية، وقد كنت في مكان كهذا، عندما كنت أسير في روسيا، فكانت الشمس لا تغرب أسبوعا في مكان قريب منا، حتى كان الناس يخرجون لمشاهدة المنظر الغريب للغروب.

أما بلوغ صوت الدجال إلى أنحاء العالم، وأنه يطوف الأرض أربعين يوما، فقد حلتهما أجهزة الراديو والمخابرة، ووسائل النقل الحاضرة من قطارات وطائرات.. فالذين أنكروا هاتين الحالتين من الملحدين بالأمس وعدوهما من المحالات، يرونهما اليوم من الأمور العادية.

- لقد أطلنا بعض الشئ بالنسبة إلى موضوعات البحث في عرض جهد الإمام النورسي في اقتلاع جذور توهم وجود خلاف بين العلم والدين، ولكن ما عرضناه لا يمثل شيئا بجانب الجهد العميق الذي بذله الشيخ في هذا الاتجاه، وخاصة أنه عاصر المأساة التي عاشتها تركيا. بانبهار كثر من أبنائها بحضارة الغرب القائمة على التقدم العلمي الرهيب، حتى أدى بهم هذا الانبهار إلى الانسلاخ عن عقيدتهم، ظنا منهم أنها تؤدي بهم إلى التخلف عن ركب الحضارة.

وهذا المرض -للأسف- لم يصب أبناء تركيا بمفردها، بل أصاب معظم أبناء الأمة الإسلامية، إلا من رحم ربي. لذلك فإن الجهاد الذي يفرض نفسه على المسلمين حاليا: هو الجهاد العلمي، وأصبح في زماننا هذا يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء.

- ونشهد لعالمنا التقي الورع: "بديع الزمان النورسي" بأنه كان فارس الزمان فأزال الغبار عن وجه الشريعة الغراء، ووضع موازين دقيقة لفهم التناقض الظاهري بين العلم والدين، وجعلنا نقتنع من أعماق قلوبنا، وبكل ذرة فهم في عقولنا أن الدين الحق هو الإسلام، وأن شريعته هي خير الشرائع لكل عصر وأوان. واستكمالا لمنهاجنا هذا نعرض الأصول التي وضعها النورسي لإزالة التناقض الفكري تجاه الأحاديث النبوية الشريفة، حتى نكون على يقظة ووعي تامين بحقائق وأصول عقيدتنا (القرآن والسنة) فنحلق بهما إلى أعلى عليين. وبذلك نكون قد ألمحنا إلى جانب من عظمة الدور الذي قام به النورسي في يقظة الأمة عقائديا.

أصول في فهم الأحاديث الشريفة دفعاً للأوهام[1]:

إن من الموضوعات التي أثارت فتنة كبيرة بين المسلمين: هو الخلاف في فهم الأحاديث الشريفة، وذلك لوجود فجوة بين علماء رواة الحديث وعلماء فقه السنة، تلك الفجوة أدت إلى إثارة البلبلة بتعصب الآراء تجاه الحديث الواحد، واختلاف الأمة إلى فرق كل حزب بما لديهم فرحون.. حتى ظهرت دعوة خبيثة تنادي بوجوب الاقتصار على القرآن، لأن السنة مشكوك فيها. ولا شك أن ذلك يؤدي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية، لأن القرآن والسنة هما جناحا الشريعة، اللذان تحلق بهما في عنان السماء.

ولذلك فإنه جهد مشكور، ينبع من ربّان ماهر، يعرف كيف يقود السفينة في عباب البحار والمحيطات. رغم خضم الأمواج، إنه الجهد الذي قام به الإمام النورسي ﷺ في بيان أصول فهم الأحاديث النبوية. لأن ذلك يجمع شمل الأمة على حب نبيها، وفهم سنته التي فيها رقيها.

ومن الأصول التي ذكرها الشيخ، ويمكن الاستهداء بها، في فهم أحاديث النبي ﷺ الخاصة بـ "علامات الساعة وأحداثها"، "وفضائل الأعمال وثوابها"، نذكر ما يلي:

الأصل الأول: إن الدين امتحان واختبار، يميز الأرواح العالية من الأرواح السافلة، لذا يبحث في الحوادث التي سيشهدها الناس في المستقبل، بصيغة ليست مجهولة ومبهمة، إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوح البداهة، التي لا مناص من تصديقها، بل يعرضها عرضا منفتحا على العقول، لا يعجزها، ولا يسلب منها القدرة على الاختيار.

فلو ظهرت علامة من علامات الساعة، بوضوح كوضوح البديهيات، واضطر الناس إلى التصديق، لتساوى عندئذ استعداد فطري كالفحم في خساسته، مع استعداد فطري آخر كالألماس في نفاسته، ولضاع سر التكليف، وضاعت نتيجة الامتحان سدى.. فلأجل هذا ظهرت اختلافات

---

(١) الكلمة الرابعة والعشرون، ص ٣٨٦: ٤٠٢، من الكلمات.

كثيرة فى مسائل عديدة، كمسائل المهدى والسفيانى (الدجال) وصدرت أحكام متضاربة، لكثرة الاختلاف فى الروايات.

الأصل الثانى: للمسائل الإسلامية طبقات ومراتب: فبينما تحتاج إحداها إلى برهان قطعى -كما فى مسائل العقيدة- تكتفى الأخرى بغلبة الظن، وأخرى إلى مجرد التسليم والقبول وعدم الرفض. لهذا لا يُطلب برهان قطعى وإذعان يقينى، فى كل مسألة من مسائل الفروع أو الأحداث الزمانية، التى هى ليست من أسس الإيمان، بل يكتفى بالتسليم وعدم الرفض.

الأصل الثالث: لقد أسلم كثير من علماء بنى إسرائيل والنصارى فى عهد الصحابة الكرام ﷺ وحملوا معهم إلى الإسلام معلوماتهم السابقة، فأخذ المسلمون وهما غير قليل، من تلك المعلومات السابقة المخالفة لواقع الحال، كأنها من العلوم الإسلامية.

الأصل الرابع: لقد أدرج شئ من أقوال الرواة، أو المعانى التى استنبطوها، ضمن متن الحديث، فأخذت على علاتها. ولما كان الإنسان لا يسلم من خطأ، ظهر شئ من تلك الأقوال والاستنباطات مخالفا للواقع، مما سبب ضعف الحديث.

الأصل الخامس: اعتبر بعض المعانى الملهمة للأولياء، وأهل الكشف من المحدثين على أنها أحاديث، بناء على أن فى الأمة محدثين، أى ملهمين، ومن المعلوم أن إلهام الأولياء قد يكون خاطئا لبعض العوارض، فيمكن أن يظهر ما يخالف الحقيقة فى أمثال هذا النوع من الروايات.

الأصل السادس: تشتهر بعض الحكايات بين الناس، لتجرى تلك الحكاية مجرى الأمثال، والأمثال لا يُنظر إلى معناها الحقيقى، وإنما ينظر إلى الهدف الذى يساق إليه المثل. لهذا كان فى بعض الأحاديث ذكر بعض ما تعارف عليه الناس، من قصص وحكايات، كناية وتمثيلا على سبيل التوجيه والإرشاد.. فإن كان هناك نقص وقصور فى المعنى الحقيقى فى مثل هذه المسائل، فهو يعود إلى أعراف الناس وعاداتهم، ويرجع إلى ما تسامعوه وتعارفوا عليه من حكايات.

الأصل السابع: هناك كثير من التشبيهات والتمثيلات البلاغية تؤخذ كحقائق مادية، إما بمرور الزمن، أو بانتقالها من يد العلم إلى يد الجهل، ليقع الناس في الخطأ من حسبان تلك التشبيهات حقائق مادية.

فمثلا: إن الملكين المسميين بالثور والحوت، وعلى صورتهما في عالم المثال، وهما من ملائكة الله المشرفة على الحيوانات البرية والبحرية، قد تحولا إلى ثور ضخم وحوت مجسم، في ظن الناس وتصورهم الخاطئ، مما أدى إلى الاعتراض على الحديث.

ومثلا: سُمع صوت في مجلس الرسول ﷺ، فقال النبي ﷺ: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها" **(رواه مسلم عن أبو هريرة)** –والذي يسمع بهذا الحديث، ولم تتبين له الحقيقة ينكره، فيزيغ، ولكن إذا علم ما هو ثابت قطعا، أنه بعد فترة وجيزة جاء أحدهم وأخبر النبي ﷺ أن المنافق الفلاني المشهور قد مات قبل هنيهة، عندئذ يتيقن أن الرسول ﷺ قد صور ببلاغته النبوية الفائقة ذلك المنافق الذي دخل السبعين من عمره، كحجر يتدحرج إلى قعر جهنم، حيث أن حياته كلها سقوط إلى الكفر، وتردى إلى أسفل سافلين، وقد أسمع الله سبحانه ذلك الصوت، في لحظة موت ذلك المنافق وجعله علامة عليه.

الأصل الثامن: يخفي الحكيم العليم في دار الامتحان أمورا مهمة جدا، وترتبط بهذا الإخفاء حكم كثيرة ومصالح شتى، فمثلا: قد أخفى (ليلة القدر) في شهر رمضان، و(ساعة الإجابة) في يوم الجمعة، و(أولياءه الصالحين) بين مجموع البشر، و(الأجل) في العمر، و(قيام الساعة) في عمر الدنيا.. وهكذا.

فلو كان أجل الإنسان معلوما، لقضى نصف عمره في غفلة تامة، ونصفه الآخر مرعوبا كمن يساق خطوة خطوة نحو حبل المشنقة. بينما تقتضي المحافظة على التوازن المطلوب بين الدنيا والآخرة، بقاء الإنسان معلقا قلبه بين الرجاء والخوف.

نفهم من هذا أن القرب المذكور في الآية الكريمة ﴿اقتربت الساعة﴾ لا يناقضه مرور ألف سنة ونيف، إذ الساعة أجل الدنيا، وما نسبة ألف سنة أو ألفين من السنين إلى عمر الدنيا، إلا كنسبة يوم أو يومين إلى سنى العمر.

وكذلك تكرار الرسول ﷺ ".. فانتظروا الساعة" نابع من هذه الحكمة "حكمة الإخفاء والإبهام" وهى إرشاد نبوى بليغ، وليس تعيينا لموعد الساعة بالوحى، حتى يُظن بعده عن الحقيقة، إذ الحكمة شئ يختلف عن العلة.. وبناء على ذلك فقد انتظر الناس منذ زمن بعيد، ظهور المهدى والدجال حتى قال بعض الأولياء بفوات وقتهم .

والحكمة فى عدم تعيين أوقات ظهورهم، هى الحكمة نفسها فى عدم تعيين يوم القيامة، وتتلخص فى: أن كل وقت وكل عصر، بحاجة إلى "معنى" المهدى الذى يكون أساسا للقوة المعنوية، وخلاصا من اليأس.. فيلزم أن يكون لكل عصر نصيب من هذا المعنى. وكذلك يجب أن يكون الناس فى كل عصر، متيقظين وحذرين من شخصيات شريرة، تكون على رأس النفاق وتقود تيارا عظيما من الشر. وذلك لئلا يرتخى عنان النفس بالتسيب وعدم المبالاة.

الأصل التاسع: إن حصيلة قسم من المسائل الإيمانية: متوجهة إلى أمور تتعلق بهذا العالم الضيق المقيد، والقسم الآخر منها: يرنو إلى العالم الأخروى الواسع الطليق.

ولذلك فقد ظن من لا يمعن النظر، أن بعضا من الأحاديث النبوية تحمل مبالغة. كلا إنها جميعا لعين الحق ومحض الحقيقة، وليست فيها مبالغة قط.

مثال: إن الذى يبلبل أذهان المتعسفين ويثيرها هو الحديث الآتى:

"لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء".. حديث صحيح (**أخرجه الترمذي (٢٤٢٣) تحفة**).

وحقيقته هى: أن كلمة "عند الله" تعبر عن العالم الباقى، فالنور المنبثق من عالم البقاء، ولو بمقدار جناح بعوضة، هو أوسع وأعم (لأنه أبدي) من

نور مؤقت ولو كان يملأ الأرض. أى أن الحديث لا يعقد موازنة بين جناح البعوض والعالم الكبير، وإنما هى الموازنة بين دنيا كل فرد -محصورة فى عمره القصير- وبين النور الدائم المشع، ولو بمقدار جناح بعوضة من الفيض الإلهى وإحسانه العميم. فأين هذه الحقيقة الصادقة الصائبة، من فهم أهل الإلحاد الظالمين لما ظنوه مبالغة؟!

مثال آخر: هو ما ذهب إليه الملحدون وظنوه محالة، حول ما ورد من الأحاديث الشريفة، فى فضائل الأعمال وفضائل بعض سور القرآن الكريم: مثل أن (الفاتحة) لها ثواب القرآن، وسورة (الإخلاص) تعدل ثلث القرآن، وسورة (الزلزلة) ربع القرآن، وسورة (يس) لها ثواب عشرة أمثال القرآن و...

وحقيقة هذه الروايات هى: أن لكل حرف من حروف القرآن الكريم ثوابا، وهو حسنة واحدة. ولكن بفضل الله وكرمه يتضاعف ثواب هذه الحروف حينا عشر حسنات، وأحيانا سبعين، وأخرى سبعمائة، (كما فى حروف آية الكرسي) ورابعة: ألفا وخمسمائة (كما فى حروف سورة الإخلاص) وخامسة: عشرة آلاف حسنة (كقراءة الآيات فى الأوقات الفاضلة وليلة النصف من شعبان) وسادسة: ثلاثين ألفا من الحسنات (كما فى قراءة الآيات فى ليلة القدر).

فتتضاعف هذه الحسنات كما تتضاعف سنبلة حبة القمح إلى سبعمائة ضعف، وكما تتضاعف ليلة القدر إلى ثلاثين ألفا فى الآية الكريمة **﴿خير من ألف شهر﴾ (القدر: ٣)**.

وهكذا يمكن فهم ثواب بعض سور القرآن الكريم، التى تحدث عنها الرسول ﷺ مع فضل الله، ومع أصل الثواب لقراءة القرآن نفسه.

الأصل العاشر: النظر إلى أحاديث نبوية شريف بعين الاستغراب ينافى الحقيقة مثل: "من صلى الغداة فى جماعة، ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم قام فركع ركعتين، انقلب بأجر حجة وعمرة". **(أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٤٠) عن أبو أمامة)**.

فالمقصود من أمثال هذه الأحاديث هى حض النفوس على الخير، أو تجنيبها من الشر مثل: الغيبة كالقتل، والكلمة الطيبة صدقة كعتق رقبة.. ثم إن ترديد ذكر وتسبيح معين أو تلاوة آية واحدة. قد تفتح من أبواب الرحمة والسعادة، ما لا تفتحه عبادة ستين سنة.. أى أن هناك حالات تمنح فيها آية واحدة من الفوائد ما للقرآن الكريم كله.

وفى النهاية يقول الإمام النورسى:

هذه الأصول العشرة، وميادين تطبيقها، تجعلك تتخلى عن الإنكار ثم تخاطبك، إن كان هناك تقصير حقيقى فهذا راجع إلينا -أى إلى الأصول- وليس إلى الحديث الشريف قطعا، وإن لم يكن ثمة تقصير حقيقى فهو يعود إلى سوء فهمك أنت!

المبحث الثاني

كيف نشأت المذاهب المختلفة فى الإسلام؟

نفوذ الإسرائيليات والفلسفة فى الفكر الإسلامى:[1]

إن العرب النجباء كانوا أمة أمية فى الجاهلية، ولكن لما تجلى الحق فيهم وتيقظ استعداد حسياتهم بمشاهدة الدين المبين، وجهوا رغباتهم وميولهم كلها فى معرفة الدين وحده. ولم يكن نظرهم المتوجه إلى الكون من نوع التفصيل الفلسفى، بل نظر استطراد للاستدلال ليس إلا.

وما كان يلهم ذوقهم المرهف الطبيعى، إلا محيطهم الواسع الرفيع المنسجم مع فطرتهم، والقرآن الكريم هو وحده المربى لفطرهم الأصيلة النقية ومعلمها.. ولكن الأمة العربية -بعد ذلك- أخذت تحتضن الأقوام الأخرى، فدخلت معلومات سائر الملل وعلومها أيضا حظيرة الإسلام. ثم وجدت الإسرائيليات المحرفة منفذا إلى خزائن خيال العرب، وأسالت مجرى إلى تلك الخزائن، بإسلام عدد من علماء أهل الكتاب كـ "وهب و كعب". فامتزجت الإسرائيليات بالأفكار الصافية، فضلا عن ذلك، وجدت الاحترام والتقدير، لأن الذين اهتدوا من علماء أهل الكتاب. قد تكاملوا بشرف الإسلام ونالوا به مكانة فائقة، لذا عدت معلوماتهم الملفقة كأنها مقبولة ومسلم بها فلم ترد، بل وجدت آذانا صاغية لها من دون تنقيد، وذلك لعدم مصادمتها بأصول الإسلام، ولأنها كانت تروى كحكايات لا أهمية لها.. ولكن يا للأسف قبلت تلك الحكايات بعد فترة من الزمن، كأنها حقائق وأصبحت سببا لكثير من الشبهات والشكوك. لأن هذه الإسرائيليات قد تكون مرجعا لبعض إيماءات الكتاب والسنة، ومصدرا لبعض مفاهيمهما -بوجود علاقة- إلا أنها لا تكون معنى للآيات الكريمة

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٣٤، ٣٥ من صيقل الإسلام.

والأحاديث الشريفة. بل لو صحت ربما تكون أفرادا من معانى ما يصدق عليه مفهوم الآية والحديث.

ولكن المفتونين بالظاهر، الذين لم يجدوا بسوء اختيارهم - صدرا غيرها، ولم يتحروا عنه، فسروا قسما من الآيات والأحاديث بتطبيق الإسرائيليات عليهما، فاختلط كثير من الإمكانات والاحتمالات مع الوقائع.

والحال: أن الذى يفسر القرآن ليس إلا القرآن والحديث الصحيح، ولا يمكن أبدا أن يفسر القرآن بالإنجيل أو التوراة، المنسوخة أحكامهما والمحرفة قصصهما.

ثم لما ترجمت الفلسفة اليونانية فى عصر المأمون، لضمها إلى الفكر الإسلامى، تلك الفلسفة الناشئة من منبع كثير من الأساطير والخرافات، حملت معها شيئا من العفونات، وتداخلت فى أفكار العرب الصافية، فشوشت الأفكار إلى حد ما، وفتحت طريقا من التحقيق إلى التقليد، كما أنها صرفتهم عن الاستنباط بقرائحهم الفطرية من معدن ماء حياة الإسلام، إلى الافتقار بالتتلمذ على تلك الفلسفة المانعة للكمال.

مدى نجاح العلماء فى الحافظ على اللغة ومنابع العقيدة الصافية:[1]

كما أن العلماء المحققين دونوا قواعد علوم العربية عندما فسدت باختلاط الأعاجم، حفاظا على سلامة ملكة الكلام المضرى، كذلك حاول قسم من علماء الإسلام الناقدين، فرز الفلسفة وتمييز الإسرائيليات لما دخلتا دائرة الإسلام.

ولكن للأسف! لم يوفقوا كلية.. فلم يبق الأمر عند حده، إذ لما صرفت الهمة إلى تفسير القرآن الكريم، طبق عدد من الظاهريين منقوله على بعض الإسرائيليات، ووفقوا بين قسم من معقوله والفلسفة المذكورة، لما رأوا من شموله على المنقول والمعقول. وكذا الحديث النبوى: فبدلا من استخراج المقاصد من عين الكتاب والسنة، استنبط طائفة منهم.. مطابقة وعلاقة بين

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٣٥: ٣٧ من صيقل الإسلام.

بعض نقلياتهما الصادقة وبعض الإسرائيليات المحرفة. وبين عقلياتهما الحقيقية وهذه الفلسفة الموهومة المموهة، ظنا منهم أن هذه المطابقة والمشابهة تفسير لمعانى الكتاب والسنة وبيان لمقاصدهما!

كلا.. ثم كلا! لأن مصداق الكتاب المبين إعجازه، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ومعناه فيه. وصرفه در مثله لا قشر.. وحتى لو فرض أن القصد من إظهار هذه المطابقة هو تزكية ذلك الشاهد الصادق، فهو عبث أيضا، إذ القرآن المبين أسمى وأغنى من أن يفتقر إلى تزكية العقل والنقل اللذين ألقيا إليه المقاليد، لأنه إن لم يزكهما فشهادتهما لا تسمع.

نعم! يجب البحث عن الثريا فى السماء لا فى الأرض. فابحث عن معانى القرآن فى أصدافه، لا فى جيبك الحاوى على أخلاط، فإنك لن تجد شيئا، وحتى لو وجدت فالقرآن يرفضه.

إن الذى يستطيع أن يكون أستاذا على الأفكار العامة، هو الأفكار العلمية العامة أيضا. فبناء على هذا واستنادا إليه: أريد تشكيل مجلس شورى علمي، منتخب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص فى علم. ليقوموا بتأليف تفسير للقرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان الذى هو مفسر عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة فى التفاسير، ويهذبوها ويذهبوها.

وهذا الأمر مشروط: بأن تكون الشورى مهيمنة فى كل شئ، والأفكار العامة مراقبة، وحجية الإجماع حجة عليه.

الإفراط والتفريط سبب اختلاف الأمة الإسلامية:

إن الإفراط والتفريط كلاهما مضران، وربما التفريط أكثر ضررا، إلا أن الإفراط أكثر ذنبا، لأنه يسبب التفريط.

نعم! لقد فتح باب السماح بالإفراط، فاختلطت الأشياء المزيفة بتلك الحقائق الرفيعة. ولما شاهد أهل التفريط والنقد غير المنصفين، هذه المزيفات بين تلك الحقائق التى لا تقدر بثمن، ذعروا واشمأزوا، وظنوها كلها مزيفة تافهة ملوثة، ظلما وإجحافا.. كلا وحاشى لله.

ترى لو وجدت نقود مزيفة في كنز، أدخلت إليه من الخارج، أو لو شوهد تفاح فاسد سقط إلى بستان من غيره، أمن الحق والإنصاف عد الكنز كله مزيفا، أو البستان كله فاسدا، ومن ثم تركهما لأنهما ملوثان معيوبان مشوبان؟!

يجب أن يكون للمعنى الحقيقي ختم خاص وعلامة واضحة متميزة، والمشخص لتلك العلامة: هو الحُسن المجرد الناشئ من موازنة مقاصد الشريعة.

إن ميل التفريط من شأنه حمل كل شئ على الظاهر.. حتى انتهى الأمر تدريجيا إلى نشوء مذهب الظاهرية مع الأسف. وإن حب الإفراط من شأنه النظر إلى كل شئ بنظر المجاز، حتى انتهى الأمر تدريجيا إلى نشوء مذهب الباطنية الباطل.

فكما أن الأول مضر، فالثاني أكثر ضررا منه بدرجات.. والذى يبين الحد الأوسط ويحد من الإفراط والتفريط: إنما هو فلسفة الشريعة مع البلاغة، والحكمة مع المنطق[1].

ولما كانت الميول متفاوتة، فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شئ، ونشوء البلبلة بالاختلافات، جعلت الحقيقة تهرب وتختفي.

وترتب على استبداد الأحاسيس: تأسس المسالك والمذاهب غالبا على التعصب، وتضليل الآخرين، أو على السفسطة.. بينما هذه الثلاثة مذمومة في نظر الشرع، منافية للأخوة الإسلامية، مفرقة للانتساب الجنسي الإنساني، مخالفة للتعاون الفطري، لدرجة أن أحد هؤلاء يضطر في النهاية إلى تبديل مذهبه ومسلكه دفعة، مصدقا إجماع الناس وتواترهم، تاركا التعصب والسفسطة، بينما إذا ما عجل ابتداء بالحق بدلا من التعصب، وبالبرهان بدلا من السفسطة وبالتوفيق والتطبيق بدلا من تضليل الآخرين، وطبق الشورى، فلا يمكن أن يبدل مذهبه ومسلكه الحق، ولو بجزء منهما حتى لو اتفقت الدنيا عليه. وذلك كما كان في خير القرون، وعصور السلف

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٤٠، ٤١ من صيقل الإسلام.

الصالح، حيث كان المهيمن هو الحق والبرهان والعقل والشورى، وبالتالى لم يكن للشكوك والشبهات موضع[٢] .

كيف تجتمع الأمة فكريا حول تراث الشريعة؟ [٣]

يورد الشيخ تلك النصائح الغالية، لتحقيق ذلك الهدف الأسمى:

- إن كل ما يرد فى التفسير لا يلزم أن يكون منه، إذ العلم يمد بعضه بعضا.
- لا ينبغى التحكم فى الرأى: إذ من المسلمات: أن الماهر فى مهنة الهندسة، ربما يكون عاميا وطفيليا فى مهنة أخرى كالطب ودخيلا فيها.
- من القواعد الأصولية: أنه لا يعد من الفقهاء من لم يكن فقيها، وإن كان مجتهدا فى أصول الفقه، لأنه عامى بالنسبة إليهم.
- ومن الحقائق التاريخية: أن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص فى علوم كثيرة، إلا من كان فذا، فيستطيع أن يتخصص فى أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها.
- من ادعى الكل فاته الكل، لأن لكل علم صورة حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية، إذ المتخصص فى علم، إن لم يجعل سائر معلوماته متممة وممدة له، تمثلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة، فيجب على الإنسان اتخاذ أحد العلوم أساسا وأصلا، ويجعل سائر معلوماته حوضا تخزن فيه .
- أيها المفرطون والمفرطون إن التفسير والشريعة شئ، وما ألف فيهما من كتب شئ آخر ، فالكتاب يسع الكثير ، ففى حانوت الكتاب أشياء تافهة غير الجواهر النادرة. فكما لا تشترى لوازم البيت المتنوعة من صانع واحد فقط، كذلك لابد من توفيق الأعمال والحركات، مع ذلك القانون الشامخ بالكمالات (قانون الفطرة).

---

(٢) محاكمات عقلية، ص ٥٠، ٥١ من صيقل الإسلام.

(٣) محكامات عقلية، ص ٤٢: ٤٥ من صيقل الإسلام.

- يجب ألا يقف الإنسان مغالطا ويقول: (الشريعة هى هذه، وهذا هو التفسير) إذا رأى مسألة ذكرت استطرادا فى تفسير أو كتاب فقه. وإن كان صديقا يقول: "من لم يقبل بهذا فليس بمسلم!!".. وإن كان عدوا يقول محتجا به: "الشريعة أو التفسير خطأ" حاشى لله.
- كما لا يكفى مجرد دخول غير المسلم المسجد لاعتناقه الإسلام، كذلك دخول مسألة من مسائل الفلسفة أو الجغرافيا أو التاريخ وأمثالها، فى كتب التفسير أو الفقه، لا يجعل تلك المسألة من التفسير أو الشريعة قطعا.
- إن حقائق التفسير الأصلية والشريعة واضحة جلية، وهى تتلألأ كالنجوم، وإذا دقق المرء النظر فى كل حقيقة من الحقائق الأساسية فى التفسير والفقه، يشاهد أنها نابعة من الحقيقة موزونة بمنزلة الحكمة، وتمضى إلى الحق وهى حق. فالشبهات الواردة -مهما كانت- ناشئة من أذهان مهذار، ثم اختلطت بتلك الحقائق. فمن كانت لديه شبهة حول حقائق التفسير الأصلية، فهذا ميدان التحدى، فليبرز إلى الميدان.

مسألة النزاع بين أهل السنة والشيعة:[1]

تلك المسألة ضخمت إلى درجة كبيرة بحيث دخلت كتب العقائد، وتسلسلت مع أسس الإيمان، وأدت إلى شرخ كبير فى جدار الوحدة الإسلامية، والمسلمون أحوج ما يكونون إلى الاتحاد، تجاه خضم الكفر والإلحاد.

إن أهل السنة والجماعة يقولون: "إن سيدنا عليا ﷺ هو رابع الخلفاء الراشدين، وأن أبا بكر الصديق ﷺ هو أفضل منه وأحق بالخلافة، فتسلم الخلافة أولا".

والشيعة يقولون: "إن حق الخلافة كان لعلى إلا أنه ظلم، وعلى أفضل من الكل".. وخلاصة ما يوردونه من أدلة لدعواهم أنهم يقولون: إن ورود

---

(١) اللمعة الرابعة، ص ٣٢: ٣٨ من اللمعات.

أحاديث شريفة كثيرة في فضائل سيدنا علي، وكونه مرجعا للأكثرية المطلقة من الأولياء والطرق الصوفية، حتى لقب بسلطان الأولياء، مع ما يتصف به من صفات فائقة في العلم والشجاعة والعبادة، فضلا عن العلاقة القوية التي يظهرها الرسول ﷺ به، وبآل البيت الذين يأتون من نسله.. كل ذلك يدل على أنه الأفضل. فالخلافة كانت من حقه ولكن اغتصبت منه.

الجواب: إن إقرار سيدنا علي نفسه مرارا وتكرارا، واتباعه الخلفاء الثلاثة، وتوليه وظيفة "شيخ القضاة"، وكونه من أهل الحل والعقد طوال عشرين سنة وأكثر.. كل ذلك يجرح دعوى الشيعة. ثم إن الفتوحات الإسلامية، وجهاد الأعداء زمن الخلفاء الثلاثة، بخلاف ما حدث زمن خلافة علي من حوادث وفتن، تجرح أيضا دعوى الشيعة من جهة الخلافة.

أي أن دعوى أهل السنة والجماعة حق.

فإن قيل: إن الشيعة قسمان: أحدهما شيعة الولاية، والآخر شيعة الخلافة وأن قسما من الأولياء في الطرق الصوفية يرون أن سيدنا عليا هو الأفضل، فيصدقون دعوى شيعة الخلافة الذين هم بجانب السياسة فينضمون إليهم.

فالجواب: أنه ينبغي النظر إلى سيدنا علي من جهتين:

الجهة الأولى: النظر إليه من زاوية فضائله الشخصية ومقامه الشخصي الرفيع.

الجهة الثانية: هي من زاوية تمثيله الشخصي المعنوي لآل البيت، والشخصي المعنوي لآل البيت يعكس نوعا من ماهية الرسول الكريم ﷺ.

وباعتبار الجهة الأولى: إن جميع أهل الحقيقة وفي مقدمتهم سيدنا علي نفسه يقدمون سيدنا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد رأوا مقامهما أكثر رفعة في خدمة الإسلام والقرب الإلهي.

ومن حيث الجهة الثانية: أي كون سيدنا علي ممثلا عن الشخص المعنوي لآل البيت: فالشخص المعنوي لآل البيت، من حيث كونه ممثلا لحقيقة محمدية، لا يرقى إليه شئ بالموازنة. وكثرة الأحاديث النبوية

الواردة في الثناء على سيدنا على، وبيان فضائله، هي لأجل هذه الجهة الثانية. ومن ذلك قوله ﷺ: "إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب" **(أخرجه الطبراني برقم ٢٦٣٠ عن جابر).**

أسباب كثرة انتشار الأحاديث بحق شخصية علي:

- إن أهل السنة والجماعة –وهم أهل الحق– قد نشروا الروايات الواردة بحق سيدنا علي تجاه هجوم الأمويين والخوارج، وتنقيصهم من شأنه ظلما، بينما الخلفاء الراشدون الآخرون، لم يكونوا عرضة إلى هذه الدرجة من النقد والجرح، لذا لم يروا داعيا لنشر الأحاديث الذاكرة لفضائلهم.

- أن النبي ﷺ قد رأى بنظر النبوة: أن سيدنا عليا سيتعرض إلى حوادث أليمة وفتن داخلية، فسلاه وأرشد الأمة بأحاديث شريفة لينقذ سيدنا عليا من اليأس، وينجي الأمة من سوء الظن به. مثل: "من كنت مولاه فعلي مولاه". حديث صحيح **(أخرجه أحمد ٣٦٨/٤ و٣٧٠ و ٣٨٢).**

أخطاء الإفراط والتفريط في حب سيدنا علي:

إن المحبة المفرطة التي يوليها شيعة الولاية لسيدنا علي، وتفضيلهم له من جهة الطريقة، لا يجعلهم مسئولين بمثل مسئولية شيعة الخلافة، لأن أهل الولاية ينظرون نظر المحبة إلى مرشديهم حسب مسلكهم. ومن شأن المحب، الغلو والإفراط، والرغبة في أن يرى محبوبه أعلى من مقامه، فهم يرون الأمر هكذا فعلا.. ولكن عليهم ألا يتعدى تفضيلهم الناشئ من المحبة، إلى ذم الخلفاء الراشدين وعداوتهم، وألا يخرج عن نطاق الأصول الإسلامية.. وقد جاء في حديث صحيح صراحة: أن خطورة الغلو في محبة سيدنا علي، كخطورة الغلو في محبة سيدنا عيسى عليه السلام على النصارى:

- عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا علي فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له" وقال علي: "يهلك في رجلان: مفرط في حبي ومفرط في بغضي". **(أخرجه البخاري في التاريخ ٣٥٧/١/٣ وأحمد في فضائل الصحابة والنسائي في الخصائص).**

(٦)

- أما شيعة الخلافة: فنظرا لدخول الأغراض السياسية فيها، فلا يمكنهم أن ينجوا من العداء والأغراض الشخصية. حتى أنهم يظهرون انتقامهم من "عمر" في صورة حب "علي" وذلك لأن القومية الإيرانية قد جُرحت بيد سيدنا عمر. حتى أصحبوا مصداق القول: لا لحب على بل لبغض عمر، وإن خروج عمرو بن العاص على سيدنا علي، وقتال عمر بن سعد سيدنا الحسين في المعركة الفجيعة المؤلمة، كل ذلك أورث الشيعة غيظا شديدا، وعداء مفرطا لاسم "عمر".

نداء من النورسي لتوحيد شمل المسلمين:

قال الشيخ رحمه الله: لا خير في الإفراط والتفريط في كل شئ. وإن الاستقامة هي الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة والجماعة. ولكن مع الأسف: كما تستر بعض أفكار الخوارج والوهابية بستار أهل السنة والجماعة، فإن قسما من المفتونين بالسياسة والملحدين ينتقدون سيدنا عليا ويقولون: "إنه لم يوفق كاملا في إدارة دفة الخلافة لجهله -حاشاه- بالسياسة، فلم يقدر على إدارة الأمة في زمانه".

فإزاء هذا الاتهام الباطل من هؤلاء، اتخذ الشيعة طور الغيظ والاستياء من أهل السنة. والحال أن دساتير أهل السنة وأسس مذهبهم، لا تستلزم هذه الأفكار بل تثبت عكسها. لذا لا يمكن إدانة أهل السنة بأفكار ترد من الخوارج ومن الملحدين قطعا، بل إن أهل السنة هم أكثر ولاء وحبا من الشيعة لسيدنا علي. فما ينبغي أن يجابهوا أهل السنة بالعداء، تاركين الخوارج والملحدين الذين هم أعداء الشيعة وأهل السنة معا، حتى يترك قسم من الشيعة السنة النبوية عنادا لأهل السنة.

فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة!

ويا أهل الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكا لكم!

ارفعوا فورا هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه.. وإن لم تزيلوا هذا النزاع،

فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا، تستغل أحدكما ضد الآخر، وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضا.

فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد.

أهمية اتباع السنة عند استيلاء البدع:[1]

لقد تكلم الشيخ النورسي -رحمه الله- في تلك النقطة كثيرا، نظرا لأهميتها الشديدة في الحفاظ على عقيدة المسلمين قوية راسخة.

وسنغترف من تلك المقالات ما يتناسب مع موضوعات البحث المتعددة، ويعطي مؤشرا للمنهاج الصحيح في مسيرة الأمة الإسلامية:

قال الرسول ﷺ: "من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله اجر مائة شهيد" **(أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٣٩٤ والبزار ٣٧٨/١)**.

أجل إن اتباع السنة المطهرة لهو حتما ذو قيمة عالية، ولا سيما اتباعها عند استيلاء البدع وغلبتها، فإن له قيمة أعلى وأسمى، وبالأخص عند فساد الأمة. إذ تشعر مراعاة أبسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة وإيمان قوي راسخ، ذلك لأن الاتباع المباشر للسنة المطهرة، يذكر بالرسول الأعظم ﷺ، فهذا التذكر الناشئ من ذلك الاتباع، ينقلب إلى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعي فيها السنة الشريفة، أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية -كآداب الأكل والشرب والنوم وغيرها- إلى عمل شرعي وعبادة مثابة عليها. لأن الإنسان يلاحظ بذلك العمل المعتاد اتباع الرسول ﷺ. فيتصور أنه يقوم بأدب من آداب الشريعة، ويتذكر أنه ﷺ صاحب الشريعة، ومن ثم يتوجه قلبه إلى الشارع الحقيقي سبحانه وتعالى، فيغنم سكينة واطمئنانا ونوعا من العبادة.

وهكذا في ضوء ما تقدم فإن من يجعل اتباع السنة السنية عادته، فقد حول عاداته إلى عبادات، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمرا ومثابا عليه.

---

(١) اللمعة الحادية عشرة، ص ٨٠: ٩٦ من اللمعات.

نعم فمن يمعن النظر في السيرة النبوية، ويحيط علما بالسنة المطهرة يدرك يقينا أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أصول الآداب وأنواعها في حبيبه ﷺ. فالذي يهجر سنته المطهرة ويجافيها، فقد هجر منابع الأدب وأصوله، فيحرم نفسه من خير عظيم، ويظل محروما من لطف الرب الكريم، ويقع في سوء أدب وبيل: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران: ٣١).

وهكذا فإن محبة الله تستلزم اتباع السنة المطهرة، فطوبى لمن كان حظه وافرا من ذلك الاتباع! وويل لمن لا يقدر السنة الشريفة حق قدرها فيخوض في البدع.

كيف يمكن مواجهة الفتن في الأمة الإسلامية:[1]

إن الذي كان وراء حوادث الفتن في أمة الإسلام، ليس هو عددا قليلا من اليهود، كي يمكن حصرهم وإيقاف ذلك الفساد، وإطفاء تلك الفتن بمجرد كشفهم.. بل هو أعمق من ذلك: إذ بدخول أقوام كثيرة متباينة إلى حظيرة الإسلام، تداخلت واختلطت تيارات متناقضة وغير متجانسة في باطنها مع عقيدة الإسلام. وبخاصة أولئك الذين أصيب غرورهم القومي بالضربات القوية من سيدنا عمر ﷺ. فكانوا يضمرون في نفوسهم الانتقام، ويترقبون الفرصة له، حيث أبطل دينهم السابق، ودمر سلطانهم، وأزيلت دولتهم التي كانت مدار افتخارهم وعزهم. لذا فقد كانوا يحملون إحساسا بالانتقام، شعوريا وغير شعوري من خلافة الإسلام.

ولهذا قيل: إن المنافقين الدساسين الأذكياء أمثال اليهود، قد استغلوا تلك الحالة الاجتماعية وأشعلوا الفتن.

وهكذا فإن مقاومة تلك الفتن وإزالتها: تكون بمواجهتها بإصلاح ذلك المجتمع وتنوير الأفكار المختلفة، وليس بكشف قلة من المفسدين، وخاصة لأن أبناء المستقبل يحتاجون إلى مزيد من المخاطبة الفكرية والبرهان العقلي .

---

(١) المكتوب الخامس عشر ص ٦٤ من المكتوبات.

عقد موازنة بين أبناء الماضي والمستقبل:[1]

وأقصد من أبناء الماضي أولا: القرون الأولى والوسطى لما قبل القرن العاشر لغير المسلمين.. أما الأمة الإسلامية: فهي خير أمة في القرون الثلاث الأولى، وأمة فاضلة عامة إلى القرن الخامس. وما بعده حتى القرن الثاني عشر أعبر عنه بالماضي. أما المستقبل فأعده ما بعد القرن الثاني عشر.

ومن المعلوم أن الغالب على تدبير شئون الإنسان: إما العقل أو البصر وبتعبير آخر! إما الأفكار أو الأحاسيس المادية. أو: إما الحق أو القوة. أو: إما الحكمة أو الحكومة. أو: إما الميول القلبية أو التمايلات العقلية. أو: إما الهوى أو الهدى.

وعلى هذا نشاهد أن: أخلاق أبناء الماضي الحاملة شيئا من الصفاء، وأحاسيسهم الخالصة إلى درجة، قد استخدمت أفكارهم غير المنورة وسيطرت عليها، فبرزت الشخصيات وسادت الاختلافات، وكان الإقناع الخطابي كافيا لإرشاد أهل ذلك الزمان.

أما أفكار أبناء المستقبل المنورة -إلى حد- قد تغلبت على أحاسيسهم المظلمة بالهوى والشهوة وسخرتها لأمرها، وأصبحت السيادة للحقوق العامة، فتجلت الإنسانية إلى حد ما. ونحن أبناء الأجيال الحاضرة والمرشحين للمستقبل: لا يشبع أذهاننا تصوير المدعى وتزيينه بل نطلب البرهان.

وهذا يبشر بأن الإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى، سيسطع كالشمس في سماء المستقبل. لأنه تأسس على الحقيقة، وتقلد البرهان، ومشاورة العقل، واعتلاء عرش الحقيقة، ومطابقة دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد ومحاكاته لها.

---

(١) محاكمات عقلية، ص ٤٩: ٥٢ من صيقل الإسلام.

وأقسم بالقرآن الكريم ذي الأسلوب الحكيم، أنه ما ألقى النصارى وأمثالهم في وديان الضلالة نافخا فيهم الهوى. إلا عزل العقل وطرد البرهان، وتقليد الرهبان.

فيا أولى الألباب: انفذوا من الظاهر إلى الحقيقة فهى تنتظركم، وإذا ما شهدتموها فلا تؤذوها. هكذا ينبغي، وهذا هو الألزم، وانظروا كيف يحيل القرآن الكريم، في فواتح أكثر الآيات وخواتيمها، البشر إلى مراجعة الوجدان واستشارة العقل، بقوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون﴾، ﴿أفلا يتدبرون﴾، ﴿أفلا تتفكرون﴾، ﴿يعقلون﴾، ﴿تتفكرون﴾، ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾.

وأنا أقول أيضا: فاعتبروا يا أولى الألباب.

هيمنة القرآن الكريم:(1)

قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣). ﴿الم ۞ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: ٢،١).

أرى أن مرد ما تبديه الأمة الإسلامية من إهمال وعدم مبالاة نحو الأحكام الفقهية ما يأتي:

إن أركان الدين وأحكامه الضرورية، نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية المفسرة له، وهي تشمل تسعين بالمائة من الدين، أما المسائل الخلافية التي تحتمل الاجتهاد فلا تتجاوز العشرة منه.

فالبون إذن شاسع بين أهمية الأحكام الضرورية والمسائل الخلافية.

فلو شبهنا المسائل الاجتهادية بالذهب، لكانت الأحكام الضرورية وأركان الإيمان أعمدة من الألماس. ترى هل يجوز أن تكون تسعون عمودا من الألماس، تابعة لعشرة منها من الذهب؟ وهل يجوز أن يوجه الاهتمام إلى التي من الذهب أكثر من تلك التي من الألماس؟

إن الذي يسوق جمهور الناس إلى الاتباع وامتثال الأوامر، هو ما يتحلى به المصدر من قدسية، هذه القدسية هي التي تدفع جمهور الناس،

---

(١) المثنوحات، ص ٣٤٧: ٣٥٠ من صيقل الإسلام.

إلى الانقياد أكثر من قوة البرهان ومتانة الحجة، فينبغي إذن أن تكون الكتب الفقهية بمثابة وسائل شفافة -كالزجاج- لعرض قدسية القرآن الكريم، وليس حجابا دونه، أو بديلا عنه.

فالكتب الفقهية إذن ينبغي أن تكون شفافة لعرض القرآن الكريم وإظهاره، ولا تصبح حجابا دونه كما آلت إليه -بمرور الزمان- من جراء بعض المقلدين وعندئذ تجدها تفسيرا بين يدي القرآن، وليست مصنفات قائمة بذاتها.

إن توجيه أنظار عامة الناس في الحاجات الدينية، توجيها مباشرا إلى القرآن الكريم، خطاب الله العزيز الساطع بإعجازه، والمحاط بهالة القدسية، والذي يهز الوجدان بالإيمان دائما.. إنما يكون بثلاث طرق:

١ - إما إزالة ذلك الحجاب من أمام القرآن الكريم، بتوجيه النقد وتجريح الثقة بأولئك المؤلفين للكتب الفقهية، الذين يستحقون كل الاحترام والتوقير والثقة والاعتماد.. وهذا ظلم فاضح، وخطر جسيم، وإجحاف بحق أولئك الأئمة الأجلاء.

٢ - أو تحويل تلك الكتب الفقهية تدريجيا، إلى كتب يستشف منها فيض القرآن الكريم، أي تصبح تفسيرا له، ويمكن أن يتم هذا باتباع طرق تربوية منهجية خاصة، حتى تبلغ تلك الكتب، إلى ما يشبه كتب الأئمة المجتهدين من السلف الصالح أمثال: "الموطأ" لمالك بن أنس و"الفقه الأكبر" لأبي حنيفة النعمان. فعندئذ لا يقرأ كتاب "ابن حجر" -مثلا- بقصد ما يقوله ابن حجر نفسه، بل يقرأ لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم، وهذا الطريق بحاجة إلى زمن مديد.

٣ - أو شد أنظار جمهور الناس دوما، إلى مستوى أعلى من تلك الكتب -التي أصبحت حجابا- أي شدها باستمرار إلى القرآن الكريم وإظهاره فوقها دائما، مثلما يفعله أئمة الصوفية، وعندها تؤخذ الأحكام الشرعية والضروريات الدينية، من منبعها الأساسي وهو القرآن الكريم، أما الأمور الاجتهادية التي ترد بالواسطة فيمكن مراجعتها من مظانها.

ولا يخفى أن ما يستشعره المرء من جاذبية فى كلام الصوفى الحق ومن طلاوة فى حديثه، غير ما يستشعره فى وعظ عالم فى الفقه، فالفرق فى هذا نابع من ذلك السر.

فلو وجهت حاجات المسلمين الدينية كافة، شطر القرآن الكريم مباشرة، لنال ذلك الكتاب المبين من الرغبة والتوجه -الناشئة من الحاجة إليه- أضعاف أضعاف ما هو مشتت الآن من الرغبات نحو الألوف من الكتب، بل لكان القرآن الكريم مهيمنا هيمنة واضحة على النفوس، ولكانت أوامره الجليلة مطبقة منفذة كليا، وما كان يظل كتابا مباركا يتبرك بتلاوته فحسب.

هذا، وإن هناك خطرا عظيما فى مزج الضروريات الدينية، مع المسائل الجزئية الفرعية الخلافية، وجعلها كأنها تابعة لها، لأن الذى يرى الآخرين على خطأ، ونفسه على صواب، مصاب بمرض ضيق الفكر وانحصار الذهن، الناشئين من حب النفس، ولا شك أنه مسئول أمام رب العالمين، عن تغافله عن شمول خطاب القرآن إلى البشرية كافة.

ثم إن فكر التخطئة هذا، منبع ثرى لسوء الظن بالآخرين والانحياز والتحزب، فى الوقت الذى يطالبنا فيه الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بعدا عن روح الإسلام ما شق من جروح غائرة فى أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدهم عن أوامر القرآن الكريم.

– بعد أن كتبت هذه المسألة بفترة قصيرة، تشرفت برؤيا الرسول ﷺ فى المنام. كنت فى حظوة مجلسه الجليل فى مدرسة دينية، سيعلمنى من القرآن درسا.. وعندما أتوا بالمصحف الشريف قام الرسول الكريم احتراما للقرآن. فخطر لى آنئذ أن هذا إرشاد للأمة لتوقير القرآن الكريم وإجلاله.. ثم حكيت الرؤيا لأحد الصالحين فقال: إن هذه إشارة واضحة، وبشرى عظيمة إلى أن القرآن الكريم سيحوز ما يليق به من مقام رفيع فى العالم أجمع..

المبحث الثالث

معالجة انبهار المسلمين بحضارة أوروبا

كان لابد لعالم جليل مثل الإمام النورسى، وهو يجاهد ليقظة الأمة الإسلامية من سباتها، أن يعالج ذلك المرض الخطير الذى ألم بها، وجعلها تفرط فى أعز ممتلكاتها، وهو أصول عقيدتها ودينها، وذلك نتيجة انبهار المسلمين بحضارة أوروبا وزخرفتها، وانجذابهم نحوها وتهافتهم على علومها، مثل انجذاب الفراش إلى النور الذى فيه هلاكها.

وقد اتبع أسلوبا مثاليا فى ذلك العلاج، حيث وجه الخطاب إلى نفسه، باعتبارها من الذين أصابتهم لعنة الانبهار بحضارة أوروبا، ولا شك أن الأسلوب غير المباشر، يكون أكثر جاذبية وإثارة للاهتمام عن أسلوب النصح المباشر، الذى قد يكون فيه بعض الثقل على النفس. وقد تناول العلاج عدة نقاط رئيسية نعرضها فيما يلى:

حوار مع الشخصية المعنوية لأوروبا[1]

أوروبا النتان:

حينما سار "سعيد الجديد" فى طريق التأمل والتفكر، انقلبت تلك العلوم الأوروبية الفلسفية وفنونها، التى كانت مستقرة إلى حد ما فى أفكار "سعيد القديم" إلى أمراض قلبية، نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة فى تلك السياحة القلبية.

فما كان من "سعيد الجديد" إلا القيام بتمخيض فكره، والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة، ولوثات الحضارة السفيهة. فرأى نفسه مضطرا إلى إجراء المحاورة الآتية، مع الشخصية المعنوية لأوروبا، لكبح جماح ما فى روحه، من أحاسيس نفسانية منحازة لصالح أوروبا، فهى

---

(١) اللمعة السابعة عشرة، ص ١٧٦: ١٨٤ من اللمعات.

محاورة مقتضبة من ناحية، ومسهبة من ناحية أخرى، ولئلا يساء الفهم لابد أن ننبه أن أوروبا اثنتان:

إحداهما: هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعات وعلوم تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب-في هذه المحاورة- هذا القسم من أوروبا. وإنما أخاطب أوروبا الثانية، تلك التي تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية، وفسدت بالمادية الجاسية، وحسبت سيئات الحضارة حسنات لها، وتوهمت مساوئها فضائل، فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة.

لا سعادة بلا سعادة الروح:

يا أوروبا الثانية! اعلمي جيدا أنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهة، ثم تدعين أن سعادة الإنسان بهما. ألا شُلت يداك، وبئست الهدية هديتك، ولتكن وَبالا عليك وستكون.

أيتها الروح الخبيثة التي تنشر الكفر وتبث الجحود! تُرى هل يمكن أن يسعد إنسان بمجرد تملكه ثروة طائلة، وترفله في زينة ظاهرة خادعة، وهو المصاب في روحه وفي وجدانه وفي عقله وفي قلبه بمصائب هائلة؟ وهل يمكن أن نطلق عليه أنه سعيد؟! ألا تريين أن من يئس من أمر جزئي، وانقطع رجاؤه من أمل وهمي، وخاب ظنه من عمل تافه، كيف يتحول خياله العذب مرا علقما، وكيف يتعذب مما حوله من أوضاع لطيفة، فتضيق عليه الدنيا، كالسجن بما رحُبت! فكيف بمن أصيب بشؤمك بضربات الضلالة في أعمق أعماق قلبه، وفي أغوار روحه، حتى انقطعت -بتلك الضلالة- جميع آماله، فانشقت عنها جميع آلامه، فأي سعادة يمكنك أن تضمني لمثل هذا المسكين الشقي؟ وهل يمكن أن يُطلق على من روحه وقلبه يعذبان في جهنم، وجسمه فقط في جنة كاذبة زائلة.. أنه سعيد؟

لقد أفسدت -أيتها الروح الخبيثة- البشرية، حتى طاشت بتعاليمك، فتقاسي منك العذاب المرير، بإذاقتك إياها عذاب الجحيم في نعيم جنة كاذبة.

مثال لبيان نظرة أوروبا للحياة ورؤية القرآن لها:

أيتها النفس الأمارة للبشرية، تأملي في هذا المثال وافهمي منه إلى أين تسوقين البشرية: هب أن أمامنا طريقين: فسلكنا أحدهما، وإذا بنا نرى في كل خطوة نخطوها في الطريق الأول: مساكين عجزة يهجم عليهم الظالمون، يغصبون أموالهم ومتاعهم، يخربون بيوتهم وأكواخهم، بل قد يجرحونهم جرحا بليغا، تكاد السماوات تبكي على حالتهم المفجعة، فأينما يمد الإنسان النظر يرى الحالة نفسها، فلا يسمع في هذا الطريق إلا ضوضاء الظالمين وصخبهم، وأنين المظلومين ونواحهم، فكأن مأتما عاما قد خيم على الطريق.

ولما كان الإنسان -بمقتضى إنسانيته- يتألم بألم الآخرين، فلا يستطيع أن يتحمل ما يراه في هذا الطريق من ألم غير محدود، إذ الوجدان لا يطيق ألما إلى هذا الحد، لذا يضطر سالك هذا الطريق إلى أحد أمرين: إما أن يتجرد من إنسانيته، ويحمل قلبا قاسيا غارقا في منتهى الوحشة، لا يتألم بهلاك الجميع طالما هو سالم معافى، أو يبطل ما يقتضيه القلب والعقل!

فيا أوروبا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد أهديت بدهائك الأعور -كالدجال- لروح البشر حالة جهنمية، ثم أدركت أن هذه الحالة داء عضال لا دواء له، إذ يهوى بالإنسان من ذروة أعلى عليين، إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة، التي تدفع إلى إبطال الحس وتخدير الشعور مؤقتا، وكمالياتك المزخرفة وأهواؤك المنومة.. فتعسا لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك ..

نعم: إن ما فتحتيه أمام البشرية من طريق، يشبه هذا المثال المذكور..

أما الطريق الثاني: فهو ما أهداه القرآن الكريم من هدية إلى البشرية، فهداهم إلى الصراط السوي.. فنحن نرى في كل منزل من منازل هذا الطريق، وفي كل موضع من مواضعه، وفي كل مدينة تقع عليه، جنودا مطيعين أمناء لسلطان عادل، يتجولون في كل جهة، ينتشرون في كل ناحية، وبين فينة وأخرى، يأتي قسم من مأموري ذلك الملك العادل

وموظفيه، فيعفى بعض أولئك الجنود من وظائفهم بأمر السلطان نفسه، ويتسلم منهم أسلحتهم ودوابهم ومعداتهم الخاصة بالدولة، ويسلم إليهم بطاقة الإعفاء.. وهؤلاء المعفون يبتهجون ويفرحــون -من زاوية الحقيقة- على إعفائهم فرحا عظيما، لرجوعهم إلى السلطان، وعودتهم إلى دار قرار سلطنته، والمثول بزيارته الكريمة، مع أنهم يحزنون فى ظاهر الأمر، على ما أخذ منهم من دابة ومعدات ألفوها.. وترى أيضا أنه قد يلتقى أولئك المأمورون، بمن لا يعرفهم من الجنود، فعندما يخاطبونه: أن سلم سلاحك! يرد عليهم الجندى: أنا جندى لدى السلطان العظيم وتحت أمره وفى خدمته، وإليه مصيرى ومرجعى، فمن أنتم حتى تسلبوا منى ما وهبنى السلطان العظيم؟ فإن كنتم قد جئتم بإذنه ورضاه، فعلى العين والرأس، فأرونى أمره الكريم، وإلا تنحوا عنى فلأقاتلنكم ولو كنت وحدى وأنتم ألوف. إذ لا أقاتل لنفسى لأنها ليست لى، بل أقاتل حفاظا لأمانة مالكى ومولاى، وصيانة لعزته وعظمته، فأنا لا أرضخ لكم!!.

فدونك مثالا واحدا من ألوف الأمثلة على ما فى هذا الطريق الثانى من مصدر فرح وسعادة. فانسج على منواله.

وعلى طول الطريق الثانى، وطوال مدة السفر كلها: نرى سوقا إلى الجندية، يتم فى فرح وابتهاج وسرور.. وتلك هى التى تسمى "بالمواليد".. وهناك إعفاءات ورخص من الجندية، تتم فى فرح وحبور أيضا، وسط تهليل وتكبير.. تلك هى التى تسمى "بالوفيات".

هذا هو الذى أهداه القرآن الكريم للبشرية، فمن اهتدى به فقد سعد فى الدارين، ويمضى فى طريقه الثانى على هذه الصورة اللطيفة بلا حزن وكدر على ما فات منه، وبلا خوف ووجل مما سيأتى عليه، حتى تنطبق عليه الآية الكريمة: **﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (البقرة: ٢٦٢).**

أسس واهية تستند إليها أوروبا ودحضها:

يا أوروبا الثانية الفاسدة! إنك تستندين إلى أسس واهية نخرة، فتزعمين:

أن كل كائن حي مالك لنفسه، ابتداء من أعظم ملك وانتهاء إلى أصغر سمك، كل يعمل لذاته فقط، ولأجل نفسه فحسب، ولا يسعى أحد إلا للذته الخاصة، ولأجل هذا له حق الحياة. فغاية همته وهدف قصده: هو ضمان بقائه واستمرار حياته.

ثم أنك ترين "قانون التعاون" جاريا فيما بين المخلوقات، امتثالا لأمر الخالق الكريم، الذي هو واضح كلي في أرجاء الكون كله، كإمداد النبات للحيوانات، والحيوانات للإنسان، ثم تحسبين هذا القانون والسنة الإلهية، وتلك التجليات الكريمة الرحيمة، المنبعثة من ذلك التعاون العام، تحسبينها جدالا وخصاما وصراعا، حتى حكمت ببلاهة أن الحياة جدال وصراع! فيا سبحان الله! كيف يكون إمداد ذرات الطعام، إمدادا بكمال الشوق لتغذية خلايا الجسم، جدالا وخصاما؟ بل ما هو إلا سنة التعاون، ولا يتم إلا بأمر رب حكيم كريم!

وإن ما تستندين إليه من "أن كل شئ مالك لنفسه" واضح البطلان. وأوضح دليل عليه: هو أن أشرف الأسباب وأوسعها إرادة واختيارا هو الإنسان. والحال ليس في يد اختياره، ولا في دائرة اقتداره، من أظهر أفعاله الاختيارية، كالأكل والكلام والتفكر، إلا جزء واحد منهم من بين المائة.. فالذي لا يملك واحدا من المائة من مثل هذا الفعل الظاهر، كيف يكون مالكا لنفسه؟! وإذا كان الأشرف والأوسع اختيارا، مغلول الأيدي عن التملك الحقيقي والتصرف التام، فكيف بسائر الحيوانات والجمادات؟ أليس الذي يطلق هذا الحكم "بأن الحيوان مالك زمام نفسه" أضل من الأنعام وأفقد للشعور من الجمادات؟

فيا أوروبا! ما ورطك في هذا الخطأ المشين إلا دهاؤك الأعور، أي ذكاؤك المنحوس الخارق، فلقد نسيت بذكائك هذا رب كل شئ وخالقه، إذ أسندت آثاره البدنية إلى الأسباب والطبيعة الموهومة! وقسمت مُلك ذلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تُعبد من دون الله.. فانطلاقا من هذه الزاوية، التي ينظر منها دهاؤك الأعور، يضطر كل ذي حياة، وكل إنسان، أن يصارع وحده ما لا يعد من الأعداء، ويحصل بنفسه على ملا يحد من

الحاجات، بما يملك من اقتدار كذرة، واختيار كشعرة، وشعور كلمعة تزول، وحياة كشعلة تنطفئ، وعمر كدقيقة تنقضى، مع أنه لا يكفى كل ما فى يده لواحد من مطالبه. فعندما يصاب –مثلا– بمصيبة، لا يرجو الدواء لدائه إلا من أسباب صم، حتى يكون مصداق الآية الكريمة: **﴿وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ (الرعد: ١٤).**

إن دهاءك المظلم قد قلب نهار البشرية ليلا، ذلك الليل البهيم بالجور والمظالم، ثم تريدين أن تنورى ذلك الظلام المخيف، بمصابيح كاذبة مؤقتة!.. هذه المصابيح لا تبتسم لوجه الإنسان، بل تستهزئ به، وتستخف من ضحكاته التى يطلقها ببلاهة، وهو متمرغ فى أوحال أوضاع مؤلمة مبكية! فكل ذى حياة فى نظر تلاميذك، مسكين مبتلى بمصائب ناجمة من هجوم الظلمة، والدنيا مأتم عمومى، والأصوات التى تنطلق منها، هى نعيات الموت، وأنات الآلام، ونياحات اليتامى.

مقارنة بين تلميذ أوروبا وتلميذ القرآن:

إن الذى يتلقى الدرس منك ويسترشد بهديك، يصبح "فرعونا" طاغية ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس الأشياء، ويتخذ كل شئ ينتفع منه ربا له.

وتلميذك هذا "متمرد" أيضا، ولكنه متمرد مسكين، إذ لأجل لذة تافهة يقبل قدم الشيطان، ولأجل منفعة خسيسة يرضى بمنتهى الذل والهوان.. وهو "جبار" ولكنه جبار عاجز فى ذاته لأنه لا يجد مرتكزا فى قلبه يأوى إليه.

إن غاية ما يصبو إليه تلميذك وذروة همته: تطمين رغبات النفس وإشباع هواها، حتى أنه دساس يبحث تحت ستار الحمية والتضحية والفداء، عن منافعه الذاتية فيُطمئن بدسيسته وخبثه حرصه، ويشبع منهم غروره، إذ لا يحب حقا إلا نفسه، بل يضحى بكل شئ فى سبيلها.

- أما التلميذ المخلص الخالص للقرآن الكريم، فهو "عبد" ولكنه لا يدانيه في عبوديته أعظم مخلوق، فهو "عبد عزيز" لا يرضى حتى بالجنة – تلك النعمة العظمى– غاية لعبوديته لله.

وهو "لين هين" ولكنه لا يتذلل لغير فاطره الجليل، ولغير أمره وإذنه، فهو صاحب همة عليا وعزيمة صادقة.. وهو "فقير" ولكنه مستغن عن كل شئ، بما ادخر له مالكه الكريم من الثواب الجزيل.

وهو ضعيف، ولكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة. فلا يرضى تلميذ القرآن الكريم الخالص، حتى بالجنة الخالدة مقصدا وغاية له، فكيف به بهذه الدنيا الزائلة؟!

فافهم من هذا مدى التفاوت الكبير والبون الشاسع بين همة هذين التلميذين!

- وكذلك يمكنكم أن تقيسوا مدى الفرق الهائل، بين تلاميذ الفلسفة السقيمة وتلاميذ القرآن الحكيم، من حيث مدى التضحية والفداء في كل منهما بما يأتي:

إن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه أثَرَة لنفسه، ويقيم عليه الدعوى. أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسموات إخوانا له، ويشعر من أعماق روحه بأواصر شوق تشده نحوهم، فيدعو لهم دعاء خالصا، نابعا من صميم قلبه (اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات) فهو يسعد بسعادتهم. حتى إنه يرى ما هو أعظم الأشياء كالعرش الأعظم والشمس الضخمة، مأمورة مسخرة مثله.

- ثم يمكنك قياس سمو الروح وانبساطها لدى التلميذين بما يأتي:

إن القرآن الكريم يمنح تلاميذه نماءً ساميا للروح، وانبساطا واسعا لهم، فإن شئت فانظر إلى تلاميذ القرآن من الأولياء الصالحين: أمثال الشيخ الكيلاني والشيخ الرفاعي والشيخ الشاذلي ﷺ وانصت إليهم حينما يقرأون أورادهم، وانظر كيف أخذوا في أياديهم سلاسل الذرات، وعدد القطرات، وأنفاس المخلوقات، فيذكرون الله بها ويسبحونه ويقدسونه..

تأمل كيف يتعالى ذلك الإنسان الهزيل الصغير، الذى يصارعه أصغر ميكروب ويصرعه أدنى كرب! وكيف يتسامى فى التربية القرآنية الخارقة فتنبسط لطائفه، وتسطع بفيض إرشادات القرآن، حتى أنه يستصغر الجنة العظمى، أن تكون غاية ذكره لله سبحانه، مع أنه لا يرى لنفسه فضلا على أدنى شئ من خلق الله.. إنه يجمع منتهى التواضع فى منتهى العزة.. ومن هنا يمكن أن تقدر مدى انحطاط تلاميذ الفلسفة ومدى دناءتهم، بالنسبة إلى تلاميذ القرآن ومدى سموهم ورفعتهم.

وهكذا فالحقائق التى تراها الفلسفة السقيمة الأوروبية بدهائها الأعور مشوهة زائفة، يراها الهدى القرآنى واضحة جلية، ذلك النور الذى ينظر إلى كلا العالمين معا، بعينين نافذتين إلى الغيب، ويشير بكلتا يديه إلى السعادتين، ويخاطب البشرية:

أيها الإنسان! إن ما تملكه من نفس ومال ليس ملكا لك، بل هو أمانة لديك، فمالك تلك الأمانة قدير على كل شئ، عليم بكل شئ، رحيم كريم، يشترى منك ملكه الذى عندك، ليحفظه لك، لئلا يضيع فى يدك وسيكافؤك به ثمنا عظيما، فأنت لست إلا جنديا مكلفا بوظيفة، فاعمل لأجله، واسع باسمه، فهو الذى يرسل إليك رزقك الذى تحتاجه، ويحفظك مما لا تقدر عليه.

نعم إن الوضع الحقيقى لكلا الطرفين هو على هذا المنوال. بيد أن درجات الناس متفاوتة فى الهداية والضلالة، ومراتب الغفلة مختلفة متباينة، فلا يشعر كل واحد بهذه الحقيقة فى كل مرتبة، إذ الغفلة تبطل الحس والشعور وتخدرهما.. وقد أبطلت فى هذا الزمان الحس والشعور، إلى حد لم يعد يشعر بألم ومرارة هذا العذاب الأليم، أولئك السائرون فى ركاب المدنية الحاضرة. ولكن ستار الغفلة يتمزق بتزايد الإحساس العلمى، علاوة على نذير الموت، الذى يعرض جنازة ثلاثين ألف شخص يوميا.

فيا أسفى! ويا ويل من ضل بطواغيت الأجانب، وعلومهم المادية الطبيعية، ويا خسارة أولئك الذين يقلدونهم تقليدا أعمى، ويتبعونهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع.

نداء إلى الشباب بالرجوع إلى ينابيعه العذبة:

فيا أبناء هذا الوطن! لا تحاولوا تقليد الإفرنج! وهل بعد كل ما رأيتم من ظلم أوروبا الشنيع، وعداوتهم اللدودة، تتبعونهم فى سفاهتهم، وتسيرون فى ركاب أفكارهم الباطلة؟ وتلتحقون بصفوفهم، وتنضمون تحت لوائهم بلا شعور؟!

إنكم بهذا تحكمون على أنفسكم وعلى إخوانكم بالإعدام بالأيدى.. كونوا راشدين فطنين! إنكم كلما اتبعتموهم فى سفاهتهم وضلالهم، ازددتم كذبا وافتراء فى دعوى الحمية والتضحية، لأن هذا الاتباع استخفاف بأمتكم واستهزاء بملتكم. هدانا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم.

الرد على تقليد أوروبا فى تغييرها الكاثوليكية:[1]

إن أهل البدعة الذين يغيرون الشعائر الإسلامية، قد استوحوا فكرا مشئوما من الانقلابيين الأجانب وهو:

أن أوروبا لم يعجبها مذهب الكاثوليك، فالتزم الثوار والانقلابيون قبل الناس، مذهب البروتستانية الذى كان يعد من البدع والاعتزال، حسب مذهب الكاثوليكية، وقد استفادوا من الثورة الفرنسية، فهدموا قسما من الكاثوليكية، وأعلنوا البروتستانية.. فأدعياء الحمية هنا-فى هذه البلاد-وقد اعتادوا التقليد الأعمى، يقولون: "لما كان هذا الانقلاب قد حدث فى الديانة النصرانية، وقد عُد الانقلابيون فى بداية الأمر مرتدين، ثم قبلوا أيضا نصارى فيمكن إذن أن يحدث فى الإسلام أيضا انقلاب دينى كهذا".

الجواب: إن هذا المقياس باطل من أساسه، لأن الأسس الدينية فى النصرانية، قد أخذت وحدها عن سيدنا عيسى عليه السلام، بينما أكثر الأحكام

---

(١) القسم السابع من المكتوب التاسع والعشرين، ص ٥٦٠: ٥٦٣.

التى تعود إلى الحياة الاجتماعيـة والفروع الشـرعية، قد وضعت مـن قبـل الحواريين، وبقية الرؤساء الروحانيين، وأخذ القسم الأعظم منها مـن الكتب المقدسة سابقا. لأن سيدنا عيسى ﷺ، لم يتـول الحكـم والسلطة، ولـم يكـن مرجعا للقوانين الاجتماعية العامة، فلذلك أخذت القوانين العرفيـة والدسـاتير المدينة، باسم الشـريعة النصرانيـة، وكـأن أسـس دينـه قـد ألبسـت ثيابـا مـن الخارج، وأعطيت لها صورة أخرى.. فلو بدلت هذه الصورة وغـيرت تلك الثياب فإن أسس دينه لا تتبدل. ولا يؤدى هذا الأمر إلى تكذيبه وإنكاره.

● بينما سيدنا الرسول ﷺ الذى هو صاحب الدين والشـريعة الإسـلامية، هو فخر العالم وسيد العالمين، فكما أنـه قد بيـن بذاتـه أسس الإسلام، فـإن فروع ذلك الدين ودساتير أحكامه، بل حتى أصغر أمر جزئى من آدابه هـو الذى أتى به، وهو الذى يخبر عنه، وهو الذى يأمر به. بمعنى أن: الأمـور الفرعيـة فـى الشريعة الإسـلامية، ليسـت علـى صـورة لبـاس وثيـاب قابلــة للتغيير والتبديل. بحيث لو بدلت لظلت أسس الدين ثابتة، بل إنها جسـد تلك الأسس وفى الأقل جلدها، إذ قـد امـتزجت والتحمـت معهـا، بحيـث لا تقبـل التفريق والفصل. وأن تبديلها مباشرة يـؤدى إلى تكذيـب صـاحب الشـريعة وإنكاره.

● أما اختلاف المذاهب: فقد نشأ من أسلوب فهم الدسـاتير النظريـة التـى بينهـا صـاحب الشـريعة. والدسـاتير التـى هـى "المحكمــات" والتـى تسـمى بالضروريات الدينية، لا تقبل التأويل ولا التبديل قطعا بأى صورة كانت من الصور، ولن تكون موضع اجتهاد أبدا. فمـن بدلهـا فقد خـرج علـى الديـن، وكان ضمن القاعدة: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من القوس).

– إن أهل البدع، لأجل تبرير إلحادهم وخروجهم على الدين، يجدون هذه الوسـيلة، إذ يقولـون: لقد شُن هجـوم علـى القسـس والرؤسـاء الروحــانيين ومذهب الكاثوليكية، الذى هو مذهبهم الخاص، وتم تخريب هذا المذهب فى أحداث الثـورة الفرنسـية، التـى أدت إلى سلسـلة مـن الحــوادث فــى عــالم الإنسانية. ثم استصوب هجومهم هذا من قبل الكثيرين، وترقى الإفرنج بعد ذلك كثيرا!.

- **الجواب:** إن الفرق فى هذا القياس -كسابقه فرق ظاهر جدا. لأن النصرانية، ولا سيما مذهب الكاثوليكية، قد استغله رجالات الدولة. وخواص الناس كأداة للتحكم والاستبداد.. فكان الخواص يديمون نفوذهم على العوام بتلك الوساطة، حتى أصبحت وسيلة تسحق أصحاب الهمم والحمية من العوام، الذين كانوا يطلق عليهم اسم: (الفوضويون والدهماء)، وباتت وسيلة لسحق المفكرين من دعاة الحرية، الذين كانوا يتصدون لاستبداد الخواص ومظالمهم.. بل قد عد ذلك المذهب هو السبب فى سلب راحة الناس، وبث الفوضى فى الحياة الاجتماعية، بسبب الثورات التى حدثت فى بلاد الإفرنج، طوال ما يقارب أربعمائة سنة.. لذا هوجم ذلك المذهب باسم مذهب آخر للنصرانية، لا باسم الإلحاد. ونما السخط والعداء عليه، لدى طبقة العوام ولدى الفلاسفة، حتى وقعت تلك الحادثة التاريخية المعروفة.

- بينما فى الإسلام، لا يحق لأى مظلوم كان، ولا لأى مفكر كان، أن يشكو من الدين المحمدى (على صاحبه الصلاة والسلام) والشريعة الإسلامية، لأن هذا الدين لا يسخطهم بل يحميهم، وهذا تاريخ الإسلام بين أيدينا، فلم تحدث صراعات دينية طوال التاريخ، سوى حادثة أو حادثتين، بينما سبب المذهب الكاثوليكى ثورات داخلية دامت أربعمائة سنة.

- ثم إن الإسلام قد أصبح حصنا حصينا للعوام أكثر منه للخواص، إذ لا يجعل الخواص مستبدين على العوام، بل يجعلهم خادمين لهم، متعاطفين معهم، وذلك بوجوب الزكاة، وتحريم الربا، والتكافل الاجتماعى بين الناس.

- يقول الرسول ﷺ: "خير الناس أنفعهم للناس"، **(رواه القضاعى عن جابر كما فى الجامع الصغير)**(1). و"سيد القوم خادمهم"، **(رواه أبو عبد الرحمن السلمى)**، (فى أداب الصحبة) أنه يستشهد العقل وينبهه، بإحالة كثير من الأمور فى القرآن الكريم-إلى العقل، ويحثه على التدبر والملاحظة. بقوله تعالى: **﴿أفلا**

---

(١) **وهناك أحاديث تشهد له مثل: (الخلق عباد الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، (باختصار عن كشف الخلفاء ١/٣٩٣).**

يتفكرون، أفلا يتدبرون، أفلا تعقلون﴾ فيمنح لأهل العلم وأرباب الفكر والعقل بهذا، مقاما رفيعا باسم الدين، ويوليهم أهمية خاصة، فلا يعزل العقل، ولا يحجر على عقول أهل الفكر ويكمم أفواههم، ولا يطلب التقليد الأعمى، كما هو فى المذهب الكاثوليكى.

- إن أساس النصرانية الحاضرة -لا النصرانية الحقة- وأساس الإسلام يفترقان فى نقطة مهمة، لذا يسلك كل منهما طريقا مغايرة لطريق الآخر، فى كثير من الجهات الشبيهة بالفروق السابقة. وتلك النقطة المهمة هى:

- إن الإسلام دين التوحيد الخالص، يسقط الوسائط والأسباب عن التأثير، ويهون من شأن أنانية الإنسان، مؤسسا العبودية الخالصة لله وحده. فيقطع دابر كل نوع من أنواع الربوبيات الباطلة، ويرفضها رفضا باتا، بدءا من ربوبية النفس الأمارة. لذا لو أصبح أحد الخواص متقيا، لاضطر إلى ترك الأنانية والغرور. ومن لم يترك الأنانية والغرور يتراخ فى التدين، بل يدع قسما من أمور الدين.

- وأما فى النصرانية الحاضرة، فلقد ارتضت عقيدة البنوة، لذا تعطى للوسائط والأسباب تأثيرا حقيقيا، ولا تقاوم الأنانية باسم الدين، بل تمنح الأنانية نوعا من القداسة، وكأنها وكيل مقدس عن سيدنا عيسى عليه السلام. ولأجل هذا فإن خواص النصارى الذين يشغلون أرفع المقامات الدنيوية، يستطيعون أن يكونوا متدينين تدينا كاملا، ومنهم الكثيرون من أمثال (ولسن) وهو الرئيس الأسبق لأمريكا، و(لويد جورج) رئيس الوزراء الأسبق لانكلترا. فهؤلاء أصبحوا متدينين كأى قس متعصب لدينه.

بينما فى المسلمين نادرا ما يظل الذين يلجون مثل هذه المقامات على صلابتهم الدينية. وقلما يكونون من أهل التقوى والصلاح، لعدم تركهم الأنانية والغرور، والتقوى الحقيقية لا تجتمع مع الأنانية والغرور.

- نعم، كما أن تعصب خواص النصارى بدينهم، وتهاون خواص المسلمين بدينهم، يبين فرقا مهما.. كذلك اتخاذ الفلاسفة الذين برزوا فى النصرانية، طور المعارض أو الإهمال لدينهم، وبناء أغلب الحكماء الذين ظهروا فى الإسلام، حكمتهم على أسس الدين، يدل على فرق مهم أيضا.

• ثم إن النصارى العوام، الذين عانوا البلايا والمصائب، وقضوا شطرا من حياتهم في السجون، لم ينتظروا العون من الدين ولم يرجوا منه شيئا، فكان أكثرهم -في السابق- يضلون ويلحدون، حتى إن الثوار الذين أوقدوا الثورة الفرنسية، والذين يطلق عليهم (الدهماء والفوضويون) المشهورون في التاريخ، هم من أولئك العوام المنكوبين.

أما في الإسلام، فإن الأكثرية المطلقة، ممن أفنوا عمرا في السجون وقاسوا البلايا والمصائب، ينتظرون العون والمدد من الدين، بل يصبحون متدينين.. وهذه الحالة تدل على فرق آخر مهم أيضا.

وهكذا اخترنا بعض الزهرات من بستان يفوح أريجا وعطرا، غرست كل زهرة منه بمداد الإمام النورسي، وهو في حقل الدعوة إلى الله، لا يكل ولا يمل، من بيان محاسن العقيدة الإسلامية، بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبين مساوئ الحضارة الغربية، وكيف أنها بنيت على أسس واهية، ويعجب من انبهار المسلمين بها، ولسان حاله يردد قول الحق ﷻ: **﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (التوبة: ١٠٩).**

المبحث الرابع

متطلبات إنقاذ الإيمان

قال أحد تلاميذ النورسى المخلصين:(١)

إن لى ولله الحمد، طريق سوى رفيع هو الإسلام، ولى منهل عظيم أنهل منه، هو مشرب العجز والفقر إلى الله، وأقتدى بقائد رائد جليل هو سيد المرسلين، الرسول الكريم ﷺ، وأسترشد بمرشد عظيم هو القرآن المبين، وأسلك مسلكا قيما يبلغنى مرتبة الولاية لله فى دقيقة واحدة، كما هو لدى الجندى المرابط فى الثغر.

فلقد علمنى أستاذى، كما علم كل ذى عقل: أن الزمان زمان إنقاذ الإيمان، لا سلوك الطريقة الصوفية، فقال: أد حق الصلاة خمس أوقات فى اليوم، واعمل بالأذكار عقبها، واتبع السنة الشريفة، واجتنب الكبائر السبع.. فاستجبت بكل ما أملك من روح وقلب. قلت: نعم أيها الأستاذ، لما أظهرته من حقائق استنبطتها من القرآن الكريم، وصدقتها بكل جنانى.. فالذى لقننى هذا الدرس-درس الحقيقة، خاطبته "بالأستاذ"، تلك الكلمة التى لم أخاطب بها أحدا فى حياتى غيره. أصبت ولم أخطئ.

ولما كان هدف رسائل النور هو إنقاذ الإيمان، فقد قامت تلك الرسائل على ركائز عدة نوجزها فيما يلى:

منهج رسائل النور فى إنقاذ الإيمان:(٢)

إن التكلم عن ذلك المنهج بتوسع، ليحتاج إلى مجلدات ضخمة، توازى الجهد الذى بذله الشيخ النورسى -رحمه الله- فى هذا المجال.. ولكننا سنستعين بالخطوط العريضة التى وضعها تلميذ الشيخ، لبيان الركائز التى ارتكزت عليها تلك الرسائل فى مهمتها العظيمة.. على أن نتبع ذلك

(١) كلمة السيد خلوصى – ملحق بارلا، ص ٢٢ من الملاحق.

(٢) بتصرف من كلمة السيد خلوصى – ملحق بارلا، ص ٥٥، ٥٦ من الملاحق.

بمقتطفات من مجهودات الشيخ، التي قام بغرسها في أشرف الحقول وأقدسها: وهو حقل الدعوة في سبيل رفع راية الإيمان خفاقة عالية، لتعانق السماء، في حب وصفاء، وتعلن للبشرية جمعاء كيف يمكن أن تتصل الأرض بالسماء.

ويقوم منهج رسائل النور على ستة دعائم أساسية:

١ - أنها تضع بدلا من حب الجاه، ابتغاء مرضاة الله، النابعة من الإيمان به سبحانه.

٢ - أنها تضع بدلا من الخوف، والوقوع في الشكوك والأوهام، الإيمان بالقدر.

٣ - أنها تضع بدلا من الحرص والطمع، الإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

٤ - أنها تضع بدلا من الأحاسيس والمشاعر العنصرية، الإيمان بالرسل الكرام، وفي مقدمتهم الرسول الأكرم ﷺ المبعوث إلى الجن والإنس كافة، والذي يحقق لنا: **﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (الحجرات: ١٠). ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران: ١٠٣).**

٥ - أنها تضع بدلا من الأنانية وحب الذات، الاعتراف بعجزنا ونقصنا مع الإدراك التام أننا مكلفون بأداء الخدمة، والعمل للقرآن الكريم بنشر الرسائل المترشحة منه والحفاظ عليها، من دون ترقب النتيجة. بمعنى التجرد من نوازع البشرية إلى حد ما، والتشبه بالملائكة الذين هم واسطة لإنزال الكتب والصحف السماوية. فنحقق الإيمان بالملائكة بهذه الصورة.

٦ - أنها تضع بدلا من الكسل والخلود إلى الدعة والراحة، الإسراع إلى العمل للقرآن، الذي كل ساعة منه تعدل يوما من العبادة. وتجعلنا نقدر الوقت حق قدره، ونستمسك بالعمل للقرآن، من قبل أن يفلت منا هذا العمل المقدس، مع فتح الأبصار لإدراك الأمور والأحداث. بمعنى معرفة قيمة الحياة قبل أن يحل بنا الموت فجأة.

وسنعرض فيما يلي بعض القضايا التى تعرض لها الشيخ الراحل على درب متطلبات إنقاذ الإيمان:

مواجهة مرض العصر:(١)

إنه فـى خضـم التيـارات الرهيبـة والحـوادث المزلزلـة للحيـاة والعـالم، ينبغى أن يكون الإنسان على ثبات وصلابة لاتحد بحدود، وضبط للنفس لا نهاية له، واستعداد دون حدود للتضحية.

إن تفضيل المؤمنين للحياة الدنيـا علـى الآخـرة، مـع إيمـانهم بـالآخرة، ومعرفتها حق المعرفة، وترجيح قطع زجاجية تافهة علـى الألمـاس الثميـن، مع معرفة وعلم بها ورغبة فيها، وذلك بسيطرة دوافع الحـس العميـاء التـى لا تبصر العقبى، وترجيح لذة آنيـة حـاضرة علـى رطـل مـن لـذات صافيـة آجلـة. إن هـذا مـرض مخيـف أصـاب هـذا العصـر، بـل هـو مصيبـــة مــن مصائبه، وبلية من بلاياه وهو مضمون إشارة الآية الكريمة: **﴿يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ (إبراهيم: ٣)**.

ومن جراء هذه المصيبة، يقـع المؤمنـون الحقيقيـون فـى خطـأ جسـيم، كموالاتهـم أهـل الضلالـة.. نسـأله تعـالى أن يجنـب أهـل الإيمـــان وطـــلاب رسائل النور من شر هذه المصيبة آمين.

لا وسط بين الكفر والإيمان:(١)

إنـه لا وسـط بيـن الكفـر والإيمـان. ففـى هـذه البـلاد، وتجـاه مكافحـة الشيوعية، فليس هناك غير الإسـلام، وليس هنـاك وسـط. لأن التقسـيم إلـى يمين ويسار ووسط، يقتضى ثلاثة مسـالك. وهـذا قـد يصـدق لـدى الإنكليز والفرنسيين، إذ يمكنهـم أن يقولـوا: اليميـن الإسـلام، واليسـار الشـيوعية، والوسط النصرانية. إلا أن الذى يجابـه الشـيوعية فـى هـذه البـلاد، ليـس إلا الإيمان والإسلام. فليس هناك ديـن ومذهـب آخـر يجابههـا، إلا التحلـل مـن

---

(١) ملحق قسطمونى، ص ٢٠٠ من الملاحق.

(١) ملحق أمير داغ-٢، ص ٣٤٦ من الملاحق.

الدين والدخول فى الشيوعية، لأن المسلم الحقيقى لا يتنصر ولا يتهود بل – إذا خلع دينه– يكون ملحدا فوضويا إرهابيا.

وكما أدرك وزير المعارف والعدل هذه الحقيقة، سيدركها بإذن الله سائر الأركان فى الحكومة حق فهمها، فيحاولون الاستناد إلى قوة الحق والحقيقة والقرآن والإيمان، بدلا من اليمين واليسار، وينقذون بإذنه تعالى، هذا الوطن من الكفر المطلق والزندقة ومن دمارهم الرهيب. فنحن نتضرع إليه تعالى بكل كياننا أن يوفقوا فى ذلك.

الفرق بين الإيمان والإسلام:[1]

لقد دار بين علماء الإسلام كثيرا: بحث حول الفروق بين الإيمان والإسلام. فقال قسم: كلاهما واحد. وآخرون قالوا: إنهما ليسا واحدا، بل لا ينفك أحدهما عن الآخر، وأوردوا آراء كثيرة مختلفة مشابهة لهذا.

وقد فهمت فرقا بينهما كهذا:

إن الإسلام التزام، والإيمان إذعان. أو بتعبير آخر: الإسلام هو الولاء للحق والتسليم والانقياد له، أما الإيمان فهو قبول الحق وتصديقه.

ولقد رأيت –فيما مضى– بعضا ممن لا دين لهم، يظهرون ولاء شديداً لأحكام القرآن، بمعنى أن ذلك الملحد قد نال إسلاما بجهة التزامه الحق، فيقال له: مسلم بلا دين. ثم رأيت بعض المؤمنين لا يظهرون ولاء لأحكام القرآن، ولا يلتزمون بها أى أنهم ينالون عبارة: مؤمن غير مسلم.

ترى: أيمكن أن يكون إيمان بلا إسلام سبب النجاة يوم القيامة؟

الجواب: كما أن الإسلام بلا إيمان لا يكون سبب النجاة، كذلك الإيمان بلا إسلام لا يكون سبب النجاة.

فلله الحمد والمنة، أن موازين رسائل النور، قد بينت ثمرات الدين الإسلامى، وحقائق القرآن ونتائجهما، بيانا شافيا وافيا –بفيض الإعجاز

---

(١) المكتوب التاسع، ص ٥٢، ٤٣ من المكتوبات.

المعنوى للقرآن الكريم- بحيث لو فهمها حتى من لا دين له، لا يمكن أن يكون غير موال لها.

وقد أظهرت هذه الرسائل دلائل الإيمان والإسلام، وبراهينهما كذلك قوية راسخة، بحيث لو فهمها غير المسلم يصدق بها لا محالة، ويؤمن بها رغم بقائه على غير الإسلام.

نعم إن "الكلمات" قد وضحت ثمار الإيمان والإسلام، توضيحا جميلا حلوا، كجمال ثمار طوبى الجنة ولذتها، وأوضحت نتائجهما الطيبة كأطايب سعادة الدارين، حتى أنها تمنح كل من رآها واطلع عليها وعرفها، شعور الولاء والانحياز التام والتسليم الكامل، بل أظهرت براهين الإيمان والإسلام قوية راسخة، رسوخ الموجودات كلها، وكثيرة كثرة الذرات، فيعطى من الإذعان والرسوخ، مالا منتهى لهما فى الإيمان.

إننى حينما أقرأ-أحيانا-كلمة الشهادة فى أوراد الشاه النقشبندى، وأقول: "على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث غدا" أشعر بمنتهى الالتزام، بحيث لا أضحى بحقيقة إيمانية واحدة لو أعطيت الدنيا بأسرها، لأن افتراض ما يخالف حقيقة واحدة لدقيقة واحدة، أليم على ألما لا يطاق. بل ترضخ نفسى لتعطى الدنيا بأسرها -لو كانت لى- مقابل حقيقة إيمانية.

وحينما أقول: "وآمنا بما أرسلت من رسول، وآمنا بما أنزلت من كتاب وصدقنا" أشعر بقوة إيمانية عظيمة لا منتهى لها، وأعد ما يخالف أية حقيقة من حقائق الإيمان محالا عقليا، وأرى أهل الضلال فى منتهى البلاهة والجنون.

الرد على المبتدعة الذين يحاولون تغيير الشرائع الإسلامية:[1]

على درب إنقاذ الإيمان، كان لابد للشيخ -رحمه الله- أن يتصدى لكل المحاولات التى تهدف للنيل من الشريعة وزعزعة أركانها. وكان والحق

(١) القسم السابع من المكتوب التاسع والعشرين، ص ٥٥٨ : ٥٦٠ من المكتوبات.

يقال يعتمد فى ذلك على علم غزير، وحكمة بالغة، تدل على دراسة عميقة لشريعته، ولكل الشرائع التى سبقتها.

– قال الإمام النورسى: إن مستند الذين يحاولون تغيير الشعائر الإسلامية وتبديلها، حجتهم فى ذلك نابعة من تقليد الأجانب تقليدا أعمى، كما هو فى كل الأمور الفاسدة.. فهم يقولون:

"إن المهتدين فى لندن، والذين دخلوا فى حظيرة الإيمان من الأجانب، يترجمون كثيرا من الأمور أمثال: الأذان والإقامة للصلاة، إلى ألسنتهم، ويعملون بها فى بلادهم. والعالم الإسلامى إزاء عملهم هذا ساكت. لا يعترض عليهم. إذن هناك جواز شرعى فى عملهم هذا، بحيث يجعلهم يلزمون الصمت إزاءه!".

الجواب: إن الفرق فى هذا القياس ظاهر جدا، وليس من شأن ذى شعور تقليدهم، وقياس الأمور عليهم مهما كان. لأن بلاد الأجانب يطلق عليها فى لسان الشريعة "دار الحرب". فكثير من الأمور لها جواز شرعى فى "دار الحرب"، ولا مساغ لها فى "دار الإسلام".

ثم إن بلاد الإفرنج تتميز بقوة النصرانية وشوكتها، فليس هناك محيط يلقن بلسان الحال، ما يشيع مفاهيم الكلمات المقدسة ومعانى الاصطلاحات الشرعية، لذا فبالضرورة رجحت المعانى القدسية على الألفاظ المقدسة، أى تركت الألفاظ حفاظا على المعانى، أى اختير أخف الضررين، وأهون الشرين.

أما فى "دار الإسلام": فإن المحيط يرشد ويلقن المسلمين بلسان الحال، المعانى الإجمالية لتلك الكلمات المقدسة، إذ أن جميع المحاورات، والمسائل الدائرة بين المسلمين حول الأعراف والعادات والتاريخ الإسلامى، والشعائر الإسلامية عامة، وأركان الإسلام كافة، تلقن باستمرار المعانى المجملة لتلك الكلمات المقدسة لأهل الإيمان، حتى أن معابد هذه البلاد ومدارسها الدينية، بل حتى شواهد القبور فى المقابر، تؤدى مهمة ملقن ومعلم، تذكر المؤمنين بتلك المعانى المقدسة.

فيا ترى إن من يعد نفسه مسلما، ويتعلم يوميا خمسين كلمة من الكلمات الأجنبية، فى سبيل مصلحة دنيوية، إن لم يتعلم فى خمسين سنة، ما يكرر كل يوم خمسين مرة من الكلمات المقدسة أمثال: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ألا يتردى إلى أدنى من الحيوان بخمسين مرة؟!

ألا إن هذه الكلمات المقدسة لا تحرف ولا تترجم، ولا تهجر لأجل هؤلاء الأنعام!. بل إن هجر هذه الكلمات وتحريفها، ما هو إلا نقص لشواهد القبور كلها، وتسويتها بالتراب، وإعراض عن الأجداد، وإهانة لهم، واتخاذهم أعداء.. وعليه فهم يرتعدون فى قبورهم من هول هذا التحقير والإهانة.

إن علماء السوء الذين انخدعوا بالملحدين، يقولون تغريرا بالأمة: لقد قال الإمام الأعظم (أبو حنيفة النعمان): "يجوز قراءة ترجمة الفاتحة بالفارسية، إن وجدت الحاجة، وحسب درجة الحاجة، لمن لا يعرف العربية أصلا فى الديار البعيدة".. فبناء على هذه الفتوى، ونحن محتاجون، فلنا إذن أن نقرأها بالتركية.

الجواب: إن جميع الأئمة العظام -سوى الإمام الأعظم- والأئمة الإثنى عشر المجتهدين، كلهم يفتون خلاف فتوى الإمام الأعظم هذه. وإن الجادة الكبرى للعالم الإسلامى، هى التى سلكها أولئك الأئمة العظام كلهم. فالأمة العظيمة لا تسير إلا فى الجادة الكبرى. فالذين يريدون أن يسوقوها إلى طريق مخصوصة وضيقة، إنما يضلون الناس.

إن فتوى الإمام الأعظم، فتوى خاصة بخمس جهات:

الأولى: أنها تخص أولئك القاطنين فى دار أخرى، وبلاد بعيدة عن مركز دار الإسلام.

الثانية: أنها مبنية على الحاجات الحقيقية.

الثالثة: أنها خاصة بترجمتها إلى الفارسية، التى تعد -فى رواية- من لسان أهل الجنة.

الرابعة: أنها حكم بالجواز خصيصا لسورة الفاتحة، لئلا يترك الصلاة من لا يعرف سورة الفاتحة.

الخامسة: لقد أظهر الجواز ليكون باعثا لفهم العوام المعانى المقدسة – بحمية إسلامية نابعة عن قوة الإيمان– ولكن فى العصر الحالى فإن الدعوة إلى ترك أصلها العربى، وترجمتها إلى لغة أجنبية، بدافع الهدم الناشئ عن ضعف الإيمان، والنابع من فكر العنصرية والنفور من لسان العربية–الناجمة عن ضعف الإيمان–ما هو إلا دفع الناس إلى ترك الدين والخروج عليه.. وهذا محرم بالإجماع.

مواجهة من يدعون أن التعصب الديني أخرنا عن ركب الحضارة:[1]

يقول أهل البدع: لقد أخرنا هذا التعصب الدينى عن ركب الحضارة، وإن مواكبة العصر بترك التعصب، ولقد تقدمت أوروبا بعد تركها التعصب.

جواب الإمام النورسى: إنكم مخطئون، وقد انخدعتم وغرر بكم، أو تغررون بالناس وتخدعونهم.. إن أوروبا متعصبة بدينها، فلو قلت لشخص بلغارى اعتيادى، أو لجندى إنكليزى، أو لشخص سفيه فرنسى: البس العمامة، أو تلقى فى السجن، لقال لك بمقتضى تعصبه: إننى لا أهين دينى ولا أحقر أمتى بمثل هذه الإهانة والتحقير، حتى لو قتلتمونى.

ثم إن التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلا تدنوا.. بينما النصرانية خلاف هذا. وهذا أيضا ناشئ من فرق أساسى بينهما.

ثم إن الإسلام لا يقاس بغيره من الأديان، لأن المسلم إذا انخلع عن الإسلام، فلا يؤمن بعده بأى نبى آخر، بل لا يقر بوجوده تعالى، بل لا يعتقد بشئ مقدس أصلا، ولا يجد فى وجدانه موضعا ليكون مبعث

---

(١) القسم السابع من المكتوب التاسع والعشرين، ص ٥٦٤ : ٥٩٥ من المكتوبات.

الفضائل. إذ يتفسخ وجدانه كلية.. ولأجل هذا فالمرتد عن الإسلام ليس له حق الحياة، لتفسخ وجدانه، ولأنه يكون كالسم القاتل للمجتمع، بينما الكافر المحارب-فى نظر الإسلام-له حق الحياة. فإن كان فى الخارج وعاهد، أو فى الداخل وأعطى الجزية، فإن حياته مصانة فى الإسلام.

أما الملحد من النصارى فيستطيع أن يظل نافعا للمجتمع، إذ يقبل بعض المقدسات، ويؤمن ببعض الأنبياء، ويكون مؤمنا بالله من جهة.

فأى مصلحة يا ترى يجنيها أهل البدعة هؤلاء-بل الأصوب أهل الإلحاد-فى الخروج على الدين؟

فإن كانوا يرومون منه أمن البلاد، واستتباب النظام فيها، فإن إدارة عشرة من الملحدين الذين لا يؤمنون بالله، ودفع شرورهم، أصعب بكثير من إدارة ألف من المؤمنين.. وإن كانوا يرغبون فى الرقى الحضارى، فإن أمثال هؤلاء الملحدين مثلما يضرون بإدارة الدولة، فهم يعيقون التقدم أيضا، إذ يخلون بالأمن والنظام، وهما أساسا الرقى والتجارة. وفى الحقيقة هم مخربون بمقتضى مسلكهم. وإن أحمق الحمقى فى الدنيا، هو من ينتظر من أمثال هؤلاء الملحدين السفهاء، الرقى وسعادة الحياة.

ولقد قال أحد هؤلاء الحمقى، وهو يشغل منصبا هاما: إننا تأخرنا لقولنا: الله.. الله.. بينما أوروبا تقدمت لقولها: المدفع.. البندقية.

إن جواب أمثال هؤلاء: السكوت. حسب قاعدة: "جواب الأحمق السكوت".

ولكننا نقول قولا لأولئك العقلاء الشقاة، الذين يتبعون أمثال هؤلاء الحمقى: أيها البائسون! هذه الدنيا إنما هى دار ضيافة، وإن الموت حق، إذ يشهد على ذلك ثلاثون ألف شاهد بجنائزهم يوميا. أتقدرون على قتل الموت؟ أيمكنكم تكذيب هؤلاء الشهود؟ فما دمتم عاجزين عن ذلك، فاعلموا أن الموت يدفعكم إلى قول: الله.. الله.. فأى من مدافعكم وبنادقكم تتمكن من أن تبدد الظلمات الأبدية للمحتضر الذى يعانى السكرات، وينور عالمه بدلا عن ذكر "الله.. الله"؟!

فما دام الموت موجودا، وأن المصير إلى القبر حتما، وأن هـذه الحياة ماضية راحلة، وستأتى حياة باقية خالدة.. فإن قيل: "المدفع.. البندقية" مرة واحدة فلا بد من القول ألف مـرة: "اللـه.. اللـه" بـل البندقيـة نفسـها ستقول "الله.. الله" إن كانت فى سبيل الله! وسيصرخ المدفع نفسه "الله أكبر" عند الإقطار وعند الإمساك.. فتذكروا يا أولى الألباب!

فهم القرآن أعظم متطلبات إنقاذ الإيمان:

لقد بذل الإمام النورسى جهدا كبيرا فـى الاغتراف مـن كنـوز القرآن الكريم، لإنارة السبيل أمام الحيارى والضالين. ورغم رسـائل النـور العديـدة التى تجل عن الحصر، وتناولت تلك الأهداف، إلا أنه أفرد كتابا خاصا عـن إشارات الإعجاز فى القرآن الكريم، ليضيـف مزيـدا لرصيد المؤمنيـن، فـى فهم هذا النبراس العظيم، ولإزالة ما عرض للبعض، مـن وجـود تعـارض بين العلم والدين.. جازاه الله خير الجزاء عما قدمه للإسلام والمسلمين.

ولتحقيق مزيد من الاستفادة، ألحق هذا الكتـاب بـآراء علمـاء وفلاسـفة وقسيسين، اطلعوا على هذا الكنز الثمين، وأبدوا آراءهم بعيدا عن الهـوى والتعصب الممقوت، عسى الله أن ينفع بها المسلمين.

وتحقيقا لهذا الهدف نعرض بعضا من تلك الآراء، وعلى من يريـد المزيد أن يرجع إلى المرجع الأصلي[١]:

قال القس خليل أحمد:[٢]

يرتبط هذا النبى ﷺ بإعجاز أبد الدهر، بما يخبرنا به المسيح عليه السلام فـى قوله عنـه: **﴿ويخبركم بأمور آتية﴾**. هـذا الإعجـاز هـو القـرآن الكريـم، معجـزة

---

(١) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز، ص ٢٤٩ : ٢٨٨.

(٢) قس مبشر من مواليد الإسكندرية، عام ١٩١٩ يحمل شهادات عالية فى علـم اللاهوت مـن كليـة اللاهوت المصريـة. ومن جامعة برنستون الأمريكيـة. عمـل أستاذا بكليـة اللاهوت بأسيوط كما أرسل عام ١٩٥٤ إلى أسوان سكرتيرا عامـا للإرسـالية الألمانيـة السويسـرية. كانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. لكن تعمقه فى دراسة الإسلام قادته إلـى الإيمان بهذا الدين وأشهر إسلامه رسميا عام ١٩٥٩.

الرسول الباقية ما بقى الزمان. فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث فى كل مناحيه: من طب، وفلك، وجغرافيا، وجيولوجيا، وقانون، واجتماع، وتاريخ.. ففى أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف.. ".

"أعتقد يقينا أنى لو كنت إنسانا وجوديا.. لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءنى نفر من الناس، وحدثنى بما سبق به القرآن والعلم الحديث-فى كل مناحيه-لآمنت برب العزة والجبروت، خالق السماوات والأرض ولن أشرك به أحدا ..".

"فى هذا الظلام الدامس -أيها المسيحى- ينزل القرآن الكريم على رسول الله ليكشف لك عن الله ﷻ..".

"للمسلم أن يعتز بقرآنه، فهو كالماء فيه حياة لكل من نهل منه"[١].

وقال دكتور بروز:[٢]

"إنه ليس هناك شئ لا دينى فى تزايد سيطرة الإنسان على القوى الطبيعية"، فهناك آية فى القرآن يمكن أن يستنتج منها: أنه لعل من أهداف خلق المجموعة الشمسية، لفت نظر الإنسان لكى يدرس علم الفلك ويستخدمه فى حياته: **﴿هو الذى خلق الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس: ٥).**

وكثيرا ما يشير القرآن إلى إخضاع الطبيعة للإنسان باعتبارها إحدى الآيات التى تبعث على الشكر والإيمان: **﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (الزخرف: ١٣).**

---

(١) هذه المقتطفات من كتاب (محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن) لمؤلفها خليل أحمد.

(٢) د. ميلر بروز: رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه. وأستاذ الفقه الدينى الإنجيلى فى جامعة (ييل) وعمل أستاذا بجامعة براون، وأستاذا زائرا بالجامعة الأمريكية فى بيروت، ومديرا للمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس.

ويذكر القرآن -لا تسخير الحيوان واستخدامه فحسب- ولكن يذكر السفن أيضا.. فإذا كان الجمل والسفينة من نعم الله العظيمة، أفلا يصدق هذا أكثر على سكة الحديد والسيارة والطائرة؟".

"إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم في أغراض هدمية أو بنائية. وربما كان هذا هو المقصود بما ورد في القرآن خاصا باستخدام الحديد: **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (الحديد: ٢٥)**. وأظهر مثال من هذا الآن بالضرورة هو استخدام النشاط الذرى -الذى نشطت بحوثه- لضرورة حربية ".

وقال موريس بوكاى:[1]

لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم ،وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث.

وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات، أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتى كانت وجيزة.. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها، أن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث.

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل أما بالنسبة للعهد القديم: فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول، أى سفر التكوين، فقد وجدت مقولات، لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا. وأما بالنسبة للأناجيل: فإننا نجد نص إنجيل متى يناقض بشكل جلى إنجيل لوقا. وأن هذا الأخير يقدم لنا

---

(١) طبيب وعالم فرنسى معروف، كان كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) من أكثر المؤلفات التى عالجت موضوعا كهذا أصالة واستيعابا. ويبدو أن عمله فى هذا الكتاب القيم منحه قناعات مطلقة بصدق كتاب الله. وبالتالى صدق الدين الذى جاء به.

(٨)

صراحة، أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض".

ماذا قال الإمام النورسي عن القرآن:[١]

هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدى لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم.. وهو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة فى صحائف السماوات والأرض.. وهو مفتاح لحقائق الشئون المضمرة فى سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب فى عالم الشهادة.. وهو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية.. وهو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوى الإسلامى.. وهو خريطة للعالم الأخروى.. وهو القول الشارح، والتفسير الواضح، والبرهان القاطع، والترجمان الساطع، لذات الله وصفاته وأسمائه وشئونه.. وهو مرب للعالم الإنسانى، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى، التى هى الإسلامية.. وهو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدى إلى ما خلق له البشر.. وهو للإنسان: كتاب دعاء وعبودية، وكتاب أمر ودعوة، وكتاب ذكر وفكر.. وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة، فى مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس، مشحون بالكتب والرسائل. حتى أنه قد أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة، من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين: رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره، حتى كأنه مجموعة الرسائل.

المستقبل للإسلام:[٢]

إن أروع ما تتميز به رسائل الشيخ النورسي: هى غرس الأمل فى قلوب المسلمين، بعد تشخيص الداء، ووصف الدواء وذلك ينبع من قول الله ﷻ: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف: ٨٧).. ونظرا لروح

---

(١) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز، ص ٢٢.

(٢) المقدمة التاسعة من محاكمات عقلية، ص ٥٣ : ٥٧ .

الإيمان العميق الذى يتسربل به الإمام النورسى، فإنه أقسم باسم الله الرحمن الرحيم العادل الحكيم: أن البشرية لن تستطيع أن تهضم بسهولة وسلامة، الشر والقبح والباطل، ولن تسمح لها الحكمة الإلهية، لأن من يتعدى على حقوق الكائنات العامة لا يعفى من إنزال العقاب عليه. ولو كانت له الصولة فهى صولة مؤقتة.

وأن المستقبل سيكون للإسلام نتيجة وجود خمس قوى:

القوة الأولى: قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية.

القوة الثانية: الحاجة المجهزة بتوافر الوسائل وتكمل المبادئ والأسباب.

القوة الثالثة: المنافسة والغبطة والغيظ المضمر.. هى أمور تهيئ الصحوة العامة، الناشئة من رؤية المسلمين فى منتهى التخلف، وغيرهم فى منتهى الرفاهية والتقدم.

القوة الرابعة: استعداد الفطرة المجهز بتوحيد الكلمة. الذى هو دستور الموحدين. وبدماثة الخلق والاعتدال، الذى هو خاصة الوضع الحاضر، وبتنوير الأذهان. الذى هو ضياء الزمان وبتلاحق الأفكار الذى هو قانون المدنية. وبسلامة الفطرة التى هى لازمة البداوة. وبالخفة والإقدام، وهما ثمرة الضرورة.

القوة الخامسة: الرغبة فى التحضر والتمدن، والنزوع إلى التجدد والتقدم المادى، الذى يتوقف عليه إعلاء كلمة الله فى هذا الوقت، التى يأمر بها الإسلام ويدفع إليها الزمان، ويلجئ إليها الفقر الشديد، والأمل الباعث للحياة بموت اليأس القاتل لكل رغبة.

وإذا قيل:

لم لا يكون السبب الذى أدى إلى تغلب أوروبا إلى الآن سببا لاستمراره؟

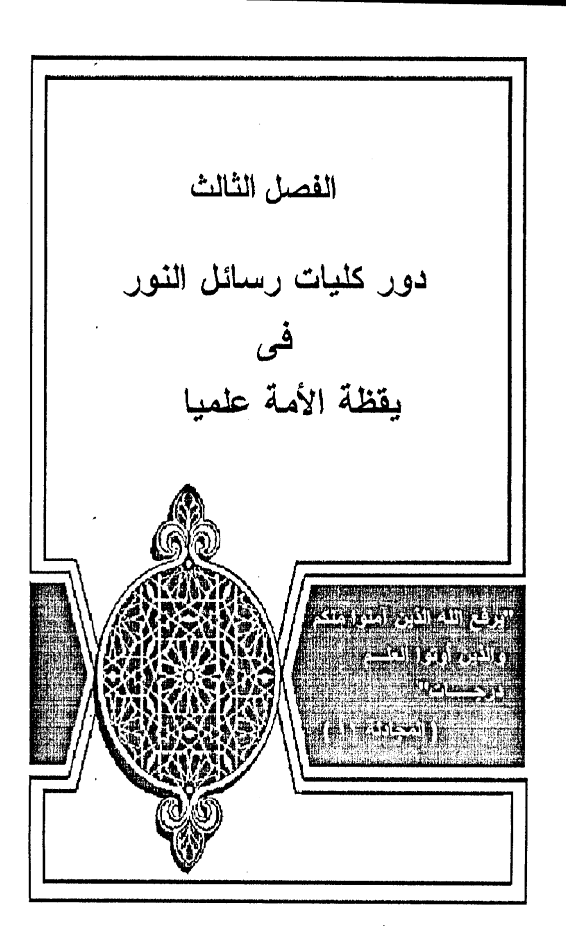
فالجواب:

إن هذا الإلحاد ومجافاة الدين، قد سبب فوضى فى المدنيـة الأوروبيـة، وقلبها رأسا على عقب، بحيث ولد كثيرا من المنظمات الفوضوية، وهيئـات الإفساد والإضلال.. فلو لم يلجأ إلى حقيقة الشريعة الغراء، ولم يتحصن بذلك الحبل المتين، ولم يوضع سد تجاه هذه المنظمات الفوضوية، كسد ذى القرنين، فستدمر تلك المنظمات عالم مدنيتهم وتقضى عليها.

والأمور التى تسمى بمحاسن المدنية، ما هى إلا مسائل شرعية حولت إلى شكل آخر.

نحصل مـن هذا: أننا سنلحق بهم، بل نسبقهم، إذا تربينا بالشريعة الغراء، والتزمنا بالشورى والحرية والعدل.. لأن حملهم ثقيل وحملنا خفيف، بمشيئة الله وبتوفيقه تعالى.

وهكذا وصلنا إلى نهاية مطافنا المحدود بتلك الصفحات المعدودة، فى بيان بعض قطرات من فيض الجهد العظيم الذى بذله ذلك الإمام الجليل "بديع الزمان سعيد النورسى" فى يقظة الأمة عقائديا.. ندعو الله أن أن نكون قد وفقنا فى استلهام شعاعات من أنوار تلك الرسائل، التى تشع نورا وعلما وحكمة.. وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾** **(البقرة: ٢٦٩)**.



الفصل الثالث

دور كليات رسائل النور
فى
يقظة الأمة علميا

"يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أوتوا العلم
درجات"
(المجادلة ١١)

يقظة الأمة علميا

الرسائل من العلوم الإيمانية:

تعتبر رسائل النور فى مجموعها، بلورة لدور الإمام النورسى فى يقظة الأمة الإسلامية علميا، لأنها قائمة على المنهج الاستدلالى، والبرهان العقلى، الذى يحتاج إليه أبناء المستقبل، كما ألمحنا سابقا فى المقارنة بين أبناء الماضى والمستقبل.

ولذلك يمكن القول إن رسائل النور من العلوم الإيمانية بحق، كما قال تلاميذ الشيخ وكما قال كل من قرأها[1].

فقد تكلم الإمام النورسى -رحمه الله: عن ترابط العلم والإيمان، وكيف أن وظيفة الإنسان الفطرية تكمل بالتعلم، أى عن طريق كسب العلم والمعرفة، وكيف أن التفكير فريضة إسلامية، وأن الكون كله كتاب مفتوح، يدعو أولى الألباب إلى الاغتراف منه، للانطلاق قدما فى ركب الحضارة، وكيف أن العلوم كلها تعرف اسم الله الحكيم، ولذلك تكلم عن آلات الوزن، وموازين الفهم فى الآفاق، وكيف تتصفى المعلومات، وكيف يمكن إدارة الحياة على الأرض. وكيف كرم الله آدم بالعلم، والرسل بالمعجزات التى تعتبر إشارات تنبيه للمؤمنين، للسعى حثيثا فى الحياة متزودين بالعلم والإيمان، ليحققوا أسمى المراتب العالية فى الكون اتباعا لمدارج الأنبياء.

كما تكلم عن قواعد البحث العلمى ونواحى الاجتهاد المطلوبة فى عصرنا الحالى، والفرق بين حكمة القرآن وحكمة الفلسفة، وكيف أن الإيمان أساس لعلاج أمراض العصر، وأشار إلى أن قضية الإسلام الملحة ليست قضية صراع سياسى، إنما هى صراع حضارى، ولذلك ركز كثيرا فى رسائله على: ضرورة تدعيم العلم بالإيمان، وعدم تقليد الغرب بطريقة عمياء.

---

(١) الرسائل من العلوم الإيمانية (ملحق بارلا) ص ٧٧: ٨١ من الملاحق.

وهكذا فإن رسائل النور، منبع فياض، يفيض علمـا وإيمانـا، وحكمـة وحضارة، تتناسب مع التحدى الذى تعيشه الأمة الإسلامية حاليا فى تخلفها، بسبب الجهل الذى تفشى فى المسلمين، ببعدهم عن منهج الدين القويم.

وسنحاول – بعون الله وتوفيقه – أن نغوص فى تلك المعانى البعيدة الأغوار، لنستخرج بعض اللآلئ والأصداف، التى زخرت بها رسـائل النور، لتكون موشرا على دور الإمام النورسى فى يقظة الأمة علميا. على أن يضم ذلك الفصل عدة مباحث أساسية:

- المبحث الأول: القرآن ينبوع التقدم العلمى.
- المبحث الثانى: ضرورة ترابط العلم والإيمان.
- المبحث الثالث: قواعد البحث العلمى لتحقيق اليقظة المطلوبة.

وندعو الله من أعماق قلوبنا: أن يتقبل جهاد هذا الإمام المخلـص، وتتحقق اليقظة المطلوبة للأمة الإسلامية، فتغترف من معين العلم ما وسعها الجهد، لأن العقيدة الإسلامية تفرض عليها ذلك:

- **فالعلم هو مصدر بناء الإنسان الروحى والنفسى والعقلى.**
- **والعلم هو أصل الحضارة والرقى بكل معانيه.**
- **والعلم هو المعبر من التخلف إلى التقدم ومن الظلمات إلى النور.**
- **والعلم هو المقياس الذى يمتاز به الناس فى الدنيا والآخرة.**
- **والعلم يعنى القدرة على الفهم وإخراج البشرية من أزمتها ودفعها على الطريق الصحيح[1].**

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

---

(١) من بحث للكاتبة بعنوان: تاريخ المسلمين فى أفريقيا ومشكلاتهم"، فازت بالجائزة الأصلية عن وقف المستشار "شوقى الفنجرى" لصالح خدمة الدعوة والفقه الإسلامى عام ١٩٩٥.

المبحث الأول

القرآن ينبوع التقدم العلمى

إن القرآن الكريم بحر لا تنتهى كنوزه. ولكل تفسير عصره، وكل عصر يقدم تفسيره، طبقا لعلوم العصر، واكتشافاته ورحابة معرفته. وفى عصر الإمام النورسى قدم لنا تفسيرا لآيات القرآن الكريم، يتواكب والنهضة العلمية التى بهرت أنظار المسلمين فى أوروبا، فجاهد الإمام جهاد الأبطال، ليعيد المسلمين إلى ينبوعهم العذب، الذى تنتهل منه كل العلوم أصالتها وبريقها. وساعده على تحقيق هدفه: علمه الغزير من ثقافات عصره، وعقيدته الراسخة التى لا تلين ولا تحيد عن الحق، وإيمانه العميق بالله، الذى يمده بإمدادات نورانية عالية، من مدد رسوله الحبيب.

فماذا استنبط النورسى من آيات القرآن، لبيان حث الإنسان على الاستزادة من العلوم، لتحقيق أقصى درجات التقدم العلمى والكمال البشرى؟

هذا ما سنحاول عرضه فى ذلك المبحث والله المستعان.

التعليم يؤهل الإنسان لينال مكانة سامية:[1]

الآية الكريمة ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ **(البقرة:٣١)**. تبين أن تعليم الأسماء معجزة من معجزات سيدنا آدم عليه السلام تجاه الملائكة، إظهارا لاستعداده للخلافة. وهى وإن كانت حادثة جزئية إلا أنها طرف لدستور كلى هو:

أن تعليم الإنسان-المالك لاستعداد جامع-علوما كثيرة لا تحد، وفنونا كثيرة لا تحصى، حتى تستغرق أنواع الكائنات، فضلا عن تعليمه المعارف الكثيرة، الشاملة لصفات الخالق الكريم سبحانه وشئونه الحكيمة .. إن هذا التعليم هو الذى أهل الإنسان لينال أفضلية، ليس على الملائكة وحدهم، بل

---

(١) الكلمة العشرون ص ٢٧٠، ٢٨٩ من الكلمات.

أيضا على السموات والأرض والجبال، في حمل الأمانة الكبرى. وهكذا تشير هذه الآية إشارة قريبة من الصراحة، إلى منتهى الكمال البشرى وذروة رقيه، وإلى أقصى أهدافه. فكأن الله سبحانه يقول بالمعنى الإشارى لهذه الآية الكريمة:

"يا بنى آدم!.. إن تفوق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة، كان بما علمته الأسماء كلها. وأنتم بنوه ووارثو استعداداته ومواهبه، فعليكم أن تتعلموا الأسماء كلها، لتثبتوا جدارتكم أمام المخلوقات لتسلم الأمانة العظمى، فلقد مهدت الطريق أمامكم لبلوغ أسمى المراتب العالية في الكون، وسخرت لكم الأرض، هذه المخلوقة الضخمة. فهيا انطلقوا وتقدموا، فالطريق مفتوح أمامكم.. واستمسكوا بكل اسم من أسمائى الحسنى، واعتصموا به، لتسموا وترتفعوا.. واحذروا! فلقد أغوى الشيطان أباكم مرة واحدة، فهبط من الجنة-تلك المنزلة العالية-إلى الأرض مؤقتا. فإياكم أن تتبعوا الشيطان في رقيكم وتقدمكم، فيكون ذريعةترديكم من سموات الحكمة الإلهية إلى ضلالة المادية الطبيعية. ارفعوا رءوسكم عاليا، وأنعموا النظر والفكر في أسمائى الحسنى، واجعلوا علومكم ورقيكم، سلما ومراقى إلى تلك السماوات، لتبلغوا حقائق علومكم وكمالكم، وتصلوا إلى منابعها الأصلية، تلك هي أسمائى الحسنى. وانظروا بمنظار تلك الأسماء ببصيرة قلوبكم إلى ربكم.

الحقائق السامية للعلوم:[1]

إن كل ما ناله الإنسان -من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات، من الكمال العلمى والتقدم الفنى، ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات، تعبر عنه الآية السابقة بتعليم آدم الأسماء: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾**. وهذا التعبير ينطوى على رمز رفيع ودقيق وهو:

إن لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن -أيا كان- حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها

---

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٩٠، ٢٩١ من الكلمات.

إلى ذلك الاسم -الذى له حجب مختلفة، وتجليـات متنوعـة، ودوائـر ظهـور متباينة- يجد ذلك الفن وذلك الكمال وتلك الصنعة، كل منها كماله، ويصبـح حقيقة فعلا، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش.

- فالهندسة -مثلا- علم من العلوم، وحقيقتها وغاية منتهاها هى الوصول إلـى اسـم (العدل والمقتدر) مـن الأسـماء الحسـنى، وبلـوغ مشـاهدة التجليـات الحكيمـة لذلك الاسم، بكل عظمتهـا وهيبتهـا فـى مـرآة علـم الهندسة.
- والطب -مثلا- علم ومهارة ومهنة فى الوقـت نفسـه، فمنتهـاه وحقيقتـه يستند أيضا إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو (الشافى). فيصل الطـب إلى كماله ويصبح حقيقة فعلا، بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم الشافى، فى الأدوية المبثوثة على سطح الأرض، الذى يمثل صيدلية عظمى.
- والعلوم التى تبحث فى حقيقة الموجودات-كالفيزياء والكيميـاء والنبـات والحيوان.. هذه العلوم التى هى حكمة الأشياء، يمكـن أن تكـون حكمـة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى، لاسم الله (الحكيم) ﷻ فـى الأشـياء، وهى تجليات تدبير وتربية ورعاية. وبرؤيـة هـذه التجليـات فـى منـافع الأشياء ومصـالحها، تصبـح تلـك الحكمـة حقـا، أى باستنادها إلـى ذلـك الاسم الحكيم، وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلا، وإلا فإما أنها تنقلب إلـى خرافـات وتصبـح عبثـا لا طـائل مـن ورائهـا، أو تفتـح سـبيلا إلـى الضلالة كما هو الحال فى الفلسفة الطبيعية المادية.

وهكذا .. قـس علـى الأمثلـة الثلاثـة التـى مـرت، بقيـة العلـوم والفنـون والكمـالات.. وبذلـك يضـرب القـرآن الكريـم بهـذه الآيــة الكريمــة يــد التشويق على ظهر البشرية، مشيرا إلى أسـمى النقـاط، وأبعـد الحـدود، وأقصى المراتب التى قصـرت كثيرا، عـن الوصـول إليهـا فـى تقدمهـا الحاضر، وكأنه يقول لها: .. هيا تقدمى..

الأنبياء رواد البشرية فى تقدمها المعنوى والمادى:[1]

يبين القرآن الكريم أن الأنبياء-عليهم السلام-قد بعثوا إلى مجتمعات إنسانية، ليكونوا لهم أئمة الهدى، يقتدى بهم فى رقيهم المعنوى. ويبين فى الوقت نفسه، أن الله قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية، ونصبهم روادا للبشرية، وأساتذة لها فى تقدمها المادى أيضا. أى أنه يأمر بالإقتداء بهم، واتباعهم اتباعا كاملا فى الأمور المادية والمعنوية. إذ كما يحض القرآن الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة، التى يتحلى بها الأنبياء عليهم السلام-وذلك عند بحثه عن معجزاتهم المادية، فهو أيضا يومئ إلى إثارة شوق الإنسان، ليقوم بتقليد تلك المعجزات التى فى أيديهم، ويشير إلى حضه على بلوغ نظائرها.

بل يصح القول: إن يد المعجزة هى التى أهدت إلى البشرية الكمال المادى وخوارقه لأول مرة، مثلما أهدت إليها الكمال المعنوى.. فدونك سفينة نوح عليه السلام، وهى إحدى معجزاته، وساعة يوسف عليه السلام، وهى إحدى معجزاته. فقد قدمتها يد المعجزة لأول مرة، هدية ثمينة إلى البشرية.. وهناك إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة: وهى اتخاذ أغلب الصناع نبيا من الأنبياء، رائدا لصنعتهم وقطبا لمهنتهم. فالملاحون-مثلا-اتخذوا سيدنا نوحا عليه السلام-رائدهم. والساعاتيون اتخذوا سيدنا يوسف عليه السلام إمامهم، والخياطون اتخذوا سيدنا إدريس عليه السلام مرشدهم.

ولما كان العلماء المحققون من أهل البلاغة، قد اتفقوا جميعا أن لكل آية كريمة وجوها عدة للإرشاد، وجهات كثيرة للهداية، فلا يمكن إذن أن تكون أسطع الآيات وهى آيات المعجزات، سردا تاريخيا، بل لابد أنها تتضمن أيضا معانى بليغة جمة للإرشاد والهداية.

نعم، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء، إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان فى مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية

---

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٧٩ من الكلمات.

من أهداف. فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن ثم يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضى مستودع بذور المستقبل، ومرآة تعكس شئونه، فالمستقبل أيضا حصيلة بذور الماضى ومرآة آماله.

وسنبين بضعة نماذج مثالا، من ذلك النبع الفياض الواسع.

معجزة إبراهيم وتطور علم الطبيعة والكيمياء: (١)

﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾ (الأنبياء: ٦٩). هذه الآية الكريمة تبين معجزة سيدنا إبراهيم.. وفيها معانى كثيرة منها: يا ملة إبراهيم! اقتدوا بإبراهيم كى يكون لباسكم لباس التقوى، التى هى الحصن المانع، والدرع الواقى من نار جهنم.. فهلموا واكتشفوا هذه المواد المانعة من الحرارة واستخرجوها من باطن الأرض والبسوها". وهكذا وجد الإنسان حصيلة بحوثه واكتشافاته، مادة لا تحرقها النار، بل تقاومها، فيمكنه أن يصنع منها لباسا وثيابا.

فقارن هذه الآية الكريمة، وقس مدى سموها وعلوها، على اكتشاف الإنسان للمادة المضادة للنار، واعلم كيف أنها تدل على حلة قشيبة، نسجت فى مصنع (حنيفى مسلم) لا تتمزق ولا تخلق، وتبقى محتفظة بجمالها وبهائها إلى الأبد.

سيدنا موسى رائد علم التنقيب: (٢)

﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا..﴾ (البقرة: ٦٠). هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى، وهى تشير إلى أنه يمكن الاستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر، بوساطة عصا. فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى:

---

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٨٨، ٢٨٩ من الكلمات

(٢) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٨٠، ٢٨١ من الكلمات.

يمكنكم أن تجدوا الماء، الذى هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية، بوساطة عصا، واسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكتشفوه، عن طريق اختراع آلة شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها، تتمكنوا بها من استخراج الماء فى أغلب الأماكن، حتى تحققوا رقى البشرية.

سيدنا سليمان رائد علم الطيران والاتصالات: [1]

﴿**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر**﴾ (**سبأ: ١٢**). هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان: وهى تسخير الريح له، أى أنه قد قطع فى الهواء، ما يقطع فى شهرين، فى يوم واحد. فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر، لقطع مثل هذه المسافة فى الهواء. فكأن الله سبحانه وتعالى يقول فى معنى هذه الآية "إن عبدا من عبادى ترك هوى نفسه، فحملته فوق متون الهواء. وأنت أيها الإنسان: إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيدا من قوانين سنتى الجارية فى الكون، يمكنك أيضا أن تمتطى صهوة الهواء".

﴿**قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده..**﴾ (**النمل: ٤٠**). هذه الآية تشير إلى أن إحضار الصور والأصوات (والأشياء عينا أو صورة) من مسافات بعيدة، أمر ممكن. وذلك بدلالتها على تلك الحادثة الخارقة، التى وقعت فى ديوان سيدنا سليمان، عندما قال أحد وزرائه، الذى أوتى علما غزيرا فى "علم التحضير" أنا آتيك بعرش بلقيس. ولقد آتى الله سبحانه: سيدنا سليمان الملك والنبوة معا، وأكرمه بمعجزة يتمكن بها من الإطلاع المباشر بنفسه وبلا تكلف ولا صعوبة، على أحوال رعاياه ومشاهدة أوضاعهم وسماع مظالمهم. فكانت هذه المعجزة مناط عصمته وصونه من الشطط فى أمور الرعية. وهى وسيلة قوية لبسط راية العدالة على أرجاء المملكة.

---

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٨٠، ٢٨٣ من الكلمات.

__سيدنا داود وسليمان رائدا علم صناعات الحديد والسبائك:__ [١]

﴿وألنا له الحديد﴾ (سبأ: ١٠). **﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (ص: ٢٠)**. هاتان الآيتان تخصان معجزة سيدنا داود. والآية الكريمة: **﴿وأسلنا له عين القطر﴾ (سبأ: ١٢)**. تخص معجزة سيدنا سليمان.. فهذه الآيات تشير إلى: أن تليين الحديد نعمة إلهية عظمى، إذ يبين الله به فضل نبي عظيم. فتليين الحديد وجعله كالعجين، وإذابة النحاس وإيجاد المعادن وكشفها، هو أصل جميع الصناعات البشرية وأساسها. وهو أم التقدم الحضاري من هذا الجانب ومعدنه.

فهذه الآيات تشير إلى النعمة الإلهية العظمى، في تليين الحديد كالعجين وتحويله أسلاكا رفيعة، وإسالة النحاس، واللذان هما محور معظم الصناعات العامة. فما دام سبحانه قد كرم من هو رسول وخليفة معا، فوهب للسانه الحكمة وفصل الخطاب، وسلم إلى يده الصنعة البارعة، فهو يحض البشرية على الاقتداء به، وبلوغ أقصى أمانيها في الصناعة، وكسبها القدرة الفائقة في مجال القوة المادية، ولن يتأتى ذلك إلا بتليين الحديد وإذابة النحاس (القطر). وهكذا فالآيات تستقطب أنظار البشرية عامة إلى هذه الحقيقة، وتلفت نظر السالفين، وكسالى الحاضرين إليها، فتنبه أولئك الذين لا يقدرونها حق قدرها.

__لغة الطيور وكيف يمكن الانتفاع بها:__ [٢]

﴿والطير محشورة﴾ (ص: ١٩). **﴿وعلمنا منطق الطير﴾ (النمل: ١٦)**. هذه الآيات تبين أن الله سبحانه قد علم سيدنا داود وسليمان منطق أنواع الطيور، ولغة قابليتها واستعداداتها.. أي: أي الأعمال تناسبها؟ وكيف يمكن الاستفادة منها؟ نعم، هذه هي الحقيقة الجليلة.. إذ مادام سطح الأرض مائدة رحمانية أقيمت تكريما للإنسان، فيمكن إذن أن تكون معظم الحيوانات والطيور، التي تنتفع من هذه المائدة مسخرة للإنسان، ضمن تصرفه وتحت خدمته.

---

(١) المقام الثاني من الكلمة العشرين ص ٢٨٢، ٢٨٣ من الكلمات.

(٢) ص ٢٨٧ من الكلمات.

فالإنسان الذى استخدم النحل ودودة القز، وانتفع مما لديهم من إلهام إلهى، والذى استعمل الحمام الزاجل فى بعض شئونه وأعماله، واستنطق الببغاء وأمثاله من الطيور، فضم إلى الحضارة الإنسانية محاسن جديدة. هذا الإنسان، إذا ما علم لسان الاستعداد الفطرى للطيور، وقابليات الحيوانات الأخرى، حيث هى أنواع وطوائف كثيرة جدا، يمكنه أن يستفيد كثيرا، كما استفاد من الحيوانات الأليفة.

فمثلا: إذا علم الإنسان لسان استعداد العصافير (من نوع الزرازير) التى تتغذى على الجراد، ولا تدعها تنمو، وإذا ما نسق أعمالها، فإنه يمكن أن يسخرها لمكافحة آفة الجراد، فيكون عندئذ قد انتفع منها واستخدمها مجانا فى أمور مهمة. فمثل هذه العلوم: من استغلال قابليات الطيور والانتفاع منها، واستنطاق الجمادات من هاتف وحاك، تخط له الآية الكريمة، المدى الأقصى، والغاية القصوى لقبض زمام تلك المخلوقات، باسم الخالق العظيم، والسمو إلى مرتبة تليق باستعداد الإنسان ومواهبه.

سيدنا عيسى والد علم الطب:[1]

﴿وأبرئ الأكمة والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله .. ﴾ (آل عمران: ٤٩). هذه الآية الكريمة تشير إلى: أنه يمكن أن يعثر على دواء يشفى أشد الأمراض المزمنة، والعلل المستعصية، فلا تيأس أيها الإنسان، ولا تقنط أيها المبتلى المصاب، فكل داء مهما كان له دواء، وعلاجه ممكن، فابحث عنه، وجده، واكتشفه، بل حتى إنه يمكن معالجة الموت نفسه، بلون من ألوان الحياة المؤقتة. فالله سبحانه وتعالى يقول بالمعنى الإشارى لهذه الآية:

"لقد وهبت لعبد من عبادى ترك الدنيا لأجلى، وعافها فى سبيلى، هديتين: إحداهما دواء للأسقام المعنوية، والأخرى علاج للأمراض المادية. فالقلوب الميتة تبعث بنور الهداية، والمرضى الذين هم بحكم الأموات، يجدون شفاءهم بنفث منه ونفخ، فيبرأون به.

---

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٨١ من الكلمات.

أنت أيها الإنسان: بوسعك أن تجد فى صيدلية حكمتى، دواء لكل داء يصيبك، فاسع فى هذه السبيل، واكتشف ذلك الدواء، فإنك لا محالة واجده وظافر به.

وهكذا ترى كيف ترسم هذه الآية الكريمة: أقصى المدى، وأبعد الأهداف، التى يصبو إليها الطب البشرى من تقدم.. فالآية تشير إلى ذلك الهدف، وتحث الإنسان على الوصول إليه بالبحث العلمى المتواصل.

سيدنا محمد ﷺ كنز علمى عظيم:[1]

إنه خاتم ديوان النبوة، وسيد المرسلين، الذى تعد جميع معجزات الرسل، معجزة واحدة، لتصديق دعوى رسالته، وهو فخر العالمين، وهو الآية الواضحة المفصلة، لجميع مراتب الأسماء الحسنى كلها، التى علمها الله سبحانه آدم عليه السلام تعليما مجملا.

ذلكم الرسول الحبيب محمد ﷺ الذى رفع إصبعه عاليا بجلال الله فشق القمر، وخفض الإصبع المبارك نفسه بجمال الله، ففجر ماء كالكوثر.. وأمثال ذلك كثير من المعجزات الباهرات، التى تزيد على الألف. هذا الرسول الكريم، أظهر القرآن الكريم، الذى هو المعجزة الكبرى، التى تتحدى الإنس والجن: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء: ٨٨).**

وهكذا فإذا كانت كل معجزة من معجزات الأنبياء، تشير إلى خارقة من خوارق الصناعات البشرية. وكانت معجزة سيدنا آدم أنها تشير إلى فهرس خوارق العلوم والفنون والكمالات.. فإن المعجزة الكبرى للرسول الأعظم ﷺ هى القرآن الكريم ذو البيان المعجز: لأن حقيقة تعليم الأسماء، تتجلى فيه بوضوح تام، وبتفصيل أتم، ويبين الأهداف الصائبة للعلوم الحقة وللفنون الحقيقية، ويظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتهما، فيسوق البشر إليها ويوجهه نحوها، مثيرا فيه رغبة شديدة فيها ، حتى أنه يبين بأسلوب التشويق أن: "أيها الإنسان! المقصد الأسمى من خلق هذا

---

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٩١ ، ٢٩٣ من الكلمات.

الكون، هو قيامك أنت بعبودية كلية، تجاه مظاهر الربوبية، وأن الغاية القصوى من خلقك أنت، هى بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات" فيعبر بتعابير متنوعة رائعة معجزة مشيرا بها إلى:

أن البشرية فى أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون، فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة.

أبعد هذا كله.. أفلا يحق للمسلمين أن يكونوا أولى بالاغتراف من معين العلم، وتسلم زمام الحكم والقوة، بدلا من التخلف والمهانة التى يعيشون فيها.

إنه عار علينا عظيم أن نكون أتباع هذا الرسول الأمين، وأنزل علينا هذا القرآن العظيم، ونعبد الحكيم العليم، ثم نعيش هذا التخلف العلمى المهين. رغم أن قرآننا زاخر بالإشارة إلى خوارق التقدم العلمى والصناعى على يد الأنبياء، وهناك أوامر مطلقة لاتباع الأنبياء -عليهم السلام- والاقتداء بهم لأن هذا من أساسيات العقيدة.

لماذا لم يصرح القرآن بخوارق المدنية الحاضرة إلا بالرمز المستتر؟[1]

بناء على ما أوضحه الإمام النورسى -فيما سبق- وهو يوقظ الأمة من سبات الجهل، ويشحذ همتها لتستنير بنور القرآن، فتسعى إلى التقدم العلمى والصناعى.. فقد أثار تلاميذ الشيخ سؤالين هامين. وقد تفضل الشيخ -رحمه الله- بالإجابة عليهما إجابة شافية مقنعة، ضمن جهاده فى صقل النفوس الإسلامية، ويقظة الأمة علميا، لتكون على مستوى يؤهلها، لحمل شرف لقب "أمة القرآن".

السؤال الأول هو:

(١) المقام الثانى من الكلمة العشرين ص ٢٩٣ : ٢٩٦ من الكلمات.

إذا قلت: إن القرآن الكريم قد نزل لأجل الإنسان. فلم لا يصرح بما هو المهم في نظر الإنسان من خوارق المدنية الحاضرة؟ وإنما يكتفي برمز مستتر، وإيماء خفي، وإشارة خفيفة، وتنبيه ضعيف فحسب؟

الجواب:

إن خوارق المدنية البشرية، لا تستحق أكثر من هذا القدر، إذ أن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم: هي تعليم شئون دائرة الربوبية وكمالاتها، ووظائف دائرة العبودية وأحوالها.

لذا فإن حق تلك الخوارق البشرية، وحصتها من تلك الدائرتين، مجرد رمز ضعيف وإشارة خفية ليس إلا.. فإنها لو ادعت حقوقها من دائرة الربوبية، فعندها لا تحصل إلا على حق ضئيل جدا.

- فمثلا: إذا طالبت الطائرة البشرية القرآن الكريم قائلة: "أعطني حقا للكلام، وموقعا بين آياتك". فإن طائرات دائرة الربوبية، تلك الكواكب السيارة والأرض والقمر، ستقول بلسان القرآن الكريم: "إنك تستطيعين أن تأخذي مكانك هنا بمقدار جرمك لا أكثر".
- وإذا أرادت الغواصة البشرية موقعا لنفسها بين الآيات الكريمة، فستتصدى لها غواصات تلك الدائرة، التي هي الأرض السابحة في محيط الهواء، والنجوم العائمة في بحر الأثير قائلة: "إن مكانك بيننا ضئيل جدا يكاد لا يرى".
- وإذا أرادت الكهرباء أن تدخل حرم الآيات، بمصابيحها اللامعة أمثال النجوم، فإن مصابيح تلك الدائرة، التي هي الشموس والشهب والأنجم المزينة لوجه السماء، سترد عليها قائلة: "إنك تستطيعين أن تدخلي معنا في مباحث القرآن وبيانه، بمقدار ما تمتلكين من ضوء!!".
- ولو طالبت الخوارق الحضارية -بلسان صناعاتها الدقيقة- حقوقها، وأرادت لها مقاما بين الآيات.. عندها ستصرخ ذبابة واحدة بوجهها قائلة: "اسكتوا.. فليس لكم حق. ولو بمقدار أحد جناحي هذين! ولئن اجتمع كل ما فيكم من المصنوعات والاختراعات -التي اكتشفت

اكتسابا، بإرادة الإنسان الجزئية- مع جميع الآلات الدقيقة لديكم، لن تكون أعجب بمقدار ما فى جسمى الصغير جدا، من لطائف الأجهزة ودقائق الصنعة. وإن هذه الآية الكريمة تبهتكم جميعا: **﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب﴾ (الحج: ٧٣)**.

وإذا ذهبت تلك الخوارق إلى دائرة العبودية، وطلبت منها حقها، فستتلقى منها مثل هذا الجواب:

إن علاقتكم معنا واهية وقليلة جدا، فلا يمكنكم دخول دائرتنا بسهولة، لأن منهجنا هو: أن الدنيا دار ضيافة، وأن الإنسان ضيف يلبث فيها قليلا، وله وظائف جمة، وهو مكلف بتحضير وتجهيز ما يحتاجه، لحياته الأبدية الخالدة فى هذا العمر القصير، لذلك يجب عليه أن يقدم ما هو الأهم والألزم.

إلا أنه تبدو عليكم -على اعتبار الأغلبية- ملامح نسجت بحب هذه الدنيا الفانية، تحت أستار الغفلة واللهو، وكأنها دار للبقاء ومستقر للخلود. لذا فإن حظكم من دائرة العبودية، المؤسسة على هدى الحق والتفكر فى آثار الآخرة قليل جدا.

ولكن "إن كان فيكم -أو من ورائكم- من الصناع المهرة، والمخترعين الملهمين (وهم قلة) وكانوا يقومون بأعمالهم مخلصين، لأجل منافع عباد الله -وهى عبادة ثمينة- ويبذلون جهدهم للمصلحة العامة وراحتهم، ورقى الحياة الاجتماعية وكمالها، فإن هذه الرموز والإرشادات القرآنية، كافية بلا ريب، لأولئك الذوات المرهفى الإحساس، ووافية لتقدير مهاراتهم، وتشويقهم إلى السعى والاجتهاد.

السؤال الثانى:

وإذا قلت: لم تبق لدى بعد هذا التحقيق شبهة، فقد ثبت عندى بيقين وصدقت: أن القرآن الكريم فيه جميع ما يلزم السعادة الدنيوية والأخروية، كل حسب قيمته وأهميته. فهناك رموز وإشارات إلى خوارق المدنية الحاضرة، بل إلى أبعد منها من الحقائق الأخرى، مع ما فيه من حقائق

جليلة. ولكن لم لَم يذكر القرآن الكريم تلك الخوارق بصراحة تامة، كى تجبر الكفرة العنيدين على التصديق والإيمان، وتطمئن قلوبنا فتستريح؟

الجواب:

إن الدين امتحان، وإن التكاليف الإلهية تجربة واختبار، من أجل أن تتسابق الأرواح العالية والأرواح السافلة، ويتميز بعضها عن بعض فى حلبة السباق. فمثلما يختبر المعدن بالنار، ليتميز الألماس من الفحم، والذهب من التراب، كذلك التكاليف الإلهية فى دار الامتحان هذه. فهى ابتلاء وتجربة، وسوق للمسابقة، حتى تتميز الجواهر النفيسة، لمعدن قابليات البشر واستعداداته، من المعادن الخسيسة.

فما دام القرآن قد نزل -فى دار الابتلاء هذه- بصورة اختبار للإنسان، ليتم تكامله فى ميدان المسابقة، فلابد أنه سيشير -إشارة فحسب- إلى هذه الأمور الدنيوية الغيبية، التى ستتوضح فى المستقبل للجميع، فاتحا للعقل بابا بمقدار إقامة حجته. وإلا فلو ذكرها القرآن صراحة، لاختلت حكمة التكليف، إذ تصبح بديهة مثل كتابة (لا إله إلا الله) واضحة بالنجوم على وجه السماء. والذى يجعل الناس -أرادوا أم لم يريدوا- عندئذ مرغمين على التصديق، فما كانت ثمة مسابقة ولا اختبار ولا تمييز. فحينئذ تتساوى الأرواح السافلة التى هى كالفحم، مع التى هى كالألماس (فكان أن ظهر أبو جهل اللعين، مع أبى بكر الصديق ﷺ فى مستوى واحد، ولضاع التكليف).

وهكذا فالقرآن العظيم، حكيم يعطى لكل شئ قدره من المقام، ويرى القرآن من ثمرات الغيب: التقدم الحضارى البشرى، قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة فى المستقبل، أوضح وأوضح مما نراها نحن وسنراها..

وهذا يفسر سر تقدم المسلمين الأوائل، وتحقيق حضارة إسلامية كأروع وأشمل ما تكون الحضارات، حيث جمعت بين العلم والإيمان.. ويفسر سر تخلف المسلمين فى العصور المتأخرة، لأنهم وضعوا القرآن وراء ظهورهم، ولم يقدروه حق قدره، وانبهروا بحضارة الغرب الزائفة

الخادعة، التى أدت إلى الضلالة الفكرية للأمة الإسلامية، ورجعت بها إلى مهاوى الجاهلية.

ولذلك فإن الجهاد الأكبر للإمام النورسى: كان هو جهاد النفوس البشرية، للأخذ بها من ظلمات الجهل والضلال، إلى مدارج الأنوار يقينا منه: أن الإسلام أب للعلم وأستاذ له، وأن القرآن أستاذ الحضارات ومنبع التقدم.

ندعو الله أن يتقبل جهاد الشيخ، ويؤتى ثماره فى يقظة الأمة علميا، على درب الإيمان والإسلام، ليتحقق للمسلمين ما يصبون إليه من عزة ومجد، تجعلهم بحق **﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ (آل عمران، ١١٠)**.

المبحث الثاني

ضرورة ترابط العلم والإيمان

العلوم تعرفنا بخالقنا:

فى إطار جهاده لضرورة ترابط العلم والإيمان، ودعوة الناس إلى الاغتراف من العلم ما وسعهم الجهد، لأن هذا العلم سيقودهم إلى معرفة الخالق. أجاب الشيخ على فريق من طلاب الثانوية فى "قسطمونى" طالبين منه أن يعرفهم بخالقهم، لأن المدرسين لا يذكرن الله لهم. فقال النورسى رحمه الله[1]:

إن كل علم من العلوم التى تقرأونها يبحث دوما عن اللـه، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين.

ماذا يقول علم الطب والصيدلة والكيمياء؟

لو كانت هناك صيدلية ضخمة، فى كل قنينة من قوانينها أدوية ومستحضرات حيوية، وضعت فيها بموازين حساسة، وبمقادير دقيقة. فكما أنها ترينا أن وراءها صيدليا حكيما، وكيميائيا ماهرا، كذلك صيدلية الكرة الأرضية، التى تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء-نباتا وحيوانا- وكل واحد منها فى الحقيقة، بمثابة زجاجة مستحضرات كيماوية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة. فهذه الصيدلية الكبرى، تظهر حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه، بدرجة كمالها وانتظامها وعظمتها، قياسا على تلك الصيدلية التى فى السوق، على وفق مقاييس علم الطب الذى تقرأونه.

---

(١) الشعاع الحادى عشر (الثمرة) المسألة السادسة ص ٢٥٧ : ٢٦١ من الشعاعات.. وهناك إجمال لهذا التفصيل ص ٥٣٢ : ٥٣٤ من اللمعات.

وماذا يعرفنا علم الهندسة الميكانيكية؟

كما لو أن مصنعا خارقا عجيبا، ينسج ألوفا من أنواع المنسوجات المتنوعة، والأقمشة المختلفة، من مادة بسيطة جدا، يرينا بلا شك، أن وراءه مهندسا ميكانيكيا ماهرا، ويعرفه لنا، كذلك هذه الماكينة الربانية السيارة، المسماة بالكرة الأرضية، وهذا المصنع الإلهي الذى فيه مئات الآلاف من مصانع رئيسية، وفى كل منها مئات الآلاف من المصانع المتقنة، يعرف لنا -بلا شك- صانعه ومالكه، وفق مقاييس علم المكائن الذى تقرأونه، يعرفه بدرجة كمال هذا المصنع الإلهى وعظمته، قياسا على ذلك المصنع الإنسانى.

وماذا يرينا علم الاقتصاد؟[1]

كما أن حانوتا أو مخزنا للإعاشة والأرزاق، ومحلا عظيما للأغذية والمواد، أحضر فيه -من كل جانب- ألف نوع ونوع من المواد الغذائية، وميز كل نوع عن الآخر، وصفف فى محله الخاص به، يرينا أن له مالكا ومدبرا.. كذلك هذا المخزن الرحمانى للإعاشة، الذى يسيح فى كل سنة، مسافة أربعة وعشرين ألف سنة، فى نظام دقيق متقن، والذى يضم فى ثناياه، مئات الآلاف من أصناف المخلوقات، التى يحتاج كل منها إلى نوع خاص من الغذاء. والذى يمر على الفصول الأربعة: فيأتى بالربيع كشاحنة محمولة بآلاف الأنواع من مختلف الأطعمة، يأتى بها إلى الخلق المساكين الذين نفد قوتهم فى الشتاء. تلك هى الكرة الأرضية، السفينة السبحانية، التى تضم آلاف الأنواع من البضائع والأجهزة ومعلبات الغذاء. فهذا المخزن والحانوت الربانى، يرينا -على وفق مقاييس علم الإعاشة والتجارة الذى تقرأونه- صاحبه ومالكه ومتصرفه، بدرجة عظمة هذا المخزن، قياسا على ذلك المخزن المصنوع من قبل الإنسان، ويعرفه لنا، ويحببه إلينا.

---

(١) يسميه الإمام النورسى علم الإعاشة. وهى تسمية حق لأن علماء الاقتصاد يعرفونه بأنه علم إشباع الحاجات. (الباحثة).

أما عن علم العسكرية فهو يقول لنا:

لو أن جيشا عظيما يضم تحت لوائه: أربعمائة ألف نوع من الشعوب والأمم، لكل جنس طعامه المستقل عن الآخر، وما يستعمله من سلاح يغاير سلاح الآخر، وما يرتديه من ملابس تختلف عن ألبسة الآخر ونمط تدريبه وتعليماته يباين الآخر، ومدة عمله وفترة رخصه هي غير المدة للآخر.. فقائد هذا الجيش الذى يزودهم بالأرزاق المختلفة والأسلحة المتباينة، والألبسة المتغايرة، دون نسيان أى منها ولا التباس ولا حيرة، لهو قائد ذو خوارق بلا ريب. فكما أن هذا المعسكر العجيب -يرينا بداهة- ذلك القائد الخارق، بل يحببه إلينا بكل تقدير وإعجاب، كذلك معسكر .الأرض، ففى كل ربيع يجند -مجددا- جيشا سبحانيا عظيما، مكونا من أربعمائة ألف نوع، من شعوب النباتات وأمم الحيوانات، ويمنح لكل نوع ألبسته وأرزاقه، وأسلحته وتدريبه، ورخصه الخاصة به، من لدن قائد عظيم واحد جل وعلا، دون نسيان لأحد ولا اختلاط ولا تحير، وفى منتهى الكمال وغاية الانتظام. فهذا المعسكر الشاسع الواسع للربيع، الممتد على سطح الأرض، يظهر لأولى الألباب والبصائر -حسب العلوم العسكرية- حاكم، الأرض وربها ومدبرها، وقائدها الأقدس الأجل، ويعرف لهم، بدرجة كمال هذا المعسكر المهيب، ومدى عظمته، قياسا إلى ذلك المعسكر المذكور، بل يحبب مليكه -سبحانه- بالتحميد والتقديس والتسبيح.

بالنسبة لدور علم الكهرباء:

هب أن ملايين المصابيح الكهربائية، تتجول فى مدينة عجيبة دون نفاد للوقود ولا انطفاء، ألا تثبت بإعجاب وتقدير أن هناك مهندسا حاذقا، وكهربائيا بارعا لمصنع الكهرباء ولتلك المصابيح؟ فمصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر الأرض، وهى أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات -حسب علم الفلك- وتسير أسرع من انطلاق القذيفة، من دون أن تخل بنظامها، أو تتصادم مع بعضها مطلقا ومن دون انطفاء، ولا نفاد وقود، على وفق ما تقرأونه فى علم الفلك.

هذه المصابيح تشير بأصابع من نور إلى قدرة خالقها غير المحدودة، فشمسنا مثلا، وهى أكبر بمليون مرة من كرتنا الأرضية، وأقدم منها بمليون سنة، ما هى إلا مصباح دائم، وموقد مستمر لدار ضيافة الرحمن. فلأجل إدامة اتقادها واشتعالها وتسجيرها كل يوم، يلزم وقودا بقدر بحار الأرض، وفحما بقدر جبالها، وحطبا بقدر أضعاف حجم الأرض، ولكن الذى يشعلها -ويشعل جميع النجوم الأخرى أمثالها- دون وقود ولا فحم ولا زيت، ودون انطفاء، ويسيرها بسرعة عظيمة معا دون اصطدام، إنما هى قدرة لا نهاية لها، وسلطنة عظيمة لا حدود لها.

فهذا الكون العظيم وما فيه من مصابيح مضيئة، وقناديل متدلية، يبين بوضوح -على وفق مقاييس علم الكهرباء الذى قرأتموه أو ستقرأونه- سلطان هذا المعرض العظيم، والمهرجان الكبير، ويعرف منوره ومدبره البديع وصانعه الجليل، بشهادة هذه النجوم المتلألئة، ويحببه إلى الجميع بالتحميد والتقديس والتسبيح، بل يسوقهم إلى عبادته سبحانه.

الكون كتاب يقرأ:

لو كان هناك كتاب، كتب فى كل سطر منه كلمات بخط دقيق، وكتب فى كل كلمة من كلماته سورة قرآنية، وكانت جميع مسائله ذات مغزى ومعنى عميق، وكلها يؤيد بعضها البعض، فهذا الكتاب العجيب، يبين بلا شك مهارة كاتبه الفائقة، وقدرة مؤلفه الكاملة.. أى أن مثل هذا الكتاب، يعرف كاتبه ومصنفه، تعريفا يضاهى وضوح النهار، ويبين كماله وقدرته، ويثير من الإعجاب والتقدير لدى الناظرين إليه، ما لا يملكون معه إلا ترديد: تبارك الله. سبحان الله. ما شاء الله! من كلمات الاستحسان والإعجاب.

كذلك هذا الكتاب الكبير للكون، الذى يكتب فى صحيفة واحدة منه - وهى سطح الأرض-ويكتب فى ملزمة واحدة منه (وهى الربيع) ثلثمائة ألف نوع من الكتب المختلفة، وهى طوائف الحيوانات وأجناس النباتات. كل منها بمثابة كتاب..

يكتب كل ذلك معا، ومتداخلة بعضها ببعض، دون اختلاط ولا خطأ ولا نسيان، وفى منتهى الانتظام والكمال، بل يكتب فى كل كلمة منه -كالشجرة- قصيدة كاملة رائعة، وفى كل نقطة منه -كالبذرة- فهرس كتاب كامل. كل هذا مشاهد ومائل أمامنا، ويرينا بالتأكيد أن وراءه قلما سيالا يسطر.

فلكم أن تقدروا مدى دلالة كتاب الكون الكبير العظيم، الذى فى كل كلمة منه معان جمة وحكم شتى، ومدى دلالة هذا القرآن الأكبر المجسم- وهو العالم-إلى بارئه سبحانه، وإلى كاتبه جل وعلا، قياسا إلى ذلك الكتاب المذكور فى المثال. وذلك بمقتضى ما تقرأونه من علم وحكمة الأشياء، أو فن القراءة والكتابة.. وهكذا تفهمون كيف يعرف الخالق العظيم بـ "الله أكبر" وكيف يعلم التقديس بـ "سبحان الله" وكيف يحبب الله سبحانه إلينا بثناء "الحمد لله".

كيف يعين الإيمان على تحمل أعباء الحياة؟[1]

بناء على ما سبق، فإن كل علم من العلوم الغزيرة جدا، يدل على خالق الكون، ذى الجلال والإكرام، ويعرفه لنا سبحانه بأسمائه الحسنى، ويعلمه إيانا بصفاته الجليلة وكمالاته، وذلك بما يملك من مقاييس واسعة، ومرايا خاصة، وعيون حادة باصرة، ونظرات ذات عبرة.

والإنسان ماكينة حيوية، يتألم بآلاف الأنواع من الآلام، ويتلذذ بآلاف الأنواع من اللذائذ، ومع أنه فى منتهى العجز، فإن له من الأعداء ما لا يحد سواء الماديين أو المعنويين. ومع أنه فى غاية الفقر، فإن له رغبات باطنة وظاهرة لا تحصر، فهو مخلوق مسكين يتجرع آلام صفعات الزوال والفراق باستمرار.. فرغم كل هذا، فإنه يجد بانتسابه إلى السلطان ذى الجلال، بالإيمان والعبودية، مستندا قويا، ومرتكزا عظيما، يحتمى إليه فى دفع أعدائه كافة، ويجد فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته، وتلبية رغباته وآماله كافة.

---

(١) الشعاعات (المرجع السابق) ص ٢٦٠، ٢٦١.

فكما ينتسب كل إلى سيده، ويفخر بشرف انتسابه إليه، ويعتز بمقامه لديه، كذلك فإن انتساب الإنسان بالإيمان، إلى القدير الذى لا نهاية لقدرته، وإلى السلطان الرحيم ذى الرحمة الواسعة، ودخوله عبوديته بالطاعة والشكران، يبدل الأجل والموت من الإعدام الأبدى، إلى تذكرة مرور ورخصة إلى العالم الباقى! فلكم أن تقدروا كم يكون هذا الإنسان متلذذا بحلاوة العبودية بين يدى سيده، وممتنا بالإيمان الذى يجده فى قلبه، وسعيدا بأنوار الإسلام، ومفتخرا بسيده القدير الرحيم، شاكرا له نعمة الإيمان والإسلام. ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة ٣٢).

التفكير فريضة إسلامية:

كان سعيد النورسى على يقين من أن عصره هو عصر إظهار الحقائق الإسلامية، وتقوية الإيمان أمام الغزو الثقافى والفكرى، الذى شنته وتشنه الدوائر الحاقدة على الإسلام. وكان يرى أن وظيفة الإنسان الفطرية إنما تكمل بالتعلم، أى عن طريق كسب العلم والمعرفة.

دور الإمام النورسى فى المجال العقلى:(١)

"لقد بذل النورسى فى هذا المجال الكثير. ومما قام به: تجريد الفكر من المعلومات غير الحيوية وغير العملية وغير الحقيقية. وأفسح المجال لمقابلاتها الإيمانية، وجعل نفسه نموذجا لذلك التجريد.. كما وفق فى التوفيق العقلى بين ما تدركه الحواس وما لا تدركه، وذلك بغرس الإيمان بالغيب فى الوعى البشرى، دون تصادم مع واقعات الحس ومقررات العقل المنطقى السليم، ونتائج العلوم التجريبية اليقينية القطعية، فوسع من أفق الواقع المكانى والزمانى فى وعى الإنسان.

وقد أزاح -بعون القرآن- كل شبهات الماديين وأوهامهم وظنونهم وأهوائهم.. ومن أفضل ما وضعه من شروط للتوصل إلى الحقيقة: الشروط الوجدانية والعقلية والروحية والأخلاقية، كتجنب الغفلة والمعصية والغرور

---

(١) محمد رشدى عبيد. ص ٨٦، ٨٧ من (بديع الزمان سعيد النورسى) فى مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامى. استانبول (٢٧-٢٩/١٩٩٢).

والتعصب والوهم والنفى اللا مسئول والافتراض، أو التنظير غير العلمى أو غير المتماسك.. كما دعا إلى تنقية كتب التراث من التفسيرات والآراء التى دحضها العلم بيقينياته".

ولذلك فإن الإمام النورسى[١]: تقدم فى هدوء ذكى ليأخذ بيد طالب، الحقيقة فى جولة رائعة شاسعة، كى يفتح له فيها مغاليق عقله وقلبه، ويوقفه أمام لوحة الوجود، وجمالها الأخاذ ومظاهرها البديعة. بادئا رحلته الكونية من عجائب الآفاق العلوية، إلى مدهشات الكائنات السفلية، سابرا غورها، واصفا اتساقها وتوازنها، ولوحاتها الفنية الرائعة التى تأخذ بالألباب، وتضرب على أوتار القلوب، فتوقظ الغافل، وتنير بصيرة الذاهل، وتأخذ بيد الجاهل، إلى عالم من حقائق العلم والمعرفة، فى إعطاء السببية الحاسمة، والغائية العميقة، والتخطيط الكونى الشامل الجامع، الذى يقطع بوجود الخالق العظيم، الذى تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن.

وقد اجتهد النورسى فى تحصيل العلوم الدينية والعلمية، أيما اجتهاد، ولم يتوان أو يقصر فى هذا المجال أو ذاك: فقد حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم النحو والصرف والبلاغة والتفسير والفقه، من العلوم الدينية العقلية والنقلية، حتى حصل على العالمية، وهو ابن أربع عشرة سنة، كما درس علوم الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والفلسفة والجيولوجيا والتاريخ والجغرافيا، وألف فى البعض منها.. لذلك كان رائعا فى تأملاته، عميقا فى إلهام المعانى الدقيقة من مشاهداته.

ونعرض فيما يلى مجهودات الشيخ لبعث العقل من سباته، ودفعه إلى التفكير ليحقق الوظيفة التى خلقه الله من أجلها..

<u>لماذا لا يرى الجميع بعقولهم الخالق العظيم؟</u>[٢]

لم يترك الإمام النورسى طريقا لتحقيق اليقظة العلمية للمسلمين بنهضة عقولهم إلا واتبعه: سواء عن طريق المنهج الاستدلالى بالتأمل فى

---

(١) الأستاذ حسين عاشور. المرجع السابق ص ١٧٨ : ١٨٠.

(٢) (نقطة) ص ٤٢٣، ٤٢٤ من المثنوى.

الكون، أو باستعمال الحكمة والأدلة المنطقية في الرد على ادعاءات المضللين، أو بالأسلوب غير المباشر في الحوار مع نفسه، كوسيلة لإقناع الغير، أو بالرد على الأسئلة التي يوجهها المسلمون للشيخ مباشرة، أو حتى إحساس الشيخ بأن هذا السؤال قد يدور في خلد بعضهم، فيطرح هو السؤال، ويبادر بالرد عليه..

فماذا قال الشيخ -رحمه الله- ردا على هذا السؤال الهام (لماذا لا يرى الجميع بعقولهم الخالق العظيم؟)

الجواب: لكمال ظهوره جل وعلا، وبعدم الضد.

تأمل سطور الكائنات فإنها   من الملأ الأعلى إليك رسائل

فهذا الكتاب الكوني العظيم: يتجلى فيه النظام بوضوح تام، بحيث يظهر النظام كالشمس في براعة النهار، فتظهر معجزة القدرة في كل كلمة أو حرف فيه. فتأليف هذا الكتاب البديع فيه من الإعجاز الباهر، بحيث لو فرضنا -فرضا محالا- أن كل سبب من الأسباب الطبيعية فاعلا مختارا، لسجدت تلك الأسباب جميعا -بكمال العجز- أمام ذلك الإعجاز، قائلة: سبحانك .. لا قدرة لنا ..إنك أنت العزيز الحكيم. إذ أنك ترى أن في هذا الكتاب من النظم الدقيق المتشابك المتساند، بحيث يلزم لإيجاد نقطة في مكانها الصحيح قدرة مطلقة، تستطيع إيجاد الكون كله، وذلك لأن كل حرف من حروفه -ولا سيما ما كان ذا حياة- له وجه ناظر إلى كل جملة من جمل الكتاب كلها.. فالذي خلق عين البعوضة إذن هو خالق الشمس أيضا، والذي نظم معدة البرغوث، هو الذي ينظم المنظومة الشمسية. فإن شئت راجع كتاب "السانحات" لترى حقيقة الآية الكريمة: **﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ (لقمان: ٢٨)**. ولتشهد كيف يقطر شهد الشهادة الصادقة من لسان معجزة القدرة، النحل، الذي يمثل كلمة صغيرة من هذا الكتاب. أو إن شئت فتأمل في نقطة من هذا الكتاب، في حيوان مجهري لا يرى بالعين المجردة، لتشهد كيف أنه يمثل نموذجا مصغرا للكائنات. فالذي كتبه على هذه الصورة المعجزة كتب الكائنات. فلو أمعنت النظر فيه لرأيته يضم من المكائن الدقيقة، والأجهزة البديعة، ما يثبت لك يقينا أنه لا يمكن ان يفوض

أمره، إلى الأسباب الجامدة البسيطة الطبيعية التى لا تميز بين الإمكانات. إلا إذا توهمت أن فى كل ذرة شعور الحكماء وحكمة الأطباء ودهاء الساسة والحكام، وانها تتحاور فيما بينها دون وساطة!!. وما هذا إلا خرافة يخجل منها الخرافيون. فلا يمكن أن تكون تلك الماكينة الحية الصغيرة إذن إلا معجزة قدرة إلهية. ألا ترى أن العقول تنبهر أمامها؟ فهى إذن ليست من صنع الأسباب الطبيعية، بل من إبداع من يقدر على إيجاد الكائنات كلها وينظم شؤونها، إذ هو محال ان يجتمع أس أساس تلك الأسباب المادية وهو: القوة الجاذبة والقوة الدافعة معا، فى جزء لا يتجزأ بتلك الصنعة الحكيمة.

التفكر يذيب الغفلة:

وضع الإمام النورسى فى إطار اليقظة العلمية: الأصول السليمة الواعية لعملية التفكر، كى تؤتى ثمارها المرجوة، لتحقيق الإيمان العميق القائم على أسس راسخة فقال رحمه الله:[1]

اعلم أن التفكر نور يذيب الغفلة الباردة الجامدة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة.. لكن إذا تفكرت فى نفسك، فدقق وتمهل وغلغل وفصله تفصيلا، بمقتضى الاسم "الباطن" المتعمق، إذ كمال الصنعة أتم فى تحليله وتفصيله.

وإذا تفكرت فى الآفاق، فأجمل وأسرع، ولا تغص ولا تخض، إلا لحاجة إيضاح القاعدة، ولا تحدد النظر، كما هو مقتضى الاسم "الظاهر" الواسع، إذ شعشعة الصنعة أجلى وأبهر وأجمل فى إجماله ومجموعه، ولئلا تغرق فيما لا ساحل له.

فإذا فصلت هناك -يعنى فى نفسك- وأجملت هنا (أى فى الآفاق)، تقربت إلى الوحدة، فصارت الجزئيات أجزاء، والأنواع كلا، والمختلط ممتزجا، والممتزج متحدا، فيفور منه نور اليقين.

---

(١) ذيل الذيل للحبة ص ٢٥٦ من المثنوى العربى النورى.

وإذا عكست بأن أجملت فيك، وفصلت في الآفاق تتشتت بك الكثرة، وتستهوى بك الأوهام، وتستغلظ أنانيتك، وتتصلب غفلتك، فتنقلب طبيعة.. فهذا طريق الكثرة المنجرة إلى الضلالة.. اللهم لا تجعلنا من الضالين.. آمين.

كيف تتصفى المعلومات؟[1]

اعلم أن المعلوت الآفاقية لا تخلو عن الأوهام والوساوس. وأما إذا استندت إلى الأنفس، واتصلت بالوجدانيات المشعورة بالذات، تصفت عن الاحتمالات المزعجة. فانظر من المركز إلى المحيط، ولا تعكس فتنتكس.

واعلم أن هذه المدنية السفيهة المصيرة للأرض كبلدة واحدة، يتعارف أهلها ويتناجون بالإثم وما لا يعني، عن طريق الجرائد صباحا ومساء، غلظ بسببها وتكاثف بملاهيها حجاب الغفلة. بحيث لا يمكن رفع ذلك الحجاب أو خرقه إلا ببذل جهد كبير، وهمة عظيمة. وكذلك قد فتحت هذه المدنية السفيهة لروح البشر، منافذ غير محدودة نظارة إلى الدنيا، يتعذر سدها إلا لمن خصه الله بلطفه..

ولذلك فلا بد أن يقترن العلم بالإيمان، حتى تتصفى المعلومات، ويحقق المسلم النهضة العلمية الواعية، التي تقربه من خالقه ولا تبعده عنه، فيخسر سعادة الدنيا والآخرة معا.

علم المؤمن وعلم الكافر:[2]

إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر أسفل سافلين، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم .. ذلك لأن الإيمان يربط الإنسان بصانعه الجليل، ويربطه بوثاق شديد ونسبته إليه. فالإيمان إنما هو انتساب، لذا يكتسب الإنسان بالإيمان قيمة سامية، من حيث تجلي الصنعة الإلهية فيه، وظهور آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده. أما الكفر فيقطع تلك النسبة

---

(١) حبة ص ٢٢٦ من المثنوي.

(٢) الكلمة الثالثة والعشرون ص ٣٤٨ : ٣٥٨ من الكلمات.

وذلك الانتساب، وتغشى ظلمتـه الصنعة الربانيـة، وتطمس علـى معالمهـا، فتنقص قيمة الإنسان حيث تنحصر فى مادته فحسب، وقيمـة المـادة لا يعتد بها، فهى فى حكم المعدوم، لكونها فانية زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة.

فـالحق سبحانه وتعـالى، قد خلـق هـذا الإنسـان مـرآة جامعـة لجميـع أسمائه الحسنى، وأبدعه معجزة دالة على قدرته المطلقة. فهو يملـك أجهـزة يتمكن بها تثمين وتقدير جميع مدخرات خزائن رحمته الواسـعة ومعرفتهـا. وخلقه علـى صـورة خليفـة الأرض الـذى يملـك مـن الأجهـزة الحساسـة مـا يتمكن بها من قياس أدق دقائق تجليات الأسـماء الحسـنى.. والوسيلة التـى تمكن الإنسان من العروج إلى أسمى مقام وهو مقام "أحسن تقويم" هى العلم القائم على الإيمان الحق"

فالإيمان نور يضئ الإنسان وينوره، وهو ينير الكائنات أيضا، وينقـذ القرون الخالية والآتية من الظلمات الدامسة. والإيمان قوة، يستطيع الإنسـان أن يتحدى بها الكائنات ويتخلص من ضيق الحوادث. أمـا الكفر فهـو أثقـال تجذب إلى اسفل سافلين.

والإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقـا، بـل يجعلـه سـلطانا، نتيجـة العلـم بالله. أما الكفر فيجعـل الإنسـان حيوانـا مفترسـا فـى غايـة العجـز. الإيمـان يعطى الإنسان مفتاح خزينة الرحمة الإلهية، بالدعاء الذى يمده بمصدر قـوة متينة، تجعله يرتقى إلى أعلى عليى الإنسـانية، أمـا الكـافر فهـو أسـير العلـم المـادى، لذلـك فهـو فقــير وعــاجز أمــام تهـافت البلايـا وتسـلط الشــرور والأحزان.

الفرق بين حكمة القرآن وحكمة الفلسفة:[1]

- إن فلسفة البشر وحكمته: تنظر إلى الدنيا على أنها ثابتـة دائمـة، فتذكـر ماهيـة الموجـودات وخواصهـا ذكـرا مفصـلا مسـهبا. بينمـا لـو ذكـرت

(١) لمزيد من التفصيل فى تلك النقطة يمكن الرجوع إلى: ص ١٥٠ : ١٥٥ من الكلمـات، ص ٢٦٦ : ٢٦٨ مـن الكلمـات، ص ٥٠٨ : ٥١١ مـن الكلمـات، ص ٤٥٦ : ٤٥٩ مـن المثنوى، ص ٢٦٨ : ٢٧٠ من المكتوبات.

وظائف تلك الموجودات الدالة على صانعها، فإنها تذكرها ذكرا مجملا مقتضبا. أي أنها تفصل في ذكر نقوش كتاب الكون وحروفه، في حين لا تعير معناه ومغزاه اهتماما كبيرا.

- أما القرآن الكريم: فإنه ينظر إلى الدنيا على أنها عابرة سيالة، خداعة سيارة، متقلبة لا قرار لها ولا ثبات، لذا يذكر خواص الموجودات وماهياتها المادية الظاهرة، ذكرا مجملا مقتضبا، بينما يفصل تفصيلا كاملا لدى بيانه وظائفها التي تنم عن عبوديتها التي أناطها بها الصانع الجليل، ولدى بيانه مدى انقياد الموجودات للأوامر التكوينية الإلهية، وكيف وبأي وجه من وجوهها تدل على أسماء صانعها الحسنى.
- ثم إن القرآن ما دام مرشدا، فمن شأن بلاغة الإرشاد التمشي مع نظر العوام، ومراعاة حس العامة ومؤانسة فكر الجمهور، لئلا يتوحش نظرهم بلا طائل، ولا يتشوش فكرهم بلا فائدة، ولا يتشرد حسهم بلا مصلحة، فأبلغ الخطاب معهم والإرشاد، أن يكون ظاهرا بسيطا سهلا لا يعجزهم، وجيزا لا يملهم، مجملا فيما لا يلزم تفصيله لهم، ويضرب الأمثال لتقريب ما دق من الأمور إلى فهمهم.
- فلأن القرآن مرشد لكل طبقات البشر، تستلزم بلاغة الإرشاد أن لا يذكر ما يوقع الأكثرية في المغالطة والمكابرة مع البديهيات، في نظرهم الظاهري، وأن لا يغير بلا لزوم ما هو متعارف محسوس عندهم، وأن يهمل أو يجمل ما لا يلزم لهم في وظيفتهم الأصلية.

مثال لبيان كيف يبحث كل من القرآن والفلسفة عن الشمس:

القرآن: يبحث عن الشمس لا للشمس، ولا عن ماهيتها، بل لمن نورها وجعلها سراجا، وعن وظيفتها بصيرورتها محورا لانتظام الصنعة، ومركزا لنظام الخلقة. وما الانتظام والنظام إلا مرايا معرفة الصانع الجليل. فيعرفنا القرآن كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم فيقول:

﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (يس: ٣٨). وينبه بها إلى تصرفات القدرة الإلهية العظيمة، في اختلاف الليل والنهار، وتناوب الصيف والشتاء. وفي لفت النظر إليها تنبيه السامع إلى عظمة قدرة

الصانع، وانفراده فى ربوبيته. فمهما كانت حقيقة جريان الشمس، وبأى صورة كانت، لا تؤثر تلك الحقيقة فى مقصد القرآن، فى إراءة الانتظام المشهود والمنسوج معا.

ويقول أيضا ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ (نوح: ١٦). ففى تعبير السراج: تصوير العالم بصورة قصر، وتصوير الأشياء الموجودة فيه، فى صورة لوازم ذلك القصر، ومزيناته ومطعوماته لضيوفه وخدامه. وما الشمس إلا مأمور مسخر وسراج منور. ففى تعبير السراج تنبيه إلى رحمة الخالق فى عظمة ربوبيته، وإفهام إحسانه فى سعة رحمته، وإحساس كرمه فى عظمة سلطنته.

فماذا يقول الفلسفى الثرثار فى الشمس؟

يقول: هى كتلة عظيمة من المائع النارى، تدور حول نفسها فى مستقرها، تطايرت منها شرارات، هى أرضنا وسيارات أخرى، فتدور هذه الأجرام العظيمة المختلفة فى الجسامة .. ضخامتها كذا .. ماهيتها كذا..". فانظر ماذا أفادتك هذه المسألة: غير الحيرة المدهشة والدهشة الموحشة. فلم تفدك كمالا علميا، ولا ذوقا روحيا، ولا غاية إنسانية ولا فائدة دينية.

فقس على هذا، لتقدر قيمة المسائل الفلسفية، التى ظاهرها مزخرفة، وباطنها جهالة فارغة.. فلا يغرنك ظاهرها وتعرض عن بيان القرآن المعجز.

لمعة الإعجاز فى تكرارات القرآن:[1]

يتوهم القاصرون أن تكرارات القرآن نقصا فى البلاغة.. ولكن الإمام النورسى يدفع ذلك الادعاء قائلا: اعلم أن هذا التكرار إعجاز! لأن القرآن كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، وبالتالى يكون تكراره

---

(١) الذيل الأول ص ٢٦٧، ٢٦٨ من المكتوبات.. ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى (نور من أنوار نجوم القرآن) ص ٤٥٨ : ٤٦٣ من المثنوى و ص ٣٠٢ : ٣١٤ من الشعاعات (الشعاع الحادى عشر - الثمرة).

أحسن وأبلغ بل ألزم. إذ الذكر يكرر، والدعاء يردد، والدعوة تؤكد. إذ فى تكرير الذكر تنوير، وفى ترديد الدعاء تقرير، وفى تكرار الدعوة تأكيد.

- واعلم أنه لا يمكن لكل أحد فى كل وقت قراءة تمام القرآن، الذى هو دواء وشفاء لكل أحد فى كل وقت. فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية فى أكثر سور، ولا سيما الطويلة منها حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا، فسهل السبيل لكل أحد، دون أن يحرم أحدا، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام.

- واعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة فى الأوقات، كذلك الحاجات المعنوية الإنسانية أيضا مختلفة الأوقات.. فيحتاج قسم فى كل آن (هو الله) للروح، كحاجة الجسم إلى الهواء... ويحتاج قسم فى كل ساعة (بسم الله) .. وهكذا فقس على بقية كلمات القرآن. فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرر الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية.

- واعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامى، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها. وجواب لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة للبشرية، بألسنة الأقوال والأحوال، ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

واعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة، ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها. فلابد لتقريرها فى القلوب وتثبيتها فى أفكار العامة، من التكرار فى صور مختلفة وأساليب متنوعة. وفوائد ومقاصد، فتذكر فى موضع لوجه، وفى آخر لأخرى. وفى سورة لمقصد وفى أخرى لآخر وهكذا .. فعلى هذا لا تكرار إلا فى الصورة.

أما إجمال القرآن الكريم بعض المسائل الكونية وإبهامه في بعض آخر، هو لمعة إعجاز ساطع، وليس كما توهمه أهل الإلحاد، من قصور ومدار نقد.

رد على المقلدين للغرب بطريقة عمياء:[1]

اعلم أيها المسلم في الظاهر والاسم! مثلك في تقليد الكفار في السفاهة ومعارضة الأحكام الإسلامية، كمثل فرد من عشيرة، يرى رجلا عدوا من عشيرة أخرى، يذم عشيرة الأول ويزيف رئيسها ويحقر عاداتها، مستندا إلى عشيرته متمدحا بمفاخرها. فيظن ذلك المسكين أنه لو ذم هو أيضا عشيرة نفسه، وحقر عاداتها، صار كذلك الرجل العدو! ولا يعرف ذلك أنه بهذا الرد والارتداد: إما مجنون جرئ أو رذيل دنئ، يكسر ظهره فيصير يتيما طريدا.

ألا ترى أن الشخص الأوروبي ينكر محمدا ﷺ، ولكن يتسلى بالنصرانية المموهة، وبمدنيتهم المخصوصة الممزوجة بعاداتهم الملية، فيمكن أن يبقى في روحه بعض الأخلاق الحسنة الدنيوية، وبعض الهمم العالية، لأجل هذه الحياة الدنيوية. فلا يرى بسبب هذا التسلي ظلمات روحه ولا يتم قلبه.

وأما أنت أيها المرتد! إن أنكرت محمدا ﷺ وآثاره، لا يمكن لك قبول واحد من الأنبياء. بل ولا قبول ربك، بل ولا قبول شئ من الكمالات الحقيقية. فانظر إلى دهشة التخريبات في روحك، وابصر شدة الظلمات في وجدانك، ووحشة اليتم واليأس في قلبك.. وعن قريب يترشح قبح باطنك إلى ظاهرك، فيصير حسنكم أقبح من أقبح كافر، فالمرتد محروم من الحياتين دون الكافر، إذ الكافر له حق حياة إن لم يحارب.

---

(١) نور من أنوار نجوم القرآن ص ٤٤٦ من المثنوي.

حوار الشيخ مع نفسه لتجنب تقليد أهل الدنيا والسفه:[1]

أيتها النفس! لا تقلدى أهل الدنيا، ولا سيما أهل السفاهة وأهل الكفر خاصة، منخدعة بزينتهم الظاهرية الصورية، ولذائذهم الخادعة غير المشروعة، لأنك بالتقليد لا تكونين مثلهم قطعا، بل تتردين كثيرا جدا، بل لن تكونى حتى حيوانا أيضا، لأن العقل الذى فى رأسك يصبح آلة مشؤومة مزعجة، تنزل بمطارقها على رأسك، إذ إن كان ثمة قصر فخم، فيه مصباح كهربائى عظيم، تشعبت منه قوة الكهرباء، إلى مصابيح أصغر فأصغر، موزعة فى منازل صغيرة مرتبطة كلها، بالمصباح الرئيسى. فلو أطفأ أحدهم المصباح الكهربائى الكبير، فسيعم انظلام المنازل الأخرى كلها، وتستولى الوحشة فيها، ولكن لأن هناك مصابيح فى قصور أخرى غير مربوطة بالمصباح الكبير فإن مصابيح صغيرة تعمل على الإضاءة فى القصور الأخرى، ويمكنه أن يؤدى بها عمله، فلا يستطيع اللصوص نهب شئ منه.

فيا نفسى!

القصر الأول، هو المسلم، والمصباح الكبير، هو؛ سيدنا الرسول ﷺ فى قلب ذلك المسلم، فإن نسيه وأخرج الإيمان به من قلبه-والعياذ بالله-فلا يؤمن بعد بأى نبى آخر. بل لا يبقى موضع للكمالات فى روحه، بل ينسى ربه الجليل، ويكون ما أدرج فى ماهيته من منازل ولطائف طعمة للظلام، ويحدث فى قلبه دمارا رهيبا وتستولى عليه الوحشة، ترى ما الذى يغنى عن هذا الدمار الرهيب، وما النفع الذى يكسبه حتى يستطيع أن يعمر ذلك الدمار والوحشة؟!

أما الأجانب فإنهم يشبهون القصر الثانى، بحيث لو أخرجوا نور محمد ﷺ من قلوبهم، تظل لديهم أنوار -بالنسبة لهم- أو يظنون أنها تظل! إذ يمكن أن يبقى لديهم شئ من العقيدة بالله والإيمان بموسى وعيسى - عليهما السلام- والذى هو محور كمال أخلاقياتهم.

---

(١) الكلمة الرابعة والعشرون ص ٤١٧، ٤١٨ من الكلمات.

فيا نفسى الأمارة بالسوء!

إذا قلت: أنا لا أريد أن أكون أجنبيا بل حيوانا، فلقد كررنا عليك القول يا نفسى! إنك لن تكونى حتى كالحيوان، لأنك تملكين عقلا. فهذا العقل -الجامع لآلام الماضى ومخاوف المستقبل- ينزل ضربات موجعة وصفعات مؤلمة برأسك وعينيك، فيذيقك ألوف الآلام فى ثنايا لذة واحدة، بينما الحيوان يستمتع بلذة غير مشوبة بالآلام. لذا إن أردت أن تكونى حيوانا، فتخلى عن عقلك أولا وارميه بعيدا، وتعرضى لصفعة التأديب فى الآية الكريمة: ﴿كالأنعام بل هم أضل﴾ (الأعراف ١٧٩).

الإنسان والحضارة: [1]

يرى النورسى منذ قيامه مرة أخرى فى إهاب "سعيد الجديد" أن قضية الإسلام الملحة ليست قضية صراع سياسى يمكن أن يغلب فيه، أو أن يكون مغلوبا، إنما هو صراع حضارى رهيب لا يمكن أن يغلب فيه، إذا عرفه العالم على حقيقته واعتنقه وآمن به.

لذا فهو يرى أن "أوروبا" التى تمثل قمة حضارة اليوم، يمكن أن تخفى فى رحمها جنين الإسلام، إذا هى فهمته واستوعبته. وأن هذا الرحم ستنشق عن هذا الوليد يوما ما، ليدرج فى أحضان الغرب، وينمو ويكبر ويبلغ أشده.

فإذا كانت "أوروبا" فى إبان حضارتنا -قد آنست فى الشرق نارا عظيمة فقالت لأهلها: "امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى" فلما جاءتها قبست من نورها أقباسا، وذهبت بهذه الأقباس، فأنارت بها عقول أذكياء أبنائها، فإذا بهذه القبسة الحضارية، تنمو وتكبر وتبلغ من النضج، ما يشاء الله لها أن تبلغ، ثم تعود إلينا من أبوابنا المشروعة، وتتعرض لنا بسحرها ومفاتنها.. فإذا بنا نعرف منها وننكر، فهى قريبة إلى نفوسنا فى بعض جوانبها، وغريبة بعيدة عنا فى بعضها

---

(١) (بديع الزمان سعيد النورسى) فى مؤتمر عالمى حول تجديد الفكر الإسلامى. كلمات مختارة من بحث الأديب إبراهيم الدباغ ص ٢٨ : ٣٠.

الآخر.. نعرف منها روحها المغامر الطلعة لأنه روحنا المفقود، ونعرف منها شغفها بالمجهول، وشوقها إلى كشف الأستار عن المعارف والعلوم، لأنه شغفنا وشوقنا الموؤد، ونعرف منها علومها فى الحياة والفلك والطب والنبات والحيوان، لأن جذور هذه العلوم ممتدة فى عقول الأفذاذ من علماء حضارتنا.. ولكننا ننكر منها عقلها المغرور الجحود، وقلبها المتفسق، وجسدها الذى يغلى بالحسيات، وعقيدتها فى التجسيد والتثليث.

ترى أيمكن أن يعيد التاريخ نفسه، وتعود "أوروبا" الغارقة فى وثنياتها من جديد، تبحث فى إسلامنا" عن صفاء العقيدة فى التوحيد؟! هذا ما يؤمله النورسى. وهو يرى فى خبر نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض فى آخر الزمان، وأنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير، إشارة إلى عودة المسيحية إلى أصول عقيدتها فى التوحيد، جوهر الإسلام، وجوهر كل الأديان التى سبقته "وبذلك تستأنف حضارة التوحيد نهوضها من جديد.

فمن المعلوم أن " الدين" هو الذى يقود مسيرة الحضارات، فى فجر تاريخها الصادق، ويهيمن عليها، ويعمر ضميرها، ويرسى قواعد سلوكياتها وأخلاقياتها، حتى إذا قويت واشتد ساعدها وعلا ضحاها، ودلفت إلى ظهيرة عمرها، جاء دور العقل لينشر سلطانه فوقها، ويستحكم فيها، ويتحكم بها، وربما صار وثنا يتعبد له الناس من دون الله تعالى.. ثم تمضى فى سيرها حتى تميل شمسها نحو الزوال ثم الغروب، فإذا بالعقل يتخلى عن عرشه، ويتركه للحس ليتربع فوقه ويصبح هذا الحس سيد العقل وسلطانه بعد أن كان خادما له.

وهذا ما جعل ممثل أهل الضلالة والداعية لها يقول[1]: إنى أرى أن سعادة الدنيا، والتمتع بلذة الحياة، والرقى والحضارة، والتقدم الصناعى، هى فى عدم تذكر الآخرة، وفى عدم الإيمان بالله، وفى حب الدنيا، وفى التحرر من القيود، وفى الاعتداد بالنفس والإعجاب بها.. لذا سقت أكثر الناس، ولا زلت أسوقهم -بهمة الشيطان- إلى هذا الطريق.

---

(١) المبحث الثانى من الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين ص ٧٥٥ : ٧٦٣ من الكلمات.

فماذا كان رد الإمام النورسي على طريق الجهاد ليقظة الأمة علميا وتتويج هذا العلم بالإيمان، لحمايته من سيطرة المشاعر والأحاسيس الضالة؟.. هذا ما سنعرفه في العنوان التالي.

الإيمان هو طريق السعادة الحقة:

أيها الإنسان البائس! عد إلى رشدك، لا تصغ إلى داعية أهل الضلالة. ولئن ألقيت السمع إليه، ليكونن خسرانك من الفداحة، ما يقشعر من هول تصوره الروح والعقل والقلب. فأمامك طريقان:

الأول: هو طريق ذو شقاء يريك إياه داعية الضلالة.

الثاني: هو الطريق ذو السعادة الذي يبينه لك القرآن الحكيم. إن طريق الشرك والضلالة يهوى بالإنسان إلى أسفل سافلين، ويلقى على كاهله الضعيف العاجز، عبئا ثقيلا لا نهاية لثقله. لأن الإنسان إن لم يعرف الله سبحانه، ولم يتوكل عليه، يكون بمثابة حيوان فان، يتألم دوما ويحزن باستمرار، ويتعرض لمصائب لا حد لها، ويتجرع فيقاسي ومازال يقاسي، حتى يغادر ما بقى من أحبائه، نهاية المطاف، ويفارقهم جزعا وحيدا غريبا إلى ظلمات القبر.

كيف يحقق ترابط العلم والإيمان رقي الإنسان؟

بينما يقاسي هذا الإنسان من وضعه، وأحوال الدنيا التي يتعلق بها وتنهكه باستمرار. نجده يفسر الأحداث التي تحيط به، من لعب الطبيعة وعبث المصادفة، وليست من تصرف واحد أحد حكيم عليم. فتصبح الزلازل والطاعون والطوفان والقحط والغلاء والفناء والزوال وما شابهها.. مصائب قاتمة وبلايا مزعجة معذبة! فيلقى نفسه في أحضان الغفلة ليبطل شعوره ويخدر إحساسه، ويتصور بسكر الكفر، وجنون الضلالة: أن الدنيا التي هي مضيف الصانع الحكيم، لعبة المصادفة العمياء، وألعوبة الطبيعة الصماء. ويتصور تجديد المصنوعات لتجليات الأسماء الحسنى، وعبورها إلى عالم الغيب، بعد أن أنهت مهامها: كأنها تصب في بحر العدم.. ويتخيل أصوات التسبيح والتحميد التي تملأ الكون: أنينا ونواحا يطلقه الزائلون في

فراقهم الأبدى. ويحسب صحائف هذه الموجودات التى هى رسائل صمدانية رائعة: خليطا لا معنى له ولا مغزى.. ويخال باب القبر الذى يفتح الطريق إلى عالم الرحمة الفسيح: نفقا يؤدى إلى ظلمات العدم .. ويتصور الأجل الذى هو دعوة الوصال واللقاء بالأحباب الحقيقيين: هو أوان فراق الأحبة جميعهم.

نعم! إن الذى يعيش فى دوامة هذه التصورات والأوهام، يلقى نفسه فى أتون عذاب دنيوى أليم، وتذهب جهوده فى طمئنة نفسه سدى، ويسعى هباء وراء رغباته التى لا تحد.. وهكذا تمضى حياته دون أن يجنى ثمرا.

فيا أيها الضالون السفهاء! ترى هل يجدى أعظم علومكم، وأعلى صرح حضارتكم، وأرقى مراتب نبوغكم، وأنفذ خطط دهائكم، شيئا أمام هذا السقوط المخيف المريع للإنسان؟

وأين هو ما تدعونه من "سعادة الحياة" و "كمال الإنسان" و "محاسن الحضارة" و "لذة التحرر"؟!

ألا ما أكثف حجاب السفاهة والسكر، الذى يخدر الشعور والإحساس، وتبا لعقل أولئك الضالين.

كيف يداوى الإيمان جميع جروح الإنسان؟[1]

- إنه يداوى ضعف الإنسان وعجزه واحتياجه، بالتوكل على القدير الرحيم، مسلما أثقال الحياة وأعباء الوجود، إلى قدرته سبحانه وإلى رحمته الواسعة، دون أن يحملها على كاهل الإنسان، بل يجعله مالكا لزمام نفسه وحياته، واجدا له بذلك مقاما مريحا، ويعرفه بأنه ليس حيوان ناطق، بل هو إنسان بحق، وضيف عزيز مكرم، عند الملك الرحمن.
- ويداوى أيضا تلك الجروح الإنسانية، الناشئة من فناء الدنيا وزوال الأشياء، ومن حب الفانيات، يداويها بلطف وحنان، بإظهاره الدنيا دار

(١) ص ٧٥٩ من المرجع السابق (الكلمات).

ضيافة الرحمن، ومبينا أن ما فيها من الموجودات، هى مرايا الأسماء الحسنى، وموضحا أن مصنوعاتها، رسائل ربانية تتجدد كل حين بإذن ربها.. فينقذ بذلك الإنسان من قبضة الأوهام.

- ويداوى أيضا تلك الجروح التى يتركها الموت، الذى يتلقاه أهل الضلالة فراقا أبديا عن الأحبة جميعا، ببيانه أن الموت مقدمة الوصال واللقاء مع الأحباء، الذين رحلوا إلى عالم البرزخ، والذين هم الآن فى عالم البقاء، ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء.
- ويزيل كذلك أعظم خوف للإنسان، بإثباته أن القبر باب مفتوح إلى عالم الرحمة الواسعة، وإلى دار السعادة الأبدية، وإلى رياض الجنان، وإلى بلاد النور للرحمن، مبينا أن سياحة البرزخ التى هى أشد ألما وأشقى سياحة عند أهل الضلالة، هى أمتع سياحة وآنسها وأسرها عند المؤمنين.. إذ ليس القبر فم ثعبان مرعب، بل هو باب إلى روضة من رياض الجنة.

- وهكذا نأتى إلى نهاية ذلك المبحث الذى يصور ناحية من نواحى جهاد الإمام النورسى لانتشال الأمة الإسلامية من التخلف الذى تعيش فيه والذى يتلخص فى:

- "أن الفنون الحضارية هى نور العقل، والعلوم الدينية هى ضياء القلب، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات. وهذا الفكر يشكل أساسا مهما فى التربية والمعارف.

  ومن آرائه: أنه لا يمكن أن يربى جيل نافع للمجتمع، إلا بتربية ومعارف دينية.. ويوضح أن التربية الإلحادية والمادية العقلية، لا ينتج عنها إلا الفوضى فى شباب الغد.

  ويعتقد بديع الزمان: أنه لا يمكن الاستفادة من النواحى الإيجابية من الحضارة الغربية المفيدة للناس، إلا بهذا الفكر التربوى، ويبين أن

الإسلام كان سببا للعلم والترقى، وينادى بضرورة الاستفادة من الحضارة التى هى نتيجة آراء الأمم كلها"[١]

- إن جهاد الإمام النورسى فى إزالة الغبار عن وجه الشريعة الناصع هو فى حد ذاته، جهاد فى ميدان العلم، لأن العلم الدينى هو أشرف العلوم وأقدسها. فماذا يفيد معرفة علوم مبتوتة الصلة بخالقها، مدبر الكون العليم الخبير؟!

بل إن الوصول إلى كنه هذه العلوم حقا، وتحقيق التفوق المطلوب فى استخداماتها، لتحقيق الرفاهية للبشرية، لن يتأتى إلا إذا اقترن ذلك العلم بالإيمان: فماذا يفيد التفوق فى العلوم العسكرية، إذا كان المقصود بها دمار البشرية، وعدم إقامة موازين العدل، وحماية الضعفاء والمظلومين؟!

وماذا يفيد التفوق فى علوم الاقتصاد، إذا كان ملايين البشر يموتون جوعا فى العالم؟!

وماذا يفيد التفوق فى علوم الفضاء، إذا كانت البشر فى الأرض تعانى الشقاء والاغتراب والحروب والمجاعات؟!

وماذا يفيد التفوق فى علم الطب، إذا كان سيتحول إلى استغلال للإنسانية وتجارة فى الأعضاء البشرية؟!

وهذا هو ما جاهد فى سبيله الإمام النورسى بكل ما يملك من علم ويقين وإصرار على تحقيق الهدف: الرجوع بالمسلمين إلى منابع الدين، حيث فيها العلم واليقين، ومعرفة رب العالمين، ومن تلك المعرفة تتفجر ينابيع المعارف الأخرى، وتتحقق الحضارة الحقيقية التى تنشدها البشرية.

فهو الذى قال[٢]:

---

(١) د. سمير رجب محمد. ص ٢٨٠ من الفكر الأدبى والدينى عند الداعية الإسلامى "بديع الزمان سعيد النورسى".

(٢) الموقف الثالث من الكلمة الثالثة والثلاثين. ص ٧٦١ من الكلمات.

• هكذا يتبين مما سبق: بأن طريق الضلالة يردى الإنسان إلى أسفل سافلين، إلى حد تعجز معه أية مدنية كانت وأية فلسفة عن إيجاد حل له، بل يعجز الرقي البشرى، وما بلغه من مراتب العلم، عن إخراجه من تلك الظلمات السحيقة التى فى الضلالة.

• بينما القرآن الكريم يأخذ بيد الإنسان -بالإيمان والعمل الصالح- ويرفعه من أسفل سافلين إلى أعلى عليين، ويبين له الدلائل القاطعة، ويبسط أمامه البراهين الدامغة على ذلك، فيردم تلك الأغوار العميقة بمراتب رقى معنوى، وبأجهزة تكامل روحى.. وكذا ييسر له بسهولة مطلقة رحلته الطويلة المضنية العاصفة نحو الأبدية، ويهونها عليه، وذلك بإبرازه الوسائط والوسائل، التى يمكن أن يقطع بها مسافة ألف سنة، بل خمسين ألف سنة فى يوم واحد.

• وكذا يضفى على الإنسان جلباب العبودية، ويكسبه طور عبد مأمور، وضيف موظف لدى الذات الجليلة، وذلك بتعريفه أن الله سبحانه هو مالك الأزل والأبد، فيضمن له راحة تامة فى سياحته فى الدنيا المضياف، أو فى منازل البرزخ فى ديار الآخرة.. فكما أن الموظف المخلص للسلطان، يتجول بيسر تام فى دائرة مملكة سلطانه، ويتنقل من تخوم ولاياته بوسائط سريعة، كالطائرة والباخرة والقطار، كذلك الإنسان المنتسب بالإيمان إلى المالك الأزلى، فإنه يمر بالعمل الصالح، من منازل الدنيا المضياف، ومن دوائر عالمى البرزخ والحشر، ومن حدودهما الواسعة الشاسعة، بسرعة البرق والبراق حتى يجد السعادة الأبدية .. فيثبت القرآن الكريم هذه الحقائق إثباتا قاطعا، ويبرزها عيانا للأصفياء والأولياء.

ندعو الله أن يتقبل جهاد النورسى، وأن يوقظ المسلمين من سبات غفلتهم، فينفضوا عن كاهلهم غبار الجهل والتخلف، ويسارعوا إلى الاغتراف من معين العلم، فيجمعوا بين سعادتى الدنيا والآخرة، وينقذوا الإنسانية بأسرها من حتف المصير الذى ينتظرها..

المبحث الثالث

قواعد البحث العلمى لتحقيق اليقظة المطلوبة

يمثل هذا المبحث: ذروة جهاد النورسى فى تحقيق اليقظة العلمية للمسلمين، حيث يبلور الخطوات العملية الواجب عليهم اتباعها، لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، حيث تميل الأجيال الحاضرة والمرشحة للمستقبل، إلى التحرى عن الحقيقة القائمة على البراهين القاطعة، المدعمة من العقل والحق والحكمة.

وقد ضمن جزء كبير من تلك الخطوات، فى كتاب يحمل عنوان: "صيقل الإسلام" أو محاكمات عقلية. ووصفه بأنه "رجته العلماء"، تشمل وصفة طبية: لعصر مريض، وعنصر عليل، وعضو سقيم.

ولا شك أن العنوان يوضح المضمون، حيث الهدف هو: وضع قواعد أساسية للبحث فى حقيقة الإسلام وجوهره السامى، عن طريق الإقناع العقلى، القائم على التحقيق العلمى، بتفسير ما أشار إليه القرآن، من علم السماء وعلم الأرض وعلم البشر. بما يتفق مع آخر ما توصل إليه العلم، من حقائق ثابتة وبراهين قطعية لا تقبل الشك أو الجدل. ولذلك يتناول هذا المبحث ثلاث نقاط رئيسية:

أولا: الاهتمام بالبحث العلمى ضرورة عقائدية.

ثانيا: أصول التحقيق العلمى.

ثالثا: نواحى الاجتهاد المطلوبة فى عصرنا الحاضر.

وسنتناول كل نقطة من تلك النقاط بعون الله، وبما يفيض علينا به، من فهمنا لبعض مراد الإمام النورسى، فى ذلك الجانب من رسائل النور.

أولا: الاهتمام بالبحث العلمى ضرورة عقائدية

يرى الإمام النورسى: أن البحث العلمى الجاد، أصبح ضرورة عقائدية، تفرضها متطلبات العصر، وحالة التخلف التى تعيشها أمة الإسلام.

وعى كل مسلم غيور -كل فى مجال تخصصه- أن يجتهد فى إزاحة تلك العقبة الكئود، التى تحول دون بزوغ الإسلام، واستيلاء الشريعة استيلاء تاما على وجه العالم، كما حدث فى القرون الأولى لظهور الإسلام.. ألا وهى توهم وجود تناقض بين الإسلام وحقائق العلوم، التى أظهرها التطور العلمى فى القرون الأخيرة.

ويؤكد النورسى: أن هذا التطور هو فى صالح الشريعة، لأن الإسلام هو سيد العلوم ومرشدها -كما بينا فيما سبق- وأن دور العلماء النابغين، هو الاستفادة مما وصلت إليه البشرية من التطور العلمى، وتطويعه لإظهار عظمة الإسلام ونبوغه .. وهذا ما جعل البحث العلمى الجاد، ضرورة عقائدية، لكل من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا رسولا، ولكل من وهبه الله نعمة الإيمان، والتفوق فى ناحية من ميادين العلوم المادية.

ونفصل ذلك الإجمال بأقوال الشيخ رحمة الله تعالى عليه ورضوانه:

أسباب تخلف المسلمين:[1]

لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه، وحصرنا النظر فى قشره وظاهره. وأسأنا الفهم، فأسأنا الأدب معه، وعجزنا عن أن نوفيه حقه، حق الإيفاء، وما يستحقه من الاحترام، حتى رغب عنا ونفر منا، وتستر بسحائب الأوهام والخيالات "والحق معه: إذ أنزلنا الإسرائيليات منزلة أصوله، وأدخلنا الحكايات فى عقائده، ومزجنا مجازاته بحقائقه. فبخسنا حقه، فجازانا بالإذلال والسفالة فى الدنيا وتدنى الأمة.. ولا خلاص لنا، إلا باللواذ برحمته، والاعتصام بحبله المتين.

أعلن بلا حرج ولا تردد: أن الذى دفعنى وشجعنى إلى مبارزة أفكار العصور الخوالى، والتصدى للخيالات والأوهام، التى تقوت واحتشدت منذ مئات السنين.. إنما هو اعتقادى ويقينى بأن: الحق سينمو، نمو البذرة النابتة وإن تسترت تحت التراب، وأن أهله سينتصرون، وإن كانوا قلة وضعفاء

---

(١) من محاكمات عقلية ص ٢٢ : ٢٤ من صيقل الإسلام.

بظلم الأحوال.. واعتقادى: أن حقيقة الإسلام هى التى ستسود قارات العالم وتستولى عليها.

نعم! إن الإسلام هو الذى سيعتلى عرش الحقائق والمعارف، فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام.. الإمارات تبدو هكذا.. ذلك لأن الذى حال دون استيلاء الشريعة الغراء، استيلاء تاما فى القرون الأخيرة، فى تلك الصحراء الموحشة، والجهل المطبق الذى تربع على عرشه التعصب الذميم، وضرب فيه التقليد أطنابه.. هى أمور ثمانية، وقد محقت -وكذلك الآن تمحق- ثلاث حقائق.[1]

أما الموانع التى فى الأجانب فهى: التقليد والجهل وتعصبهم وسيطرة القسس عليهم.

أما الموانع التى عندنا فهى: الاستبداد المتنوع وسوء الخلق، والأحوال المضطربة، واليأس الذى تنجم منه العطالة.

أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع، والبلاء النازل: فهو توهمنا، نحن والأجانب، بخيال باطل. وهو: وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم.[2]

فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخ بخ لعناء العلوم الغيورة، اللتين أمدتا تحرى الحقائق، وشحنتا الإنسانية، وغرستا ميل الإنصاف فى البشرية، فجهزتا تلك الحقائق بالأعتدة لدفع الموانع، فقضت وستقضى عليها قضاء تاما.

نعم! إن أعظم سبب سلب منا الراحة فى الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو: سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم.

---

(١) عرضنا تلك الموانع التى أدت إلى كسوف شمس الإسلام فى الفصل الأول بتفصيل أكبر. (الباحثة).

(٢) ناقشنا كيف أزال الإمام النورسى ذلك التناقض فى الفصل الثانى.

ولكن، يا للأسف.. هذا الفهم الخطأ، قد أجرى حكمه إلى الوقت الحاضر، فألقى بشبهاته في النفوس، وأوصد أبواب المدنية والمعرفة، في وجه كثير من المسلمين، لأنهم ذعروا من توهم المنافاة بين ظواهر من الدين لمسائل من العلوم.

– لذلك فإن الهدف الأساسي من كتابة "صيقل الإسلام" هو وضع قواعد البحث العلمي أمام العلماء المخلصين. وذلك كما قال الشيخ: اعلم! أن ما أريد أن أسديه بهذا الكتاب من خدمة هو: رد شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلام حقه، بإظهار الطريق المستقيم الذي عليه الإسلام، ودفع أوهام أهل الإفراط والغلو، المغرمين بظاهر الإسلام دون حقيقته، والذين يستحقون لقب "الصديق الأحمق" ببيان الجانب الآخر من ذلك الطريق السوي.. وإمداد علماء الإسلام الأوفياء الصادقين العقلاء، وهم المرشدون الحقيقيون الأصلاء، الذين يسعون في إظهار هذا الصراط القويم، يحدوهم الأمل الكامل في النصر، ويمهدون السبيل إلى مستقبل عالم الإسلام الزاهر.

تلاحق الأفكار ودوره في الرقي والنمو:

يرى الإمام النورسي: أن التطور العلمي يساعد على فهم أكبر وأعمق لشريعة الإسلام، ولا يعني الاستغناء عنها.. وهذا يعني تأصيل المسئولية على الباحثين المسلمين، بملاحقة ذلك التطور، لأن هذا سيعطيهم قوة ووضوحا في براهينهم، على عظمة الإسلام وقوته الحقيقية، المدعمة بالمعرفة والمدنية. فيقول الشيخ رحمه الله:[١]

قد يكون بديهيا في الحاضر ما كان نظريا في الماضي[٢].. ففي العالم ميل للاستكمال، وبه يتبع العالم قانون التكامل. ولأن الإنسان من ثمرات العالم وأجزائه، ففيه كذلك ميل إلى الترقي المستمد من الميل للاستكمال.. وميل الترقي هذا ينمو ويترعرع مستمدا من تلاحق الأفكار،

---

(١) محاكمات عقلية ص ٣٢، ٣٣ من صيقل الاسلام.

(٢) البديهي ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال. والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال. (مترجم الكتاب).

الذى ينبسط بتكمل المبادئ واكتمال الوسائل. وتكمل المبادئ يلقى- من صلب الخلقة-بذور علوم الأكوان ملقحا رحم الزمان، التى تربى تلك البذور وتنبتها، فتستوى بالتجارب المتعاقبة التدريجية.

وبناء على هذا: فإن مسائل كثيرة فى هذا الزمان، قد أصبحت فى عداد البديهيات والعلوم المعتادة، بينما كانت فى السابق أمورا نظرية شديدة الخفاء والغموض، ومحتاجة إلى سرد البراهين.. وهكذا نرى كثيرا من مسائل الجغرافية والفلك والكيمياء والهندسة العملية، يعرفها حتى صبيان هذا الزمان، علما أنها كانت نظرية وخفية على "ابن سينا" وأمثاله من الفلاسفة. مع أنه لو وزن "أبو الفلسفة" بمئات من فلاسفة هذا الزمان، لرجحهم فى الذكاء ودقة الفكر وكمال الحكمة وسعة القريحة. فالنقص إذن ليس فى "ابن سينا" فهو ابن الزمان، بل فى أبيه الزمان[١].

أليس بديهيا أنه لو لم تكتشف الدنيا الجديدة (أمريكا) -واشتهر بذلك كولومبس- لاقتدر على اكتشافها وإلحاقها بهذه الدنيا القديمة أبسط الملاحين؟! إذ بدلا من تبحر فكر المكتشف الأول واقتحامه الهالك، تكفى الآن سفينة صغيرة وبوصلة..

ومع هذا يلزم أخذ الحقيقة الآتية بنظر الاعتبار وهى:

أن المسائل قسمان:

قسم يؤثر فيه تلاحق الأفكار: وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

والقسم الثانى: لا تأثير لتلاحق الأفكار فيه من حيث الأساس: وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية.

---

(١) لا شك أن الشيخ يلمح بهذا: أن مشكلة المسلمين الحالية ليست فى الزمان، فهو قد وضع بين أيديهم أحدث التطورات العلمية، ولكن المشكلة فى تقاعسهم عن البحث العلمى، وتسخير عقولهم فى إزالة الأوهام، بوجود تناقض بين الاسلام وحقائق العلوم.. وهو يحثهم على بذل الجهد لتحقيق التقدم المنشود.

ولكن على الرغم من أن تلاحق الأفكار، لا يغير ماهية هذا القسم الثانى، ولا يكمله ولا يزيده، إلا أنه يفيض وضوحا وظهورا وقوة فى مسالك براهينه.

ويجب ملاحظة ما يأتى: أن من توغل كثيرا فى شئ، أدى به فى الغالب إلى التغابى فى غيره.. فبناء على هذا: من متوغل فى الماديات، تبلد فى المعنويات وظل سطحيا فيها .. أى لا يكون حكم الحاذق فى الماديات حجة فى المعنويات، بل غالبا لا يستحق سماعه. والذى يلجأ إلى ذلك، فهو إعلان عن سكتة القلب الذى هو اللطيفة الربانية، وعن سكرات العقل الذى هو الجوهر النورانى.

نخلص من ذلك: إلى أن الإمام النورسى يدعو علماء المسلمين المخلصين، أن يغترفوا من العلوم الدينية ما وسعهم الجهد، لأنها أشرف العلوم وأقدسها، وفى نفس الوقت يتابعون أحدث التطورات العلمية-كل فى مجال تخصصه-بحيث يستخدمون ذلك التطور العلمى، فى بيان عظمة القرآن وسبقه فى مجال تلك الاكتشافات. أى أن تعمق علماء المسلمين فى البحوث العلمية، هو نوع من كشف بعض الأستار عن الكنوز القرآنية. مما يدعم عقيدة المسلمين فى مواجهة الملحدين، ويقنع العالم أجمع بالبراهين العقلية والأدلة المنطقية، بمدى رقى الشريعة الإسلامية، وما تحويه من المعرفة والمدنية الحقيقية.

البحث العلمى يفرض نفسه على أبناء الحاضر والمستقبل:

يرى الإمام النورسى: أن التطور العلمى أدى إلى تحرر الفكر من الخيالات والأوهام، وسيئات استبداد الأحاسيس، وبالتالى فإن جيل الحاضر والمستقبل لن يقنع إلا بالأدلة المنطقية والبرهان العقلى.. وهذا يضيف بعدا جديدا إلى ضرورة البحث العلمى الجاد، القائم على عدم الانحياز، حتى تظهر الحقيقية واضحة جلية. ويقول فى ذلك[1]:

---

(١) المقدمه الثامنة من محاكمات عقلية ص ٤٩ : ٥٢ من صيقل الاسلام.

إن الماضى مدرسة الأحاسيس والمشاعر المادية، بينما المستقبل هو مدرسة الأفكار والبرهان بدلا من السفسطة.. لذلك فإن الإقناع الخطابى كان كافيا لإرشاد أهل الزمن الماضى. أما مصدر تبخر حقائق الحكمة فى الوقت الحاضر، فهو الأفكار والعقل والحق والحكمة، مما ولد التحرى عن الحقيقة وعشق الحق.. لذا لا يثبت المدعى بغير البراهين القاطعة.. فنحن أبناء الحال الحاضرة والمرشحين للمستقبل، لا يشبع أذهاننا تصوير المدعى وتزيينه، بل نطلب البرهان.

ولما كان المهيمن: هو الحق والبرهان والعقل والشورى فى خير القرون وعصور السلف الصالح.. لم يك للشكوك والشبهات موضع فى تلك القرون (القرن الأول حتى الخامس). أما بعد القرن الخامس إلى الآن، فقد تغير الوضع، حيث تأسست المسالك والمذاهب غالبا على التعصب وتضليل الآخرين وغلبت القوة الحق.

ولكن نرى أنه بفضل انتشار العلوم فى الوقت الحاضر، وهيمنته بصورة عامة، سيكون فى المستقبل –إن شاء الله– المهيمن هو الحق بدلا من القوة، والبرهان بدلا من التعصب والسفسطة، والحمية بدلا من الأحاسيس المادية، والعقل بدلا من الطبع، والهدى بدلا من الهوى. وهذا يبشر بأن الإسلام الذى هو الإنسانية الكبرى، سيسطع كالشمس فى رابعة النهار، فى سماء المستقبل لسببين رئيسيين:

- أولهما: من محاسن سلطان الأفكار: أن تخلصت شمس الإسلام مما كان يحجبها، من غيوم الأوهام والخيالات. بل أخذت كل حقيقة منها تنشر نورها، حتى المتعفنين فى مستنقع الإلحاد، أخذوا يستفيدون من ذلك النور.
- ثانيهما: من محاسن مشاورة الأفكار: تأسس المعتقدات والمسالك على البراهين القاطعة، وربط الحقائق بالحق الثابت الممد للكمالات كلها. مما يؤدى إلى عدم تمويه الأفكار وخداعها، بإلباس الباطل لباس الحق!

وأقسم بالقرآن العظيم، ذى الأسلوب الحكيم، أنـه مـا ألقـى النصـارى وأمثـالهم فـى وديـان الضلالـة، نافخـا فيهـم الهـوى، إلا عـزل العقـل وطـرد البرهان وتقليد الرهبان.

ومـا جعـل الإسـلام يتجلـى دومـا، وتتكشـف حقائقـه وتنبسـط، بنسـبة انبسـاط أفكـار البشـر، إلا تأسسـه علـى الحقيقـة وتقلـده البرهـان ومشـاورته العقل، واعتلاؤه عرش الحقيقة، ومطابقتـه دسـاتير الحكمـة، المتسلسلة مـن الأزل إلى الأبد، ومحاكاته لها.

وهكذا فالوضع الحاضر يبشرنا بلسان الحال أن مضمون: ﴿**جاء الحق وزهق الباطل**﴾ (**الإسراء ٨١**). قد اشرأب بعنقه، ويشير بيده إلى المستقبل، مناديـا علماء المسلمين: هلموا يا أولى الألباب، انفذوا من الظاهر إلى الحقيقة فهـى تنتظركم. ولن يتسنى لكم ذلك إلا بـالبحث العلمـى، الـذى أصبـح ضـرورة عقائدية، تفرضها ظروف الحاضر والمستقبل.

ثانيا: أصول التحقيق العلمى

يضـع الإمـام النورسـى أصـولا وقواعـد، لتصحيـح منهـاج البحـث العلمى، ولتكون منهاجا يلتزم به الباحث الحق، حتى ينجح فى الوصول إلـى الحقيقـة، نجاحـا يليـق بمقـام الدعوة الإسـلامية، ومـا تتسـم بـه مـن غـزارة الأفكـار، وعمـق المعـانى، والأدلـة المنطقيـة، التـى تخـاطب بهـا النفـوس والعقول مهما تعددت مشاربها، وتفاوتت مراتبها.

وسنحاول-بإذن الله تعالى-أن نلخص أصـول التحقيـق العلمـى، فـى تلك النقاط المحددة، والله الموفق والمستعان:

١- اتباع المنهج القرآنى فى إثبات الحقائق:[1]

إن القرآن الكريم الذى هو معجز، وفى أسمى بلاغة وأرفعها، يسـلك بلا ريب أوضـح طـرق الاستدلال وأصوبهـا وأقصرهـا، وأوفقهـا لأسـاليب اللغة العربية، أى أنه يراعى حسيات العـوام لأجل إفهـامهم وإرشـادهم، أى

(١) محاكمات عقلية ص ٢٩ : ٣١ من صيقل الاسلام.

يذكر الدليل وهو انتظام الكون، بوجه يكون معروفا لديهم، وتأنس به عقولهم.. وبخلافه يكون الدليل أخفى من المدعى، مما ينافى طريق الإرشاد ومنهج البلاغة، ومذهب الإعجاز.

ولما كان من الأصول المقررة أنه: إذا تعارض العقل والنقل، يعد العقل أصلا ويؤول النقل، ولكن ينبغى لذلك العقل أن يكون عقلا حقا.

فإن مهمة الباحث الحق: أن يصل بعقله أولا إلى درجة من النضج والوعى، تؤهله لفهم كنوز القرآن إلى أقصى مدى، ثم تسخير هذا النضج، فى توصيل الحقائق القرآنية، إلى عقول الناس بما يتفق ودرجة فهمهم، واستيعابهم لتطور علوم العصر.

وبهذا يتوحد مقصد الباحث المؤمن، مع مقاصد القرآن الكريم فى النواحى التالية:

الأولى: إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره. فكل باحث متعمق فى شريعة دينه، متعمق فى مجال تخصصه، يمكنه أن يعرض جمال الخلق إلى أنظار الحكمة. حتى لكأن كل مصنوع، لسان يسبح بحكمة صانعه، وكل نوع يشهد، مشيرا بإصبعه إلى حكمة الصانع.

الثانية: إظهاره أن الإسلام زبدة العلوم الحقيقية، حيث أن كلا من الأفراد، موضوع وخلاصة لعلم من العلوم الحقيقية.

الثالثة: إثبات تطابق الإسلام، مع القوانين والنواميس الإلهية الجارية فى العالم، وانطباقه عليها، لينمو الإسلام ويترعرع، بإمداد تلك النواميس الفكرية، حيث أن كل فرد من الكائنات نموذج لنوع.

نعم! إن الإسلام، الدين المبين، يتميز بهذه الخاصية عن سائر الأديان المترددة بين الهوى والهوسات، لفقدانها الجذور العميقة الممدة لها، فتارة تضئ وأخرى تنطفئ، وتتغير بسرعة، أما الإسلام فكلما ازداد الإنسان علما، ازداد قربا من ربه وخشية له.

الرابعة: توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء، والحث عليها والتنبيه إليها، من حيث أن كل فرد منها، نموذج لحقيقة من الحقائق.

هذا هو المطلوب من الباحث المسلم، حتى تصدق عليه مقولة: "فى عصرنا الحاضر يقاس مداد العلماء بدماء الشهداء". فالجهاد العلمى هو جهاد عصرنا الحالى، حيث فتن الناس بالنهضة العلمية، وما صحبها من تطورات مذهلة، لذلك أصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة، على أن يكون معروفا، أن العلوم الدينية هى أشرف العلوم وأقدسها، ولن يتحقق لباحث مسلم، رقيه المعنوى والمادى، بدون هذه الحقيقة.

٣- القرآن لا يفسره إلا القرآن والسنة:[١]

لكى يحقق البحث العلمى مبتغاه وأهدافه، يجب أن يكون قائما على قواعد راسخة.. ومن هذه القواعد الهامة: هى البحث عن الحقيقة فى الصدف والدر، لا فى القشر والأخلاط.. فدخول طائفة من الإسرائيليات، وقسم من الفلسفة اليونانية، ضمن دائرة الإسلام، وظهورها بزى الدين الجميل، حملت معها شيئا من العفونات، وتداخلت فى أفكار العرب الصافية، فشوشت الأفكار إلى حد ما، وفتحت طريقا من التحقيق إلى التقليد، لأن المفتونين بالظاهر، الذين لم يجدوا -بسوء اختيارهم- مصدرا غيرها، ولم يتحروا عنها، فسروا قسما من الآيات والأحاديث، بتطبيق الإسرائيليات عليهما.. كما أنها صرفتهم عن الاستنباط بقرائحهم الفطرية، من معدن ماء حياة الإسلام. بالتتلمذ على الفلسفة اليونانية المانعة للكمال.

وإصلاح ذلك: أن الذى يفسر القرآن، ليس إلا القرآن والحديث الصحيح.. ولا يمكن تفسير القرآن بالإنجيل والتوراة المنسوخة أحكامهما والمحرفة قصصهما.

كلا.. ثم كلا! لأن مصداق الكتاب المبين: إعجازه. والقرآن يفسر بعضه بعضا، ومعناه فيه، وصدفه در مثله لا قشر. وحتى لو فرض أن

---

(١) محاكمات عقلية ص ٣٤ : ٣٧ من صيقل الاسلام.

القصد من إظهار هذه المطابقة: هو تزكية الشاهد الصادق، فهو عبث أيضا. إذ القرآن المبين أسمى وأغنى من أن يفتقر إلى تزكية العقل والنقل، اللذين ألقيا إليه المقاليد، لأنه إن لم يزكهما فشهادتهما لا تسمع.

نعم! يجب البحث عن الثريا فى السماء لا فى الأرض. فابحث عن معانى القرآن فى أصدافه، لا فى جيبك الحاوى على أخلاط، فإنك لن تجد شيئا، وحتى لو وجدت، فالقرآن يرفضه.

ومن المقرر: أن المعنى هو ما صبته الألفاظ فى الذهن، منتشرا إلى الوجدان، مفتحا منه أزاهير الأفكار. وليس هو ما تسرب فى خيالك من احتمالات، لكثرة توغل أمور أخرى، أو ما سرقته وملأت به جيبك، من أباطيل الفلسفة وأساطير الحكايات، ثم أخفيته فى معاطف الآيات والأحاديث، ثم أظهرته ممسكا به فى يدك تبرزه وتنادى: هذا هو المعنى، هلموا لأخذه"!!

فيأتيك الجواب: يا هذا! إن المعنى الذى استخرجته مزيف، عليه علامة التقليد، يرده نقاد الحقيقة، وطالب الحقيقة لا يقبله منك حتما. إذ يقول لك: إن معنى الآية در، وهذا مدر، ومفهوم الحديث مهج، وهذا همج.. فالملائكة توحى أرواح الحقائق إلى القلب والوجدان، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. إن الإفراط والتفريط كلاهما مضران، وربما التفريط أكثر ضررا، إلا أن الإفراط أكثر ذنبا، لأنه يسبب التفريط.

نعم! لقد فتح باب السماح بالإفراط، فاختلطت الأشياء المزيفة بتلك الحقائق الرفيعة. ولما شاهد أهل التفريط والنقد غير المنصفين، هذه المزيفات بين تلك الحقائق التى لا تقدر بثمن، ذعروا واشمأزوا، وظنوها كلها مزيفة تافهة ملوثة، ظلما وإجحافا "كلا وحاشى لله..

ترى لو وجدت نقود مزيفة فى كنز، أدخلت إليه من الخارج، أو لو شوهد تفاح فاسد سقط إلى بستان من غيره، أمن الحق والإنصاف عد الكنز كله مزيفا، أو البستان كله فاسدا، ومن ثم تركهما لأنهما ملوثان معيوبان مشوبان؟!

كيف يمكن إصلاح تراكمات أخطاء الباحثين المسلمين؟

إن لكل زمان حكمه، والزمان كذلك مفسر. أما الأحوال والأحداث فهى كشافة. وإن الذى يستطيع أن يكون أستاذا على الأفكار العامة، هو الأفكار العلمية العامة أيضا.

فبناء على هذا: أريد تشكيل مجلس شورى علمي، منتخب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص فى علم. ليقوموا بتأليف تفسير للقرآن الكريم بالشورى بينهم، تحت رياسة الزمان، الذى هو مفسر عظيم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة فى التفاسير، ويهذبوها ويذهبوها.

وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة فى كل شئ، والأفكار العامة مراقبة، وحجية الإجماع حجة عليه.

٣- معالم محددة لرؤية الحقيقة مجردة:

يرى الإمام النورسى أن مواصفات البحث العلمى الذى يحقق الترقى للبشرية: أن يكون أساسه مبنيا على الحقيقة مجردة، وهذا يتأتى عن طريق التحقيق العلمى، البعيد عن الهوى أو الخيال، والقائم على دعائم ثابتة من التواريخ الصحيحة، والأقوال الثابتة، الموزونة بميزان المنطق.

وفى هذا يقول الإمام النورسى[١]:

يا من يريد رؤية الحقيقة مجردة! انعم النظر فى كلامى هذا، لأن باب الخرافات ينفتح من هذا الموضع، وباب التحقيق العلمى ينسد به.. زد على ذلك، أنه فى هذه الأرض القاحلة الجرداء، يضيع على الإنسان أخذ العبرة من القصة، ويفوته البناء على أسس المتقدمين، كما يمليه الترقى، ولا يتجرأ على التصرف فى ميراث الأسلاف ولا الزيادة.

فبناء على أن الشهرة تملك الإنسان ما لا يملك. واستنادا إلى القاعدة المشهورة "إذا ثبت الشئ ثبت بلوازمه". يضطر الناس إلى إسناد قوة عظيمة، وعظمة فائقة، وذكاء خارق، وأمثالها من لوازم خوارق العادات إلى ذلك الشخص الشهير، ليوائم ما فى خيالهم؛ أو من باب إسناد الشئ

---

(١) محاكمات عقلية ص ٣٨، ٣٩ من صيقل الاسلام.

الغريب، إلى من اشتهر بجنسه لإظهاره أصيلا. أى لأجل أن يروج الكلام، أو لئلا يكذب، أو لأغراض أخرى.

ومن هذا العرق تنبت الخرافات والموضوعات، ومنه تتفرع، وهو الذى يزيل قوة الصدق فى أصل الكلام.

ولذلك فإن إسناد قسم من الأحاديث الموضوعة، إلى "ابن عباس" ﷺ وأمثاله من الصحابة الكرام، لأجل الترغيب أو الترهيب-إثارة للعوام وحضا لهم-إنما هو جهل عظيم.

نعم! إن الحق مستغن عن هذا، والحقيقة غنية عنه.. فنورهما كافيان لإنارة القلوب. تسعنا الأحاديث الصحيحة، المفسرة الحقيقية للقرآن الكريم، ونثق بها، ونطمئن إلى التواريخ الصحيحة الموزونة بميزان المنطق. ولهذا يلزم للباحثين فى التراث الإسلامى مراعاة النقاط التالية:

- إن إحساننا يزيد على الإحسان الإلهى ليس بإحسان.
- إن حبة من حقيقة تفضل بيدرا من الخيالات.
- الاطمئنان والقناعة بالإحسان الإلهى فى التوصيف فرض.
- يجب ألا يخل بنظام المجتمع من كان داخلا فيه.
- أصل الشئ تبينه ثمرته.. وشرف الشئ فى ذاته لا فى نسله.
- إذا اختلطت فى بضاعة، بضاعة أخرى، فإنها تنقص من قيمة الأولى، وإن كانت الثانية قيمة ونفيسة، بل تسبب حجزها.

٤- أسباب نجاح المحقق للوصول إلى الحقيقة:

تكلم الإمام النورسى كثيرا، عما يجب أن يتحلى به الباحث لكى يصل إلى الحقيقة، التى تفيد الشريعة وتدفعها قدما إلى الإمام، ويعلو بها بنيان الدعوة الإسلامية لتبلغ عنان السماء، وتسطع من جديد شمس الإسلام، تملأ الدنيا علما وحبا وعدلا وإخاء.. ونوجز فيما يلى تلك المبادئ التى تكلم عنها النورسى[1]:

(١) محاكمات عقلية ص ٤٠ : ٤٨ ، ص ٥٨ : ٦٩ من صيقل الاسلام.

- لا ينبغي الحكم على أي شئ بظاهره:

إذ من شأن المحقق سبر غور الموضوع.. والتجرد من المؤثرات الزمانية.. والغوص في أعماق الماضي.. ووزن الأمور بموازين المنطق.. ووجدان منبع كل شئ ومصدره.

- يجب أن يكون للمعنى الحقيقي ختم خاص وعلامة واضحة متميزة:

والمشخص لتلك العلامة، هو الحسن المجرد الناشئ من موازنة مقاصد الشريعة، بلا تفريط أو إفراط.. فإن ميل التفريط من شأنه حمل كل شئ على الظاهر، حتى لينتهي الأمر تدريجيا إلى نشوء مذهب الظاهرية مع الأسف.. وأن حب الإفراط من شأنه النظر إلى كل شئ بنظر المجاز، حتى ينتهي الأمر تدريجيا إلى نشوء مذهب الباطنية الباطل. فكما أن الأول مضر، فالثاني أكثر ضررا منه بدرجات.

والذي يبين الحد الأوسط، ويحد من الإفراط والتفريط: إنما هو فلسفة الشريعة مع البلاغة، والحكمة مع المنطق.

- لا ينبغي التحكم في الرأي:

إذ من المسلمات: أن الماهر في مهنة الهندسة، ربما يكون عاميا وطفيليا في مهنة أخرى كالطب، ودخيلا فيها.

ومن القواعد الأصولية: أنه لا يعد من الفقهاء من لم يكن فقيها، وإن كان مجتهدا في أصول الفقه، لأنه عامي بالنسبة إليهم. فمن ادعى الكل فاته الكل. لأن لكل علم صورة حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية. إذ المتخصص في علم، إن لم يجعل سائر معلوماته متممة وممده له، تمثلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة.. فالعلاج هو: اتخاذ المرء أحد العلوم أساسا وأصلا، وجعل سائر معلوماته حوضا تخزن فيه. لأن يد عناية الحكمة الإلهية، أودعت في البشر استعدادات وميولا مختلفة. وقد دخل أسلافنا جنان العلوم بالعمل على وفق تقسيم الأعمال.

- المبالغة تشوش الأمور وتبلبلها:

ولذلك يجب على كل محب للدين وعاشق للحقيقة: الاطمئنان بقيمة كل شئ، وعدم إطلاق الكلام جزافا، وعدم التجاوز. إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلهية، وهى فقدان الثقة بالكمال والحسن فى العالم، واستخفاف بهما. وهذا ما ألجأ الإمام الغزالى إلى القول: "ليس فى الإمكان أبدع مما كان".

- العاجز عن التمييز يجانب الحق ويغترب عنه:

قد يتضمن الكلام الواحد أحكاما عدة، وربما يحوى الصدف الواحد كثيرا من الدرر. فلكل آية ظهرا وبطنا، ولكل منها حد ومطلع، ولكل منهما شجون وغصون. كما ورد حديث شريف بهذا المعنى[1]. والشاهد الصادق عليه: العلوم الإسلامية.

ولا بد من التمييز حتى لا تنتج نتائج عكسية، كما لو مزجت دائرة الأسباب بدائرة الاعتقاد، فتتولد البطالة والكسل تحت اسم التوكل.. أو ينتج مذهب الاعتزال، باسم مراعاة الأسباب.

- من لم يجد اللب ينهمك فى القشر:

فمن لم يعرف الحقيقة، يزل إلى الخيالات. ومن لم ير الصراط المستقيم، يقع فى الإفراط والتفريط.. ومن لا يملك ميزانا ولا موازنة له، يخدع وينخدع كثيرا.

إن أحد الأسباب المولدة للفوضى، والموقعة فى الاختلافات، والموجدة للخرافات، والمنتجة للمبالغات -بل أهم سبب لها- هو عدم القناعة والاطمئنان بما خلق فى العالم، من حسن وعظمة وسمو، وذلك بسبب الألفة -التى هى أخت الجهل المركب، وأم النظر السطحى- والتى عصبت عيون المبالغين.

---

(١) (أنزل القرآن على سبعة أحرف) رواه أحمد والترمذى عن أبى ﷺ. وأحمد عن حذيفة، وهو عند الطبرانى من حديث ابن مسعود بزيادة.. وفى رواية أخرى عنده: (لكل حرف منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع) ومعنى لكل حد مطلع: أى لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. (باختصار عن كشف الخفاء للعجلونى ١/٢٠٩).

ولا يفتح تلك العيون المعصوبة، إلا أمر القرآن الكريم، بالتدبر والتأمل فى الآفاق والنفس المألوفتين.

- شأن الشريعة الفناء فى الصنعة:

والإنسان بمخالفته هذه الشريعة، يخل بالصنعة ويخل بنواميسها، ويشوه صورة الصنعة التى تشبث بالقيام بها، بميله الكامن للصنعة الأخرى، لعدم الامتزاج بين الميل والصنعة. فمن يجعل العلم المشوق المرشد الناصح اللطيف، وسيلة قسر وإكراه، لاستبداده وتفوقه.. فإنه بذلك بدلا من أن يخدم العلم يستخدمه. وعلى هذا فقد دخلت الوظائف بيد من ليسوا أهلا لها.

وبهذا يدعو الإمام النورسى أن يكون الباحثون متخصصين، ومن أولى الألباب، يدفعهم العقل والإخلاص، إلى خوض بحار العلم، وكشف أستار المجهول للعوام من الناس، وبهذا يسدون إلى الشريعة حقها من التبجيل القائم على الفهم الواعى العميق.

ثالثا: نواحى الاجتهاد المطلوبة فى عصرنا الحاضر

كتب الإمام النورسى رسالة فى الاجتهاد، وهى تدور فى معظمها حول أحاديث النبى ﷺ: أن الاجتهاد التزام، ولا اجتهاد مع النص. فالاجتهاد إذا أحل المحرمات أصبح محدثة. وهو ليس تزيدا فى الدين، مبعثه الهوى والغرض وحب الدنيا والسعى وراء مناصبها والحرص على كراسيها الزائفة.

إنما الاجتهاد الذى يدعو إليه الإسلام: هو القائم على الوعى العميق بأمور الدين، بحيث يستخلص من أساسيات الشرع، بعض الأحكام التى تناسب ما يستحدث فى المجتمعات، من تطورات علمية أو أحداث اجتماعية جديدة.

ونسجل هنا بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى تحدد ملامح الاجتهاد فى المجتمعات الإسلامية[١]:

- عن ابن مسعود ﷺ قال: الاقتصاد فى السنة أحسن من الاجتهاد فى البدعة. **(رواه الحاكم موقوفا وقال إسناده صحيح على شرطهما).**
- عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. **(رواه البخارى ومسلم).**
- عن عمرو بن عوف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لبلال بن الحارث يوما: اعلم يا بلال. قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: اعلم أن من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى، كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه من آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا. **(رواه الترمذى وابن ماجه).**
- عن سهل بن سعد ﷺ أن النبى ﷺ قال: إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح. فطوبى لعبد جعله الله ﷻ مفتاحا للخير مغلاقا للشر. وويل لعبد جعله مفتاحا للشر مغلاقا للخير. **(رواه ابن ماجه).**

فماذا قال الشيخ عن الاجتهاد؟[٢]

قال: إن باب الاجتهاد مفتوح، إلا أن هناك ستة موانع فى هذا الزمان تحول دون الدخول فيه.[٣]

أولها: كما تسد المنافذ حتى الصغيرة منها، عند اشتداد العواصف فى الشتاء، وكما لا تفتح ثغور لترميم الجدران وتعمير السدود، عند اكتساح السيول، لأنه يفضى إلى الغرق والهلاك.. كذلك من

---

(١) من كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذرى. طبعة بيروت الجزء الأول ص ٨٠ : ٩٢.

(٢) حباب من عمان القرآن الكريم ص ١٨٢، ١٨٣ من المثنوى العربى النورى. ورسالة الاجتهاد. الكلمة السابعة والعشرون ص ٥٦٢ : ٥٧١ من الكلمات.

(٣) يقصد الشيخ هنا الاجتهاد فى الأحكام الشرعية. أما الاجتهاد فى تسخير التطور العلمى لإبراز عظمة الإسلام فهو ضرورة عقائدية كما شرحنا سابقا.

الجناية في حق الإسلام: فتح أبواب جديدة في قصره المنيف، وشق ثغرات في جدرانه، مما يمهد السبيل للمتسللين والمخربين باسم الاجتهاد، ولا سيما في زمن المنكرات، ووقت هجوم العادات الأجنبية واستيلائها، وأثناء كثرة البدع، وتزاحم الضلالة ودمارها.

ثانيها: أن الضروريات الدينية التي لا مجال فيها للاجتهاد لقطعيتها وثبوتها، والتي هي في حكم القوت والغذاء، قد أهملت في العصر الحاضر وأخذت بالتصدع.. فالواجب يحتم صرف الجهود، وبذل الهمم جميعا، لإحياء هذه الضروريات وإقامتها، حيث أن الجوانب النظرية للإسلام، قد استثرت بأفكار السلف الصالحين، وتوسعت باجتهاداتهم الخالصة، حتى لم تعد تضيق بالعصور جميعا.. لذا فإن ترك تلك الاجتهادات الذكية، والانصراف عنها إلى اجتهادات جديدة، اتباعا للهوى، إنما هو خيانة مبتدعة.

ثالثها: مثلما يروج لمتاع في السوق حسب المواسم ويرغب فيه، كذلك أسواق الحياة الاجتماعية، ومعارض الحضارة البشرية في العالم.. فنجد أن المتاع الذي توجه إليه الأنظار، وتجذب نحوه الأفكار في عصرنا الحاضر: هو الانشغال بالأمور السياسية وأحداثها، وتأمين الراحة في الدنيا وحصر الهم بها، ونشر الأفكار المادية وترويجها. بينما نرى أن السلعة الغالية النفيسة، والبضاعة الرائجة المقبولة، في عصر السلف الصالح: كانت هي إرضاء رب السماوات والأرض، والوقوف عند حدوده، واستنباط أوامره ونواهيه، من كلامه الجليل ونور النبوة الساطع، لتحقيق السعادة الخالدة.. فكانت الأذهان والقلوب والأرواح، كلها متوجهة-وبكل قواها- إلى معرفة مرضاة الله سبحانه، وإدراك مرامي كلامه.

لذا ففى مثل هذه الحياة، التى تجرى بشتى جوانبها، وفق مرضاة رب العالمين، تصبح الحوادث، بالنسبة لصاحب الاستعداد والقابلية الفطرية، دروسا وعبرا من حيث لا يشعر، وكأن كل شئ يقوم بدور معلم مرشد، يعلم فطرته ويلقنها ويرشدها ويهيؤها للاجتهاد، ويصبح فى أقرب وقت وأسرعه مجتهدا.

بينما فى العصر الحاضر: فإن تحكم الحضارة الأوروبية، وتسلط الفلسفة المادية وأفكارها، وتعقد متطلبات الحياة اليومية.. كلها تؤدى إلى تشتت الأفكار، وحيرة القلوب، وتبعثر الهمم، وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان. فلا جرم قد ابتعد استعداد المجتهد، عن القدرة على الاجتهادات الشرعية، بمقدار تفننه فى العلوم الأرضية الحاضرة.. لذا لو وجد الآن من هو بذكاء (سفيان بن عيينة) لاحتاج إلى عشرة أمثال ما احتاجه ابن عيينة ليبلغ درجة اجتهاده.. أى لو كان قد يتسر لسفيان ابن عيينة الاجتهاد فى عشر سنوات، فإن الذى فى زماننا هذا، قد يحصل عليه فى مائة سنة، حيث غرق فكره فى مستنقع الفلسفة المادية، وسرح عقله فى أحداث السياسة، وحار قلبه أمام متطلبات الحياة المعاشية.

رابعها: إن ميل الجسم إلى التوسع لأجل النمو، إن كان داخليا، فهو دليل التكامل. بينما إن كان من الخارج، فهو سبب تمزق الجلد، أى أنه سبب الهدم والتخريب، لا النمو والتوسع.

وهكذا، فإن وجود الاجتهاد، والرغبة فى التوسع فى الدين، عند الذين يدورون فى فلك الإسلام، ويأتون إليه من باب التقوى والورع الكاملين، وعن طريق الامتثال بالضروريات الدينية، فهو دليل الكمال والتكامل. وخير شاهد على ذلك: السلف الصالح. أما التطلع إلى الاجتهاد، والرغبة فى التوسع فى الدين، إن كان ناشئا لدى الذين تركوا الضروريات الدينية، واستحبوا الحياة الدنيا،

وتلوثوا بالفلسفة المادية.. فهو وسيلة إلى تخريب الوجود الإسلامى، وحل ربقة الإسلام من الأعناق.

خامسها: هناك ثلاث نقاط تدعو إلى التأمل والنظر، تجعل اجتهادات هذا العصر أرضية، وتسلب منها روحها السماوى، بينما الشريعة سماوية، والاجتهادات بدورها سماوية لإظهارها خفايا أحكامها.. والنقاط هى:

١- أن المصلحة حكمة مرجحة، وليست بعلة للحكم.. ونظر هذا الزمان يعتبر المصلحة علة للحكم.. فمثلا: تقصر الصلاة فى السفر، وعلة هذه الرخصة الشرعية السفر، أما حكمتها فهى المشقة. فإذا وجد السفر ولم تكن هناك مشقة، فالصلاة تقصر، لأن العلة قائمة وهى السفر. فى حين: إن لم يكن هناك سفر، وكانت هناك أضعاف أضعاف المشقة، فلن تكون تلك المشقات علة القصر.

وخلافا لهذه الحقيقة.. يتوجه نظر الاجتهاد فى هذا العصر، إلى إقامة المصلحة والحكمة بدل العلة، وفى ضوئها يصدر حكمه. فلا شك أن اجتهاد كهذا أرضى وليس بسماوى.

٢- أن نظر هذا العصر متوجه أولا وبالذات إلى تأمين سعادة الدنيا، وتوجه الأحكام نحوها.. على حين أن قصد الشريعة متوجه أولا وبالذات إلى سعادة الآخرة، وينظر إلى سعادة الدنيا بالدرجة الثانية، ويتخذها وسيلة للحياة الأخرى.. أى أن وجهة هذا العصر غريبة عن روح الشريعة ومقاصدها، وبناء عليه لا تستطيع أن تجتهد باسم الشريعة.

٣- أن القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) ليست كلية، لأن الضرورة إن كانت ناشئة عن طريق الحرام، لا تكون سببا لإباحة الحرام. وإلا فالضرورة التى نشأت عن سوء اختيار الفرد، أو عن وسائل غير مشروعة، لن تكون

حجة ولا سبب لإباحة المحظورات، ولا مدارا لأحكام الرخص.

فمثلا: لو أسكر أحد نفسه -بسوء اختياره- فتصرفاته لدى علماء الشرع حجة عليه، أى لا يعذر، وإن طلق زوجته فطلاقه واقع، وإن ارتكب جريمة يعاقب عليها. فليس لمدمن خمر -مثلا- أن يقول إنها ضرورة لى، فهى إذن حلال لى، حتى لو كان مبتلى بها إلى حد الضرورة بالنسبة له.. فانطلاقا من هذا المفهوم: فإن هناك كثيرا من الأمور فى الوقت الحاضر ابتلى بها الناس، وباتت ضرورة بالنسبة لهم، حتى أخذت شكل (البلوى العامة).. وهذه التى تسمى ضرورة، لا تكون حجة لأحكام الرخص، ولا تباح لأجلها المحظورات، لأنها نجمت من سوء اختيار الفرد، ومن رغبات غير مشروعة، ومن معاملات محرمة.

وحيث أن أهل اجتهاد هذا الزمان، قد جعلوا تلك الضرورات مدارا للأحكام الشرعية، لذا أصبحت اجتهاداتهم أرضية، وتابعة للهوى ومشوبة بالفلسفة المادية، فهى إذن ليست سماوية، ولا تصح تسميتها اجتهادات شرعية قطعا، ذلك لأن أى تصرف فى أحكام خالق السماوات والأرض، وأى تدخل فى عبادة دونما رخصة أو إذن معنوى فهو مردود.

سادسها: إن قرب عهد المجتهدين العظام، من السلف الصالحين، لعصر الصحابة الكرام، الذى هو عصر الحقيقة، وعصر النور، يسر لهم أن يأخذوا النور الصافى، من أقرب مصادره، فتمكنوا من القيام باجتهاداتهم الخالصة، فى حين أن مجتهدى العصر الحديث، ينظرون إلى كتاب الحقيقة من مسافة بعيدة جدا، ومن وراء كثير من الأستار والحجب، حتى ليصعب عليهم رؤية أوضح حرف فيه.

إن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-هم رواد الحق وعشاقه، وهم التواقون إلى الصدق والعدل. ولقد تبين في عصرهم قبح الكذب ومساوئه، وجمال الصدق ومحاسنه، بوضوح تام، بحيث أصبح البون شاسعا بين الصدق والكذب. كالبعد بين الثريا والثرى. ويوضح ذلك: الفارق الكبير بين الرسول الأعظم ﷺ، الواقف على قمة درجات الصدق فى أعلى عليين، وبين مسيلمة الكذاب الذى كان فى أسفل سافلين، وفى أوطأ دركات الكذب.

أما الآن، فقد ضاقت المسافة بين الكذب والصدق، وقصرت حتى صارا متقاربين، بل متكاتفين. وبات الانتقال من الصدق إلى الكذب سهلا وهينا جدا، بل غدا الكذب يفضل على الصدق فى الدعاية السياسية.

فإذا كان أجمل شئ يباع مع أقبحه فى حانوت واحد، جنبا إلى جنب وبالثمن نفسه.. ينبغى على مشترى لؤلؤة الصدق الغالى، ألا يعتمد على كلام صاحب الحانوت ومعرفته، دون فحص وتمحيص.

خاتمة رسالة الاجتهاد

ويختتم الإمام النورسى رسالة الاجتهاد بقوله:

تتبدل الشرائع بتبدل العصور، وقد تأتى شرائع مختلفة، وترسل رسل كرام فى عصر واحد، حسب الأقوام. وقد حدث هذا فعلا. أما بعد خاتم النبوة، وبعثة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام، فلم تعد هناك حاجة إلى شريعة أخرى. لأن شريعته العظمى كافية ووافية لكل قوم فى كل عصر.

أما جزئيات الأحكام غير المنصوص عليها، التى تقتضى التبديل تبعا الظروف، فإن اجتهادات فقهاء المذاهب، كفيلة بمعالجة التبديل. فإن قلت:

إن الحق واحد، فكيف يمكن أن تكون الأحكام المختلفة للمذاهب الأربعة والاثنى عشر حقا؟

الجواب: يأخذ الماء أحكاما خمسة مختلفة حسب أذواق المرضى المختلفة وحالاتهم:

- فهو دواء لمريض على حسب مزاجه: أي تناوله واجب عليه طبا.
- وقد يسبب ضررا لمريض آخر: فهو كالسم له، أي يحرم عليه طبا.
- وقد يولد ضررا أقل لمريض آخر: فهو إذن مكروه له طبا.
- وقد يكون نافعا لآخر من دون أن يضره: فيسن له طبا.
- وقد لا يضر آخر ولا ينفعه: فهو له مباح طبا فليهنأ بشربه.

فترى من الأمثلة السابقة أن الحق قد تعدد هنا، فالأقسام الخمسة كلها حق.. فهل لك أن تقول: إن الماء علاج لا غير، أو واجب فحسب، وليس له حكم آخر؟

وهكذا -بمثل ما سبق- تتغير الأحكام الإلهية، بسوق من الحكمة الإلهية، وحسب التابعين لها. فهي تتبدل حقا، وتبقى حقا، ويكون كل حكم منها حقا ويصبح مصلحة.

فمثلا: نجد أن أكثرية الذين يتبعون الإمام الشافعي ﷺ هم أقرب من الأحناف إلى البداوة وحياة الريف، تلك الحياة القاصرة عن حياة اجتماعية، توحد الجماعة. فيرغب كل فرد في بث ما يجده في نفسه إلى قاضي الحاجات، بكل اطمئنان وحضور قلب، ويطلب حاجته الخاصة بنفسه ويلتجئ إليه، فيقرأ سورة الفاتحة بنفسه، رغم أنه تابع للإمام. وهذا هو عين الحق، وحكمة محضة في الوقت نفسه. أما الذين يتبعون الإمام الأعظم "أبو حنيفة النعمان" ﷺ، فهم بأكثريتهم المطلقة، أقرب إلى الحضارة وحياة المدن المؤهلة لحياة اجتماعية، وذلك بحكم التزام أغلب الحكومات الإسلامية لهذا المذهب. فصارت الجماعة الواحدة في الصلاة كأنها فرد واحد، وأصبح الفرد الواحد يتكلم باسم الجميع، وحيث أن الجميع يصدقونه ويرتبطون به قلبا، فإن قوله يكون في حكم قول الجميع، فعدم قراءة الفرد وراء الإمام بـ "الفاتحة" هو عين الحق وذات الحكمة.

فمثلا: لما كانت الشريعة تضع حواجز ، لتحول دون تجاوز طبائع البشر حدودها، فتقومها بها وتؤدبها، فتربى النفس الأمارة بالسوء، فلا بد أن ينقض الوضوء بمس المرأة، وقليل من النجاسة يضر ، حسب المذهب الشافعي، الذى أكثر اتباعه من أهل القرى وأنصاف البدو والمنهمكين بالعمل. أما حسب المذهب الحنفى، الذين هم بأكثريتهم المطلقة قد دخلوا الحياة الاجتماعية، واتخذوا طور أنصاف متحضرين فـ "لا ينقض الوضوء من مس المرأة، ويسمح بقدر درهم من النجاسة".

ولننظر الآن إلى عامل وإلى موظف، فالعامل بحكم معيشته فى القرية، معرض للاختلاط والتماس بالنساء الأجنبيات، والجلوس معا حول موقد واحد، والولوج فى أماكن ملوثة، فهو مبتلى بكل هذا بحكم مهنته ومعيشته، وقد تجد نفسه الأمارة بالسوء مجالا أمامها لتتجاوز حدودها؛ لذا تلقى الشريعة فى روع هذا، صدى سماويا فتمنع تلك التجاوزات بأمرها له: لا تمس ما ينقض الوضوء، فتبطل صلاتك. أما ذلك الموظف، فهو حسب عادته الاجتماعية لا يتعرض للاختلاط بالنساء الأجنبيات -بشرط أن يكون نبيلا- ولا يلوث نفسه كثيرا بالنجاسات، آخذا بأسباب النظافة المدنية. لذا لم تشدد عليه الشريعة، بل أظهرت له جانب الرخصة -دون العزيمة- باسم المذهب الحنفى وخففت عنه قائلة: إن مست يدك امرأة أجنبية فلا ينقض وضوءك ولا ضرر عليك إن لم تستنج بالماء، حياء من الحاضرين، فهناك سماح بقدر درهم من النجاسة، فتخلصه بهذا من الوسوسة، وتنجيه من التردد.

فهاتان قطرتان من البحر نسوقهما مثالا، قس عليهما، وإذا استطعت أن تزن موازين الشريعة بميزان "الشعرانى" على هذا المنوال فافعل.

ويمكن أن نخلص من هذا المبحث إلى أن رأى النورسى فى الاجتهاد هو:

أن الاجتهاد الملتزم بتعاليم الشرع، والساعى إلى استخدام التطور العلمى، فى استخراج كنوز القرآن الكريم، لإبراز عظمة الشريعة

الإسلامية، وسموها، وما تحويه من مدنية تلائم أرقى العصور الحضارية.. هذا الاجتهاد يعتبر ضرورة عقائدية تفرضها روح العصر.

أما الاجتهاد فى أحكام الشريعة، فهو يشرطه بشرط أساسى: إذا توجهت القلوب والعقول مع روح الشريعة ومقاصدها، فيمكن حينئذ الاجتهاد باسم الشريعة.

ندعو الله أن يجازى الشيخ النورسى، عما بذله فى تحقيق اليقظة العلمية خير الجزاء، وأن ينفعنا بعلمه، ويوفق المسلمين إلى معرفة كنوز القرآن والسنة، فى تحقيق النهضة العلمية، حتى يلحقوا بركب الحضارة. ويعوضوا سنوات التخلف، التى تتنافى مع عزة الإسلام ورفعته.

الفصل الرابـع

دور كليات رسائل النور
فى
يقظة الأمة اجتماعيـا

كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله
(آل عمران: ١١٠)

يقظة الأمة اجتماعيا

حقيقة التخلف الاجتماعي:

لما كان علم الاجتماع هو العلم الذى يدرس معيشة الناس وسلوكياتهم، لذلك فهو من أشد العلوم تشابكا مع كل العلوم التى تختص بهذا الموضوع مثل: العلوم السياسية والاقتصادية والدينية والإنسانية، والفلسفة وعلم النفس و...

ولا شك أن التخلف المادى الذى تعيشه الدول الإسلامية، هو نتيجة التخلف الاجتماعى الذى مر بها نتيجة تخلفها الفكرى والعقائدى: هوى فى النفوس، ونقص فى الوعى والبصيرة بشمولية الرسالة الإسلامية، التى توقظ الإنسان من سباته وخموله، وتنطلق به إلى آفاق تحررية واسعة، فتنطلق معه الأمة من إسار التخلف الذى تعيش فيه بكل أبعاده.

فالتقدم والرقى فى مفهوم الإسلام يستهدف الإنسان أولا وأخيرا، فهما ليسا الرفاهية المادية التى يروجون لها -من الرأسماليين والماركسيين- لا فى أهدافهما ولا فى وسائلهما: فالتنمية فى الرأسمالية تؤدى إلى مجتمعات استهلاكية فارغة الفؤاد قلقة، تجعل التكنولوجيا إلهها المعبود، وهى أنانية تعيش بحبوحتها المادية، على حساب بؤس الآخرين وفقرهم. تهتم بكلابها فى أوروبا وأمريكا، ولا تهتم بالبشر فى آسيا وأفريقيا. ويقول (ستيوارت أودال) الوزير الأمريكى الأسبق[١]:

"إن الخرافة التى تقول إن النمو المادى هو التقدم، ما هى إلا توراة الدمار. ذلك أن التنمية والنمو ليسا هدفا أو غاية، بل وسيلة لحياة إنسانية كريمة أفضل".

(١) "الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين". د. نبيل صبحى الطويل. محاضرة مسجلة فى مجلة الأمة ص ٦٢: ٦٦. العدد الخامس والأربعون - السنة الرابعة- رمضان ١٤٠٤ هـ - يونيو ١٩٨٤م.

والتنمية في الشيوعية: تؤدى فى مجموعها إلى كبت احتياجات الإنسان، بطريقة لا تتناسب مع كرامته، وتجعله ترسا فى آلة، يدور فى رحى الحياة، لإشباع حاجاته وحاجات الآخرين.

أما التنمية في الإسلام: فهى تقوم على صلة العبد بربه حبا وإيمانا به، فيتحول الحب إلى عمل يشمل إتقان العبادة، ورفع الضيم والفاقة عن أبناء الأمة المحرومين، وإعادة الأمن إلى نفوسهم وأبدانهم ومجتمعاتهم، ونشر العلم لتحرير العقول من أسر الجهل وظلماته، والسعى لعمران الأرض: زراعة وصناعة وتجارة، لرفعة شأن الأمة، وتحرير احتياجاتها من سيطرة الأعداء المتربصين بها الدوائر، وجهادا فى سبيل الله، دفاعا عن ثغور الأمة المكشوفة، وتعرض المال أو العرض أو الأرض للضياع.

وهكذا فإن التخلف الاجتماعى الذى أصاب الأمة الإسلامية، كان الضربة التى أصابتها فى صميم فؤادها. لأنه أصابها فى عناصر حياتها: فى فكرها وثقافتها وسياستها وحريتها، ونظمها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها و.. وقبل ذلك كله فى عقيدتها.

ومن هنا يبرز الدور الذى قام به الإمام النورسى، لتحقيق النهضة الاجتماعية للأمة الإسلامية، وما يتبع ذلك من نهضة فى جميع المجالات، لأن الإنسان هو المحرك الذى يدير عجلة الحياة.

ولكى نبلور هذا الدور -بقدر جهدنا المتواضع- فقد تم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث، تشتمل فى مجموعها على وضع صورة مجملة لمجهود الشيخ -رحمه الله- فى يقظة الأمة اجتماعيا، وتحقق شرف انتمائها إلى الشريعة الإسلامية. تلك المباحث هى:

- المبحث الأول: الإيمان دعامة الحضارة الاجتماعية.
- المبحث الثانى: كيف حقق الإسلام السلام الاجتماعى.
- المبحث الثالث: المرأة واليقظة الاجتماعية.
- المبحث الرابع: كيف يتحقق الترابط للشعوب الإسلامية؟

وسنتناول كل مبحث من هذه المباحث الأربعة، بعون الله وتوفيقه بما تيسر لنا من الفهم، وما تقدر لنا من الجهد.

المبحث الأول

الإيمان دعامة الحضارة الاجتماعية

سبق أن بينا جهد الإمام النورسى فى دعم العقيدة الإيمانية، وتوضيح دورها فى تحقيق الحضارة الحقيقية، التى تجمع بين الرقى المادى والمعنوى، وترتفع بالإنسان إلى أعلى عليين.

وفى هذا المبحث نقوم بإلقاء مزيد من الضوء، على فكر الشيخ لإثراء الحياة الاجتماعية، بالمفاهيم التى تحقق لها اليقظة الفعلية، وتقيم أركانها على دعائم راسخة من تقوى الله، تحميها من التيارات العاصفة التى تحمل ألفاظا براقة مثل: التحرر والتجديد والثورية و.. وبهذا تتجنب المجتمعات الإسلامية الانهيار والاضطرابات والفوضى، مصداقا لقول الحق جل شأنه: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (التوبة: ١٠٩). وتحقيقا لهذا الهدف يتضمن المبحث الأول عدة موضوعات رئيسية، تحوى فى طياتها موضوعات فرعية:

- الموضوع الأول: أهمية الإيمان فى تنظيم الحياة الاجتماعية.
- الموضوع الثانى: كيف أن تفسخ العقيدة يصير ضررا محضا على الحياة الاجتماعية.
- الموضوع الثالث: ماذا قدم الإسلام لرقى الحياة الاجتماعية؟
- الموضوع الرابع: انهزام الحياة الاجتماعية الإسلامية عند التمسك بأذيال أوروبا.

أولا: أهمية الإيمان فى تنظيم الحياة الاجتماعية(١):

أشار الإمام النورسى إلى عدة أدلة، على احتياج الإنسان للإيمان، كأساس لحياته الفردية والاجتماعية، وأساس لجميع كمالاته ومثله وسعادته. تلك الأدلة تتمثل فى:

الدليل الأول:

إن "الأطفال" الذين يمثلون ربع البشرية، لا يمكنهم أن يعيشوا عيشة إنسان سوى، ينطوى على نوازع إنسانية، إلا بالإيمان بالآخرة. إذ لولا هذا الإيمان، لاضطروا أن يقضوا حياة ملؤها الاضطراب والهموم الأليمة، فلا يهنأون بألعابهم ولا يتسلون بلعبهم، لأن الموت الذى يصيب من حولهم، يؤثر تأثيرا بالغا فى نفس كل طفل، وفى شعوره المرهف الرقيق، الذى لا يتمكن من المقاومة والصمود، ويبكى لأدنى سبب، وفى روحه التى لا تستطيع الثبات، فتصاب بالقلق والحيرة حتى تصبح حياته وعقله، وسيلتى عذاب له.. فلا يجدى ما يتستر به من لهو ولعب نفعا، قبل أن يجد لتساؤله وحيرته جوابا.. إلا أن "الإيمان بالله" يفتح باب الأمل المشرق أمام الأطفال، فيتمكنون من العيش بهناء وفرح وسرور.. فيحاور الطفل المؤمن بالجنة نفسه قائلا: "إن صديقى-أو أخى- الذى توفى، قد أصبح الآن طيرا من طيور الجنة، فهو أكثر منا أنسا وانطلاقا وتجوالا. وإن والدتى -وإن توفيت- إلا أنها مضت إلى الرحمة الإلهية الواسعة، وستضمنى أيضا إلى صدرها الحنون فى الجنة، فأرى تلك الوالدة الشفيقة".

وبهذا يمكن لهذا الطفل أن يعيش عيشا هادئا مطمئنا يليق بالإنسان.

الدليل الثانى:

إن "الشيوخ" الذين يمثلون ربع البشرية، إنما يتحملون ويصبرون وهم على شفير القبر "بالإيمان بالآخرة". ولا يجدون الصبر والسلوان من قرب

---

(١) يمكن الرجوع إلى ص ٢٢٨ : ٢٣٠ من الشعاعات (الشعاع التاسع) ص ١٠٤ : ١٠٦ من الكلمات (القطعة الأولى من ذيل الكلمة العاشرة)، ص ٢٨٠ : ٢٨٤ من الشعاعات (الشعاع الحادى عشر - الثمرة).

انطفاء شعلة حياتهم العزيزة عليهم، ولا من انغلاق باب دنياهم الحلوة الجميلة في وجوههم، إلا في ذلك الإيمان. فهؤلاء الشيوخ الذين عادوا كالأطفال، وأصبحوا مرهفي الحس في أرواحهم وطباعهم، إنما يقابلون ذلك اليأس القاتل الأليم، الناشئ من الموت والزوال، ويصبرون عليه، بالأمل في الحياة الآخرة.. وإلا فلولا هذا الإيمان بالآخرة، لشعر هؤلاء الآباء والأمهات -الذين هم أجدر بالشفقة والرأفة، والذين هم في أشد الحاجة إلى الاطمئنان والسكينة والحياة الهادئة- ضراما روحيا، واضطرابا نفسيا، وقلقا قلبيا، ولضاقت عليهم الدنيا بما رحبت، ولتحولت سجنا مظلما، ولانقلبت الحياة إلى عذاب أليم قاس. بينما الإيمان بالآخرة يهتف بهم قائلا: "لا تغتموا أيها الشيوخ ولا تبالوا كثيرا، فإن لكم شبابا خالدا، وهو أمامكم، وسيأتي حتما. وإن حياة ساطعة بهيجة، وعمرا مديدا أبديا في انتظاركم، وستلتقون بأولادكم وأقاربكم الذين فقدتموهم، وجميع حسناتكم محفوظة، وستأخذون ثوابها..".

وهكذا يمنح "الإيمان بالآخرة" سلوانا وانشراحا لهم، بحيث لو حمل أحدهم أثقال مائة شيخوخة، لتحملها صابرا، في انتظار ما سيعقبها من حياة أخروية سعيدة.

الدليل الثالث:

إن "الشباب" الذين يمثلون ثلث البشرية، والذين هم محور الحياة الاجتماعية، لا يهدئ من فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية، إلا الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم، لقلب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا، إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث "الحكم للغالب" ولحولوا الحياة الإنسانية السامية، إلى حياة حيوانية سافلة، حيث تصبح أموال الناس وأعراضهم، وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ، مهددة بالخطر. إذ قد يدمر أحدهم سعادة بيت آمن هنئ لأجل لذة طارئة، ومن ثم يذوق وبال أمره عذابا لسنين عديدة في السجون، فيتحول إلى ما يشبه الحيوان

الكاسر. ولكن إذا أمده "الإيمان بالآخرة" وأغاثه، فسرعان ما يسترجع صوابه، ويسترشد بعقله، ويخاطب نفسه قائلا: "على الرغم من أن شرطة الحكومة وعيونها، لا يمكنهم رؤيتي لكوني في خفاء عنهم، فإن ملائكة السلطان الأعظم -ذي الجلال- الذي يملك سجن جهنم، ذلك السجن الأكبر الدائم، يسجلون على سيئاتي.. فأنا إذن لست طليقا مفلوت الزمام، بل أنا ضيف عابر ذو مهمة.. وسأكون -لا محالة- في يوم ما ضعيفا وشيخا مثلهم". فتترشح قطرات الرحمة والرأفة والشفقة، عندئذ من أعماق قلبه، ويشعر بالاحترام، لأولئك الذين كان يريد أن يتعدى على حقوقهم ظلما.

الدليل الرابع:

وكذلك "المرضى والمظلومين وأمثالنا من ذوي المصائب والفقراء والمساجين" الذين حوكموا بعقوبات مشددة، كل هؤلاء يمثلون الجزء الأهم من البشرية.. فإن لم يعنهم "الإيمان بالآخرة"، وإن لم يتسلوا به، فإن الموت الذي يجدونه أمامهم دائما، بما عندهم من مرض، واليأس الأليم النابع مما أصاب أموالهم وأولادهم من الضياع في الكوارث، والإهانة التي يرونها من الظلمة، دون أن يتمكنوا من الاقتصاص منهم، ولا من إنقاذ شرفهم وكرامتهم من بين مخالبهم، والضيق الشديد الناشئ من آلام السجن وعذابه لسنوات عدة، نتيجة لذة طارئة لا تستغرق دقائق أو ساعات.. كل ذلك يصير الدنيا -بلا ريب- سجنا كبيرا لهؤلاء المنكوبين، ويجعل الحياة نفسها عذابا أليما لهم!.

ولكن ما إن يمدهم الإيمان بالآخرة، بالعزاء والسلوان، إلا وينشرحون فورا، ويتنفسون الصعداء، لما يزيل عنهم من الضيق واليأس، والقلق والاضطراب وسورة الثأر، إزالة كلية أو جزئية، كل حسب درجات إيمانه.

الدليل الخامس:

إن "الحياة العائلية" هي مركز تجمع المجتمعات. وإن بيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة، بل جنته المصغرة. فإن لم يكن "الإيمان بالآخرة" حاكما ومهيمنا في سعادة هذا البيت، لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطرابا أليما، وعذابا شديدا، في علاقة بعضهم ببعض، حسب درجات رأفته

ومحبته لهم، فتتحول تلك الجنة إلى جحيم لا يطاق. وقد يخدر عقله باللهو والسفه المؤقت، فيكون مثله فى هذا كمثل النعامة، إذا رأت الصياد، تخفى رأسها فى الرمل، كيلا يراها الصياد، وهى عاجزة عن الفرار والطيران، فهو كذلك يغمر رأسه في الغفلة، لئلا يراه الموت والزوال والفراق، ملغيا شعوره مؤقتا ببلاهة، وكأنه وجد علاجا لما يعانيه.. فالوالدة مثلا، التى تضحى بنفسها لأجل ولدها، كلما رأت ابنها يتعرض للخطر، ارتعشت هلعا وخوفا عليه.. والأولاد كذلك، عندما لا يستطيعون إنقاذ آبائهم أو إخوانهم، من المصائب التى لا تنقطع، يظلون فى قلق دائم، ويحسون خوفا مستمرا.

فقياسا على هذا: فإن حياة تلك العائلة، التى يظن أنها حياة سعيدة، تفقد سعادتها فى هذه الدنيا المضطربة الزائلة، حيث لا تعطى الرابطة بين الأفراد، ولا علاقة القربى فيما بينهم -ضمن حياة قصيرة جدا- الصداقة الحقيقية والوفاء الخاص، والإخلاص الكامل، والخدمة والمحبة الصافيين، بل تتصاغر الأخلاق وتنكمش، بنسبة قصر الحياة نفسها، وربما تسقط وتنعدم كليا.

ولكن ما إن يحل "الإيمان بالله" فى ذلك البيت، حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضئ؛ لأن علاقة القربى والرأفة والمحبة التى تربطهم، لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم فى دار الآخرة، والسعادة الأبدية، فيقوم عندئذ كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويبدى صداقة وفية، صارفا النظر عن التقصيرات.. فتتعالى الأخلاق وتسمو، وتبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق فى ذلك البيت.

وهكذا فإن كل "مدينة" هى بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها. فإن لم يكن "الإيمان بالله" مسيطرا على أفراد هذه العائلة الكبيرة، فسيستولى عليهم: الحقد والمنافع الشخصية، والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلا من أسس الأخلاق الحميدة التى هى: الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة، والتضحية ورضى الله والثواب الأخروى.. وكانت معانى الإرهاب والفوضى والوحشية، حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام

والأمن والإنسانية التى يظهرونها.. وحينئذ تتسم حياة تلك المدينة، فيتصف الأطفال بالوقاحة والإهمال، والشباب بالسكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين.

كيف ينظم الإيمان الحياة الاجتماعية للأمة الإسلامية بأسرها:

قياسا على ما سبق فإن "الأمة" بأكملها ما هى إلا بيت واسع جدا. والوطن "بيت عائلة" الأمة. فإذا ما حكم "الإيمان بالله هذه البيوت وسيطر، فإن الفضائل تتكشف وتنبسط وتتوضح.. فيظهر فيها: الاحترام المتبادل، والرحمة الجادة، والمحبة الخالصة بلا عوض، والمعاونة مع الخدمة الحقة بلا احتيال، والمعاشرة والإحسان بلا رياء، والفضيلة والتوقير بلا استكبار، وتشيع الفضائل الأخرى جميعا.. حيث يهتف الإيمان بالآخرة بأولئك الأطفال قائلا لهم: "دعوا الوقاحة والإهمال فقدامكم جنة النعيم، فلا تشغلوا أنفسكم عنها بالألاعيب". فيمكّن الأخلاق عندهم بإرشاد القرآن الكريم.

ويخاطب الشباب: "إن أمامكم نار جهنم فانتهوا من السكر والعربدة". مما يجعلهم يثوبون إلى رشدهم.

ويخاطب الظالم: "احذر فإن عذابا شديدا سيحل بك" فيردعه عن الظلم ويرضخه إلى العدالة.

ويخاطب الشيوخ: "أبشروا فإن أمامكم شبابا خالدا ذا نضارة، وفى انتظاركم سعادة أخروية دائمة باقية، هى أسمى مما فقدتموه من أنواع السعادة وأعلى منها، فهلموا واسعوا للفوز بها". فيحول بكاءهم إلى بهجة وفرح.

وبناء على هذا.. فإن الإيمان يبين تأثيره الطيب، ويرسل شعاع نوره إلى كل طائفة: جزئيها وكليها، عامها وخاصها، قليلها وكثيرها حتى تستقيم أحوال الأمة، وتصبح بحق: "خير أمة أخرجت للناس".

فليصغ السمع علماء الاجتماع والسياسة والأخلاق، من المعنيين بشئون الإنسان وأخلاقه واجتماعه. وليعرفوا أنه بدون الإيمان، لن يستطيعوا أن يداووا ويضمدوا الجروح الغائرة العميقة للأمة. ولن

يستطيعوا أن يملأوا الفراغ الناتج عن حاجة النفوس إلى حقيقة عالية نزيهة، ولن يستطيعوا أن ينظموا تلك العلاقات المتشابكة العديدة، بين أفراد المجتمع بأسره، بميزان دقيق قائم على الحق والعدل والمحبة، النابعة من رضى النفس ومراقبة الضمير.

فالإيمان بحق هو الأساس لحياة المجتمعات الإسلامية، ليتحقق لها الكمال والسعادة والتقدم.

ثانيا: كيف أن تفسخ العقيدة يصير ضررا محضا على الحياة الاجتماعية:

يخاطب الإمام النورسى، الداعين إلى مبادئ هدامة، بحجة الحضارة والمدنية، مما يزلزل عقيدة الأمة الإسلامية، ويؤدى إلى تخلخل الحياة الاجتماعية فيقول[1]:

يا من يشوق المسلمين على الدنيا، ويدعوهم إلى ترقياتها، ويضربهم بعصا التشويق: تمهل وتأمل فى رقة بعض حبالهم المربوطين بها بالدين. واحذر أن ينقطع قسم من حبالهم، فيصيرون ضررا محضا فى الحياة الاجتماعية.

وذلك بسر: أن المرتد لا حق له فى الحياة لانفساده بالكلية، خلافا للكافر، فالشريعة تعطى له حق حياة، أما الفاسق فهو خائن ومردود الشهادة، لانفساد وجدانه، خلافا للذمى فى مذهب الحنفية. "فاعتبر! ولا تغتر بكثرة الفساق" فإن الفاسق لا يرضى بالفسق، وما طلبه بالذات بل وقع فيه.. وما من فاسق إلا ويتمنى أن يكون متقيا، وأن يكون آمره متدينا صالحا، إلا أنه ارتد، والعياذ بالله!

أتظن أن المسلمين لا يحبون الدنيا، ويحتاجون لأن ينبهوا حتى لا ينسوا نصيبهم منها؟ كلا! هم يحبونها، بل اشتد الحرص.. والحرص فى المؤمن سبب الخيبة، إذ الدعاة إلى الدنيا فى كل شخص بكثرة: كنفسه واحتياجه وحواسه وهواه وشيطانه. وكذلك أمثالكم من رفقاء السوء،

---

(١) ص ٢٧٣ من المثنوى (زهرة).

وحلاوة العاجلة وغيرها، بكثرة أيضا.. مع أن الداعى إلى الآخرة الباقية بقلة. ومن الحمية والهمة إمداد القليل حتى لا ينهار توازن المجتمع الإسلامى.

أم تحسب أن فقرنا من زهدنا؟ كلا.. ألا ترى المجوس والبراهمة وسائر من تسلط عليهم الأوروبيون أفقر منا؟ أم أنت أعمى لا ترى أن ما زاد على القوت الضرورى لا يبقى فى يد المسلمين فى الأكثر، بل يغتصبه أو يختلسه الكفار بدسائسهم؟

وإن أردت من تمدنهم، تسهيل إدارتهم، وحصول الأمن فى المملكة، فقد أخطأت الطريق. لأن إدارة مائة من الفاسقين الذين فسدت أخلاقهم، وتزلزل اعتقادهم، أصعب من إدارة ألوف من المتدينين.

فأهل الإسلام لا يحتاجون إلى التشويق على الحرص على الدنيا، بل يحتاجون إلى تنظيم مساعيهم، والتعاون، والأمنية بينهم (أى إشاعة الثقة فيأمن بعضهم بعضا).. ولا يتم ذلك إلا بالتقوى وغرس زهرات الإيمان اليانعة.

دسائس الشيطان وإفساده الحياة الاجتماعية للإنسان[1]:

إن تفسخ العقيدة يؤدى إلى استجابة الإنسان للشيطان، نتيجة ضيق الصدر وتقصير الفكر: فيجعل السيئة التى هى بحجم جناح بعوضة، والصادرة من أى فرد حوله فى المجتمع-مهما كانت درجة قرابته-تحجب رؤية حسنات قد تكون كالجبل الشامخ. فينسى الإنسان حينئذ ذكر الحسنات، ويبدأ بعداء أخيه المؤمن، ويصبح عضوا فاسدا، وآلة تدمير فى حياة المؤمنين الاجتماعية.

فيا أيها الإنسان المسكين!. المبتلى بدسائس الشيطان وكيده! إن كنت ترجو سلامة حياتك الدينية وحياتك الشخصية، وحياتك الاجتماعية، وتطلب صحة الفكر، واستقامة الرؤية، وسلامة القلب، فزن أعمالك وخواطرك،

---

(١) اللمعة الثالثة عشرة ص ١٣٢ : ١٣٥ من اللمعات.

بموازين القرآن المحكمة، والسنة المحمدية الشريفة، واجعل رائدك القرآن الكريم، ومرشدك السنة النبوية المطهرة. وتضرع إلى الله العلى القدير بقولك: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

المصائب العامة فى الأمة تأتى من ذنوب معظم الناس[1]:

إن الإيمان كما يفرض التكافل الاجتماعى بين المسلمين فى الضراء والسراء، فإنه يفرض العقاب الجماعى فى حالة شيوع المنكر والبغى، لضعف عقيدة الأمة وتراخيها فى القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الذى هو عماد الأمة الإسلامية، وسياجها المتين الذى يحميها من الوقوع فى المهالك، ويحمى المجتمعات من الخلخلة، وانفراط الرابطة الاجتماعية.

يقول تعالى فى كتابه الكريم: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الأنفال: ٢٥)**. إذ لو نجا الأبرياء من مهالك المصيبة العامة نجاة خارقة، لفسدت حكمة الدين، الذى هو امتحان واختبار. وعند ذلك يصدق الفاسدون -كأبى جهل- تصديق أبى بكر الصديق ﷺ.. ولأجل هذا يقاسى الأبرياء أيضا البلايا فى المصيبة العامة.. لأن المظالم والذنوب التى ترتكب علانية، ولا تجد من يردعها، لا تدع مجالا لطلب الرحمة من الله، وحتى الحيوانات الأبرياء تتأذى من جرائها.. وقد ورد فى حديث شريف ما معناه أنه حتى الأسماك فى جوف البحر، تشتكى إلى الله من الظالمين والعاصين، بانقطاع المطر، وقلة أرزاقها بسبب ظلمهم.

ولا تندفع تلك المصائب العامة، إلا بالتوبة العامة والندامة والاستغفار.. وهذا يعنى أن تفسخ العقيدة يصير ضررا محضا على الحياة الاجتماعي، ما لم تحدث إنابة ورجوع إلى الله تعالى، بعبودية خاصة، وتحرى الحلال فى المعاملات، والبعد عن اختلاط الحرام فى الأموال والأرزاق، بسبب تفشى الحيل والغش والرشوة والظلم وعدم الشكر و..

---

(١) ملحق (أمير داغ-١) ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ من الملاحق.

الصحافة وأثرها على الحياة الاجتماعية:

إن للصحافة دورا هاما وحيويا على تكوين الرأى العام فى الأمة، ولذلك فقد نبه الإمام النورسى فى أماكن متعددة، على ضرورة التزام الصحفيين بمبادئ العقيدة الإسلامية، للنهوض بالمستوى الأخلاقى والعقلى والفكرى لأفراد الشعب، بما يحقق للمسلمين السمو الاجتماعى اللائق بهم. ومما قاله الشيخ فى هذا المجال[١]:

إن الصحفيين الذين هم خطباء عامون، قد أوقعوا الأمة فى مستنقع فاسد بقياسين فاسدين:

الأول: يقيس الولايات الأخرى على استانبول، علما أن الأطفال الذين لا يستطيعون قراءة الألفباء، إذا لقنوا الفلسفة، فإنه يكون تلقينا سطحيا. (أى لا يستطيعون استيعابها، ولا كيفية تمييز الخبيث من الطيب).

الثاني: يقيسون استانبول على أوروبا.. علما أن الرجل إذا ما لبس ثوب امرأة، يكون محل هزء وسخرية ويتسفل.

وهكذا يرى النورسى أن الدور الخطير، الذى يمكن أن تقوم به الصحافة فى التأثير على الجماهير، بتشكيل أفكارها ووجدانياتها، يحتم عليها: أن تكون مخاطبتها للجمهور نابعة من مبادئها التى تعتنقها، وأهدافها التى تسعى لتحقيقها، حتى يتحقق للأمة الأصالة والوعى، اللذان يمكناها من التقدم والرقى.

وفى كلمة أخرى قال الشيخ[٢]:

ما كنت أهتم بالجرائد، إلا أن نشر مجلة "أهل السنة" و "سبيل الرشاد" مقالات لصحالنا، حيرت بلا شك الأعداء الزنادقة والحاسدين. وقد أثار اهتمامى: احتمال محاولة هؤلاء، لإسكات أولئك الأصدقاء!

---

(١) ص ٥٣٢ من صيقل الإسلام. ذيل الذيّل (التحيا الشريعة الغراء).

(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٥٧٦ من الشعاعات.

وهذا يبين اهتمام الشيخ، بضرورة تواجد رأى إسلامى مستنير، يعرف كيف يخاطب العقول ويستحوذ على مشاعر القلوب، بحيث لا يترك أهم ميدان وهو ميدان الإعلام، خاليا أمام أصحاب الأفكار الهدامة، يزلزلون بها عقيدة المسلمين، مما يجر أوخم العواقب على الأمة الإسلامية بأسرها.

وفى كلمة ثالثة قال النورسى[1]:

اعلم أيها المحرر والخطيب العمومى بلسان الجريدة: لك أن تتواضع وتهضم نفسك، وتعلن قصورك تندما. ولا يحق لك أن تتمرد بالتجاهر بما يضاد شعائر الإسلام. فأين جاز لك؟ ومن وكلك؟ وبأى حق تتجاسر على إعلان القصور الدينى؟ (أى إشاعة شبهات باطلة حول الدين). وتظن الأمة على قلبك الضال (أى تحسب الأمة جميعا ضالين مثلك).

فلا يجوز لأحد -فضوليا- أن يهضم نفس غيره، حتى نفس أخيه. فمن أين جاز لك أن تزيف عامة الملة الإسلامية، بإساءة الظن بهم بإعراضهم عن الشعائر الإسلامية.

ولا ريب أن نشر ما لا يقبله جمهور المؤمنين فى الجرائد العمومية، من المستحدثات، دعوة إلى الضلالة. فناشرها داع إلى الضلالة فلا يجاب بالضرب على فمه فقط، بل يعنف بالأخذ على يده.. وهكذا يدعو الإمام النورسى الصحفيين -وبشدة- إلى تحرى الحقائق، وتقدير أمانة الكلمة، واحترام عقيدة الغالبية العظمى من الأمة، حتى لا تتعرض المجتمعات الإسلامية، إلى شيوع الفوضى والاضطراب والانحلال.

ثالثا: ماذا قدم الإسلام لرقى الحياة الاجتماعية؟

تحت عنوان: "جواب موجه إلى الكنيسة الانكليكية" كتب الإمام النورسى أربع إجابات ردا على أسئلة وجهت إليه، تبلور فى مجموعها الإجابة على سؤالنا وهو: ماذا قدم الإسلام لرقى الحياة الاجتماعية؟

---

(١) ص ١٨١ من المثنوى العربى النورى. (حباب).

قال الشيخ:[١] سأل ذات يوم قسيس حاقد، ذلك السياسى الماكر، والعدو الألد للإسلام، عن أربعة أمور، طالبا الإجابة عنها فى ستمائة كلمة.. سألها بغية إثارة الشبهات، مستنكرا ومتعاليا، وبشماتة متناهية، وفى وقت عصيب حيث كانت دولته تشد الخناق فى مضايقنا.

وأنا لا أضعه موضع خطابى، بل أجوبتنا لمن يلقى السمع وينشد الحق:

- قال فى السؤال الأول: ما دين محمد ﷺ؟

قلت: إنه القرآن الكريم. أساس قصده: ترسيخ أركان الإيمان الستة، وتعميق أركان الإسلام الخمسة.

- ويقول فى السؤال الثانى: ماذا قدم للفكر وللحياة؟

قلت: التوحد للفكر، والاستقامة للحياة. وشاهدى فى هذا قوله تعالى **﴿قل هو الله أحد..﴾**، **﴿فاستقم كما أمرت﴾**.

- ويقول فى الثالث: كيف يعالج الصراعات الحاضرة؟

أقول: بتحريم الربا وفرض الزكاة. وشاهدى قوله تعالى: **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا..﴾**، **﴿يمحق الله الربا..﴾**، **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..﴾**.

- ويقول فى الرابع: كيف ينظر إلى الاضطرابات البشرية؟

أقول: السعى هو الأساس. ويجب ألا تتكدس ثروة الإنسان بيد الظالمين ولا يكنزوها. وشاهدى قوله تعالى: **﴿أو ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**، **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾**.

---

(١) اللوامع ص ٨٩٥ من الكلمات.

دور القرآن في تغيير الحياة الاجتماعية[١]:

إن القرآن الكريم قد بدل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلا، نور الآفاق، وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلابا عظيما سواء في نفوس البشر وفي قلوبهم، أو في أرواحهم وفي عقولهم، أو في حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية. وأدام هذا الانقلاب وأداره، بحيث إن آياته البالغة ستة آلاف وستمائة وستا وستين آية، تتلى منذ أربعة عشر قرنا، في كل آن بألسنة أكثر من مائة مليون شخص على الأقل، بكل إجلال واحترام، فيربي الناس ويزكي نفوسهم، ويصفي قلوبهم، ويمنح الأرواح انكشافا ورقيا، والعقول استقامة ونورا، والحياة حياة وسعادة. فلا شك أنه لا نظير لمثل هذا الكتاب ولا شبيه له ولا مثيل. فهو خارق، وهو معجز.

الفرق بين تربية القرآن وحكمة الفلسفة للمجتمع الإنساني:[٢]

للوصول إلى مدى الفرق بين التربية الأخلاقية التي يربي بها القرآن الكريم تلاميذه، والدرس الذي تلقنه حكمة الفلسفة، نرى أن نضع تلميذيهما في الموازنة:

فالتلميذ المخلص للفلسفة: "فرعون"، ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس شئ لأجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه ربا له. ثم أن ذلك التلميذ الجاحد "متمرد وعنيد" ولكنه متمرد مسكين، يرضى لنفسه منتهى الذل، في سبيل الحصول على لذة. وهو عنود دنئ إذ يتذلل ويخنع لأشخاص هم كالشياطين، بل يقبل أقدامهم! ثم أن ذلك التلميذ الملحد "مغرور، جبار" ولكنه جبار عاجز لما يشعر بمنتهى العجز في ذاته، حيث لا يجد في قلبه من يستند إليه.

---

(١) الذيل الأول من الكلمة الخامسة والعشرين ص ٥١٨ من (الكلمات وكذلك الشعاع السابع ص ١٧٤ من الشعاعات.

(٢) ص ١٤٤ : ١٤٦ من الكلمات (الكلمة الثانية عشرة) وكذلك ص ٤٧٢ : ٤٧٧ من الكلمات (الكلمة الخامسة والعشرون).

ثم أن ذلك التلميذ "نفعي ومصلحي" لا يرى إلا ذاته. فغاية همته تلبية رغبات النفس والبطن والفرج.. وهو "دساس مكار" يتحرى عن مصالحه الشخصية ضمن مصالح الأمة.

بينما تلميذ القرآن المخلص: هو "عبد" ولكنه عبد "عزيز" لا يستذل لشئ حتى لأعظم مخلوق، ولا يرضى حتى بالجنة، تلك النعمة العظمى، غاية لعبوديته لله.

ثم أنه تلميذ "متواضع. هين. لين" ولكنه لا يتذلل بإرادته لغير فاطره الجليل، ولغير أمره وإذنه.

ثم أنه "فقير وضعيف" موقن بفقره وضعفه، ولكنه مستغن عن كل شئ بما ادخره له مالكه الكريم من خزائن لا تنفذ فى الآخرة. وهو "قوي" لاستناده إلى قوة سيده المطلقة.. ثم أنه لا يعمل إلا لوجه الله، بل لا يسعى إلا ضمن رضاه، بلوغا إلى الفضائل ونشرها.

وهكذا تفهم التربية التى تربى بها الحكمتان، لدى المقارنة بين تلميذيهما.

أما ما تعطيه حكمة الفلسفة وحكمة القرآن من تربية للمجتمع الإنسانى فهى:

أن حكمة الفلسفة: ترى "القوة" نقطة استناد فى الحياة الاجتماعية. وتهدف "المنفعة" فى كل شئ. وتتخذ "الصراع" دستورا للحياة. وتلتزم "بالعنصرية والقومية والسلبية" رابطة للجماعات.

أما ثمراتها: فهى إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية، التى من شأنها تأجيج جموح النفس وإثارة الهوى.

ومن المعلوم أن شأن "القوة" هو "الاعتداء".. وشأن "المنفعة" هو "التزاحم" إذ لا تفى لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم.. وشأن "الصراع" هو "النزاع والجدال".. وشأن "العنصرية" هو "الاعتداء" إذ تكبر بابتلاع غيرها، وتتوسع على حساب العناصر الأخرى.

ومن هنا نلمس لم سلبت سعادة البشرية، من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة. ولم تستطع أن تمنح سوى عشرين بالمائة من البشر سعادة ظاهرية، بينما ألقت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق.

أما حكمة القرآن الكريم: فهى تقبل "الحق" نقطة استناد فى الحياة الاجتماعية بدلا من القوة.. وتجعل "رضى الله سبحانه" ونيل الفضائل هو الغاية، بدلا من المنفعة.. وتتخذ دستور "التعاون" أساسا فى الحياة بدلا من دستور الصراع.. وتلتزم برابطة "الدين" والروح والوطن لربط فئات الجماعات، بدلا من العنصرية والقومية والسلبية..

وتجعل غاياتها: الحد من تجاوز النفس الأمارة، ودفع الروح إلى معالى الأمور، وإشباع مشاعرها السامية، لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

إن شأن "الحق" هو "الاتفاق".. وشأن "الفضيلة هو "التساند".. وشأن دستور "التعاون" هو "إغاثة كل للآخر".. وشأن "الدين" هو "الأخوة والتكاتف".. وشأن "إلجام النفس" وكبح جماحها، وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو "سعادة الدارين".

كيف تغلب القرآن على المدنية فى حل مشكلات الإنسانية:

لقد غلبت المدنية الحاضرة بفلسفتها، أمام القرآن الحكيم مع ما أخذت من محاسن من الأديان السابقة، ولا سيما من القرآن الكريم.. فالمدنية بكل جمعياتها الخيرية، وأنظمتها الصارمة، ونظمها الجبارة، ومؤسساتها التربوية الأخلاقية، لم تستطع أن تعارض مسألتين من القرآن الكريم، بل انهارت أمامهما. وهى فى قوله تعالى: **﴿وآتوا الزكاة﴾ (البقرة: ٤٣) و﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ (البقرة: ٢٧٥)**.

- فإن أس أساس جميع الاضطرابات والثورات فى المجتمع الإنسانى، إنما هو كلمة واحدة: "إن شبعت، فلا على أن يموت غيرى من الجوع".

- كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضا: "اكتسب أنت، لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا".

والكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والحسد والصراع. فسلبت البشرية الراحة والأمان لعصور خلت، كما هو فى هذا العصر، حيث ظهرت حوادث أوروبا الجسام، بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال، كما لا يخفى على أحد.

- نعم إنه لا يمكن العيش بسلام ووئام فى مجتمع، إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام. أى بين الأغنياء والفقراء. وأساس هذا التوازن: هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.

- والمدنية بكل جمعياتها الخيرية ومؤسساتها الأخلاقية، وبكل وسائل نظامها وانضباطها الصارم، عجزت عن أن تصلح بين هاتين الطبقتين من البشر، كما عجزت عن أن تضمد جرحى الحياة البشرية الغائرين.

أما القرآن الكريم: فإنه يقلع الكلمة الأولى من جذورها ويداويها بوجوب الزكاة. ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ويداويها بحرمة الربا ويأمر البشرية: أوصدوا أبواب الربا لتنسد أمامكم أبواب الحروب.

وإذا تتبعنا بقية أحكام القرآن الكريم مثل[1]: تعدد الزوجات، المواريث، حجاب المرأة.. نجد أن المدنية الحاضرة تخسر وتغلب، أمام دساتير القرآن المتعلقة بحياة الإنسان الاجتماعية. لأن أغلب الأحكام فى الحياة الاجتماعية، إنما تسن حسب الأكثرية من الناس. فتصدر أحكام القرآن الكريم صالحة لكل زمان ومكان، وتحقق التوازن العام، والرقى الحضارى للمجتمع. وكذلك لو قسنا أحكام القرآن فى جميع المجالات،

---

(١) سنتناول تلك القضايا بالتفصيل إن شاء الله فى مبحث خاص بها وهو المبحث الثالث (قضايا المرأة).

سنجدها بلا شك تتفوق على المدنية التى لا تتحاكم إلى المنطق العقلى، بل تقوم على الهوى والمصلحة.

رابعا: انهزام الحياة الاجتماعية الإسلامية عند التمسك بأذيال أوروبا:

إن من يدرس الظروف الاجتماعية التى أحاطت بالشيخ النورسى، من زحف الحضارة الغربية على تركيا وسيطرتها على عقول الشباب بأفكارها الواهية.. يدرك عمق الدور الذى قام به ذلك الإمام العالم التقى، ويدرك أن الله سخره لعلاج داء ظهر في عصره، واستفحل بعد ذلك ليستشرى فى الأمة الإسلامية بأسرها، فيقضى على هوية الشعوب الإسلامية، التى جعلت قبلتها الحضارة الأوروبية، فصارت مسخا مشوها، أفقدها معالمها الاجتماعية كأمة ذات عقيدة سامية، وتاريخ مشرق، وحضارة مشرفة.. .

ولهذا فإن جهاد الإمام النورسى، لا يقتصر على علاج أمراض أمته فقط، أو العصر الذى زامنه فقط، بل نحن جميعا فى أشد الاحتياج إلى كلماته الصادقة، لتكون أجراسا توقظ الأمة الإسلامية من سباتها، وأنوارا تبدد ظلماتها.

وعلينا ونحن نستمع إلى كلماته أن نعيها بصدق، ونعرف فى أعماقنا أن كل عصر، تسود فيه دول معينة، تحاول أن تفرض سلطانها ببريق جبروتها، على الدول الضعيفة التى تستجيب لاغراءاتها، وتقع فى شباكها: ففى عصر الشيخ رحمه الله: سادت إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتى وألمانيا وإيطاليا. وفى عصرنا الحالى سادت أمريكا والصهيونية العالمية والشيوعية.

وهذا يستلزم منا اليقظة التامة، لتكون لنا جذور حقيقية، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ونعرف وقع خطواتنا فى الحياة، ونواجه أعاصير التقلبات، بعقيدة راسخة، تحمينا من انهزام أنفسنا، وانهزام مجتمعاتنا الإسلامية، أمام الأفكار الغربية، واغراءات المدنية الزائفة.

فماذا قال الإمام النورسى عن كل ذلك؟

شيطان كل زمان: [١]

اعلم أن لكل زمان شيطانا إنسيا، هو وكيل الشيطان، وقد لبس صورة إنسان فرد أو روح جماعة. وشيطان زماننا هو الروح الغدار، الذى نشر الفساد فى جوانب العالم بسياسته الفتانة، فيفسد العالم الإسلامى "بخطوات ست". إذ يتحرى فى الأناس وفى الجماعات المنابع الخبيثة، فيستعملها لأغراضه، ويتوسم فى الطبائع المعادن المضرة، فيستخرجها ويستخدمها لمصالحه بوساوسه الفعلية أى: بدعاياته وإشاعاته. ويتفطن فى النفوس إلى الأعصاب الضعيفة والعروق الواحية التى لا تقاوم، فيحركها لمفاسده، فيستعمل من بعض: حرص الانتقام.. ويحرك من بعض حرص الجاه.. ويهيج من بعض: حس الطمع.. ويستغل من بعض: الحمق.. ومن بعض: الإلحاد.. وهكذا.. ومن العجيب أنه يستغل من بعض التعصب، فيتخذ كل ذلك وساطة لإنفاذ سياسته.

استحالة التوفيق بين أطماع الغرب وعزة الإسلام: [٢]

إن أشد العقول بلاهة: عقل يرى إمكان التوفيق والتلاؤم بين أطماع (الإنكليز) ومنافعهم، وبين عزة الإسلام ومصلحته. وإن أكثر القلوب حماقة: قلب يظن إمكان الحياة تحت حمايتهم. فكيف يمكن أن يتفق قلب، مع قلب من يتلذذ بغرز خنجر الظلم فيه؟! إن الكفار، لا سيما الأوروبيون، ولا سيما شياطين انكلترة وأباليس الفرنك[٣] أعداء ألداء، وخصماء معاندون أبدا للمسلمين وأهل القرآن.. وذلك بسر: أن القرآن حكم على منكر القرآن والإسلام، وعلى آبائهم وأجدادهم بالإعدام الأبدى. فهم محكومون بالإعدام أبدا، والحبس فى جهنم سرمدا، بنصوص ذلك القرآن الحكيم.

فيا أهل القرآن! كيف توالون من لا يمكن أن يوالوكم أو يحبوكم أبدا؟ أبعد كل ما رأيتم من أحوال الغرب تنخدعون؟ أبعد ما رأيتم من قرب قبح

---

(١) الخطوات الست ص ٥٥١ من صيقل الاسلام.

(٢) الخطوات الست ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ من صيقل الاسلام.

(٣) أى الافرنج الذى أطلق على الفرنسيين أولا ثم شمل الأوربيين وفى (ط١) أمريكا.

الكفار وشناعتهم -بعدما كنتم ترونه جميلا من بعيد- تستحسنون ما استقبحه الشرع والعقل ومصلحة الإسلام. استعيذوا بالله من همزات الشياطين، والتجئوا إليه متضرعين نادمين، وتوسلوا برحمة الرحمن الرحيم.

النهي عن التمسك بأذيال الأجانب:[1]

يا من يحث المسلمين ويشوقهم على حطام الدنيا، ويسوقهم قسرا إلى صنائع الأجانب، والتمسك بأذيال رقيهم. ويا من يسوق المؤمنين قسرا إلى المدنية التي هي الدنية (أي بلا ميم). ويا مدعي الحمية، أيها الشقي!.. تمهل وتأمل! واحذر من انقطاع عرى الدين لبعض أفراد هذه الأمة، وانفصام روابطهم معه، لأنه إذا انقطعت تلك الروابط لدى البعض، تحت سطوة مطارق التقليد الأعمى والسلوك الأرعن، فسيكونون ملحدين مضرين بالمجتمع، مفسدين للحياة الاجتماعية كالسم القاتل، إذ المرتد سم زعاف للمجتمع، حيث قد فسد وجدانه، وتعفنت طويته كليا.

ومن هنا ورد في علم الأصول: "المرتد لا حق له في الحياة، خلافا للكافر الذمي أو المعاهد، فإن له حقا في الحياة".. وأن شهادة الكافر من أهل الذمة مقبولة عند الأحناف، بينما الفاسق مردود الشهادة لأنه خائن.

أيها الفاسق الشقي! لا تغتر بكثرة الفساق، ولا تقل إن أفكار أكثرية الناس تساندني وتؤيدني، ذلك لأنه لم يدخل الفسق برغبة فيه، وطلبا بذات الفسق، بل وقع فيه ولا يستطيع الخروج منه، إذ ما من فاسق إلا ويتمنى أن يكون تقيا صالحا، وأن يكون رئيسه وآمره ذا دين وصلاح، اللهم إلا من أشرب قلبه بالردة-والعياذ بالله-ففسد وجدانه بها، وأصبح يلتذ بلدغ الآخرين وإيذائهم كالحية.

إن المسلمين ليسوا بحاجة إلى تقليد الأجانب لتحقيق الرقي والتقدم، بل هم بحاجة إلى تنظيم مساعيهم، وبث اليقظة فيما بينهم، وتسهيل وسائط

---

(١) اللمعة السابعة عشرة ص ١٨٦ : ١٨٨ من اللمعات.

التعاون فيما بينهم[1]. ولا تتم هذه الأمور إلا بإتباع الأوامر المقدسة في الدين، والثبات عليها، مع التزام تقوى الله سبحانه وابتغاء مرضاته..

الفرق بين مدنية الكافرين ومدنية المؤمنين:[2]

اعلم أن الفرق بين مدنية الكافرين ومدنية المؤمنين: أن **الأولى** وحشة مستحالة ظاهرها مزين، وباطنها مشوه، صورتها مأنوسة، وسيرتها موحشة. و**مدنية المؤمنين** باطنها أعلى من ظاهرها، معناها أتم من صورتها، في جوفها أنسية وتحبب وتعاون..

والسر **أن المؤمن** بسر الإيمان والتوحيد، يرى أخوة بين كل الكائنات، وأنسية وتحببا بين أجزائها، لا سيما بين الآدميين، ولا سيما بين المؤمنين. ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقيا في المنتهى، والنتيجة في المستقبل. **وأما الكافر** فبحكم أن الكفر له أجنبية (أي إحساس بالغربة في هذا الكون) ومفارقة، بل نوع عداوة مع كل شئ لا نفع له فيه، حتى مع أخيه.. أما ما يرى في مدنية الكفار من المحاسن الإنسانية والمعالي الروحية، فمن ترشحات مخفية الإسلام، وانعكاسات إرشادات القرآن وصيحاته. ومن بقايا لمعات الأديان السماوية.

وإن شئت فاذهب بخيالك إلى مجلس ولي من الصالحين، وما أظهرت المدنية الإسلامية بصحبته القدسية: تر فيها ملوكا في زي الفقراء، وملائكة في زي الأناسي.. ثم اذهب إلى باريس، وادخل في لجنة الأعاظم، تر فيها عقارب، تلبسوا بلباس الأناسي، وعفاريت تصوروا بصور الآدميين.

إن تنامي الأخوة بين المسلمين، يسرع في هز المدنية الحاضرة، ويقرب دمارها، وستتبدل صورة المدنية الحاضرة، وسيتقوض نظامها. وعندما تظهر المدنية الإسلامية، سيعوض المسلمون عن البلاء الذي أصابهم، سعادة يرفل بها العالم الإسلامي، وحرية يتمتع بها، ويتلافى

---

(١) يعتبر الشيخ في كلامه هذا من الداعين إلى تكتلات الاسلامية عن طريق التكامل الاقتصادي والتنظيمات الاجتماعية، والهيئات السياسية المشتركة.

(٢) ص ١٨١ من المثنوي (حباب)، ص ٨٥٤ : ٨٥٧ من الكلمات (اللوامع).

المصائب والأضرار التي تصيبه من تقليد الغرب. وبهذه المدنية يعم السلام الشامل وتنتفي العنصرية والقومية السلبية.

مبررات إعراض العالم الإسلامي عن المدنية الحاضرة:[1]

لأنها لا تنفعهم، بل تضرهم. لأنها كبلتهم بالأغلال، بل صارت سما زعافا للإنسانية، بدلا من أن تكون لها ترياقا شافيا، إذ ألقت ثمانين بالمائة من البشرية في شقاء، لتعيش عشرة بالمائة منها في سعادة مزيفة. أما العشرة الباقية فهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء. وتتجمع الأرباح التجارية بأيدي أقلية ظالمة، بينما السعادة الحقة، هي في إسعاد الجميع، أو على الأقل أن تصبح مبعث نجاة الأكثرية.

والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين، لا يقبل إلا طراز من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية.. بينما المدنية الحاضرة، قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلت الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية.. وهكذا محيت راحة البشرية، إذ كان الإنسان في البداوة محتاجا إلى أشياء أربعة، بينما أفقرته المدنية الحاضرة الآن، وجعلته في حاجة إلى مائة حاجة وحاجة. حتى لم يعد السعي الحلال كافيا لسد النفقات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحرام.. ومن هنا: فسدت أسس الأخلاق، إذ أحاطت المجتمع والبشرية، بهالة من الهيبة، ووضعت في يدها ثروة الناس، فأصبح الفرد فقيرا وفاقدا للأخلاق.

والشاهد على هذا كثير، حتى أن مجموع ما ارتكبته البشرية، من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى، قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها.

إن الشريعة الإسلامية ترفض قبول تلك المدنية، لأن تلك الشريعة تربي في روح المسلم: الشفقة وعزة الإيمان، وترفض أن تكون تابعة

---

(١) اللوامع ص ٨٥٦، ٨٥٧ من الكلمات.

للدهاء.. فالنور الإلهى فى الشريعة الغراء يمنحها خاصة مميزة وهى: الاستقلال الذى يؤدى إلى الاستغناء.

وندعو الله أن تكون تلك هى سمات المجتمعات الإسلامية بحق ليتحقق لها الرقى الحضارى الذى تنشده.. فتحافظ على أصالتها، بالحفاظ على عقيدتها، وفى نفس الوقت تتابع التطور العلمى فى أجلى صوره، وأعلى مراتبه.. وبذلك تكون جمعت بين جناحى الحضارة الحقيقية: الإيمان والعلم، فيمكنها بذلك أن تحلق فى الآفاق العلا.. والله ولى التوفيق.

المبحث الثانى

كيف حقق الإسلام السلام الاجتماعى

إن السلام الاجتماعى هو الركيزة الأساسية، التى تبنى عليها الشعوب والأمم حضارتها: لأنه يوفر المناخ الملائم لعملية التنمية الاقتصادية، وما يتبعها من تنمية فى جميع المجالات.

فأمة يسود بين أفرادها الحب والإخاء والتعاون، لهى أمة جديرة بالاحترام، وبالحضارة، وبكل معانى الحياة الحقيقية. حيث تستطيع أن تشيد أركانها على دعائم ثابتة من العدل والحياة الحرة الكريمة، بصرف النظر عن حجم مواردها الاقتصادية: حيث سينخفض الاستهلاك إلى أدنى مستوياته نتيجة البعد عن التبذير والإسراف، بالإضافة إلى إيثار كل مؤمن أخاه على نفسه حتى يتساوى الجميع ولو فى الكفاف.. هذا من ناحية الطلب والاستهلاك. أما من ناحية العرض والانتاج، فسيتفانى الجميع فى أعمالهم المنوطة بهم، ويسعون إلى استثمار كل مواردهم التى حباهم الله بها، من بحار وأنهار ومعادن وأرض زراعية وجبال وحتى الصحراء.. يحكمهم الإخلاص والتعاون المثمر، والعدالة الاجتماعية فى توزيع موارد الثروة الاقتصادية، والرقابة على الضمير النابعة من روح الإيمان و.. وهكذا فالسلام الاجتماعى ليس أمرا هينا، أو ألفاظ يتلاعب بها، بل هو مبادئ ضرورية، ودعائم أساسية لكل أمة، كى تحقق الحضارة الحقيقية.

ولهذا اهتم الإسلام اهتماما بالغا، بوضع القوانين العامة، التى تكفل تحقيق ذلك السلام الاجتماعى.. ولشدة أهميتها لم تقتصر تلك القوانين على العقاب الإلهى فى الآخرة، بل هناك قوانين لا بد أن يطبقها ولى أمر المسلمين فى الدنيا عملا بقاعدة: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" وهى: حدود العقوبات للجرائم المختلفة مثل: القتل، الزنا، السرقة.. والتشريعات التى تنظم الحياة الاجتماعية مثل تشريعات الزواج والطلاق والبيع والشراء و..

(١٤)

وقد ترك الإمام النورسى لرجال القانون الإسلامى والمختصين، الكتابة عن القوانين الاجتماعية والعقوبات.. وتناول هو كعادته. دور الإسلام فى صقل الروح والعقل والقلب والضمير، لتحقيق السلام الاجتماعى فى حياة الأمة الإسلامية بأسرها.

وسنقوم هنا بعون الله وتوفيقه بتسجيل دور الشيخ فى هذا المجال، وذلك من خلال ثلاثة موضوعات رئيسية، تتناول عدة نقاط فرعية:

- الموضوع الأول: الإسلام دين السلام.
- الموضوع الثانى: دساتير إسلامية لرعاية الحقوق الاجتماعية.
- الموضوع الثالث: الحرص داء مضر على الحياة الاجتماعية.

أولا: الإسلام دين السلام

سلام المؤمن مع نفسه: [1]

إن الإيمان بالله يحقق فى المقام الأول: سلام المؤمن مع نفسه، وقدرته بالتالى على العيش فى سلام مع الآخرين. "فكل إناء ينضح بما فيه" و " فاقد الشئ لا يعطيه".

وقد عبر المولى ﷻ عن هذه الحقيقة الخالدة بقوله تعالى: **﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (الزمر: ٢٩).**

ففى الوحدة منتهى السهولة، وفى الكثرة والشرك غاية الصعوبات: لأن القرآن الكريم يفوض أمر المخلوقات غير المحدودة، إلى الصانع الواحد، ويسند إليه كل شئ مباشرة، فيسلك طريقا سهلا بدرجة الوجوب، ويدعو إليها وكذلك يفعل المؤمنون.

أما أهل الشرك والطغيان: فإنهم بإسنادهم المصنوع الواحد، إلى أسباب لا حد لها، يسلكون طريقا صعبا إلى درجة الامتناع، بينما جميع

---

(١) ص ٣٣٠ : ٣٣٤ من المكتوبات. (ذيل الكلمة العاشرة من المكتوب العشرين).

المصنوعات التى هى فى مسلك القرآن مساوية لمصنوع واحد فى هذا المسلك، بل إن صدور جميع الأشياء من الواحد الأحد، أسهل وأهون بكثير من صدور شئ واحد من أشياء لا حد لها. حيث أن ضابطا واحدا يدبر أمر ألف جندى بسهولة أمر جندى واحد. بينما إذا أحيل تدبير أمر جندى إلى ألف من الضباط، فالأمر يستشكل ويصعب بألف ضعف وضعف، وتنشأ الاختلاطات والاضطرابات والمماحكات..

المصالحة بين الطبقات الاجتماعية:

لما كان الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شئ[1].. لذا لا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة فى روح المؤمن. إذ بالدقة يرى أعدى عدو، نوع من أنواع الأخ له.. وهذا يحقق السلام العام بلا شك.

بينما الكفر يؤسس أجنبية وافتراقا بين كل الأشياء، لذا يشتد فى الكافر الحرص والعداوة والتزام النفس والاعتماد عليها.. وهذا يغلب العداء فى المجتمع. **﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ (الحشر: ١٤).**

واعلم! أن شرط انتظام الهيئة الاجتماعية[2]: أن لا تتجافى طبقات الإنسان، وأن لا تتباعد طبقة الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء، بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم.. ولذلك فإن من أساسيات الشريعة الإسلامية وجوب الزكاة وحرمة الربا.

ولكن للأسف، بإهمال المجتمعات الإسلامية تلك الشريعة المقدسة (وجوب الزكاة وحرمة الربا) انفرجت المسافة بين الطبقات، وتباعدت طبقات الخواص عن العوام، بدرجة لا صلة بينهما.. ولا يفور من الطبقة السفلى إلى العليا، إلا صدى الاختلال، وصياح الحسد، وأنين الحقد والنفرة، بدلا عن الاحترام والإطاعة والتحبب.. ولا يفيض من العليا على السفلى، بدل المرحمة والإحسان والتلطيف، إلا نار الظلم والتحكم، ورعد التحقير.. فأسفا! أن صارت "مزية الخواص" التى هى سبب التواضع والترحم، سببا

---

(١) قطرة. ص ١٥٨ من المثنوى.

(٢) سورة البقرة (الآية: ٣) ص ٥٤، ٥٥ من إشارات الإعجاز.

فأسفا! أن صارت "مزية الخواص" التى هى سبب التواضع والترحم، سببا للتكبر والغرور.. وصار "عجز الفقراء" و "فقر العوام" اللذان هما سبب المرحمة عليهم والإحسان إلهم سببا لأسارتهم وسفالتهم.

وهكذا تشبهنا بالمدنية الحديثة، واقتربنا من حالة الفساد ورذالة العالم المدنى.. ولا ملجأ للمصالحة بين الطبقات والتقريب بينها إلا جعل الزكاة – التى هى ركن من أركان الشريعة الإسلامية– دستورا عاليا واسعا فى تدوير الهيئة الاجتماعية، وكذلك تحريم الربا الذى هو سبب الحروب والعداء الاجتماعى.

سلام المؤمن مع المجتمع: [1]

قال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿**إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ **(الحجرات: ١٠)**.

إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد، من نفاق وشقاق فى أوساط المؤمنين، وما يوغر فى صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلا. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذى يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلا عن أن العداء ظلم شنيع، يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.

وقد ورد فى الحديث الشريف: "لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام". **(أخرجه البخارى ٢٣٣٩ ومسلم ٢٥٦٠ عن أبى أيوب الأنصارى ﵁)**.

نعم! إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعى حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد. ووحدة العقيدة هذه، تقتضى وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة، مع من يعيش معك فى طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد، بل تشعر بعلاقة أخوة معه، لوجودكما فى مدينة واحدة.. فما بالك بالإيمان الذى يهب لك من النور

---

(١) المكتوب الثانى والعشرون ص ٣٣٩ : ٣٥٠ من المكتوبات.

والشعور، ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة، ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى.

ولذلك فإن الذين يملأ قلوبهم الحقد والعداوة تجاه إخوانهم المؤمنين، إنما يظلمون أنفسهم أولا، علاوة على ظلمهم لإخوانهم. لأنهم لم يستمعوا بعقول واعية، وقلوب صافية، وهمم عالية، إلى قول الحق جل شأنه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (فصلت: ٣٤). ولم يجاهدوا أنفسهم بأنوار الآية الكريمة التي فيها العلاج النافع لتحقيق السلام الاجتماعي: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران: ١٣٤). ولم يمتثلوا إلى الدساتير القرآنية المقدسة التي فيها التوفيق والنجاح والسعادة والأمان مثل: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا فإن الله غفور رحيم﴾ (التغابن: ١٤).

نداء النورسي لتحقيق السلام في المجتمع الإسلامي:[1]

إن العناد والتنافر والفرقة يسبب أضرارا بالغة للحياة الاجتماعية، لأن المتنازعين والمختلفين يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء، حيث يحاول كل منهم تخريب مسلك الآخرين وهدمه، وهذا ما يرفضه الإسلام كلية.. فإذا قيل: لقد ورد في حديث شريف: "اختلاف أمتي رحمة". (رواه البيهقي في المدخل بسند منقطع..[2]) فإن الاختلاف الوارد في الحديث، هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت، وليس الاختلاف السلبي.

فعندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك، يجوز لك أن تقول: "إن مسلكي حق أو هو أفضل". ولكن لا يجوز لك أن تقول: "إن الحق هو مسلكي فحسب". لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل، لن يكونا محكا ولا حكما، يقضي على بطلان المسالك الأخرى.

فأفق أيها المسلم! واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة، بحجج تافهة وأسباب واهية، خلاف للوجدان الحي، وأي خلاف مناف لمصلحة الإسلام كليا. فانتبه!

---

(١) المكتوب الثاني والعشرون ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ من المكتوبات.

(٢) باختصار عن كشف الخفاء ١/٦٤). وانظر تمييز الطيب ص ١١.

ولقد ورد فى الأحاديث الشريفة ما مضمونه: أن الدجال والسفيانى وأمثالهما من الأشخاص الذين يتولون المنافقين، ويظهرون فى آخر الزمان، يستغلون الشقاق بين الناس والمسلمين، ويستفيدون من تكالبهم على حطام الدنيا، فيهلكون البشرية بقوة ضئيلة، وينشرون الهرج والمرج بينها، ويسيطرون على أمة الإسلام ويأسرونها.

إن ضيق الذهن وانحصاره على شئ، ينشأ من حب النفس ثم يكون داء. ومنه ينجم النزاع[1].. فالأدوية تتعدد حسب تعدد الأدواء، ويكون تعددها حقا.. وهكذا الحق يتعدد: فصاحب كل مذهب يحكم حكما مطلقا ومهملا، من دون أن يعين حدود مذهبه، إذ يدعه لاختلاف الأمزجة. ولكن التعصب المذهبى هو الذى يولد التعميم، ولدى الإلتزم بالعميم ينشأ النزاع.

فيجب أن يعى الناس جيدا أن تعدد المذاهب نتيجة اختلاف مستويات التربية وتعدد الاستعدادات.. ومتى تساوت المستويات وأوفت التربية الواحدة بحاجات الناس كافة تتحد المذاهب.. وهذا أمر يصعب تحقيقه، وخاصة نتيجة اتساع الأمة واختلاف سكانها بين ريف وحضر وبدو... مما يستلزم تعدد المذاهب لتسيير حياة الناس بما يتفق مع شرع الله. وهذا أمر يستوجب رحابة فكر وانشراح صدر، وليس نزاعا يؤدى إلى تفكك المجتمع الإسلامى، وإشاعة روح العداوة والبغضاء فيه مما نهى عنه الشرع كلية.

دور رسائل النور فى تحقيق السلام الاجتماعى:[2]

فى زمن عجيب كزماننا هذا، لابد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد، وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها، من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هى:

١- الاحترام المتبادل.
٢- الشفقة والرحمة.
٣- الابتعاد عن الحرام.

---

(١) اللوامع ص ٨٦٣ ، ٨٦٤ من الكلمات.

(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ من الشعاعات.

٤- الحفاظ على الأمن.
٥- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على أن رسائل النور فى نظرتها إلى الحياة الاجتماعية، قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة، وتحترمها احتراما جادا، محافظة بذلك على الحجر الأساسى لأمن البلاد.. هو أن رسائل النور قد استطاعت فى مدى عشرين عاما، أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل، أعضاء نافعين للبلاد والعباد، دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس.

ويحدد الشيخ القواعد التى يجب أن يلتزم بها المسلمون فى سلوكياتهم، لتحقيق السلام الاجتماعى وهى :[1]

١- العمل الإيجابى البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل فى عمله عداء الآخرين، أو التهوين من شأنهم، أى لا ينشغل بهم أصلا.
٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة، التى تربط المشارب المعروضة فى ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتى ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها، فيتفق معها.
٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكى حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل فى أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكى فحسب" أو "أن الحسن والجمال فى مسلكى وحده" الذى يقضى على بطلان المسالك الأخرى وفسادها
٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق، هو أحد وسائل التوفيق الإلهى، وأحد منابع العزة الإسلامية.
٥- الحفاظ على الحق والعدل، بإيجاد شخص معنوى، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق، للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل، الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوى قوى، فى صورة جماعة على أهل الحق -بما

---

(١) اللمعة العشرون ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ من اللمعات.

يتمتعون به من تساند واتفاق- ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية - مهما كانت قوية- مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوى للضلالة.

٦- ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل: ترك غرور النفس وحظوظها، وترك ما يتصور خطأ أنه من العزة والكرامة، وترك دواعى الحس والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

ندعو الله أن يوفق المسلمين، إلى العمل لما فيه نفع الأمة والدين، ليحطموا إسار التخلف المهين، ويرتفعوا إلى أعلى عليين.

ثانيا: دساتير إسلامية لرعاية الحقوق الاجتماعية :

يذكر النورسى كيف أن الإسلام يرعى الحقوق الاجتماعية لكافة طبقات المجتمع، لتحقيق السلام والوئام بينها.. ونبين فيما يلى دساتير الإسلام فى هذا الشأن:

١- ***رعاية حقوق الآباء والشيوخ:***[1]

قال تعالى فى كتابه الكريم: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة. وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا. ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ (الإسراء: ٢٣-٢٥).**

أيها الغافل، ويا من يسكن فى بيته أب شيخ، أو أم عجوز، أو أحد من ذوى قرباه، أو أخ فى الدين مقعد، أو شخص عاجز عليل.. انظر إلى هذه الآية الكريمة بدقة وإمعان، انظر كيف أن آية واحدة تجلب للوالدين العجوزين خمسة أنواع من الرحمة بصور مختلفة وأشكال متعددة؟ نعم، إن أسمى حقيقة فى الدنيا هى شفقة الأمهات والآباء حيال أولادهم، وأن أعلى الحقوق كذلك هو حق احترامهم مقابل تلك الشفقة والرأفة; ذلك لأنهم يضحون بحياتهم فدى لحياة أولادهم، بكل لذة وسعادة. ولذلك فإن كل ولد -

---

(١) ص ٣٣٥ : ٣٣٨ من المكتوبات. (المكتوب الحادى والعشرون).

إن لم تسقط إنسانيته ولـم ينقلب بعد إلـى وحـش- لابـد أن يوقـر بـإخلاص أولئك الأحبة المحترمين، المضحين الصادقين ويقوم بخدمتهم خدمة صادقة، ويسعى لنيل رضاهم وإدخال البهجة فـي قلوبهـم. إن العـم والعمـة همـا فـى حكم الأب، وإن الخال والخالة فى حكم الأم. فاعلم: ما أشد انعداما للضمير استثقال وجود هؤلاء الشيوخ الميامين واسترغاب موتهم! بل مـا أشـده مـن دناءة ووضاعة بالمرة. اعلم هذا.. واصح!

أجل افهم، ما أقذره من ظلم وما أفظعه من انعدام للضمير أن يتمنـى متمن زوال الذى ضحى بحياته كلها فى سبيل حياته هو!

أيها الإنسان المبتلى بهموم العيش! اعلم أن عمود بركة بيتـك ووسـيلة الرحمة فيه، ودفع المصيبة عنه، إنما هو ذلك الشيخ، أو ذلـك الأعمـى مـن أقربائك الذى تستثقله. لا تقل أبدا: إن معيشـتى ضنـك، لا أسـتطيع المـداراة فيها!.. ذلك لأنه لو لم تكن البركة المقبلـة مـن وجـوه أولئـك، لكـان ضنـك معيشتك أكثر قطعا. فخذ منـى هـذه الحقيقـة، وصدقهـا، فـإننى أعـرف لهـا كثيرا من الأدلة القاطعة، وأستطيع أن أحملـك علـى التصديـق بهـا كذلـك. ولكن، لئلا يطول الأمر فإننى أوجزها. كـن واثقـا جـدا مـن كلامـى هـذا. أقسم بالله أن هذه الحقيقة هى فى منتهى القطعية، حتى أن نفسى وشـيطانى أيضـا قد استسلما أمامهـا. فـلا غـرو أن الحقيقـة الـى أغـاظت شـيطانى وأسكتته، وحطمت عناد نفسى الأمارة بالسوء، لابد أنها تستطيع أن تـقنعك أيضا.

أجل؛ إن الخالق ذا الجلال والإكرام، الـذى هـو الرحمـن الرحيـم وهـو اللطيف الكريـم -بشهادة ما فـى الكـون أجمـع- حينمـا يرسـل الأطفـال إلـى الدنيا، فإنه يرسل أرزاقهم عقبهم مباشرة فى منتهى اللطف؛ كانقذاف ما فـى الأثداء وتفجيره كالينـابيع إلـى أفواههـم، كذلـك فـإن أرزاق العجـزة -الذيـن دخلوا فى عداد الأطفال بل هم أحق بالمرحمة وأحوج إلـى الرأفـة- يرسـلها لهم سبحانه وتعالى بصـورة بركـة، ولا يحمـل الأشـحاء مـن النـاس إعاشـة هـؤلاء ولا يدعهـا لهـم. فالحقيقـة التـى تفيدهـا الآيـات الكريمـــة: ﴿**إن الله هو الرازق ذو القوة المتين**﴾ (الذاريات: ٥٨). ﴿**وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم**

وهو السميع العليم﴾ (العنكبوت:٦٠): حقيقة ذات كرم، ينطق بها وينادى بلسان حال جميع المخلوقات المتنوعة من الأحياء. وليس الشيوخ الأقرباء وحدهم يأتيهم رزقهم رغدا بصورة بركة، بل رزق حتى بعض المخلوقات، التى وهبت لمصاحبة الإنسان وصداقته كأمثال القطط. فإن أرزاقها ترسل ضمن رزق الإنسان، وتأتى بصورة بركة أيضا . ومما يؤيد هذا، ما شاهدته بنفسى من مثال، هو: كانت لى حصة من الغذاء كل يوم -كما يعلم أحبائى القريبون- قبل سنتين أو ثلاث وهى نصف رغيف، وكان رغيف تلك القرية صغيرا، كثيرا ما كان لا يكفيني.. ثم جاءنى أربع قطط ضيوفا، وقد كفانى ذلك الغذاء وكفاهم. بل غالبا كانت تبقى منه فضلة وزيادة.

هذه الحالة قد تكررت عندى، بحيث أعطتنى قناعة تامة، من أننى أنا الذى كنت أستفيد من بركات تلك القطط! وأنا أعلن إعلانا قاطعا الآن: أن تلك القطط ما كانت حملا ولا عبئا على، ولم تكن تبقى تحت منتى، وإنما أنا الذى كنت أبقى تحت منتها.

أيها الإنسان! إن حيوانا شبه مفترس يأتى ضيفا إلى بيت يكون محورا للبركة، فكيف إذا حل فى البيت من هو أكرم المخلوقات وهو الإنسان؟ ومن هو أكملهم من بين الناس وهو المؤمن؟ ومن هو من العجزة والمعلولين المعمرين من بين أهل الإيمان؟ ومن هو أكثر أهلا للخدمة والمحبة من بين المعلولين والمعمرين، وأولى من يستحقونها وهم الأقربون؟ ومن هم أخلص صديق وأصدق محب من بين هؤلاء الأقربين وهم الوالدان؟! كيف بهم إذا حلوا فى البيت. فلك أن تقيس، ما أعظمها من وسيلة للبركة، ومن وساطة لجلب الرحمة ومن سبب لدفع المصيبة، كما يتضمنه معنى الحديث الشريف: لولا الشيوخ الركع لصب عليكم البلاء صبا.[1]

---

(١) "لولاعباد لله ركع، وصبية رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم البلاء -وفى رواية العذاب- صبا " رواه الطيالسى والطبرانى وابن منده وابن عدى وغيرهم عن أبى هريرة رفعه.. ورواه السيوطى فى الجامع الصغير. (باختصار عن كشف الخلفاء ١٦٣/٢).

إذن أيها الإنسان: تأمل.. واعتبر واعلم أنك إن لم تمت فلا مناص من أن تصير شيخا عجوزا، فإن لم تحترم والديك، فسيأتى عليك يوم لا يوقرك أولادك ولن يحترمونك، وذلك بما أودع الله من سر فى "الجزاء من جنس العمل". لذا.. إن كنت محبا لآخرتك، فدونك كنز عظيم ألا وهو: اخدمهما ونل رضاهما. وإن كنت تحب الدنيا فارضهما كذلك واشكر لهما. حتى تمضى حياتك براحة، وحتى يأتى رزقك ببركة من ورائهم.

وإلا.. فإن استثقال هؤلاء، وتمنى موتهم، وتجريح قلوبهم الرقيقة الحساسة، يجعلك ممن تنطبق عليه حقيقة الآية الكريمة **﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ (الحج: ١١).**

وإذا كنت تريد رحمة الرحمن الرحيم فارحم ودائع ذلك الرحمن، وما استودعك فى بيتك من أمانات.

٢- ***رعاية حقوق الأبناء:***[1]

إن محبة الأولاد هى محبة لله تعالى وتعود إليه، وذلك يستلزم القيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة، بكونهم هبة من الرحيم الكريم. ومن مظاهر الشفقة والرحمة، عدم البغى عليهم وتوفير احتياجاتهم الأساسية، تنفيذا لأمر الشريعة:

- روى ابن ماجة عن ابن عباس عن النبى ﷺ: أكرموا أولادكم. وأحسنوا أدبهم. **(الترغيب والترهيب ص٧٢ جزء ٣)** .

ويدخل فى رعاية الأولاد: الصبر مع الشكر عند البلاء، ولاسيما عند موتهم، والترفع عن اليأس والقنوط وهدر الدعاء، بل يجب التسليم بالحمد عند القضاء.. كأن يقول المؤمن عند موت ابنه: إن هذا المخلوق محبوب لدى الخالق الكريم، ومملوك له، وقد أمننى عليه لفترة من الزمن.. فالآن اقتضت حكمته سبحانه، أن يأخذه منى إلى مكان آمن وأفضل.. فإن تك لى حصة واحدة ظاهرية فيه، فله سبحانه ألف حصة حقيقية فيه.. فلا مناص إذن من التسليم بحكمة الله.

---

(١) الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين ص ٧٦٥ من الكلمات.

- ويخاطب الشيخ طلاب النور المتزوجين:[١]

اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقى العلم والعرفان، كى يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة، على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة فى هذه الدنيا، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقا.

وبخلافه لو تربى الأولاد على التربية الأوروبية وحدها -كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت- فإن أولئك يكونون غير نافعين لكم فى الدنيا -من جهة- ومدعين عليكم يوم القيامة، إذ يقولون لكم: "لم لم تنقذوا إيماننا؟" فتندمون وتحزنون من قولهم هذا، يوم لا ينفع الندم، وما هذا إلا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة، لأن الطفل الذى لم يتلق فى صغره درسا إيمانيا قويا، يصعب عليه بعد ذلك، أن يقرر فى روحه أركان الإيمان والإسلام، بل يكون ذلك عسيرا عليه، شأنه شأن تقبل غير المسلم الإسلام، بل يستغرب من الإسلام أكثر منه، ولا سيما إن لم ير والديه على دين وتقوى، وربى ذهنه بالعلوم الدنيوية وحدها. وفى هذه الحالة يستثقل الطفل والديه بدل أن يبرهما، ويكون بلاء عليهما، ويترقب موتهما، وفى الآخرة لا يكون شفيعا لهما.[٢]

٣- ***رعاية حقوق الزوجة:***[٣]

إن الزوجة هى رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها، على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمن الإلهية. عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أكثر المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا. وخياركم خياركم لنسائهم". **(رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه)**. وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يفرك مؤمن مؤمنة. إن كره منها خلقا رضى منها آخر، وقال غيره". **(رواه مسلم)**.

---

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٤٠٣ من الملاحق.

(٢) ملحق أمير داغ-١ ص ٢٤٥ من الملاحق.

(٣) الموقف الثالث من الكلمة الثانية والثلاثين ص ٧٦٥ من الكلمات.

ومعنى يفرك: أي يبغض -(الترغيب والترهيب ص٤٩ الجزء الثالث).

وانطلاقا من تلك الأحاديث النبوية. قال الشيخ رحمه الله:

وإياك أن تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل أوثقها بالجمال الذي لا يزول، ويزداد تألقا يوما بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في أنوثتها ورقتها. وإن أحلى ما فيها من جمال وأسماه، هو في شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحسن السيرة، يدومان ويزدادان إلى نهاية العمر. وبمحبتهما تصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، وألا تفقد حقوقها في وقت هي أحوج ما تكون إليها، بزوال الجمال الظاهري.

٤- ***رعاية المرضى:***[1]

إن رعاية المرضى تجلب لأهل الإيمان ثوابا عظيما. وإن زيارتهم والسؤال عن صحتهم وراحتهم، بشرط عدم تنغيصهم، لهي من السنة الشريفة. عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل العيادة أجرا، سرعة القيام من عند المريض" (فيض القدير ١٣٨٥/١ وجمع الفوائد ٣٣٢/١). كما أن رعاية المرضى كفارة للذنوب في الوقت نفسه. وقد ورد حديث بهذا المعنى: اطلبوا دعاء المريض فدعاؤه مستجاب[2].. وخاصة إذا كان المريض من الأقربين، وبخاصة إذا كان والدا أو والدة، فإن خدمتهما هي عبادة مهمة، وهي مثوبة كبرى أيضا.

وإن تطمين أفئدة المرضى، وبث السلوان في قلوبهم، يعتبر بحكم صدقة مهمة. فما أسعد أولئك الأبناء، الذين يقومون برعاية آبائهم أو أمهاتهم عند مرضهم، ويدخلون البهجة في قلوبهم الرقيقة المرهفة، فيفوزون بدعاء الوالدين لهم.. نعم! إن الحقيقة التي تستحق احتراما أكثر، ومكانة أسمى في الحياة الاجتماعية: هي شفقة الوالدين، وتعويض الأبناء

---

(١) اللمعة الخامسة والعشرون ص ٣٣٠ ، ٣٣١ من اللمعات.

(٢) دعاء المريض مستجاب وذنبه مغفور. مسند الفردوس ٢٨٠/١ وجمع الفوائد ٣٣٣/١ وابن ماجه برقم ١٤٤١.

الطبيين لتلك الشفقة، بتوجيه الاحترام اللائق، والعاطفة البارة الزكية إليهما، حينما يعانون من مرض. وهي لوحة وفية، تظهر الوضع الجيد للأبناء، وسمو الإنسانية، بحيث تثير إعجاب كل المخلوقات حتى الملائكة، فيحيونها مهللين مكبرين وهاتفين: "ما شاء الله، بارك الله".

نعم! إن العواطف والرأفة والرحمة المحلقة حول المريض، لتذيب ألم المريض، وتحوله إلى لذات حلوة مفرحة.. وإن قبول دعاء المريض والاستجابة له، مسألة مهمة جديرة بالاهتمام.

٥- ***رعاية حقوق الإخوان:***[1]

قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال: ٤٦).**

إن المسلمين بحاجة ماسة إلى الاتحاد والتساند التام، وإلى الفوز بسر "الإخلاص" الذي يهيئ قوة معنوية، بمقدار ألف ومائة وأحد عشر (١١١١) ناتجة عن أربعة أفراد.

وهناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جدا، أثبتت أن ستة عشر شخصا، من المتآخين المتحدين المضحين بسر الإخلاص التام، تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على أربعة آلاف شخص.[2]

ولذلك: امتثلوا بالآية الكريمة **﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ (الحشر: ٩)**. أي عليكم أن تفضلوا إخوانكم على أنفسكم، في المراتب والمناصب والتكريم والتوجيه، حتى في المنافع المادية التي تهش لها النفس وترتاح إليها.. وعليكم أن تتذكروا "رابطة الموت" التي تنفر من حب الدنيا، وطول الأمل والرياء.. وابعدوا عن الحسد الناشئ من المنافع المادية، الذي يفسد الإخلاص تدريجيا، ويشتت الأخوة الإسلامية. فإن دستور "الفناء في الإخوان" يناسب مسلكنا ومنهجنا تماما. أي أن يفنى كل في الآخر، بحيث ينسى كل أخ

---

(١) اللمعة الحادية والعشرون ص ٢٤١ : ٢٥١ من اللمعات.

(٢) ستة عشر أي أربع "أربعات" إذا إتحدت بسر الأخوة ووحدة الهدف والمهمة الواحدة فإنها تكسب قيمة أربعة آلاف وأربعمائة وأربع وأربعين "٤٤٤٤" وقوتها.

حياته النفسانية، ويعيش فكرا مع مزايا إخوانه وفضائلهم. حيث أن أساس مسلكنا ومنهجنا هو "الأخوة" في الله، وأن العلاقات التي تربطنا هي الأخوة الحقيقية.

وهذا نابع من قول الحق جل وعلا: **﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (الحجرات:١٠).**

ومن شدة رابطة الأخوة بين المؤمنين، نهى الله المسلم أن يذكر أخاه بسوء. قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ (الحجرات: ١٢).**

ومما سجله الشيخ النورسي في شرح هذه الآية[1]:

يخطاب الله المسلمين قائلا: ماذا جرى لحياتكم الاجتماعية، التي تستمد حيويتها من حيوية الجماعة؟ وما بال مدنيتكم وحضارتكم حتى أصبحت ترضى بما يسمم حياتكم ويعكر صفوكم؟ وماذا أصاب إنسانيتكم حتى أصبحتم تفترسون صديقكم الحميم؟

أليس بكم رأفة ببني جنسكم؟ أليس لكم صلة رحم تربطكم معهم؟ حتى أصبحتم تفتكون بمن هو أخوكم من عدة جهات، وتنهشون شخصه المعنوي المظلوم نهشا قاسيا؟

أفسدت فطرتكم؟ حتى أصبحتم تجترحون أبغض الأشياء وأفسدها، وهو أكل لحوم أخيكم ميتا، في الوقت الذي هو جدير بكل احترام وتوقير.

ونكتفي في هذا المجال بما سجلناه من دساتير، لرعاية الحقوق الاجتماعية، ذكرها الشيخ النورسي في رسائل النور .. على أن يكون معلوما أن تلك الدساتير: هي من قبيل التربية الروحية والوجدانية للأمة الإسلامية، التي تجعل حياتها أكثر أمنا وسلاما وسعادة وإشراقا، وتكون في نفس الوقت المحرك الداخلي والدافع الأساسي، للتقدم الحضاري الحقيقي الذي يحقق التنمية المادية، وفي نفس الوقت الاستقرار الاجتماعي، الذي يساعد على الاستمتاع بجني ثمرات التقدم المادي.

---

(١) خاتمة المكتوب الثاني والعشرين ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ من المكتوبات.

وهذا ما حرص عليه الإمام النورسى فى كل كتاباته، وهو أن يعلنها صيحة مدوية فى أعماق الزمان، عبر العصور والأجيال: "إن الدين حياة للحياة، ونور وأساس لها. ولا يمكن إحياء الشعوب إلا بإحياء الإيمان".

ثالثا: الحرص داء مضر على الحياة الاجتماعية:[1]

أيها المؤمن: لقد أدركت مما سبق مدى ما تتركه العداوة والبغضاء من أضرار جسيمة . فاعلم أن الحرص أيضا داء كالعداء، بل هو أضر على الحياة الإسلامية وأدهى عليها. نعم الحرص بذاته سبب الخيبة والخزلان، وداء وبيل ومهانة وذلة، وهو الذى يجلب الحرمان والدناءة.. والشاهد القاطع على هذا الحكم على الحرص: هو ما أصاب اليهود من الذلة والمسكنة والهوان والسفالة، لشدة تهالكهم على حطام الدنيا، أكثر من أية أمة أخرى.

مظاهر التأثير السئ للحرص:

يظهر الحرص تأثيره السئ؛ بدءا من أوسع دائرة فى عالم الأحياء، وانتهاء إلى أصغر فرد فيه، بينما السعى وراء الرزق المكلل بالتوكل، مدار الراحة والاطمئنان، ويبرز أثره النافع فى كل مكان.

مثال ذلك: أن النباتات والأشجار المثمرة المفتقرة إلى الرزق -وهى التى تعد نوعا من الأحياء- تهرع إليها أرزاقها سريعة، وهى منتصبة فى أماكنها، متسمة بالتوكل والقناعة، دون أن يبدو منها أثر للحرص، بل تتفوق على الحيوانات فى تكاثرها، وتربية ما تولد من ثمرات.. أما الحيوانات: فلا تحصل على أرزاقها إلا بعد جهد ومشقة، وبكمية زهيدة ناقصة، ذلك لأنها تلهث وراءها بحرص، وتسعى فى البحث عنها حثيثا.

---

(١) المبحث الثانى من المكتوب الثانى والعشرين ص ٣٥١ : ٣٥٦ من المكتوبات.
ولمزيد من التفصيل، يمكن الرجوع إلى القسم السادس من المكتوب التاسع والعشرين ص ٥٣٢ : ٥٥٢ من المكتوبات.

حتى أننا نرى فى عالم الحيوان نفسه: أن الأرزاق يسرى قانونها على الصغار، الذين يعبرون عن توكلهم على الله، بلسان حالات ضعفهم وعجزهم، فيرسل إليهم رزقهم المشروع اللطيف الكامل، من خزينة الرحمة الإلهية.. بينما لا تحصل الحيوانات المفترسة، التى تنقض على فرائسها بحرص شديد، إلا بعد لأى كبير وتحر عظيم. فهاتان الحالتان تبينان بوضوح: أن الحرص سبب الحرمان، أما التوكل والقناعة فهما وسيلتا الرحمة والإحسان. وكما يصدق هذا على الأفراد، فإنه يصدق على المجتمعات، والشعوب والأمم.

لماذا ضربت الذلة والمهانة على اليهود؟

إن اليهود، الذين هم أحرص الناس على الحياة، ويستحبون الحياة الدنيا على الآخرة، بل يعشقونها حب العاشق الولهان، حتى سبقوا الأمم فى هذا المجال.. قد ضربت عليهم الذلة والمهانة، وألحقت بهم حملات القتل بيد الأمم الأخرى.. كل ذلك مقابل حصولهم -بعد عناء طويل- على ثروة ربوية محرمة خبيثة، لا ينفقون منها إلا النزر اليسير، وكأن وظيفتهم كنزها وادخارها فحسب.. وهكذا فهم أكثر الأمم ذلة ومهانة، وأكثرهم تعرضا لسوء المعيشة، حتى أغنياؤهم يعيشون عيشا ذليلا، لأن أموالهم التى يحصلون عليها، بالربا وأمثاله من الطرق غير المشروعة، أى ليست من الرزق الحلال.

وهذا يبين لنا: أن الحرص معدن الذلة والخسة والخسارة فى عالم الإنسانية.. وهناك وقائع كثيرة، وحوادث لا تدخل فى الحصر، تثبت أن الحريص معرض دائما للوقوع فى حومة الخسران، حتى جرى مجرى الأمثال الشائعة أن "الحريص خائب خاسر" واتخذه الجميع حقيقة عامة فى نظرهم.. فما دام الأمر هكذا، إن كنت تحب المال حبا جما، فاطلبه بالقناعة -دون الحرص- حتى يأتيك وافرا.

كيف يمكن الإحساس بالتأثير السئ للحرص؟

إن سوء تأثير الحرص، ووخامة عاقبته، يمكن أن يشعر به كل واحد، حتى فى أصغر الأمور وأدقها جزئية.

- فمثلا: يمكن أن يشعر كل شخص استياء واستثقالا فى قلبه، تجاه متسول يلح عليه بحرص شديد، حتى أنه يرده، بينما يشعر إشفاقا وعطفا تجاه متسول آخر، وقف صامتا قنوعا، فيتصدق عليه ما وسعه.
- ومثلا: إذا أردت أن تغفو فى ليلة أصبت فيها بالأرق.. فإنك تهجع رويدا رويدا إن أهملته ولم تبال به. ولكن إن حرصت على النوم وقلقت عليه، وأنت تتمتم: ترى متى أنام؟ أين النوم منى؟.. لتبدد النوم ولفقدته كليا.
- ومثلا: تنتظر أحدهم بفارغ الصبر، وأنت حريص على لقائه لأمر مهم، فتشعر بالقلق قائلا: لم لم يأت.. ما باله تأخر؟ وفى النهاية يزيح الحرص الصبر من عندك، ويضطرك إلى مغادرة مكان الانتظار يائسا. وإذا بالشخص المنتظر يحضر بعد هنيهة، ولكن النتيجة المرجوة قد ضاعت وتلاشت.

فيا أيها الأخوة المشدوهون من هموم العيش، والهائمون فى الحرص على الدنيا! كيف ترضون لأنفسكم الذلة والمهانة فى سبيل الحرص-مع أن فيه هذه الأضرار والبلايا. وتقبلون على كل مال دون أن تعبأوا أهو حلال أم حرام؟ وتضحون فى سبيل ذلك أمورا جليلة، وأشياء قيمة، تستوجبها سعادتكم الدنيوية والأخروية.

السر في الفقر والخصاصة الذي أصاب الأمة الإسلامية:

لقد سئلت في رؤيا خيالية عجيبة ذات حقيقة، وذلك في السنة الخامسة من الحرب العالمية الأولى.. السؤال التالي:

ما السر في هذا الفقر والخصاصة الذي أصاب الأمة الإسلامية؟ وما السر في هذا التلف الذي أصاب أموالهم وأهدرها، وفي العناء والمشاق التي رزحت تحته أجسادهم؟

وقد أجبت عن السؤال في رؤياي بما يأتي:

إن الله تعالى قد فرض علينا فيما رزقنا من ماله، زكاة العشر في نوع من الأموال (أي جزء من عشرة أجزاء مما يعطيه لنا بدون جهد كبير كالزرع الذي يسقى بالمطر).. وواحدا من أربعين في قسم آخر. (أي من المال الذي يمر عليه سنة كالعروض والمواشي).

وذلك كي يجعلنا ننال ثواب أدعية خالصة تنطلق من الفقراء، ويصرفنا عما توغر في صدورهم من الضغينة والحسد.. إلا أننا قبضنا أيدينا حرصا على المال فلم نؤد الزكاة.. فاسترجع سبحانه وتعالى تلك الزكاة المتراكمة علينا، بنسبة ثلاثين من أربعين، وبنسبة ثمانية من عشرة.

وطلب سبحانه منا: أن نصوم لأجله، ونجوع في سبيله جوعا، يتضمن من الفوائد والحكم ما يبلغ السبعين فائدة. طلبه منا أن نقوم به في شهر واحد من كل سنة، فعزت علينا أنفسنا، وأخذتنا الرأفة بها من غير وجه وحق، وأبينا أن نطيق جوعا ممتعا مؤقتا. فما كان منه سبحانه إلا مجازاتنا بنوع من صوم وجوع، له من المصائب ما يبلغ السبعين مصيبة، وأرغمنا عليه طوال خمس سنوات متتالية.

وكذا طلب منا سبحانه: نوعا من تنفيذ الأوامر والتعليمات الربانية، الطيبة المباركة السامية النورانية، نؤديها في ساعة واحدة من بين أربع وعشرين ساعة. فتقاعسنا عن أداء تلك الصلوات والأدعية والأذكار. فأضعنا تلك الساعة الواحدة، مع بقية الساعات، فكان منه سبحانه، أن كفر عنا بما بدا منا من سيئات وتقصيرات، وجعلنا نرغم على أداء نوع من

العبادة والصلاة، بتلقين التعليمات والتدريبات من كر وفر، وعدو، وإغارة، وما إلى ذلك، فى غضون خمس سنوات متتابعة.

أسباب ما آلت إليه البشرية من ترد الحياة الاجتماعية:

إن هناك كلمتين اثنتين، هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية فى حياتهم الاجتماعية، من ترد فى الأخلاق، وانحطاط فى القيم، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلاقل.

وهاتان الكلمتان هما:[1]

الأولى: إن شبعت فلا على أن يموت غيرى من الجوع.

الثانية: اكتسب أنت لآكل أنا. واتعب أنت لأستريح أنا.

والذى يديم هاتين الكلمتين ويغذيهما هو: جريان الربا، وعدم أداء الزكاة.

وأن الحل الوحيد والدواء الناجح لهذين المرضين الاجتماعيين هو: تطبيق الزكاة فى المجتمع، وفرضها فرضا عاما. وتحريم الربا كلية، الذى يسبب ضررا بالغا على المجتمعات.

إن أهمية الزكاة، لا تنحصر فى أشخاص وجماعات معينة فقط، بل إنها ركن مهم فى بناء سعادة الحياة البشرية ورفاهيتها، بل هى عمود أصيل تتوطد به إدامة الحياة الحقيقية للإنسانية. ذلك لأن فى البشرية طبقتين: الخواص والعوام.. والزكاة تؤمن الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام، وتضمين الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص.. وإلا ستنهال مطارق الظلم والتسلط على هامات العوام من أولئك الخواص، وينبعث الحقد والعصيان اللذان يضرمان فى أفئدة العوام، تجاه الأغنياء الموسرين. وتظل هاتان الطبقتان من الناس فى صراع معنوى مستديم، وتخوضان غمار معمعة الاختلافات المتناقضة، حتى يؤول الأمر تدريجيا

(١) ذكرنا تلك الكلمتين فيما سبق: عند التكلم عن "الإسلام دين السلام". (المصالحة بين الطبقات).

إلى الشروع في الاشتباك الفعلي، والمجابهة حول العمل ورأس المال كما حدث في روسيا.

وكذلك لا يقل شيوع الربا أثرا في اضطراب المجتمعات، عن تحريم الزكاة.. فكلاهما معول هدم ينقض دعائم الأمة، ويشيع فيها الفوضى والحقد، ويشعل نار الحروب.

لأن الرغبة في المنافع المادية، وترقبها بدافع من أثرة النفس الأمارة، وحرصها على كسب المنافع لذاتها، يثير عروق الكراهية والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة مما يؤدى بها إلى شفا حفرة من النار.

ولهذا فإن الحرص داء مضر على الحياة الإنسانية، يقوض أركان مجتمعاتنا إذا استشرى بين أبنائها.. وهذا ما يجب مواجهته، بدستور الشريعة الإسلامية، وتعاليمها السماوية ومبادئها النبيلة الراقية السامية، التى تصلح أحوال من اهتدى بهديها، واستنار بوحى أفكارها.

نسأل الله أن يلهمنا الهدى والرشاد، ويوفقنا إلى ما فيه خير ديننا ودنيانا.

المبحث الثالث

المرأة واليقظة الاجتماعية

نظرا لأهمية دور المرأة فى المجتمع، ذلك الدور المقدس، الذى حباها الله به، فى إنجاب الإنسان ورعايته، حتى كان لها شرف إنجاب الأنبياء، والانفراد برعايتهم فى معظم الأحوال. نقول نظرا لأهمية ذلك الدور. فقد أولاها الإمام النورسى رعاية خاصة، نابعة من رعاية الشريعة للمرأة، حرصا على تحقيق التقدم والرقى للمجتمع الإسلامى.

وسنحاول -بعون الله وتوفيقه- أن نوضح ملامح تلك الرعاية، التى أولاها النورسى للمرأة، فى هذا المبحث فى جزئين رئيسيين، يتناول كل جزء منهما عدة نقاط تتحد فى مضمونها وأهدافها:

الجزء الأول: المرأة والتربية الإسلامية.

الجزء الثانى: قضايا تتعلق بالمرأة.

الجزء الأول: المرأة والتربية الإسلامية.

أهمية دور المرأة فى المجتمع:[1]

من المعلوم أن أهم أساس فى مسلك رسائل النور هو الشفقة. وحيث أن السيدات هن معدن الشفقة ومنبعها. فقد كنت أنتظر -منذ مدة- أن تفهم ماهية رسائل النور فى عالم النساء. والحمد لله، فإن السيدات هنا وحوالينا يعملن عملا جادا، وبشوق وفعالية أكثر من الرجال، فأظهرن حقا أنهن أخوات مباركات.

---

(١) ملحق قسطمونى ص ١٣٨ ، ١٣٩ من الملاحق.
وبتفصيل أكبر فى اللمعة الرابعة والعشرون ص ٣٠٧ : ٣١٠.

ولقد غدت التضحية التى تنطوى عليها الشفقة والحنان، ذات أهمية عظمى فى زماننا هذا، إذ أنها تعبر عن إخلاص حقيقى، وفداء دون عوض ومقابل.

النساء والدات الشفقة وبطلات الحنان:

نعم! إن فداء الأم بروحها إنقاذا لولدها من الهلاك، من دون انتظار لأجر، وتضحيتها بنفسها بإخلاص حقيقى لأولادها، باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة فى النساء، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهم الدنيوية والأخروية، بانكشاف هذه البطولة وانجلائها فى أنفسهن، إلا أن تيارات فاسدة تحول دون ظهور تلك السجية القيمة القويمة، وتمنع انكشافها، أو تصرف تلك التيارات هذه السجية الطيبة إلى غير محالها فتسئ استعمالها.

مثال ذلك:

إن الوالدة الحنونة تضع نصب عينيها كل فداء وتضحية، لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك، لتجعله يستفيد فى الدنيا. فتربى ولدها على هذا الأساس، فتنفق جميع أموالها، ليكون ابنها عظيما وسيدا آمرا.. فتراها تأخذ ولدها من المدارس العلمية الدينية وترسله إلى أوروبا، من دون أن تفكر فى حياة ولدها الأبدية، التى تصبح مهددة بالخطر. فهى إذن تسعى لتنقذه من سجن دنيوى، لا تهتم بوقوعه فى سجن جهنم (الأبدى) فتتصرف تصرفا مخالفا لفطرتها كلية، إذ بدلا من أن تجعل ولدها البرئ شفيعا لها يوم القيامة، تجعله مدعيا عليها، إذ سيشكو ذلك الولد هناك قائلا لها: "لم لم تقوى إيمانى حتى تسببت فى هلاكى هذا ؟!". وحيث أنه لم يأخذ قسطا وافرا من التربية الإسلامية، فلا يبالى بشفقة والدته الخارقة، بل قد يقصر فى حقها كثيرا.

ولكن إذا ما سعت تلك الوالدة إلى إنقاذ ولدها من جهنم، بشفقتها الحقيقية الموهوبة دون الإساءة فى استعمالها، فإن ولدها سيوصل الأنوار دوما إلى روحها بعد وفاتها، إذ يسجل فى صحيفة أعمالها مثل جميع

الحسنات التى يعملها الولد، كما سيكون لها ولدا طيبا مباركا، شفيعا لها عند الله لا شاكيا منها ولا مدعيا عليها.

نعم! إن أول أستاذ للإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليما، إنما هو والدته.. وأقسم بالله أن أرسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد على، إنما هو تلقينات والدتى لفطرتى وروحى، وأنا فى السنة الأولى من عمرى التى أصبحت كالبذور، التى تنبت حقائق على مدى عمرى كله.. حقا إذا اجتمعت الشفقة والإخلاص فى تلك الطائفة المباركة (طائفة النساء) فإنهن سيكونن مدار سعادة عظمى فى المحيط الإسلامى.

كيف يتحقق الزواج الكفء؟[1]

إن زماننا هذا لا يشبه الأزمنة الغابرة، فلقد تمكنت التربية الحديثة "الأوروبية" فى المجتمع، عوضا عن التربية الإسلامية، طوال نصف قرن من الزمان. إذ بينما الذى يتزوج ليحصن نفسه من الآثام وليجعل زوجته صاحبته الأبدية، ومدار سعادته الدنيوية، بدافع من تربية الإسلام.. نراه يجعل تلك الضعيفة المنكوبة -بتأثير التربية الأوروبية- تحت سطوته وتحكمه الدائم، ويحصر حبه لها فى عهد شبابها وحده، وربما يزجها فى عنت ومشقات تفوق كثيرا ماهيأ لها من راحة جزئية.. فتمضى الحياة فى عذاب وآلام، ولاسيما إن لم يكن الزوج كفؤا -بالاصطلاح الشرعى، حيث الحقوق الشرعية لا تراعى.. وإذا ما تداخلت المنافسة والغيرة والتقليد فالبلاء يتضاعف.

وهكذا فالذى يدفع إلى هذا الزواج أسباب ثلاثة:

السبب الأول:

لقد وضعت الحكمة الإلهية ميلا وشوقا فى الإنسان لإدامة النسل. ووضع أجرة لأداء تلك الوظيفة الفطرية، وهى اللذة. فالرجل ربما يتحمل مشاق ساعة، لأجل تلك اللذة التى تدوم عشر دقائق -إن كانت مشروعة-

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٤٠ : ٣٤٢ من الملاحق.

بينما المرأة، تحمل فى بطنها الطفل حوالى عشرة أشهر، مقابل تلك المتعة التى تدوم عشر دقائق، فضلا عما تتحمل من مشقات طوال عشر سنوات، من أجل طفلها. بمعنى أن تلك اللذة التى تدوم عشر دقائق تزيل أهمية ذلك الميل الفطرى، حيث تسوق إلى هذه المصاعب الكثيرة والمتاعب المستمرة.

فيجب إذن ألا تدفع المرأة إلى الزواج أحاسيسها ودوافعها النفسية وميلها الفطرى.

السبب الثانى:

أن المرأة محتاجة فطرة، إلى من يعينها فى أمور العيش، لضعف فى خلقتها. فمن الأولى لها أن تسعى لكسب نفقتها بنفسها -كما هى الحال لدى نساء القرى- وذلك أفضل لها بعشرات المرات من أن تدفعها تلك الحاجة، إلى الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير إسلامية -كما فى أيامنا الحاضرة- واعتاد على الإكراه والفساد، وربما تحاول الزوجة رضاه، بالتصنع وبالإخلال بعبادتها وأخلاقها، التى هى مدار حياتها الدنيوية والأخروية. كل ذلك لأجل تلك المعيشة البسيطة الزهيدة.

وحيث أن الخالق الرحيم والرزاق الكريم، يرسل لهن رزقهن، مثلما يرسل رزق الصغار من الأثداء. فليس من شأن طالبة النور، إذن البحث عن زوج تارك للصلاة، فاقد للأخلاق، والرضوخ له من التصنع لأجل ذلك الرزق.

السبب الثالث:

إن فى فطرة المرأة حب الأولاد وملاطفتهم، والذى يقوى هذا الميل الفطرى، ويسوق إلى الزواج، هو خدمة الولد لها فى الدنيا، وشفاعته لها يوم القيامة، وإرساله الحسنات إليها بعد وفاتها. إلا أن التربية الأوروبية التى حلت محل التربية الإسلامية فى الوقت الحاضر، تجعل واحدا أو اثنين من كل عشرة أبناء، ابنا بارا بوالدته، ويسجل حسنات فى صحيفة أعمالها بأدعيته الطيبة وأعمال البر، ويشفع لها -إن كان صالحا- يوم القيامة، فيكافئ حقا شفقة والدته، بينما الثمانية الباقية من العشرة يهملون هذه الحالة.

لذا فإن هذا الميل الفطرى، والشوق النفسانى فى حب الأولاد ومداعبتهم، لا ينبغى أن يدفع المرأة فى الوقت الحاضر، إلى تحمل مصاعب هذه الحياة الشاقة، إن لم تكن مضطرة إليها اضطرارا قاطعا.

فبناء على هذه الحقيقة التى أشرنا إليها، أخاطب بناتى من طالبات النور، اللائى يرغبن فى حياة العزوبة، ويفضلن البقاء باكرات، فأقول:

يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح، ذا الأخلاق الحسنة الملائم لهن تماما، بل عليهن البقاء فى حياة العزوبة، إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، كما هو حال بعض طلاب النور الأبطال، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها، ممن تربى بتربية الإسلام، وله وجدان حى، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها. وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية، لأجل لذة دنيوية طارئة، فتغرق فى سيئات المدنية.

فتنة النساء آخر الزمان:[1]

يفهم من روايات الأحاديث النبوية أن النساء وفتنتهن، ستؤدى أخطر دور وأرهبه، فى فتنة آخر الزمان.

نعم، كما تنقل لنا كتب التاريخ: أنه كانت فى القرون الأولى، طائفة من النساء اشتهرن بالشجاعة وحمل السلاح، يعرفن بـ (نساء الأمازون) حتى تشكلت منهن فرقة عسكرية، اقتحمت حروبا ضارية.. كذلك فى عصرنا هذا، لدى تصدى ضلالة الزندقة للإسلام، وحربها معه، فإن أرهب فرقة من الفرق المغيرة على الإسلام، والتى تسير وفق مخطط النفس الأمارة بالسوء، وسلمت قيادها وإمرتها إلى الشيطان، هى طائفة من النساء الكاسيات العاريات، اللائى يكشفن عن سيقانهن، ويجعلنها سلاحا قاسيا جارحا، ينزل بطعناته على أهل الإيمان! فيغلقن بذلك باب النكاح ويفتحن أبواب السفاح، إذ يأسرن بغتة نفوس الكثيرين، ويجرحنهم جروحا غائرة، فى قلوبهم وأرواحهم بارتكابهم الكبائر، بل ربما يصرعن قسما من تلك القلوب ويقضين عليها.

---

(١) اللمعة الرابعة والعشرون ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ من اللمعات.

وإنه لعقاب عادل لهن، أن تصبح تلك السيقان المدججة بسلاح الفتنة الجارح، حطب جهنم وتحرق في نارها أول ما يحرق، لما كن يكشفنها لبضع سنوات أمام من يحرم عليهن.

فضلا عن ذلك، فإنهن يفقدن الزوج المناسب لهن. بل لا يستطعن الحصول عليه، وهن في أمس الحاجة إليه بحكم الفطرة والخلقة، لما كن قد ضيعن الثقة والوفاء في الدنيا، بل يصبحن في حالة من الابتذال وفقدان الرعاية والأهمية -نتيجة عدم الرغبة في النكاح، وعدم الرعاية لحقوقه- ومما يزيد في ذلك: أن يكون رجل واحد قيما على أربعين من النساء، كما ورد ذلك في الحديث الشريف[1].

فما دامت الحقيقة هكذا.. وما دام كل جميل يحب جماله، ويحاول جهده المحافظة عليه، ولا يريد أن يمس بسوء.. ومادام الجمال نعمة مهداة، والنعمة إن حمدت عليها زادت، وإن قوبلت بالنكران تغيرت.. فلا شك أن المرأة المالكة لرشدها، ستهرب بشدة وبكل ما لديها من قوة، من أن تجعل جمالها، وسيلة لكسب الخطايا والذنوب وسوق الآخرين عليها.. وستفر حتما من أن تجعل جمالها يتحول إلى قبح دميم وجمال منحوس مسموم.. وستنهزم بلا شك، من أن تجعل بالنكران تلك النعمة المهداة، مدار عذاب وعقاب.

لذا ينبغي للمرأة الحسناء، استعمال جمالها على الوجه المشروع، ليظل ذلك الجمال الفاني خالدا دائما، بدلا من جمال لا يدوم سوى بضع سنين، فتكون عندئذ قد أدت شكر تلك النعمة. وإلا ستتجرع الآلام والعذاب في وقت شيخوختها، وستبكي وتندب على نفسها يائسة نادمة، لشدة ما ترى من استثقال الآخرين لها وإعراضهم عنها.

---

(١) عن أنس قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد " البخاري -كتاب العلم- باب رفع العلم وظهور الجهل.

أما إذا زين ذلك الجمال، بزينة آداب القرآن الكريم، وروعى الرعاية اللائقة، ضمن نطاق التربية الإسلامية، فسيظل ذلك الجمال الفانى باقيا – معنى– وستمنح المرأة جمالا هو أجمل وأبهى وأحلى من جمال الحور العين، فى الجنة الخالدة كما هو ثابت فى الحديث الشريف[1]. فلئن كانت لتلك المرأة مسكة من عقل، فلن تدع هذه النتيجة الباهرة الخالدة قطعا، أن تضيع منها.

دور الجمعيات المفسدة فى إضلال النساء الغافلات:[2]

لما كنت فى هذه السنة معتزلا الناس، مبتعدا عن الحياة الاجتماعية، نظرت إلى الدنيا، نزولا لرغبة أخوة وأخوات من النوريين، فسمعت من أغلب من قابلنى من الأصدقاء: شكاوى عن حياتهم الأسرية. فتأسفت من الأعماق وقلت: "أو دب الفساد فى هذه الحياة أيضا؟ إن الحياة الأسرية هى قلعة الإنسان الحصينة، ولاسيما المسلم، فهى كجنته المصغرة ودنياه الصغيرة".

فتشت عن السبب الذى أدى إلى فسادها. وعلمت أن هناك منظمات سرية، تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم، بتذليل سبل الشهوات أمامهم، وسوقهم إلى السفاهة والغواية، لإفساد المجتمع الإسلامى، والإضرار بالدين الإسلامى. كما أحسست أن منظمات أيضا تعمل فى الخفاء، وتسعى سعيا جادا مؤثرا، لدفع الغافلات من النساء اللطيفات، إلى طرق خاطئة آثمة. وأدركت أن ضربة قاصمة على هذه الأمة الإسلامية، تأتى من تلك الجهة.

---

(١) فى الباب أحاديث كثيرة نذكر منها: عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: (فى حديث طويل) قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله ﷻ ألبس الله ﷻ وجوهن النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلى.. الخ الحديث.. رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وهذا لفظه (عن الترغيب والترهيب للمنذرى ٥٣٧/٤).

(٢) اللمعة الرابعة والعشرون ص ٣١٠ : ٣١٣ من اللمعات.

فيا أخواتى، ويا بناتى المعنويات الشابات:

إن العلاج الناجح، لإنقاذ سعادة النساء، من الإفساد فى دنياهن وأخراهن معا، والوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتى فى فطرتهن من الفساد، ليس إلا فى تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل.

فلا يمكن أن يكون -فى هذا الزمان- تنعم بحياة عائلية، وبلوغ لسعادة الدنيا والآخرة، وانكشاف لسجايا راقية فى النساء، إلا بالتأدب بالآداب الإسلامية، التى تحددها الشريعة الغراء.

إن أهم نقطة وجانب فى حياة الأسرة فى الوقت الحاضر:

أنه إذا ما شاهدت الزوجة فسادا فى زوجها وخيانة منه وعدم وفاء، فقامت هى كذلك -عنادا له- بترك وظيفتها الأسرية، وهى الوفاء والثقة فتفسدهما، يختل عندئذ نظام تلك الأسرة كليا، ويذهب هباء منثورا، كالإخلال بالنظام فى الجيش.

فلابد للزوجة أن تسعى جادة، لإكمال نقص زوجها وإصلاح تقصيره، كى تنقذ صاحبها الأبدى، وإلا فهى تخسر وتتضرر فى كل جانب، إذا ما حاولت إظهار نفسها، وتحبيبها للآخرين بالكشف والتبرج. لأن الذى يتخلى عن الوفاء، يجد جزاءه فى الدنيا أيضا. لأن فطرتها تتجنب غير المحارم وتشمئز منهم. فهى تحترز من ثمانية عشرة شخصا، من كل عشرين شخاص أجنبيا، بينما الرجل قد لا يشمئز من النظر إلى امرأة واحدة، من كل مائة أجنبية.

إن النساء مخلوقات مباركة، خلقن ليكن منشأ للأخلاق الفاضلة، إذ تكاد تنعدم فيهن قابلية فى الفسق والفجور، للتمتع بأذواق الدنيا. بمعنى أن النساء نوع من مخلوقات طيبة مباركة، خلقن لأجل قضاء حياة أسرية سعيدة، ضمن نطاق التربية الإسلامية. فتبا وسحقا لتلك المنظمات، التى تسعى لإفساد هؤلاء الطيبات. وأسأله تعالى أن يحفظ أخواتى، من شرور هؤلاء السفهاء الفاسدين.. آمين.

واعلمن أخواتى العزيزات:

أن الأذواق والمتع الخارجة عن حدود الشرع، فيها من الآلام والمتاعب أضعاف لذائذها.. فالرجل إذا غوى لأجل تلذذ ثمانى دقائق، لا يتضرر إلا بضع ليرات، بينما المرأة تجازى على ثمانى دقائق من اللذة، ثقلا ثمانية أشهر، وتتحمل تكاليف تربية طفل لا حامى له، علاوة على الفضيحة الدنيوية والعقاب الأخروى.

فعليكن إذن بالقناعة والاطمئنان، والاكتفاء بما فى حدود الشرع من أذواق ولذائذ. فملاطفة أولادكن الأبرياء، ومداعبتهم ومجالستهم فى بيوتكن، متعة نزيهة تفضل مئات المرات متعة السينما.

واعلمن يقينا أن اللذة الحقيقية فى هذه الدنيا، إنما هى فى الإيمان. بينما فى الضلالة والغى آلاما منغصة. وقد شاهدت بعين اليقين عبر تجارب كثيرة: أن فى الإيمان بذرة جنة، وفى الضلالة والسفه بذرة جهنم.

الجزء الثانى: قضايا تتعلق بالمرأة

قضية الحجاب: [1]

قال تعالى فى كتابه الكريم: **﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (الأحزاب: ٥٩)**. هذه الآية الكريمة تأمر بالحجاب. بينما تذهب المدنية الزائفة إلى خلاف هذا الحكم الربانى، فلا ترى الحجاب أمرا فطريا للنساء، بل تعده أسرا وقيدا لهن..

وسنبين هنا أربعا من الحكم فقط -من بين حكم غزيرة- تدل على أن هذا الحكم القرآنى تقتضيه فطرة النساء، وخلافه غير فطرى:

الحكمة الأولى: إن الحجاب أمر فطرى للنساء، تقتضيه فطرتهن، لأن النساء جبلن على الرقة والضعف، فيجدن فى أنفسهن حاجة إلى رجل

---

(١) ص ٢٩٩ : ٣٠٤ من اللمعات.. (اللمعة الرابعة والعشرون).

يقوم بحمايتهن، وحماية أولادهن الذين يؤثرنهن على أنفسهن، فهن مسوقات فطريا، نحو تحبيب أنفسن للآخرين، وعدم جلب نفرتهم وتجنب جفائهم واستثقالهم.

ثم، إن ما يقرب من سبعة أعشار النساء: إما متقدمات في العمر، أو دميمات لا يرغبن في إظهار شيبهن أو دمامتهن، أو أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن، يخشين أن تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال، أو أنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن وتعرضهن للتهم. فهؤلاء النساء يرغبن فطرة في الحجاب، حذرا من التعرض والتجاوز عليهن، وتجنبا من أن يكن موضع تهمة في نظر أزواجهن، بل إن المسنات أحرص على الحجاب من غيرهن.

وربما لا يتجاوز الاثنتين أو الثلاث من كل عشر من النساء هن: شابات وحسناوات، لا يتضايقن من إبداء مفاتنهن! إذ من المعلوم أن الإنسان يتضايق من نظرات من لا يحبه. وحتى لو فرضنا أن حسناء جميلة، ترغب في أن يراها اثنان أو ثلاثة من غير المحارم، فهي حتما تستثقل وتنزعج من نظرات سبعة أو ثمانية منهم، بل تنفر منها.

فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتما -ما لم تفسد أخلاقها وتتبذل- من نظرات خبيثة تصوب إليها، والتي لها تأثير مادي كالسم -كما هو مجرب- حتى أننا نسمع: أن كثيرا من نساء أوروبا وهي موطن التكشف والتبرج، يشكين إلى الشرطة من ملاحقة النظرات إليهن قائلات: إن هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم!

وهكذا فإن رفع المدنية السفيهة الحجاب، وإفساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الإنسانية. وأن أمر القرآن الكريم بالحجاب - فضلا عن كونه فطريا-يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والأسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة، وهن معدن الرأفة والشفقة، والرفيقات العزيزات لأزواجهن في الأبد.

الحكمة الثانية: إن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة، ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا من الحاجات فحسب، فالمرأة ليست صاحبة زوجها فى حياة دنيوية وحدها، بل هى رفيقة أيضا فى حياة أبدية خالدة.

فما دامت هى صاحبته فى حياة باقية، فينبغى لها ألا تلفت نظر غير رفيقها الأبدى، وصديقها الخالد إلى مفاتنها، وألا تزعجه، ولا تحمله على الغضب والغيرة.

وحيث أن زوجها المؤمن، بحكم إيمانه لا يحصر محبته لها فى حياة دنيوية فقط، ولا يوليها محبة حيوانية قاصرة على وقت جمالها وزمن حسنها، وإنما يكن لها حبا واحتراما خالصين دائمين، لا يقتصران على وقت شبابها وجمالها، بل يدومان إلى وقت شيخوختها وزوال حسنها، لأنها رفيقتها فى حياة أبدية خالدة.. فإزاء هذا لابد للمرأة أيضا، أن تخص زوجها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها به، كما هو مقتضى الإنسانية، وإلا ستفقد الكثير، ولا تكسب إلا القليل.

ثم إن ما هو مطلوب شرعا: أن يكون الزوج كفءا للمرأة، وهذا يعنى ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما، وأهم ما فى الكفاءة هذه: هى كفاءة الدين كما هو معلوم. فما أسعد ذلك الزوج الذى يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها، ويصبح ذا دين، لئلا يفقد صاحبته الوفية، فى حياة أبدية خالدة! وكم هى محظوظة تلك المرأة التى تلاحظ تدين زوجها، وتخشى أن تفرط برفيق حياتها الأمين فى حياة خالدة، فتتمسك بالإيمان والتقوى.

والويل ثم الويل، لذلك الرجل الذى ينغمس فى سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة، ويا لتعاسة تلك المرأة التى لا تقلد زوجها التقى الورع، فتخسر رفيقها الكريم الأبدى السعيد. والويل والثبور لهذين الزوجين الشقيين، اللذين يقلدان بعضهما البعض الآخر فى الفسوق والفحشاء، فيتسابقان فى دفع أحدهما الآخر فى النار.

الحكمة الثالثة: إن سعادة العائلة في الحياة واستمرارها، إنما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والاحترام اللائق والود الصادق بينهما، إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة. حيث تلاقي تسعة من عشرة متبرجات، أمامهن رجالا يفوقون أزواجهن جمالا، بينما لا ترى غير واحدة منهن، من هو أقل جمالا من زوجها، ولا تحبب نفسها إليه. والأمر كذلك في الرجال فلا يرى إلا واحد من كل عشرين منهم، من هي أقل جمالا من زوجته، بينما الباقون يرون أمامهم من يفقن زوجاتهن حسنا وجمالا. فهذه الحالة قد تؤدي إلى انبعاث إحساس دنئ، وشعور سافل قبيح في النفس، فضلا عما تسببه من زوال ذلك الحب الخالص، وفقدان ذلك الاحترام، وذلك:

أن الإنسان لا يمكنه أن يحمل فطرة، شعورا دنيئا حيوانيا تجاه المحارم -كالأخت- لأن سيماء المحارم تشعر بالرأفة والمحبة المشروعة، النابعين من صلة القربى. فهذا الشعور النبيل يحد من ميول النفس الشهوية، إلا أن كشف ما لا يجوز كشفه كالساق، قد يثير لدى النفوس الدنيئة حسا سافلا خبيثا، لزوال الشعور بالحرمة، حيث أن ملامح المحارم تشعر بصلة القرابة، وكونها محرما وتتميز عن غيرهم، لذا فكشف تلك المواضع من الجسد، يتساوى فيه المحرم وغيره، لعدم وجود تلك العلامات الفارقة، التي تستوجب الامتناع عن النظر المحرم، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين، هوى النظرة الحيوانية! فمثل هذه النظرة سقوط مريع للإنسانية، تقشعر من بشاعتها الجلود.

الحكمة الرابعة: من المعلوم أن كثرة النسل مرغوبة فيها لدى الجميع، فليس هناك أمة ولا دولة، لا تدعو إلى كثرة النسل، وقد قال الرسول الكريم ﷺ: "تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة".[1] بيد أن رفع الحجاب وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف، يحد من

(١) رواه عبد الرازق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلا.

الزواج، بل يقلل من التكاثر كثيرا، لأن الشاب مهما بلغ فسوقه وتحلله، فإنه يرغب فى أن تكون صاحبته فى الحياة مصونة عفيفة، ولا يريدها أن تكون مبتذلة متكشفة مثله، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج. وربما ينساق إلى الفساد. أما المرأة فهى ليست كالرجل، حيث لا تتمكن من أن تحدد اختيار زوجها.

كما أن بلادنا لا تقاس ببلدان أوروبا.. ففى تلك الأصقاع الباردة، ولدى أناس باردين، قد لا يؤدى التبرج الذى يثير الهوى الحيوانى، ويهيج الرغبات الشهوانية، إلى تجاوز الحدود، مثلما يؤدى إلى الإفراط والإسراف، فى أناس حساسين يثارون بسرعة، كما فى المناطق الحارة عندنا. وهذا يؤدى إلى ضعف النسل وانهيار القوى.

ثم إن أهل المدن لا ينبغي لهم أن يقلدوا أهل القرى والأرياف فى حياتهم الاجتماعية، ويرفعوا الحجاب فيما بينهم. لأن أهل القرى يشغلهم شاغل العيش، وهم مضطرون إلى صرف جهود بدنية قوية لكسب معيشتهم، وكثيرا ما تشترك النساء فى أشغال متعبة، لذا لا يهيج ما قد ينكشف من أجزاء أجسامهن الخشنة، شهوات حيوانية لدى الآخرين، فضلا عن أنه لا يوجد فى القرى سفهاء عاطلون، بقدر ما هو موجود فى المدن. فلا تبلغ مفاسدها إلى عشر ما فى المدينة، لهذا لا تقاس المدن على القرى والأرياف.

قضية تعدد الزوجات:[1]

إن المدنية الحاضرة لا تقبل تعدد الزوجات، وتحسب ذلك الحكم القرآنى مخالفا للحكمة، ومنافيا لمصلحة البشر.

نعم، لو كانت الحكمة من الزواج قاصرة على قضاء الشهوة، لـلزم أن يكون الأمر معكوسا.. بينما هو ثابت حتى بشهادة جميع الحيوانات، وبتصديق النباتات المتزاوجة:

---

(١) الكلمة الخامسة والعشرون ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ من الكلمات.

أن الحكمة من الزواج، والغاية منه، إنما هي التكاثر وإنجاب النسل، أما اللذة الحاصلة من قضاء الشهوة، فهي أجرة جزئية تمنحها الرحمة الإلهية، لتأدية تلك المهمة. فمادام الزواج للتكاثر وإنجاب النسل، ولبقاء النوع حكمة وحقيقة. فلا شك أن المرأة التي لا يمكن أن تلد إلا مرة واحدة في السنة، ولا تكون خصبة إلا نصف أيام الشهر، وتدخل سن اليأس في الخمسين من عمرها، لا تكفي الرجل الذي لديه القدرة على الإخصاب، حتى وهو ابن مائة سنة. لذا تضطر المدنية إلى فتح أماكن العهر والفحش.

قضايا الميراث:[1]

نذكر هنا مسألتين في الميراث تبين عجز المدنية الحديثة، إزاء إعجاز القرآن، وهما مثالان من ألوف الأمثلة، التي تثبت مدى الظلم والإجحاف، في الحقوق المدنية للحضارة الحديثة، والتي تخالف أحكام القرآن.

المسألة الأولى:

إن الحكم القرآني: **﴿فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ (النساء: ١٧٦)** محض العدالة، وعين الرحمة في الوقت نفسه..

نعم إن ذلك الحكم عدالة، لأن الرجل الذي ينكح امرأة، يتكلف بنفقتها، كما هو في الأكثرية المطلقة. أما المرأة فهي تتزوج الرجل وتذهب إليه، وتحمل نفقتها عليه، فتلاقي نقصها في الإرث..

ثم إن الحكم القرآني رحمة، لأن تلك البنت الضعيفة محتاجة كثيرا شفقة والدها، وعطفه عليها، وإلى رحمة أخيها ورأفته بها. فهي تجد - حسب الحكم القرآني- تلك الشفقة عليها من والدها، وعطفه دون أن يكدرها حذر. إذ ينظر إليها والدها نظرة من لا يخشى منها ضررا، ولا يقول بأنها ستكون سببا في انتقال نصف ثروتي إلى الأجانب والأغيار. فلا يشوب تلك الشفقة والعطف الأبوي الحذر والقلق.

---

(١) المكتوب الحادي عشر ص ٤٨ ، ٤٩ من المكتوبات.

ثم أنها ترى من أخيها رحمة وحماية لا يعكرها حسد ولا منافسة، إذ لا ينظر إليها أخوها نظر من يجد فيها منافسا له، يمكن أن تبدد نصف ثروة أبيهما، بوضعها فى يد الأجانب. فلا يعكر صفو تلك الرحمة والحماية حقد وكدر .. فتلك البنت اللطيفة الرقيقة فطرة، والضعيفة النحيفة خلقة، تفقد فى هذه الحالة شيئا قليلا فى ظاهر الأمر، إلا أنها تكسب -بدلا منه- ثروة لا تفنى من شفقة الأقارب، وعطفهم عليها، ورحمتهم بها. وإلا فإن إعطائها نصيبا أكثر مما تستحق، بزعم أن ذلك رحمة فى حقها، أزيد من رحمة الله سبحانه، ليس رحمة بها قط، بل ظلم شنيع فى حقها، ربما يفتح سبيلا أمام الحرص الوحشى، المستولى على النفوس فى هذا الزمان، لارتكاب ظلم أشنع، يذكر بالغيرة الوحشية التى كانت مستولية على النفوس، فى زمن الجاهلية فى وأدهم البنات. فالأحكام القرآنية كلها تصدق -كما يصدق هذا الحكم- قوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).**

المسألة الثانية:

قوله تعالى: **﴿فلأمه السدس﴾ (النساء: ١١)**. إن المدنية (وهى بلا ميم) - أى الدنية- كما قد أصبحت سببا لمثل هذا التظلم (المذكور فى المسألة السابقة) فى حق البنات، بإعطائها أكثر مما تستحق. كذلك تقترف ظلما أدهى وأنكى بحق الوالدات، وذلك بحرمانهن من حقوقهن، من الميراث من الابن المتوفى.. لكن الشريعة الإسلامية تفرض لهن السدس.

نعم! إن شفقة الوالدة وحنانها، الذى هو ألطف جلوة من رحمته تعالى، بل ألذها وأجدرها بالاحترام، تعتبر أسمى وأكرم حقيقة من حقائق الوجود.

والوالدة، هى بالذات أكرم صديقة عزيزة وأرحم مضحية، بل إنها تضحى بدنياها وحياتها لولدها، بدافع من حنانها وعطفها، حتى أن الدجاجة التى هى فى أبسط مراتب الأمومة، وتحمل بصيصا من تلك الشفقة، لا تتردد فى الهجوم على الكلب، والصولة على الأسد، دفاعا عن فراخها، رغم خوفها وجبنها.

فحرمان الوالدة، التى تطوى جوانحها على مثل هذه الحقيقة العزيزة وإلى هذا الحد، من تركة ولدها، ظلم مريع وعمل إجرامى، وإهانة بحقها،

وكفران نعمة إزاء الحقيقة الجديرة بالتوقير، بحيث تهتز له عرش الرحمة.. وفوق هذا فهو دس للسم فى الترياق النافع لحياة البشر الاجتماعية. فإن لم يدرك هذا وحوش البشرية الذين يدعون خدمتها، فإن الناس الحقيقيين الكاملين، يعلمون أن حكم القرآن الحكيم فى قوله تعالى: ﴿فلأمه السدس﴾ عين الحق ومحض العدل.

قضية عمل المرأة:[1]

يرى الإمام النورسى: أن المرأة محتاجة فطرة، إلى من يعينها فى أمور العيش، لضعف فى خلقتها. فمن الأولى لها أن تسعى لكسب نفقتها بنفسها-كما هى الحال لدى نساء القرى-وذلك أفضل لها بعشرات المرات، من أن تدفعها تلك الحاجة إلى الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير إسلامية - كما فى أيامنا الحاضرة-واعتاد على الإكراه والفساد.. وذلك كما شرحنا سابقا عند التكلم عن الزواج الكفء.

ولكنه يقيد خروج المرأة للعمل بشروط منها:

- أن يكون ذلك فى حدود الاحتشام وعدم التبرج، التزاما بحدود الشريعة الطاهرة.
- أن يكون خروجها للعمل للضرورة التى تبيحها حدود الدين.
- ألا يتعارض ذلك العمل مع احتياج بيتها وأولادها لها.

ويعيب خروج المرأة على نظام المدنية الحديثة فيقول[2]: أضلت النساء البشرية بخروجهن من بيوتهن فعليهن العودة إليها.

- لقد أطلقت المدنية السفيهة النساء من أعشاشهن. وامتهنت كرامتهن. وجعلتهن متاعا مبذولا.. بينما شرع الإسلام يدعو النساء إلى أعشاشهن رحمة بهن. فكرامتهن فيها، وراحتهن فى بيوتهن، وحياتهن فى دوام العائلة: فالطهر زينتهن -والخلق

---

(١) ص ٣٤١ من الملاحق (ملحق أمير داغ-٢).

(٢) ص ٨٧٤ من الكلمات. (اللوامع) وكذلك ص ٦١٢ من المكتوبات.

هيبتهن-والعفة جمالهن -والشفقة كمالهن- والأطفال لهوهن. ولا تصمد إزاء جميع هذه الأسباب المفسدة إلا إرادة من حديد.

- إذا تأنث الرجال السفهاء بالهوسات، وترجلت النساء الناشزات بالوقاحات.. فهذا معناه اختلال المجتمعات !
- كلما دخلت حسناء في مجلس تسود فيه الأخوة، أثارت فيهم عروق الرياء والمنافسة والحسد والأنانية، فتتنبه الأهواء الراقدة.
- إن تكشف النساء تكشفا دون قيد، أصبح سببا لتكشف أخلاق البشر السيئة وتناميها.
- هذه الصور التى هى جنائز مصغرة، وأموات متبسمة، لها دور خطير جدا فى الروح الرعناء للإنسان المتحضر. بل إن تأثيرها مخيف مرعب: فكما أن النظر إلى جسد امرأة نظرة شهوانية، دليل على دناءة النفس وخستها، كذلك النظر بشهوة إلى صورة جميلة لحسناء ميتة محتاجة إلى الرحمة، يطمس مشاعر الروح السامية.

وفى ختام ذلك المبحث: نسجل تحية تقدير وإعجاب إلى نظرة الإمام النورسى للمرأة، النابعة حقا من روح الشرع، وإلى كيفية صقل المرأة وجدانيا، لتقوم بدورها فى يقظة المجتمع الإسلامى. وإلى معالجته لبعض قضايا المرأة التى يثيرها الغرب دائما، لإثارة شحناء المرأة المسلمة وتمردها على شريعتها.. فيبين الشيخ سعيد النورسى: منابع الرحمة والعدل فى أحكام المولى العلى القدير، صيانة للمرأة، وحرصا عليها، مما يفجر ينابيع الحب فى قلب كل امرأة مسلمة، تجاه شريعة دينها السمحاء، التى تحنو عليها بحكمة وصفاء، لترتفع بها إلى عنان السماء.

ولا يفوتنا فى هذا المجال: أن نسجل سبق الإمام النورسى فى معالجته لقضية عمل المرأة، بروح العصر الحديث، حيث مازال كثير من الأئمة يتناقشون هل هو حلال أم حرام. ولكنه لم يدخل ذلك المنحنى الضيق: بل قال إنه أحيانا ضرورة تفرضها الحفاظ على العقيدة.. وطالما

أن الهدف هو ابتغاء مرضاة الله، فيجب أن تتوج تلك الضرورة بإطار الشريعة. وخاصة في حال زواج المرأة وإنجابها أولادا يحتاجون إلى رعايتها، لتنشئة جيل إسلامي قوي واع. فرحم الله إماما كان نورا لأمته وللأمة الإسلامية بأسرها، إذا تفهمت كلماته حق الفهم..

المبحث الرابع

كيف يتحقق الترابط للشعوب الإسلامية ؟

حكمة انقسام المجتمع إلى طوائف وقبائل: [1]

قال تعالى في كتابه الكريم: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣)**. أي: خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا، كي يعرف بعضكم بعضا، وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم. ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا.

ونقول بيانا لدستور التعارف والتعاون، الذى تشير إليه هذه الآية الكريمة أنه:

يقسم الجيش إلى فيالق، وإلى فرق، وإلى ألوية، وإلى أفواج، وإلى سرايا، وإلى فصائل، وإلى حظائر، وذلك ليعرف كل جندى واجباته، حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدى أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون، وظيفة حقيقية عامة، لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء. وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف، لجعل المنافسة بين فوجين، أو إثارة الخصام بين سريتين، أو وضع التضاد بين فرقتين.

وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامى، الشبيه بالجيش العظيم، فقد قسم إلى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة ; إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد.. وهكذا واحد، واحد.. إلى الألوف من جهات الوحدة، التى تقتضى الأخوة والمحبة والوحدة. بمعنى أن الانقسام إلى طوائف

---

(١) ص ٤١٣ من المكتوبات (المبحث الثالث من المكتوب السادس والعشرين).

وقبائـــل -كما تعلنه الآية الكريمة- ما هو إلا للتعارف والتعاون، لا للتناكر والتخاصم.

نتائج القومية السلبية وأضرارها:[1]

لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر. ويثير ظالمو أوروبا، الماكرون بخاصة، هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين، ليمزقوهم ويسهل لهم ابتلاعهم. ولما كان في الفكر القومي ذوق للنفس، ولذة تغفل، وقوة مشؤومة، فلا يقال للمشتغلين بالحياة الاجتماعية في هذا الوقت: دعوا القومية!

ولكن القومية نفسها على قسمين:

قسم منها سلبي مشؤوم مضر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين، ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر. وهذا يولد المخاصمة والنزاع. ولهذا ورد في الحديث الشريف "أن الإسلام يجب ما قبله" ويرفض العصبية الجاهلية. وأمر القرآن الكريم بـ **﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما﴾ (الفتح: ٢٦)**. فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف يرفضان رفضا قاطعا القومية السلبية وفكر العنصرية. لأن الغيرة الإسلامية الايجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها.

ترى أي عنصر في العالم تعداده ثلاثمائة وخمسون مليونا، ويكسب فكر المرء -بدل الإسلام- هذا العدد من الإخوان، بل إخوانا خالدين؟

ولقد ظهرت طوال التاريخ أضرار كثيرة، نجمت عن القومية السلبية، نذكر منها:

أن الأمويين خلطوا شيئا من القومية في سياساتهم، فأسخطوا العالم الإسلامي، فضلا عما ابتلوا ببلايا كثيرة من جراء الفتن الداخلية.

---

(١) ص ٤١٤ من المرجع السابق (المكتوبات).

وكذلك شعوب أوروبا، لما دعوا إلى العنصرية، وأوغلوا فيها فى هذا العصر، نجم العداء التاريخى، الملئ بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان، كما أظهر الدمار الرهيب الذى أحدثته الحرب العالمية، مبلغ الضرر الذى يلحقه هذا الفكر السلبى للبشرية.

وكذلك الحال فينا، ففى بداية عهد الحرية (أى إعلان الدستور) تشكلت جمعيات مختلفة للاجئين، وفى المقدمة الروم والأرمن، تحت أسماء أندية كثيرة، وسببت تفرقة القلوب -كما تشتت الأقوام بانهدام برج بابل، وتفرقوا أيدى سبأ فى التاريخ- حتى كان منهم، من أصبح لقمة سائغة للأجانب، ومنهم من تردى وضل ضلالا بعيدا .

كل ذلك يبين نتائج القومية السلبية وأضرارها.

أما الآن فإن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله-بسبب من الفكر القومى-هلاك عظيم، وخطب جسيم، إذ أن تلك العناصر أحوج ما يكون بعضهم لبعض، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف، ولشدة الفقر الذى نزل بهم ولسيطرة الأجانب عليهم، كل ذلك يسحقهم سحقا ; لذا فإن نظر هؤلاء بعضهم لبعض، نظرة العداء، مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون، أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة التى تحوم حوله.

نعم، إن أطماع أوروبا التى لا تفتر ولا تشبع، هى كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهها للابتلاع. لذا فإن عدوى الاهتمام بهؤلاء الأوروبيين، بل معاونتهم معنى بالفكر العنصرى السلبى، وإنماء روح العداء إزاء المواطنين القاطنين فى الولايات الشرقية، أو إخواننا فى الدين فى الجنوب، هلاك وأى هلاك وضرر وبيل.

إذ ليس بين أفراد الجنوب من يستحق أن يعادى حقا، بل ما أتى من الجنوب إلا نور القرآن وضياء الإسلام، الذى شع نوره فينا وفى كل مكان.

فالعداء لأولئك الإخوان فى الدين، وبدوره العداء للإسلام، إنما يمس القرآن، وهو عداء لجميع أولئك المواطنين، ولحياتهم، الدنيوية والأخروية.

لذا فادعاء الغيرة القومية، بنية خدمة المجتمع، يهدم حجر الزاوية للحياتين معا، فهى حماقة كبرى، وليست حمية وغيرة قطعا .

القومية الإيجابية سبب للتعاون والتساند:[1]

إن القومية الايجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهى سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية.

هذا الفكر الإيجابى القومى، ينبغى أن يكون خادما للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلا عنه، لأن الأخوة التى يمنحها الإسلام، تتضمن ألوف أنواع الأخوة وأنها تبقى خالدة فى عالم البقاء وعالم البرزخ.

ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية، إلا ستارا من أستار الأخوة الإسلامية. وبخلافه، أى إقامة القومية بديلا عن الإسلام، جناية خرقاء أشبه ما يكون بوضع أحجار القلعة فى خزينة ألماس، وطرح الألماسات خارج القلعة.

يا أبناء هذا الوطن من أهل القرآن!

لقد تحديتم العالم أجمع منذ ستمائة سنة، بل منذ ألف سنة من زمن العباسيين، وأنتم حاملوا راية القرآن والناشرون له فى العالم أجمع. وقد جعلتم قوميتكم حصنا للقرآن وقلعة للإسلام، وألزمتم العالم إزاءكم الصمت والانقياد. ودفعتم المهالك العظيمة التى كادت تودى بحياة العالم الإسلامى، حتى أصبحتم مصداقا حسنا للآية الكريمة: **﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله﴾ (المائدة: ٥٤).**

فلا تنخدعوا ولا تميلوا إلى مكايد الأوروبيين ودسائس المتفرنجين. واحذروا حذرا شديدا، أن تكونوا مصداق بداية الآية الكريمة السابقة.

أيها الأخ التركى!

---

(١) ص ٤١٥ من المرجع السابق (المكتوبات).

احذر وانتبه! أنت بالذات، فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجا لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذن وانتهى أمرك. ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجل في سجل الإسلام، وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى من الوجود قطعا، فلا تمحها أنت من قلبك، بالاستماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس.

التقليد الأعمى يؤدي إلى الهزء والسخرية:[1]

إن الأقوام المتيقظة في آسيا، قد تمسكوا بالقومية، وحذوا حذو أوروبا في كل النواحي. حتى ضحوا بكثير من مقدساتهم في سبيل ذلك التقليد.

والحال أن كل قوم يلائمه لباس على قده وقامته، وحتى لو كان نوع القماش واحدا، فإنه يلزم الاختلاف في الطراز. إذ لا يمكن إلباس المرأة ملابس الشرطي، ولا يمكن إلباس العالم الديني ملابس الخليعات.

فالتقليد الأعمى يؤدي في كثير من الأحيان، إلى حالة من الهزء والسخرية كهذه.. لأن:

أولا: إن كانت أوروبا حانوتا، أو ثكنة عسكرية، فإن آسيا تكون بمثابة مزرعة أو جامع. وأن صاحب الحانوت قد يذهب إلى المسرح، بينما الفلاح لا يكترث به. وكذلك تتباين أوضاع الثكنة العسكرية والمسجد أو الجامع.

ثم إن ظهور أكثر الأنبياء في آسيا، وظهور أغلب الحكماء والفلاسفة في أوروبا، رمز للقدر الإلهي وإشارة منه إلى: أن الذي يوقظ أقوام آسيا ويدفعهم إلى الرقي، ويحقق إدامة إرادتهم هو الدين والقلب. أما الفلسفة والحكمة فينبغي أن تعاونا الدين، والقلب لا أن تحلا محلهما.

ثانيا: لا يقاس الدين الإسلامي بالنصرانية، إذ أن تقليد الأوروبيين، في إهمالهم دينهم، تقليدا أعمى، خطأ جسيم ; لأن الأوروبيين متمسكون

---

(١) ص ٤١٧ من المرجع السابق (المكتوبات).

بدينهم جدا، والشاهد على هذا: فى المقدمة (ولسن)[1] و (لويد جورج)[2] و (فينزيلوس)[3] وأمثالهم من عظماء الغرب، فهم متمسكون بدينهم كأى قس متعصب. فهؤلاء شهود إثبات أن أوروبا مالكة لدينها، بل تعد متعصبة.

ثالثا: إن قياس الإسلام بالنصرانية، قياس مع الفارق، وهو قياس خطأ محض. لأن أوروبا عندما كانت متمسكة، بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التعصب والتزام دينها، تحضرت.

ولقد أثار التعصب الدينى لدى أوروبا نزاعات داخلية، دامت ثلاثمائة سنة، وكان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة فى سحق العوام، وفقراء الناس وأهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد لدى عامة الناس نوع من السخط على الدين.

أما فى الإسلام -والتاريخ شاهد- فلم يصبح الدين سببا للنزاع الداخلى إلا مرة واحدة فقط، وقد ترقى المسلمون -بالنسبة لذلك الوقت- رقيا عظيما ما ملكوا الدين واعتصموا به. والشاهد على هذا: الدولة الإسلامية فى

---

(١) ولسن توماس وودرو (١٨٥٦ - ١٩٢٤): رئيس الولايات المتحدة (١٩١٣ - ١٩٢١) درس القانون ومارس المحاماة، كان مدير جامعة برنستون (١٩٠٢ - ١٩١٠) فاز برئاسة الجمهورية عن الحزب الديمقراطى كان يجاهر بعدائه لكل ألوان الاستعمار، ألف عدة كتب فى النظم السياسية أهمها (تاريخ الشعب الأمريكى) أجزاء ١٩٠٢.

(٢) لويد جورج (١٨٦٣ - ١٩٤٥): سياسى بريطانى حر المذهب، ولد من أسرة فقيرة بمقاطعة ويلز عرف فى أوائل حياته كراهيته للاستعمار. لمع اسمه ببلاغته الخطابية شغل عدة مناصب وزارية، وظل عضوا بمجلس العموم حتى قبيل وفاته.

(٣) فينزيلوس (١٨٦٤ - ١٩٣٦): سياسى يونانى، من رجال الدولة المشهورين. لعب دورا بارزا فى ثورة كريت (١٨٩٦ - ١٨٩٧) ضد الدولة العثمانية، ألف الوزارة اليونانية ١٩١٠ نظم عدة فتن مسلحة ضد الحكومة الملكية، ولكنها قمعت، وفر فينزيلوس إلى فرنسا، حيث توفى العام التالى.

الأندلس التي غدت أستاذة عظيمة لأوروبا. ولكن متى ما أهمل المسلمون دينهم تخلفوا وتردوا.

ثم إن الإسلام حامى الفقراء والعوام من الناس، وذلك بوجوب الزكاة وحرمة الربا، وأمثالهما من ألوف المسائل، التى ترأف بحال العوام.

ثم إن الإسلام يحمى أهل العلم، ويستشهد العقل والعلم ويوقظهما فى النفوس، بمثل هذه الآيات الكريمة: ﴿.. أفلا يتدبرون.. أفلا يتفكرون.. أفلا يعقلون﴾ .

لذا كان الإسلام دوما قلعة الفقراء وحصن العلماء وملجأهم. فلا داعى فى الإسلام قطعا لمثل هذه المجافاة.. وسر الحكمة والفرق الأساسى بين الإسلام وسائر الأديان، ومنها النصرانية هو الآتى:

أن أساس الإسلام هو التوحيد الخالص، فلا يسند التأثير الحقيقى إلى الأسباب أو الوسائط، ولا قيمة لها فى الإسلام من حيث الإيجاد والخلق.

أما فى النصرانية، فإن فكرة البنوة التى ارتضوها، تعطى أهمية للوسائط وقيمة للأسباب، فلا تكسر الغرور والتكبر، بل يسند قسطا من الربوبية الإلهية إلى الأحبار والرهبان، حتى صدق عليهم قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ (التوبة: ٣١).

ومن هذا فإن عظماء النصارى يكونون متعصبين لدينهم، مع أنهم يحافظون على غرورهم وأنانيتهم، رغم ما يتسمون به من مهام دنيوية كبيرة، مثال ذلك: رئيس أمريكا (ولسن) الذى كان رجل دين متعصبا .

بينما فى الإسلام الذى هو دين التوحيد الخالص، ينبغى للمتقلدين للوظائف الكبيرة فى الدولة، أن يدعوا غرورهم ويتركوا أنانيتهم، أو لا يبلغون التدين الحق، ولهذا يظل قسم منهم مهملين أمور الدين، بل قد يكون منهم خارجين عن الدين.

خطاب إلى الذين يغالون في العنصرية وبيان أهمية حمية الإسلام:[1]

نقول لأولئك الذين يغالون فى العنصرية وفى القومية السلبية:

أولا: لقد حدثت هجرات كثيرة جدا فى بقاع الأرض كلها ولاسيما فى بلادنا هذه، منذ سالف العصور . وتعرضت أقوام كثيرة إلى تغيرات وتبدلات كثيرة، وازدادت تلك الهجرات، بعد أن أصبحت مركزا للحكومة الإسلامية، حتى حامت سائر الأقوام كالفراش حولها، وألقت بنفسها فيها واستوطنتها. فلا يمكن –والحال هذه– تمييز العناصر الحقيقية بعضها عن بعض، إلا بانفتاح اللوح المحفوظ.

لذا فبناء المرء أعماله وحميته على العنصرية لا معنى له البتة، فضلا عن أضرارها.

ولأجل هذا اضطر أحد دعاة العنصرية والقومية السلبية–الذى لا يقيم وزنا للدين–أن يقول: إذا اتحد الدين واللغة فالأمة واحدة.

ولما كان الأمر هكذا، فلابد من النظر إلى اللغة والدين والروابط الوطنية لا إلى العنصرية الحقيقية. فإن اتحدت هذه الثلاثة، فالأمة قوية إذن بذاتها. وإن نقص أحد هذه الثلاثة فهو داخل أيضا ضمن القومية.

ثانيا: نبين فائدتين –على سبيل المثال– من مئات الفوائد التى تكسبها الحمية الإسلامية المقدسة للحياة الاجتماعية لأبناء هذا الوطن.

الفائدة الأولى:

إن الذى حافظ على حياة الدولة الإسلامية وكيانها –رغم أن تعدادها عشرون أو ثلاثون مليونا– تجاه جميع دول أوروبا العظيمة، هو هذا المفهوم النابع من القرآن الذى يحمله جيشها: ' إذا مت فأنا شهيد وإن قتلت فأنا مجاهد ".. هذا

(١) ص ٤١٩ من المرجع السابق (المكتوبات).

المفهوم دفع أبناء هذا الوطن إلى استقبال الموت باسمين، مما هز قلوب الأوروبيين وأرهبهم.

ترى أى شئ يمكن أن يبرز فى الميدان، ويبعث فى روح الجنود مثل هذه التضحية والفداء وهم ذوو أفكار بسيطة وقلوب صافية؟

أية عنصرية يمكن أن تحل محل هذا المفهوم العلوى؟ وأى فكر غيره يمكن أن يجعل المرء يضحى بحياته وبدنياه كلها طوعا فى سبيله؟

الفائدة الثانية

ما آذت الدول الأوروبية الكبرى وثعابينها المردة هذه الدولة الإسلامية وتوالت عليها بضرباتها، إلا وأبكت ثلاثمائة وخمسين مليونا من المسلمين فى أنحاء العالم، وجعلتهم يئنون لأذاها، حتى سحبت تلك الدول الاستعمارية يدها عن الأذى والتعدى، لتحول دون إثارة عواطف المسلمين عامة، فتخلت عن الأذى.

فهل تستصغر هذه القوة الظهيرة المعنوية والدائمة لهذه الدولة، وهل يمكن إنكارها؟

ترى أية قوة أخرى يمكن أن تحل محلها؟ فهذا ميدان التحدى فليظهروا تلك القوة؟ لذا ينبغى ألا نجعل تلك القوة الظهيرة العظمى تعرض عنا، لأجل التمسك بقومية سلبية، وحمية مستغنية عن الدين.

نداء إلى المتحمسين للقومية السلبية:[1]

نقول للذين يبدون حماسة شديدة للقومية السلبية:

---

(١) ص ٤٢٠ ، ٤٢١ من المرجع السابق (المكتوبات). ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى ص ٥٤٢ : ٥٤٩ من القسم السادس من المكتوب التاسع والعشرين.

إن كنتم حقا تحبون هذه الأمة حبا جادا خالصا، وتشفقون عليها، فعليكم أن تحملوا فى قلوبكم غيرة تسع الإشفاق على غالبية هذه الأمة، لا على قلة قليلة منها. إذ أن خدمة هؤلاء خدمة اجتماعية مؤقتة غافلة عن الله – وهم ليسوا بحاجة إلى الرأفة والشفقة–وعدم الرأفة بالغالبية العظمى منهم، ليس من الحمية والغيرة فى شئ.

إذ الحمية بمفهوم العنصرية يمكن أن يجلب النفع والفائدة، لاثنين من كل ثمانية أشخاص من الناس، فائدة مؤقتة، فينالون مما لا يستحقونه من الحمية، أما الستة الباقون فهم إما شيخ أو مريض أو مبتلى ببلاء، أو طفل، أو ضُعيف جدا، أو متق يخشى الله ويرجو الآخرة.. فهؤلاء يبحثون عن سلوان ونور يبعث فيهم الأمل، حيث أنهم يتوجهون إلى حياة برزخية وأخروية. فهم محتاجون إلى أيدى اللطف والرحمة تمتد إليهم. فأية حمية تسمح لإطفاء نور الأمل لدى هؤلاء والتهوين من سلوانهم؟

هيهات! أين الإشفاق على الأمة وأين التضحية فى سبيلها.!

إننا لا نيأس من روح الله قطعا، فلقد سخر سبحانه أبناء هذا الوطن، وجماعاته المعظمة، وجيشه المهيب، منذ ألف سنة فى خدمة القرآن وجعلهم رافعى رايته. لذا فأملنا عظيم فى رحمته تعالى، ألا يهلكهم بعوارض مؤقتة إن شاء الله، وسيمد سبحانه ذلك النور، ويجعله أسطع وأبهر إشراقا، فيديم وظيفتهم المقدسة.

ضرورة اتحاد الأمة الإسلامية ونبذ العداوة الجانبية:[1]

إن أشد القبائل تأخرا يدركون معنى الخطر الداهم عليهم، فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية، وينسون العداوات الجانبية، عند إغارة العدو الخارجي عليهم.. وإذ تقدر تلك القبائل المتأخرة مصلحتهم الاجتماعية حق قدرها، فما للذين يتولون خدمة الإسلام ويدعون إليه، لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة، فيمهدون بها سبل إغارة الأعداء الذين لا يحصرهم العد عليهم ؟! فلقد تراصف الأعداء حولهم، وأطبقوا عليهم من كل مكان.. إن

(١) المكتوب الثاني والعشرون ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ من المكتوبات.

هذا الوضع تدهور مخيف، وانحطاط مفجع، وخيانة بحق الإسلام والمسلمين.

فيا معشر المؤمنين: أتدرون كم يبلغ عدد عشائر الأعداء، المتأهبين للإغارة على عشيرة الإيمان؟ إنهم يزيدون على المائة، وهم يحيطون بالإسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة.. فبينما ينبغي أن يتكاتف المسلمون، لصد عدوان واحد من أولئك، يعاند كل واحد، وينحاز جانبا سائرا وفق أغراضه الشخصية، كأنه يمهد السبيل، لفتح الأبواب أمام أولئك الأعداء، ليدخلوا حرم الإسلام الآمن.. فهل يليق هذا بأمة الإسلام؟

وإن شئت أن تعدد دوائر الأعداء المحيطة بالإسلام: فهم ابتداء من أهل الضلالة والإلحاد، وانتهاء إلى عالم الكفر ومصائب الدنيا وأحوالها المضطربة جميعا.. فهي دوائر متداخلة تبلغ السبعين دائرة، كلها تريد أن تصيبكم بسوء، وجميعها حانقة عليكم، وحريصة على الانتقام منكم.

فليس لكم أمام جميع أولئك الأعداء الألداء إلا ذلك السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة، ألا وهي الأخوة الإسلامية. فأفق أيها المسلم! واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحجج تافهة، وأسباب واهية، خلاف للوجدان الحي. وأي خلاف مناف لمصلحة الإسلام كليا.. فانتبه. ولقد ورد في الأحاديث الشريفة ما مضمونه: أن الدجال والسفياني، وأمثالهما من الأشخاص الذين يتولون المنافقين، ويظهرون في آخر الزمان، يستغلون الشقاق بين الناس والمسلمين، ويستفيدون من تكالبهم على حطام الدنيا، فيهلكون البشرية بقوة ضئيلة، وينشرون الهرج والمرج بينها، ويسيطرون على أمة الإسلام ويأسرونها.

أيها المؤمنون!

إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات:١٠). وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية.. وإلا تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم، بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، إذ لا يخفى أن طفلا

صغيرا يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تلعب دورا فى رفع كفة ميزان وخفض الأخرى، ولو كان فيها جبلان متوازنان.

فيا معشر أهل الإيمان! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم.. فقوة قليلة جدا تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك..[١] فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوى العظيم:

"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.."[٢] وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا، وتنجون من شقاء الآخرة.

حقا! إن الإخلاص واسطة الخلاص، ووسيلة النجاة من العذاب.. فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية، فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ يضيع الإخلاص. ذلك أن المعاند الذى ينحاز إلى رأيه وجماعته، يروم التفوق على خصمه حتى فى أعمال البر التى يزاولها. فلا يوفق توفيقا كاملا إلى عمل خالص لوجه الله. ثم أنه لا يوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه، الموافقين له فى أحكامه ومعاملاته على غيرهم.. وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر "الإخلاص والعدالة" بالخصام والعداء.

كلمات للإمام النورسي حول أهمية التآخي بين المسلمين:[٣]

- إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد، من نفاق وشقاق فى أوساط المؤمنين، وما يوغر فى صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلا. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذى يمثل روح الإنسانية الكبرى. فضلا عن أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر

---

(١) صدق الشيخ -رحمه الله- فى كلماته: فنجد إسرائيل تذيق المسلمين الهوان، وتستحل حرماتهم ومقدساتهم رغم قلة عددها، أمام أعداد المسلمين الهائلة.

(٢) أخرجه البخارى برقم (٤٨١) و (٣٤٤٦) و (٢٧٠٦) ومسلم برقم (٢٥٨٥) و (٢٦٢٧).

(٣) ص ٣٣٩ : ٣٤٨ وكذلك ص ٦٠٦ : ٦٠٩ من المكتوبات.

الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة.

- إن عداء الإنسان لأخيه الإنسان ظلم فى نظر الحقيقة، وقد ورد فى الحديث الشريف "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام".[1]

- إذا لم يكن فى الجماعة الواحد الصحيح، يصغر الجمع والضم، كالضرب الكسرى فى الحساب..[2] كذلك الأمر فى الجماعات البشرية: إن لم يكن بينها وحدة مبنية على الصدق والاستقامة، فإنها كلما زادت صغرت، ودب فيها الفساد والانحلال.

- يجب اتباع السواد الأعظم من الناس. إذ لما اعتمد الأمويون على الأكثرية والسواد الأعظم، فإنهم دخلوا -مع تهاونهم- فى نهاية الأمر، فى عداد أهل السنة والجماعة.. بينما العلوية، فلاعتمادها على قلة العدد، انتهى الأمر ببعض منهم -مع تصلبها- إلى الدخول فى الرافضية.

- إن كان الاتفاق فى الحق اختلافا فى الأحق. يكون الحق أحيانا أحق من الأحق. والحسن أحسن من الأحسن.. ويحق لكل امرئ أن يقول فى مذهبه: "هو حق. هو حسن" ولكن لا يحق له القول: "هو الحق. هو الحسن"

- إن إسناد محاسن المدنية إلى النصرانية التى لا فضل لها فيها، وإظهار التدنى والتقهقر قرينا بالإسلام الذى هو عدوله، دليل على دوران المقدرات بخلاف دورتها، وعلى قلب الأوضاع.

---

(١) أخرجه البخارى (٢٣٣٩) ومسلم (٢٥٦٠) عن أبى أيوب الأنصارى ﷺ.

(٢) من المعلوم فى الحساب: أن الرقم يزيد بالضرب أو بالجمع فمثلا ٤ × ٤ = ١٦ ولكن الرقم يصغر بالضرب والجمع فى الحساب الكسرى: فحاصل ضرب ١/٣ ×١/٣ = ١/٩ مثلا.

- هذه الدولة الإسلامية التى أخذت على عاتقها -منذ السابق. القيام بفريضة الجهاد -فرضا كفائيا- إعلاء لكلمة الله، وحفاظا على استمرارية حرية العالم الإسلامى، وهو كالجسد الواحد، ووضعت نفسها موضع الفداء للعالم الإسلامى، وحامل راية الخلافة، ستعوض عما أصابها من مصائب، وتذيلها السعادة التى سوف يرفل بها عالم الإسلام.. إن هذه المصيبة قد عجلت بعث الأخوة الإسلامية وظهورها فى أرجاء العالم الإسلامى، تلك الأخوة التى هى جوهر حياتنا وروحها.

وفى نهاية هذا الفصل: نسجد لله العلى القدير شكرا، على ما منحنا من تشريعات ترقى بحياتنا الاجتماعية، إلى درجات عالية من الحضارة، لم تشهدها البشرية قاطبة إلا خلال سيادة الحضارة الإسلامية على العالم أجمع، عبر عدة قرون.

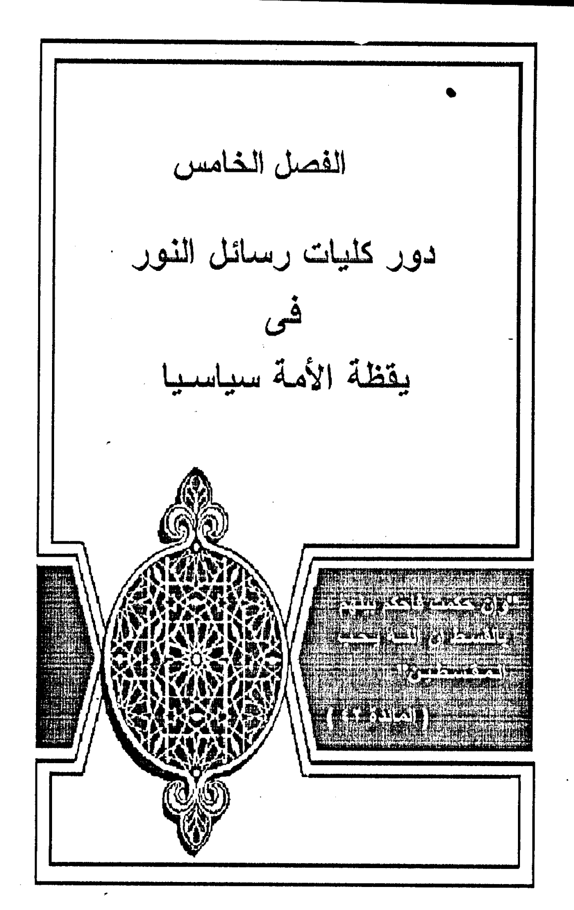
ونسجد لله شكرا على ما منحنا من علماء أجلاء، يحافظون على شريعة الإسلام، ويجلون ما ران عليها من ادعاء الجهلاء، مهما تباعدت بهم العصور والمسافات، عن زمن الوحى ومنبعه الطاهر. ويستطيعون الغوص فى خضم القرآن والسنة، ليستخرجوا أروع اللآلئ والأصداف، وما عظم من كنوز المعانى والأسرار، لتكون دوما وأبدا شريعة الله ناصعة باهرة تجذب العقول والنفوس والأرواح. وترشد الضالين عن منهج الحق، والشاردين عن حظيرة الإسلام، إلى منابع الأمن والأمان، والحضارة والتقدم النابعين من عظمة الإيمان.

ودعاء لله من الأعماق أن يرحم الإمام النورسى رحمة يغنيه بها عن رحمة من سواه، ويرفعه بها إلى المكان الذى تمناه فى دنياه، حتى تقر به عيناه، وينعم مع مولاه.

فاللهم نفعنا بعلمه. واهد الأمة الإسلامية إلى أن تستوعب كلماته وتعليماته، التى تعتبر بحق اجتهاد مسلم، سابق لعصره وأوانه، وضع منهج إصلاحى شامل، وكأنه يستشف من حجب الغيب، علة المسلمين وأمراضهم القلبية والاجتماعية. فى عصور مستقبلية..

الفصل الخامس

دور كليات رسائل النور
فى
يقظة الأمة سياسيا



يقظة الأمة سياسيا

رغم قول الشيخ عن نفسه: إنه اعتزل السياسة، واستعاذ بالله من الشيطان والسياسة.. إلا أن المقصود بقوله هذا: هو الحياة السياسية، وما فيها من صراعات، في سبيل الوصول إلى الحكم، وليس الفكر السياسى نفسه. وأصدق دليل على ذلك هو: أن الإمام النورسى قد سجل رصيدا قيما من الفكر السياسى، يضعه فى مصاف المصلحين السياسيين. ولا غرو فى هذا، فهو سليل مدرسة النبوة العريقة، وعاشق المنهج المحمدى، الذى تغلغل فى كيانه ووجدانه، فأصبح كل كلمة يخطها، تستمد أنوارها من وحى القرآن الكريم، وسنة المصطفى الحبيب ﷺ الذى أقام أمة إسلامية، تحكمها أسمى المبادئ السياسية.

ولكى يكون كلامنا مدعما بالبرهان القولى. فإننا نلقى نظرة سريعة على مفهوم الفكر السياسى عند علماء السياسة، ثم المقصود بالسياسة فى المفهوم الإسلامى. ومنها نلج إلى منهج النورسى فى الفكر السياسى المتأثر بالشريعة الإسلامية، والذى يصلح للعصور المستقبلية مهما تطورت المجتمعات البشرية. لأنه يستمد أصوله من أعرق الينابيع الحضارية.

معنى السياسة لغة:

السياسة -لغة- هى القيام على الشئ بما يصلحه. فيقال: "هو يسوس الدواب" إذا قام عليها وراضها. والوالى يسوس رعيته.

وفى الحديث الشريف: أن رسول الله ﷺ قال: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء (أى يتولون أمورهم) كلما هلك نبى خلفه نبى. وإنه لا نبى بعدى وسيكون خلفاء فيكثرون".. **(أخرجه الشيخان عن أبو هريرة)**.

وتحديد مدلول "الفكر السياسى" يعد من أشق الأمور وأعقدها، لأنه يشمل نظام حياة متكامل، يتصل بأمور الحكومة والشعب، والناحية الاقتصادية والاجتماعية، والعلاقات الدولية، ويتصل بحاضر المجتمع ومستقبله. ويرجع صعوبة التعريف بالسياسة: إلى ما يعتريها من غموض

وبعد عن التحديد. فما أيسر على كل منا أن يستعمل كلمة السياسة، دون أن يكون فى مقدوره أن يحدد لها معنى واضحا.

فما هو المقصود بكلمة السياسة علميا؟

إن كلمة السياسة عند علمائها المختصين بدراسة العلوم الساسية تعنى باختصار :(١)

كل ما يتصل بالسلطة فى مختلف المجموعات البشرية. سواء فى ذلك سلطة الأب على أسرته، أو سلطة صاحب العمل على عماله، أو سلطة الزعيم على حزبه، أو الرئيس على حكومته، أو سلطة المنظمة الدولية على الدول الأعضاء فيها.

ويركز علماء السياسة دراساتهم على الدولة، باعتبارها أهم صورة من صور المجموعات البشرية. ويقسمون موضوعات علم السياسة إلى النقاط التالية:

أولا: النظرية السياسية: وتشمل النظرية السياسية والفكر السياسى.

ثانيا: النظم السياسية: وتشمل الدستور والحكومة المركزية والحكومات الإقليمية والمحلية، والإدارة العامة، والوظائف الاقتصادية والاجتماعية للحكومة. والنظم السياسية المقارنة.

ثالثا: الأحزاب والجماعات والرأى العام: وتشمل الأحزاب السياسية، والجماعات والهيئات، ودور الفرد فى الحكومة والإدارة والرأى العام.

رابعا: العلاقات الدولية: وتشمل السياسة الدولية، والتنظيم الدولى والقانون الدولى.

---

(١) يمكن الرجوع فى ذلك إلى أى كتاب من كتب العلوم السياسية. وعلى سبيل المثال: المدخل فى علم السياسية (د. بطرس غالى - د. محمود خيرى عيسى) مكتبة الأنجلو المصرية.

وانطلاقا من هذا المفهوم: فإن الإمام النورسى يعتبر بحق رائدا من رواد علم السياسة الحديثة، لأنه تناول كل تلك الموضوعات فى رسائله، بالنقد والتحليل، وإثراء الفكر فيها، وخاصة بإضافة المفهوم الإسلامى إليها، فاتخذ علم السياسة بذلك أبعادا جديدة، ونمطا فريدا، يصلح لنهضة الأمة الإسلامية. وخاصة أن علم السياسة الإسلامية، لم يأخذ مكانته بعد مثل شقيقه علم الاقتصاد الإسلامى.

فرغم أن علم الاقتصاد الإسلامى لم يكتمل نضجه بعد، إلا أنه فى طريق النمو وسبل الاجتهاد فيه تبشر بالخير. أما علم السياسة الإسلامية فهو مازال مقتطفات مبعثرة، أو جنينا فى رحم الغيب، لم يبرز للوجود بعد، ويأخذ مكانته قويا يافعا مثل بقية العلوم.

وندعو الله أن تكون رسائل النورسى، معينا جديدا يبشر بالفتح، فى ذلك العلم الهام فى حياتنا.. ولكى يعرف المسلمون مدى أهمية علم السياسة فى تدعيم أركان الأمة الإسلامية، نعرض سريعا مفهوم الفكر السياسى فى الشريعة الإسلامية.

مفهوم الفكر السياسى فى الشريعة الإسلامية:

عرف رسول الله ﷺ "السياسة" بكلمة جامعة شاملة تعنى: تلك القواعد والقوانين التى تحكم كل مجتمع مهما صغر، بحيث تنظم طرق المعيشة فيه.

وقد سبق الحبيب المصطفى ﷺ كل علماء السياسة بوضع الدوائر المتتابعة للسلطات، والتى تبدأ من النواة الصغيرة للمجتمع وتتسع رويدا رويدا، لتشمل المجتمعات الأكبر حتى تصل إلى أوسع تلك الدوائر، وهى دائرة الدولة التى تشمل السلطة بين الحاكم والشعب. فقال ﷺ: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلكم راع ومسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته. وكلكم راع ومسئول عن رعيته. **(رواه البخارى ومسلم).**

وهكذا، فعلى كل مسلم أن يؤمن بدوره، مهما صغر هذا الدور، وعليه أن يتحمل مسئوليته كحاكم فى دائرة صغيرة، ومحكوم فى دائرة كبيرة، وبهذا يشارك فى رسم السياسة العامة للدولة، لأنه عندما يتحد هدف كل مجموعة صغيرة، مع الهدف العام للدولة، لأصبحت الأمة قوة سياسية كبرى لها وزنها فى المجال الدولى، ويحسب لها ألف حساب.

وهناك دعائم أساسية للفكر السياسى الإسلامى تتمثل فى:

- العدل.
- الشورى.
- المساواة.
- الحرية.
- الجهاد دفاعا عن الدين ومبادئ الحق.

هذه الدعائم أرساها الدستور الأساسى للمسلمين وهو القرآن الكريم، حيث جعلها فريضة ثابتة تحكم أركان المجتمع الإسلامى، وتكون ملزمة لولى أمر المسلمين.. وآيات القرآن حافلة بتلك الدعائم.

وهناك مفاهيم سياسية أرساها الحبيب المصطفى ﷺ فى سنته الشريفة، وهو يبنى الأمة الإسلامية على أسس متينة من دعائم الشريعة الإسلامية. تلك المفاهيم نذكرها باختصار شديد:

١- الاستقامة على منهج الله ورسوله:

- عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ﷺ ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة. إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها. "رواه مسلم".

٢- الاجتهاد بما يوائم متطلبات الحياة المتجددة:

- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران.. وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر". **(متفق عليه)**.
- وعندما أرسل الرسول ﷺ معاذ بن جبل عاملا على اليمن سأله الرسول قائلا: "كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال: "أقضى

بكتاب الله" قال: "فإن لم تجد فى كتاب الله؟" قال: "فبسنة رسول الله". قال: "فإن لم تجد فى سنة رسول الله" ؟ قال: "أجتهد برأيى ولا آلو". قال: فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: "الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى به رسول الله". (رواه الترمذي وأبو داود عن أبو هريرة).

٣- الرحمة من الراعى على ما استودعه الله من رعيته:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا: اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه. ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به. (رواه مسلم والنسائي).

٤- الموازنة فى الممارسة والتطبيق:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: "هلك المتنطعون. قالها ثلاثا" والمتنطعون: المتشددون فى غير موضع الشدة. (رواه مسلم).
- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبى ﷺ قال: "المقسطون على منابر من نور. الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا".. (رواه مسلم والنسائي).

٥- اليسر على عباد الله:

- عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: يسروا ولا تعسروا. وبشروا ولا تنفروا. (رواه البخاري ومسلم).
- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم. فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم. (رواه الطبراني).

٦- النهى عن الاختلاف والفرقة (الحرص على الوحدة السياسية للأمة):

- عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: "ويلكم أو ويحكم لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض". (أخرجه البخاري).

- عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من حمل علينا السلاح فليس منا" **(أخرجه البخاري)**.
- عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: "ستكون أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يا رسول الله فماذا تأمرنا ؟ قال: تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم" **(أخرجه البخاري)**.

تلك كانت ملامح سريعة جدا لمفهوم الفكر السياسى الإسلامى، وذلك لكى نتبين عظمة الدور الذى قام به الإمام النورسى، فى إثراء الفكر السياسى حسب تطور عصره، والعصور المستقبلية. ولاشك أن هذا مجهود كبير، قام به من واقع إيمانه بالرسالة الملقاة على عاتقه، فى تحرير المسلمين من ظلمات الجهل الذى يخيم عليهم، ويشل حركة تقدمهم فى الحياة..

وإن رسائله التى كتبها إلى المسئولين أثناء اعتقاله أو محاكماته، لتذخر بكنوز الفكر السياسى النابعة من عدل الإسلام وعظمة مبادئه، للقضاء على الظلم والطغيان، وإقامة أركان الأمة الثابتة على دعائم راسخة من المساواة والشورى والحرية، والحرص على مبادئ الحق ومعانى الرحمة واليسر والوحدة بين المسلمين، التى تفرضها أخوة الإيمان.

وتحقيقا لهذا الغرض: نقسم ذلك الفصل إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

الأول: المفهوم السلبى والإيجابى فى عالم السياسة.

الثانى: النورسى ودعائم الفكر السياسى الإسلامى.

الثالث: قضايا سياسية تعوق نهضة الأمة الإسلامية.

المبحث الأول

المفهوم السلبي والإيجابي في عالم السياسة

نبين فى هذا المبحث: الموقف الحقيقى للإمام النورسى من الحياة السياسية والفكر السياسى.. فهو يمكن أن يعتزل الحياة السياسية بصفته عالما يبحث عن الحقائق الجوهرية، ويبعد عن الصراعات الدنيوية، ولكنه لا يمكن أبدا أن يعتزل الفكر السياسى، بصفته إنسانا راقيا، يعيش فى عالم الأفكار السامية، ويحمل على عاتقه مهمة الرسل، فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء.

وما كان لإمام مثل النورسى أن يدع الفكر السياسى، لأنه ركن هام من أركان العقيدة الإسلامية: فهو الركن الذى يتولى تنظيم طريقة الحكم فى حياة الشعوب الإسلامية، النابعة من أسماء الله الحسنى: الملك - الحكم - العدل - السلام - المهيمن - القوى - الحكيم... كما أنه الركن الذى يتولى تنظيم علاقة الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى، وهو ما يسمى بالمفهوم العصرى: العلاقات السياسية الدولية. وهذا المبحث: ليس الهدف النهائى منه هو بيان وجهة نظر الإمام النورسى فى السياسة بشقيها (العلمية والفكرية). بل هو على جانب كبير جدا من الأهمية فى إزالة اللبس الذى شاع بين أفراد الأمة الإسلامية بأسرها: أنه لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين.

فلا شك أن هذه المقولة هى أكبر معول فى هدم رقى المسلمين وتقدمهم: فكيف نغفل دور الشريعة الإسلامية فى تنظيم أهم ناحية فى حياة المسلمين وهى طريقة حكمهم: حيث ولى الأمر مسئول عن إدارة نواحى الدولة فى كل الأمور: التعيين فى الوظائف - النمو الاقتصادى - جمع الزكاة - إقامة حدود القصاص والعقوبات - تنظيم الحياة الاجتماعية من عقود ومواثيق وزواج وطلاق - إعلان الجهاد -إذا لزم الأمر- دفاعا عن الدين والعرض والأرض، وتعيين القادة الأكفاء- تنظيم العلاقات الخارجية مع الشعوب المجاورة و...

وهكذا فإن إغفال دراسة هذه الأمور بنظرة شمولية على مستوى الدولة أولا ثم على مستوى الأمة الإسلامية ككل.. يعتبر جريمة لا تغتفر فى حق الشريعة الإسلامية... وحاشى لله أن يجنى الإمام النورسى مثل هذا التقصير: وهو الذى وهب حياته لإحياء المسلمين، بل والإنسانية قاطبة، من الموات المعنوى الذى تعيش فيه، بل إنه كان على استعداد لأن يضحى ببعض درجاته فى الآخرة، فى سبيل إنقاذ البعض من الموت الأبدى.. فهل بعد ذلك من سمو؟!

ولهذا سنتناول نقاط عديدة فى هذا المبحث، تؤيد فى مجموعها ما أطلنا فى بيانه منذ بداية هذا الفصل.

السياسة والدين توأمان لا ينفصلان:[1]

لقد سأل قسم من النواب المتدينين سعيدا القديم أوائل عهد الحرية:

إنك تجعل السياسة تابعة للدين فى كل شئ، بل تجعلها وسيلة منقادة للشريعة. ولا تقبل الحرية إلا على أساس الوجه المشروع. بمعنى أنك لا تعترف بالحرية والمشروطية بدون الشريعة، ولأجل هذا جعلوك فى صفوف المطالبين بتطبيق الشريعة فى حادثة (٣١) مارت.

فأجابهم سعيد القديم بالآتى:

أجل! إنه لا سعادة لأمة الإسلام إلا بتحقيق حقائق الإسلام، وإلا فلا، ولا يمكن أن تذوق الأمة السعادة فى الدنيا، أو تعيش حياة اجتماعية فاضلة إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإلا فلا عدالة قطعا، ولا أمان مطلقا. إذ تتغلب عندئذ الأخلاق الفاسدة والصفات الذميمة، ويبقى الأمر معلقا بيد الكذابين والمرائين.

سأعرض لكم ما يثبت هذه الحقيقة، فى حكاية أوردها نموذجا مصغرا من بين آلاف الحجج:

---

(١) الخطبة الشامية ص ٥٢١ : ٥٢٣ من صيقل الإسلام.

سافر شخص إلى قوم من البدو فى صحـراء، فنزل ضيفا عند رجل فاضل. لاحظ أنهم لا يهتمـون بحـرز أموالهم، وقد ألقى صاحب المنزل نقوده فى زوايا البيت مكشوفة دون تحفظ. قال الضيف لصاحب المنزل: ألا تخافون من السرقة؟ تلقون أموالكم هكذا فى الزوايا دون تحرز؟ أجابه:

- لا تقع السرقة فينا!
- إننا نضع نقودنا فى صناديق حديد مقفلة. ومـع ذلك كثيرا ما تقع فينا السرقة.
- إننا نقطع يد السارق كما أمر به الله تعالى، وعلى وفق ما تتطلبه عدالة الشريعة.
- فإذن، كثيرون منكم قد حرموا من إحدى أيديهم!
- ما رأيت إلا قطع يد واحدة، وقد بلغت الخمسين من العمر.
- إن فى بلادنا يسجن يوميا، ما يقارب الخمسين من الناس بسبب السرقة، ومع ذلك لا يردعهم ذلك، إلا بواحد من ألف مما تردعه عدالتكم!
- لقد أهملتم حقيقة عظيمة، وغفلتم عن سر عجيب عريق، لذا تحرمون من حقيقة العدالة، إذ بدلا من المصلحة الإنسانية، تتدخل فيكم الأغراض الشخصية والمحسوبيات والتحيز، وما إلى ذلك من الأمور التى تغير طبيعة الأحكام وتحرفها.

وحكمة تلك الحقيقة هى:

أن السارق فينا، فى اللحظة التى يمد يده للسرقة، يتذكر إجراء الحد الشرعى عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهى نازل من العرش الأعظم. فكأنه يسمع بخاصية الإيمان، بأذن قلبه، ويشعر حقيقة بالكلام الأزلى الذى يقول: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ (المائدة: ٣٨). فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة، فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يشن من أطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيتشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش.. وهكذا بتوالى التذكير هذا يزول ذلك الميل إلى السرقة، إذ الذى يهاجم ذلك الميل، ليس الوهم والفكر وحدهما، وإنما قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان،

كلها تهاجم دفعة واحدة، ذلك الميل والهوى.. فبتذكر الحد الشرعى، يقف تجاه ذلك الميل، زجر سماوى ورادع وجدانى فيسكتانه.

أجل! إن الإيمان يقيم دائما فى القلب والعقل حارسا معنويا أمينا، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية، قال لها ذلك الحارس الرادع: محظور.. ممنوع.. فيطردها ويهزمها. إن أفعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر، وهى تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها. والروح إنما تهتز بنور الإيمان، فإن كان خيرا يفعله الإنسان، وألا يحاول الانسحاب، وعندئذ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التى ترى العقبى!

الحاصل:

أن "الحد" أو "العقاب" عندما يقام امتثالا للأمر الإلهى والعدل الربانى، فإن الروح والعقل والوجدان، واللطائف المندرجة فى ماهية الإنسان، تتأثر به وترتبط به.. فلأجل هذا المعنى، أفادتنا إقامة حد واحد طوال خمسين سنة، أكثر من سجنكم فى كل يوم! ذلك لأن عقوباتكم التى تجرونها باسم العدالة، لا يبلغ تأثيرها إلا فى وهمكم وخيالكم.. إذ عندما يقوم أحدكم بالسرقة، يرد إلى خياله العقاب، الذى ما وضع إلا لأجل مصلحة الأمة والبلاد، ويقول: إن الناس لو عرفوا بأنى سارق فسينظرون إلى نظرة ازدراء وعتاب، وإذا تبين الأمر ضدى، ربما تزجنى الحكومة فى السجن.. وعند ذلك لا تتأثر إلا قوته الواهمة تأثرا جزئيا، بينما يتغلب عليه الميل الشديد إلى السرقة، والنابع من النفس الأمارة والأحاسيس المادية، لاسيما إن كان محتاجا، فلا ينفعه عقابكم لإنقاذه من ذلك العمل السئ.. ثم لأنه ليس امتثالا للأمر الإلهى، فليس هو بعدالة، بل باطل وفاسد، بطلان الصلاة بلا وضوء، وبلا توجه إلى القبلة.

أى أن العدالة الحقة، والعقاب الرادع، إنما يكون إذا أجريت امتثالا للأمر الإلهى. وإلا فإن تأثير العقاب يكون ضئيلا جدا.

فإذا قست على هذه المسألة الجزئية فى السرقة، سائر الأحكام الإلهية، تدرك أن: السعادة البشرية فى الدنيا مرتهنة بإجراء العدالة.. ولا تنفذ العدالة إلا كما بينها القرآن الكريم.

الفرق بين السياسة البشرية والسياسة القرآنية:[1]

إن القانون الأساسى للسياسة البشرية هو: يضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، وتفدى بالأشخاص حفاظا على الجماعة. ويرخص كل شئ فى سبيل حماية الوطن.

فجميع الجرائم البشعة التى ارتكبت فى البشرية إلى الآن، إنما ترتكب بالاستعمال السئ لهذه القاعدة، ولهذا القانون الأساسى.. فلقد تيقنت من هذا يقينا قاطعا. فهذا القانون البشرى الأساسى، ليس له حد معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة.

إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون البشرى الأساسى، فأبادت نهائيا ما توصلت إليه البشرية من رقى منذ ألف سنة، كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئا بجريرة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير قصبة كاملة لجريمة مجرم واحد، لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة.

ولذلك وجدت عوضا عن هذا القانون البشرى السياسى الغادر، القانون الأساسى للقرآن العظيم، النازل من العرش الأعظم، وذلك فى الآيتين التاليتين: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ١٦٤). ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ (المائدة: ٣٢).**

لا يؤاخذ أحد بجريرة شخص آخر. ثم إن البرئ لا يضحى به حتى من أجل جميع الناس دون رضاه. ولكن لو ضحى بنفسه بإرادته وبرضاه، فتلك مرتبة الشهادة.

---

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٧٦ : ٣٧٧ من الملاحق.

هذه القاعدة الجليلة هى التى ترسى العدالة الحقة فى البشرية، وتضع سرين عظيمين أمام نظر الإنسان:[١]

الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم، الذى ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع، نظرة واحدة، فهم سواء فى نظر العدالة الإلهية، مثلما أنهم سواء فى نظر القدرة الإلهية. وهذه سنة دائمة. إلا أن الشخص يستطيع برغبة من نفسه أن يضحى بنفسه، من دون أن يضحى به قطعا، حتى فى سبيل الناس جميعا. لأن إزهاق حياته، وإزالة عصمته، وهدر دمه، شبيه بإبطال حق الناس جميعا، وإزالة عصمتهم جميعا، وهدر دمائهم جميعا.

والسر الثانى هو: لو قتل مغرور بريئا دون ورع، تحققا لحرصه وإشباعا لنزواته، وهوى رغباته.. فإنه مستعد لتدمير العالم، والجنس البشرى إن استطاع، للقضاء على كل شئ يقف دون تحقيق حرصه.

اتهام الفكر السياسى الإسلامى بالرجعية خطر جسيم يهدد الأمة الإسلامية:[٢]

إننى لما كنت قد تركت الساحة السياسية الواسعة منذ أربعين سنة، وقضيت أكثر أيام حياتى منزويا عن الناس. ولم أنهمك فى الحياة الاجتماعية والسياسية، لم أستطع رؤية الخطر الداهم فى الوقت الحاضر. ولكن فى هذه الأيام، شعرت أن الوسط مهيأ لنزول ذلك الخطر الجسيم، والمصيبة الكبرى، بالأمة الإسلامية وبهذه البلاد والحكومة الإسلامية.

فأبين ثلاث نقاط خطرت على قلبى معنويا، لأولئك السياسيين الساعين لصالح الأمة الإسلامية، وللاحتكام بالإسلام، ولضمان سلامة البلاد، ويحاولون الحفاظ على المجتمع الإنسانى.

النقطة الأولى:

---

(١) اللوامع ص ٨٦٢ من الكلمات.

(٢) من رسالة إلى رئيس الوزراء – ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٧٢ : ٣٧٥ من الملاحق.

طرق سمعي منذ سنتين، رغم أني لا أستمع إلى الجرائد، الاتهام بالرجعية. فتأملت في الأمر بعقلية سعيد القديم وشاهدت:

أن أعداء الإسلام المتسترين، الذين يجعلون السياسة أداة للإلحاد، ويجتهدون لإرجاع البشرية إلى قانون الجاهلية الرهيبة، متقنعين بقناع الدفاع عن الوطن والأمة.

هؤلاء يتهمون اتهاما جائرا غادرا، أهل الإسلام والغيارى على الدين بالرجعية، علما أن دافع الإسلام والغيرة على الدين، يدفعهم إلى جعل السياسة أداة طيعة للدين، دون أن يجعلوا الإسلام أداة للسياسة. وإنما يقومون بهذا العمل، ليمدوا هذه الحكومة بالقوة المعنوية للإسلام، وتصبح قوية راسخة، بقوة أربعمائة مليونا من إخوانهم الحقيقيين الظهيرين لهم، لكي ينجو أهل السياسة الحاضرة من التسول لدى أبواب ظلمة أوروبا.

فهذا الاتهام المجحف يوصم هؤلاء الغيارى بـ "الرجعية" ويظهرهم بأنهم يضرون البلاد والعباد. ألا إن هذا بهتان عظيم واتهام غادر لا حدود له.

هذا وإن هناك نوعين من الرجعية، كل منهما يستند إلى قانون أساسي:

الأول: الرجعية الحقيقية، وهي رجعية سياسية اجتماعية، أصبح قانونها الأساسي محورا لكثير من المظالم والسيئات.

الثاني: هو أساس الرقي الحقيقي والعدالة الحقة، ولكن أطلق عليه ظلما الرجعية.

النقطة الثانية:

إن الذين يشنون هجومهم على الدين، يريدون أن يرجعوا بالبشرية إلى عهود البداوة والجهل، بقانون أساسي ودستور جار لديهم متسترين باسم المدنية، والذي يفني سعادة البشرية وراحتها وعدالتها وسلامتها. فهم يريدون أن ينفذوا هذا القانون في بلادنا المنكوبة، فيزرعون بذور الشقاق

والاختلاف وبلبلة الأفكار، بالتحزب وصولا إلى مآرب شخصية، وإشباعا للحرص والعناد.

ذلك القانون هو ما شرحناه سابقا ومضمونه:

يؤخذ بجريرة شخص واحد، جميع أفراد طائفته وجماعته وعشيرته، فكلهم مسؤولون ومدانون. فالذنب الواحد يكون بحكم هذا القانون، ألوف ألوف الذنوب والخطايا. مما يجعل الأخوة والمحبة والمواطنة، التى هى ركائز الاتفاق والاتحاد هباء منثورا.

نعم إن القوى المعارضة والمعاندة عندما تتجابه بعضها ببعض، تستهلك وتضعف حتى تصبح بلا قوة. فلا تقدر بعد ذلك على العمل للأمة والبلاد وفق العدالة، حيث أنها ضعفت وانهارت نتيجة المجابهة. لذا تضطر إلى دفع نوع من الرشاوى والإتاوات، لجلب الملحدين إلى صفها. فتتشبث بذلك القانون الوحشى الجائر، تجاه القانون العادل الحق، والدستور السماوى المقدس، وهو الآية الكريمة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ١٦٤). الذى يحقق المحبة والأخوة الصادقة، وينقذ الأمة الإسلامية وهذه البلاد من المخاطر. فلا يكون أحد شريكا فى جناية ارتكبها آخر، ولو كان أخوه وعشيرته وطائفته وحزبه، إلا إذا مال إلى تلك الجناية، فيكون مسؤولا عنها فى الآخرة وليس فى الدنيا.

فما لم يؤخذ هذا الدستور قانونا أساسا، فإن المجتمع البشرى سيتردى برجعية وحشية إلى أسفل سافلين، مثل الدمار الفظيع الذى ولدته الحربان العالميتان.

النقطة الثالثة:

ألا ما أشقى أولئك الذين يطلقون على هذا القانون "قانون القرآن العظيم" اسم الرجعية، ويرضون بقانون وحشى جاهلى، وينفذونه فى سياساتهم، ويجعلونه ركيزتهم فى الإدارة، والذى يضحى فيه بالفرد لأجل الجماعة، ولا تؤخذ حقوق الأفراد بنظر الاعتبار لأجل سلامة الوطن، ولا يكترث للمظالم الجزئية لأجل سلامة سياسة الدولة. وبناء على هذا يدمر مدينة كاملة وما فيها من مئات الألوف من الأبرياء بجريرة جان واحد.

ويجوز هذا القانون إعدام ألف شخص، بجناية شخص واحد. ويفرض الضيق والعنت على ألوف الأبرياء، لجرح أصاب شخصا واحدا منهم.

وحسب هذه الحجة: لا يعبأ بإعدام مائتى شخص بالرصاص، مثلما أفنى ثلاثون مليونا من الأشخاص فى الحرب العالمية الأولى، للسياسة الخاطئة التى ارتكبها ثلاثة آلاف شخص. وقس على هذا المنوال ألوف الأمثلة.

إن لطلاب القرآن وخدامه، إزاء هذه المظالم الفظيعة، لهذه الرجعية الوحشية، مئات من قوانين القرآن الأساسية من أمثال ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ **(الأنعام: ١٦٤)**. الذى يحقق العدالة الحقة والاتحاد والأخوة. فإطلاق الرجعية على أهل الإيمان، الذين يحققون العدل والأخوة، واتهامهم بذلك، يشبه تفضيل ظلم "يزيد" الملعون، على عدالة عمر بن الخطاب ﷺ، وكترجيح محاكم التفتيش على عدالة القرآن الكريم العظيمة.

لذا يلزم لأهل السياسة، الذين يسعون للحفاظ على سلامة هذه البلاد، وبحكومتها الإسلامية، أن يأخذوا هذه الحقيقة بنظر الاعتبار. وبخلافه فإن التيارات المعارضة للحكومة، وإصرارها على المعارضة، تنهك القوى، فلا تكفى تلك القوة الضعيفة، لضمان مصالح البلاد وإرساء النظام، ولا تحافظ على كيانها ولو بالاستبداد.

وما هذا إلا فسح المجال، لبذر بذور الثورة الفرنسية فى هذه البلاد. وهذا مما يستحق القلق عليه. مادامت تعطى رشاوى من التنازلات المعنوية، لأجل إقرار السياسة الأجنبية، مقابل ما يقدمونه من مساعدات تافهة مؤقتة، بسبب ما نعانيه من الضعف الناشئ من الاختلاف، حتى غدت اللامبالاة تهيمن على أخوة أربعمائة مليونا من المسلمين، وعدم الاكتراث بمسلك مليار من الأسلاف العظام، بل رأوا أنفسهم مضطرين إلى دفع مبالغ ضخمة كمرتبات للموظفين، لأجل عدم الإضرار بإدارة الدولة ونظام البلاد، من دون مراعاة لما يعانيه الناس من فقر مدقع.

إن ما يعطيه أرباب السياسة الحاليون فى هذه البلاد، من رشاوى إلى الغرب وإلى الأجانب، ومن تنازلات سياسية ومعنوية، عليهم أن يعطوا

عشرة أمثالها، بل ينبغى لهم أن يدفعوها، لأجل إقرار أخوة أربعمائة مليونا من المسلمين، والتى ستتشكل على صورة جمهوريات إسلامية متحدة. وذلك لأجل سلامة هذه البلاد، والحفاظ على كيان هذه الأمة، وسوف يكون ذلك هدية ضرورية وأتاوة لا ضرر فيها.

فتلك الرشوة الواجبة، الجائزة النافعة جدا، بل الضرورية المقبولة، هى اتخاذ الدساتير المقدسة منهجا للعمل، تلك الدساتير التى هى أساس التعاون الإسلامى، وهى هدايا سماوية من القرآن الكريم، توثق الرابطة بين المسلمين، بل هى قانونهم المقدس الأساسى وهى: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠)، ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال: ٤٦).**

السياسة الحاضرة شيطان فى عالم الأفكار ينبغى الاستعاذة منها:[1]

إن جميع المسائل العظمى التى ينهمك بها أهل الدنيا، إنما تدور ضمن الدستور الظالم، دستور الجدال والصراع، وفى نطاق الحياة الفانية، بأبشع صورها وأظلمها، حتى يضحى فى سبيلها بالمقدسات الدينية، حصولا على حطام الدنيا. لذا يلقيهم القدر الإلهى فىعذاب جهنم معنوية، من خلال جرائمهم التى يرتكبونها.

إن السياسة بصفة عامة أغلبها خداع وأكاذيب.. وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبى دون أن يشعر. وكذا فالذى يخوض غمار السياسة، إما أن يكون موافقا للحكومة أو معارضا لها.. وهذا معناه احتمال الولوج فى آلاف من الآثام والأوزار، حيث يبتلى الكثيرون بجريرة شخص واحد، ويتهم الأبرياء بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات.

---

(١) ص ٢٤٧ من الملاحق، ص ٨٤٩، ٨٥٠ من الكلمات، ص ٨٦٢ من الكلمات، ص ٦٠٤، ٦٠٥ من المكتوبات، ص ٧٦، ٧٧ من المكتوبات.

إن السياسة الحاضرة الدائرة رحاها على المنافع، وحش رهيب، فالتودد إلى وحش جائع لا يدر عطفه، بل يثير شهيته، ثم يعود ويطلب منك أجرة أنيابه وأظفاره.

إنها السياسة التى يأخذ فيها اللفظ ضد المعنى: حيث الظلم يلبس قلنسوة العدالة، والخيانة ترتدى رداء الحمية بثمن زهيد، ويطلق اسم البغى على الجهاد فى سبيل الله، ويسمى الأسر الحيوانى، والاستبداد الشيطانى حرية.. وتسبب كلمة واحدة توريط جيش كامل فى الحرب، وطلقة واحدة فى إبادة ثلاثين مليون نسمة(١).

وهكذا فالذى يسلك إلى مقصد طريقا غير مشروع، كثيرا ما يعاقب بخلاف مقصوده.. وإن جزاء محبة غير مشروعة كمحبة أوروبا، هى عداء غادر من المحبوب.

وينبغى للقوة أن تخدم الحق. فإن لم تمتزج دساتير الحكمة، ونواميس الحكومة، وقوانين الحق. وقواعد القوة بعضها ببعض، ولم يستمد كل من الآخر ولم يستند إليه، فلا تكون مثمرة ولا مؤثرة لدى جمهور الناس. فتهمل شعائر الشريعة وتعطل، فلا يستند إليها الناس فى أمورهم ولا يثقون بها.

لماذا هجر النورسى الحياة السياسية؟

إن الأسباب التى ذكرها الإمام النورسى، ردا على الأسئلة التى وجهت إليه حول مبررات اعتزاله الحياة السياسية، تعتبر فى مجموعها إدانة للسياسة العصرية، التى لا تقوم على الحق والعدل، وتبين بوضوح لا لبس فيه: أن أية سياسة لا تستند إلى مبادئ سامية، هى ضياع للبشرية بأسرها.

ولذلك فقد أسهبنا فى هذا الموضوع لأنه يحمل معانى كثيرة، حول أسباب تخلف المسلمين سياسيا، وضياع قوتهم هباء على ساحة السياسة

---

(١) لقد كانت طلقة جندى أطلقت على ولى عهد النمسا، سببا فى إشعال نارالحرب العالمية الأولى، التى ذهب ضحيتها ثلاثون مليون نسمة.

العالمية، فأصبحوا لا يملكون حتى قوة اتخاذ القرار فى المحافل الدولية، ولا أثناء النزاع فيما بينهم، أو تعرض أى دولة منهم لعدوان خارجى، يسبب ضياع الأرض والعرض والدين والكرامة والثروات.

وهكذا فإن أسباب هجر النورسى للحياة السياسية: هى نواقيس خطر تنبه الأمة الإسلامية إلى حالة التدنى التى يعيشون فيها، لضياع الهوية، فأصبحت سياستهم مزيجا من الأهواء والميول الشخصية والقوانين الغربية، علاوة على الضغوط العالمية.

ما الذى يمنعنا عن السياسة؟

فى إجابات متعددة على هذ السؤال قال الشيخ رحمه الله:

- إن غايتنا محصورة فى الإيمان وفى الآخرة، وليست فى الصراع والنزاع والمبارزة مع أهل الدنيا[١].
- بفضل من الله تعالى إننى رجل عرف من فيض القرآن منذ ثلاثين سنة: كيف أن الشهرة المؤقتة والفانية للدنيا، وجاهها المتسم بالأنانية والأثرة، وعبادة الشهرة والصيت فيها، أمر لا فائدة ولا خير منه ولا معنى له: فألف حمد وشكر لله[٢].
- وقال فى نصيحته إلى جميع أصدقائه: "إياكم والانجراف فى التيارات أو الدخول إلى معترك السياسة. وإياكم والإخلال بالأمن". وذلك لتجنب التدخل كليا فى السياسة، والإضرار بإخلاصهم، وتجنب جلب أنظار الحكومة عليهم والابتعاد عن الانشغال بالدنيا[٣].
- ماهية رسائل النور من الشفقة والرحمة والحق تمنعنا عن الحياة السياسية:

---

(١) الشعاع الرابع عشر ص ٤٢٨ من الشعاعات.
(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٤٤٠ من الشعاعات.
(٣) الشعاع الرابع عشر ص ٤٤١ من الشعاعات.

إن رسائل النور -ونحن الذين نتلقى الدرس منها درسا كاملا- لن نجعلها أداة للدنيا قاطبة، ناهيك عن سياستها، ونحن لا نتدخل بدنيا أهل الدنيا، فمن البلاهة توقع الإضرار منا وذلك:

أولا: أن القرآن الكريم قد منعنا من السياسة، لئلا تسقط فى نظر أهل الدنيا الحقائق، التى هى بنفاسة الألماس، إلى مستوى القطع الزجاجية التافهة.

ثانيا: أن الشفقة والضمير والحقيقة تمنعنا من السياسة، لأنه لو كانت نسبة المنافقين الملحدين، الذين يستحقون العقاب اثنان من عشرة، فهناك سبع أو ثمان من الأبرياء من أقاربهم وذويهم. وهناك الأطفال والعوائل والشيوخ والمرضى. فإذا نزلت المصيبة والبلاء فإن أولئك الأبرياء الثمانية سيسقطون فى أتون المصيبة. ولربما سيلحق بالمنافقين الاثنين والملحدين ضرر طفيف. ولهذا فإن ما فى ماهية رسائل النور، من الشفقة والرحمة والحق والحقيقة، قد حالت دون الدخول فى السياسة، بوسائل الإخلال بالإدارة والنظام، فضلا عن أن نتائجها مشكوكة فيها.

ثالثا: أن هذا الوطن وهذه الأمة والحكومة، مهما كان شكلها بحاجة ماسة إلى رسائل النور. فينبغى لأعتى الملحدين منهم، أن يميل إلى دساتيرها المتسمة بالدين والحق، ناهيك عن الخوف منها والعداء لها، اللهم إلا إذا كانت خيانة فاضحة للأمة والوطن والحاكمية الإسلامية. لأن هناك خمسة أسس ضرورية، لإنقاذ هذه الأمة وهذا الوطن، فى حياتها الاجتماعية والسياسية، ونجاتها من الفوضى والإرهاب ومن المخاطر العظيمة:

الأول: الرحمة.
الثاني: الاحترام.
الثالث: الأمن والثقة.
الرابع: اجتناب المحرمات والتمييز بين الحرام والحلال.
الخامس: الطاعة وترك التسيب.

وهكذا فرسائل النور عندما تنظر إلى الحياة الاجتماعية تحقق هذه الأسس الخمسة، وتثبت بها ركائز النظام فى البلاد.

ألا فيعلم الذين يتعرضون لرسائل النور، أن تعرضهم هذا إنما هو عداء فى سبيل الفوضى والإرهاب للوطن والأمة والنظام [١].

- وفى إجابة عن سؤال ورد للشيخ من عدة جهات: لم لا تكوّن علاقة، ولا تمد وشائج ارتباط، مع التيارات الجارية داخل البلاد وخارجها، ولاسيما مع الجماعات ذات الاهتمامات السياسية؟

قال الإمام النورسى: [٢]

إن أهم سبب لهذا الاجتناب وعدم الاهتمام بالتيارات الجارية، هو الإخلاص؛ الذى هو أساس مسلكنا، لأن فى زمن الغفلة هذا، ولاسيما من يحمل أفكارا موالية إلى جهة معينة، يحاول أن يجعل كل شئ أداة طيعة لمسلكه، بل يجعل حتى دينه وأعماله الأخروية وسائل لذلك المسلك الدنيوى. بينما الحقائق الإيمانية والخدمة النورية المقدسة، تأبى أن تكون وسيلة لأى شئ كان فى الكون، ولا يمكن أن تكون لها غاية إلا رضى الله سبحانه.

وهناك سبب آخر من جملة الأسباب الداعية لاجتنابنا هذا: هو "الشفقة" التى هى أساس من الأسس الأربعة لرسائل النور، أى عدم التلوث بظلم الآخرين وإضرارهم.

إذ الإنسان بمضمون الآية الكريمة **﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ (إبراهيم: ٣٤)** يرد معاملة المقابل له فى هذا العصر، بلا رحمة وبظلم شنيع مخالفا بذلك الآية الكريمة: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (فاطر: ١٨)** التى هى دستور الإرادة الإلهية. حيث تتغلب عليه العاطفة والانحياز إلى جهة، وعندها لا يقصر عداءه على المجرم وحده، ولا يأخذه بجريرته جميع أقاربه

(١) ملحق قسطمونى ص ٢١٢، ٢١٣ من الملاحق.

(٢) ملحق أمير داغ ص ٢٤٣، ٢٤٥ من الملاحق.

وحدهم، بل أيضا يعاقب كل من له صلة بالمجرم من قريب أو بعيد، حتى أنه إذا ما كان له سلطة أو حكم، يبيد قرية كاملة بالقنابل بجريرة مجرم واحد. بينما الإنصاف يقتضى ألا يضحى بحق برئ واحد بسبب مائة مجرم، وأن لا يظلم ذلك البرئ بسببهم.

إن إهلاك والدين عجوزين لمن ارتكب خطأ، وتشريد أطفاله الصغار، ودفعهم جميعا إلى هاوية الفقر والذل، ومعاداتهم بالانحياز إلى جهة ما، مناف كليا لأساس الشفقة على الخلق.

فمن جراء الانحياز إلى التيارات الجارية بين المسلمين، لا ينجو الأبرياء من الظلم، بل يشيع شيوعا كليا، ولا سيما بالأسباب الداعية إلى قيام الاضطرابات والثورات.

ولو كان الجهاد قائما وهو جهاد إسلامى، فإن حال أطفال الكفار تبقى على وضع آبائهم، وربما يكونون من الغنائم، ويتمكن المسلمون أن يجعلوهم تحت إمرتهم وملك يمينهم. ولكن لو ارتد أحد داخل ديار المسلمين، فلا يمتلك أطفاله قطعا. ولا يجوز التجاوز على حقوقهم بأى شكل من الأشكال. لأن أولئك الأبرياء إنما يرتبطون بالإسلام وبجماعة المسلمين، برابطة الإسلام، التى انقطعت عن والدهم. أما أولاد الكفار فرغم أنهم من أهل النجاة، فإنهم يتبعون والدهم فى الحقوق والحياة. لذا ربما يكونون أسراء أو مماليك عبيد فى أثناء الجهاد الإسلامى.

- وفى بيان آخر عن سبب عدم تدخله فى الشئون السياسية قال الشيخ:[1]

إن سبب عدم تدخلى فى الشئون السياسية الدائرة فى الأرض، هو أن وظيفة الإنسان ومهمته فى تلك الدائرة الواسعة قليلة وصغيرة، إلا أنها تثير الفضول لدى المهتمين بها، والمتلهفين إلى تتبع الأحداث. حتى أن الاهتمام بتلك الوظائف الثانوية، تنسيهم وظائفهم الحقيقية الجليلة، أو تدعها ناقصة مبتورة؛ فضلا عن أنها تورث الانحياز والميل إلى إحدى

(١) ملحق أمير داغ-١ ص ٢٥٧ : ٢٥٩ من الملاحق.

الجهات، وعندها لا يجد المرء بأسا من ظلم الظالمين، في الجهة التي انحاز إليا بل قد يرتاح إليه. فيكون عندئذ مشاركا لهم في الإثم.

فيا أيها الشقاة الذين يتلذذون من الغفلة المسكرة، الناشئة من متابعة الحوادث الخارجية نتيجة الفضول والاهتمام!

لو كان الفضول والاهتمام وحب الاستطلاع المغروز في فطرة الإنسان، هو الذي يدفعكم من حيث الإنسانية إلى هذا التتبع والاهتمام، وعلى حساب الوظائف الجليلة الضرورية المفروضة. نعم، لو قلتم إن هذه أيضا حاجة فطرية معنوية. فأنا أقول:

فكما أن الإنسان يثار لديه الفضول وحب الاستطلاع، عندما يشاهد إنسانا ذا رأسين أو ذا ثلاثة أرجل، بينما لا يهتم بخلق الإنسان السوي الحافل بالمعجزات ولا يمعن النظر فيه.

كذلك الحوادث الجارية في البشرية: تلفت نظر الإنسان إليها، حيث تغطي مساحة واسعة من الأخبار، بينما هي حوادث فانية مؤقتة، بل مدمرة في هذا العصر. علما أن هناك مائة ألف أمة وأمة من أمثال نوع البشر، تعيش معه على سطح الأرض. فلو راقبنا مثلا أمة واحدة منها في فصل الربيع، ولتكن النحل، أو العنب، لرأينا أنفسنا أمام معجزات عظيمة جدا تستحق أن تلفت إليها الأنظار أكثر مما تستحقه تلك الحوادث البشرية بأضعاف أضعاف المرات. بل هي تحرك الفضول والاهتمام -لدى إمعان النظر فيها- وتورث الإنسان لذائذ روحية وأذواقا معنوية.

وإذا ما نظرنا إلى المسألة من زاوية الإيمان والحقيقة، رأينا أن اهتمامات من هذا القبيل تولد أضرارا جسيمة، إذ تدفع الإنسان إلى ميدان فسيح لا ضوابط له، حتى تورثه الغفلة فتغرقه في أمور الدنيا، وتنسيه واجباته الحقيقية نحو الآخرة.

ولا شك أن أوسع دائرة من تلك الدوائر الواسعة: هي السياسة وأحداثها. ولاسيما الحوادث العامة كالحرب، فإنها تغرق القلب في

الغفلة بل تخنقه خنقا، حتى لا يمكن انقاذه، إلا بإيمان ساطع كالشمس، يقدر على مشاهدة أثر القدر الإلهى والقدرة الربانية فى كل شئ.

ومن هنا نرى: أن أرباب الحقيقة يحاولون تناسى دائرة الكثرة، بلوغا إلى الحقيقة، ووجدان طريق إلى معرفة الله. وذلك لئلا يتشتت القلب والاهتمام والذوق والشوق، وليصرفوها جميعا إلى ما يلزم، لا إلى ما لا يلزم من الفانيات.

ومن هذا السر الدقيق: لا يكون قسم من السياسين -على الأغلب- على تقوى كاملة، ولا يكون الذين هم على تقوى وصلاح تام سياسيين، ما خلا الصحابة الكرام، وأمثالهم من المجاهدين من السلف الصالحين. بمعنى أن الذين اتخذوا السياسة هدفا لهم، يأتى الدين لديهم فى المرتبة الثانية، ويكون حكمه حكم التابع. أما المتدين حق التدين، فيرى العبودية لله تعالى أعظم غايته فى الكون، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشق الولهان، بل ينظر إليها -حسب مرحلتها- فى المرتبة الثانية والثالثة، ويستطيع أن يجعلها أداة طيعة للدين والحقيقة. إذ بخلافه يهوّن من قيمة الألماس الثمينة إلى قطع زجاجية تافهة.

حاصل الكلام: إن الاهتمام الجاد بهذه المعارك والحروب الطاحنة والحوادث الفانية، هو نوع من السكر، بحيث ينسى الإنسان حاجته إلى المهمات الحقيقية، والآلام الناشئة من جراء القيام بها، أو يقذف به فى يأس مدمر مخالفا للأمر الإلهى فى قوله **﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ (الزمر:٥٣)**. وعند ذلك يكون ممن يستحق التأديب والعقاب بالزجر الإلهى الشديد **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ (هود: ١١٣)**. وذلك لمشاركته طوعا وضمنا فى ظلم الظالمين. فينال جزاءه الذى يستحقه فى الدنيا والآخرة.

منهاج السياسة الحقيقية كما يعتنقها النورسي:(١)

فى خطابه إلى مجلس الأمة، وضع الشيخ الخطوط العريضة، لمنهاج السياسة الحقيقية، من منطلق الشريعة الإسلامية. فقال رحمه الله:(٢)

يا أيها المبعوثون! إنكم لمبعوثون ليوم عظيم.

أيها المجاهدون! ويا أهل الحل والعقد!

أرجو أن تعيروا سمعا إلى مسألة، يسديها إليكم هذا الفقير إلى الله، فى بضع نصائح وفى عشر كلمات :

أولا: إن النعمة الإلهية العظمى فى انتصاركم هذا تستوجب الشكر، لتستمر وتزيد، فما دمتم قد أنقذتم القرآن الكريم، من إغارة العدو -بفضل الله تعالى- فعليكم إذن الامتثال بأمره الصريح، وهو الصلاة المكتوبة، كى يظل عليكم فيضه، وتدوم أنواره بمثل هذه الصورة الخارقة.

ثانيا: لقد أبهجتم العالم الإسلامى بهذا الانتصار، وكسبتم ودهم وإقبالهم عليكم، ولكن هذا الود والتوجه نحوكم، إنما يدومان بالتزام الشعائر الإسلامية؛ إذ يحبكم المسلمون ويودونكم لأجل الإسلام.

ثالثا: قد توليتم قيادة مجاهدين وشهداء فى هذا العالم، وهم بمثابة أولياء صالحين، فمن شأن أمثالكم من الغيارى، السعى والجد لامتثال أوامر القرآن الكريم، لنيل صحبة أولئك النورانيين، وإلا تضطرون إلى التماس العون والمدد من أبسط جندى هناك، فى حين أنتم قادة هنا. فهذه الدنيا بما فيها من شهرة وشرف، لا تستحق أن تكون متاعا ترضى كراما أمثالكم، ولا تكون لكم غاية المنى ومبلغ العلم.

---

(١) حباب ص ٢٠٠ : ٢٠٤ من المثنوى.

(٢) ألقى هذا الخطاب فى مجلس الأمة التركى فى ١٩٢٣/١/١٩م. (١٣٣٩) وهو محفوظ فى سجلات المجلس، وكانت الدولة عندئذ على مفترق الطرق.. وكان من تأثير هذا الخطاب البليغ أن أقبل كثير من النواب (المبعوثين) إلى أداء الفرائض. المترجم.

رابعا: إن هذه الأمة الإسلامية، مع أن قسما منهم لا يؤدون الصلاة، إلا أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء، حتى لو كانوا هم فسقة. وسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب، رغم كونه مقتدرا في أداء واجباته. ولقد حدثت في حينه اضطرابات في عشائر "بيت الشباب" فذهبت لأستقصي أسبابها، فقالوا: إن كان مسؤولنا "القائمقام" لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر، فكيف نطيع أوامر أمثال هؤلاء المارقين من الدين ؟ هذا علما أن الذين قالوا هذا الكلام كانوا لا يؤدون الصلاة، بل كانوا قطاع طرق!

خامسا: إن ظهور أكثر الأنبياء في الشرق وأغلب الفلاسفة في الغرب، رمز للقدر الإلهي بأن الذي يستنهض الشرق ويقومه إنما هو الدين والقلب، وليس العقل والفلسفة.. فما دمتم قد أيقظتم الشرق ونبهتموه، فامنحوهم نهجا ينسجم مع فطرته. وإلا ستذهب مساعيكم هباءا منثورا، أو تظل سطحية مؤقتة.

سادسا: إن خصومكم وأعداء الإسلام الأفرنج -ولا سيما الإنكليز- قد استغلوا ولا يزالون يستغلون، إهمالكم أمور الدين، حتى أستطيع أن أقول: إن الذين يستغلون تهاونكم هذا يضرون بالإسلام بمثل ما يضر به أعداؤكم -اليونان- فينبغي لكم باسم مصلحة الإسلام وسلامة الأمة تحويل هذا الإهمال إلى أعمال. ولقد تبين لكم كيف لاقى زعماء الاتحاد والترقي، نفورا وازدراء من الأمة في الداخل، رغم ما بذلوه من تضحية وفداء وعزم وإقدام، حتى كانوا سببا إلى حد ما في هذه اليقظة الإسلامية، وذلك لعدم اكتراث قسم منهم بالدين وبشعائره، بينما المسلمون في الخارج، قد منحوهم التقدير والاحترام، لعدم رؤيتهم تهاونهم وإهمالهم في الدين.

سابعا: على الرغم من تمكن عالم الكفر في الإغارة على العالم الإسلامي، منذ مدة مديدة، فإنه لم يتغلب عليه دينيا، مع جميع إمكاناته وقدراته ووسائله الحضارية وفلسفته وعلمه ومبشريه. فبقيت الفرق الضالة جميعها -في الداخل- أقلية محكومة. لذا ففي الوقت الذي حافظ الإسلام على صلابته ومتانته بأهل السنة والجماعة، لن يتمكن تيار بدعي مترشح

من الجانب الخبيث للحضارة الأوروبية، أن يجد سبيلا إلى صدر العالم الإسلامي.

ثامنا: ليس بالإمكان القيام بعمل إيجابي بناء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور، وأوشكت الحضارة الأوربية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين، على التمزق والانهيار. أما القيام بعمل سلبي، فليس الإسلام بحاجة إليه، كفاه ما تعرض له من جروح ومصائب.

تاسعا: إن الذين يولونكم الحب قلبا ولسانا، ويثمنون خدماتكم وانتصاراتكم في "حرب الاستقلال" هذه، هم جمهور المؤمنين، وبخاصة طبقة العوام، وهم المسلمون الصادقون. فهم يحبونكم بجد، ويساندونكم بإخلاص، وأنتم بدوركم ينبغي لكم الاتصال بهم، والاستناد إليهم، اتباعا لأوامر القرآن الكريم، ولأجل مصلحة الإسلام، وإلا فإن تفضيل المتجردين من الإسلام والمبتوتي الصلة بالأمة، من مقلدي أوربا المعجبين بها، وترجيحهم على عامة المسلمين، مناف كليا لمصلحة الإسلام؛ وسيولي العالم الإسلامي وجهه إلى جهة أخرى، طلبا للمساعدة والعون.

عاشرا: إن كان في طريق تسعة احتمالات للهلاك، واحتمال واحد فقط للنجاة، فلا يسلكها إلا مجنون طائش لا يبالي بحياته.. ففي أداء الفرائض الدينية نجاة بتسع وتسعين بالمائة، بينما إهمال الفرائض وتركها فيه احتمال تسع وتسعين بالمائة من الضرر، مقابل واحد بالمائة من احتمال النجاة، من حيث الغفلة والضلالة.. فيا ترى أي مسوغ وأي مبرر يمكن ابتداعه في ترك الفرائض، الذي يصيب ضرره الدين والدنيا معا؟ وكيف تسمح حمية الفرد ونخوته بذلك التهاون؟

إن تصرفات هذه القافلة المجاهدة، من أعضاء هذا المجلس العالي بالغة الأهمية، إذ إنها سوف تقلد.. فالأمة إما أنها تقلد أخطاءهم أو تنتقدها، وكلاهما ملئ بالأضرار والأخطار.

إن الشخصية المعنوية لهذا المجلس العالي قد تعهدت معنى "السلطنة" بمّا تتمتع به من قوة، فإن لم يتعهد هذا البرلمان معنى "الخلافة" وكالة أيضا، ولم يستوف حاجة الأمة الدينية -هذه الأمة التي لم تفسد فطرتها،

والمحتاجة إلى الدين أكثر من حاجتها لوسائل العيش، والتى لم تنس حاجتها الروحية، تحت كل ضغوط المدنية الحاضرة ولهوها- فإنها تضطر إلى منح معنى الخلافة إلى ما ارتضيتموه تماما من اسم ولفظ. فتمنح له القوة والإسناد أيضا لإدامة ذلك المعنى. والحال أن مثل هذه القوة التى ليست بيد المجلس، ولا تأتى عن طريقه تسبب الانشقاق.. وشق عصا الطاعة يناقض أمر القرآن الكريم الذى يقول: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران:١٠٣)**.

إن هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية التى هى روح الجماعة، أثبت وأمتن من شخصية الفرد. وهى أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية. إن الشخصية المعنوية تعكس روح العامة، فإن كانت مستقيمة فإن إشراقها وتألقها يكون أسطع وألمع من شخصية الفرد، أما إن كانت فاسدة فإن فسادها يستشرى وفق ذلك. فإياكم أن تمحقوا المحاسن التى نلتموها تجاه الخارج بإبدالها شرورا في الداخل.

أنتم أعلم بأن أعداءكم الدائمين وخصومكم، يحاولون تدمير شعائر الإسلام، مما يستوجب عليكم إحياء هذه الشعائر والمحافظة عليها. وإلا فستعينون بغير شعور منكم، العدو المتحفز للانقضاض عليكم.

إن التهاون فى تطبيق الشعائر الدينية، يفضى إلى ضعف الأمة، والضعف يغرى العدو فيكم، ويشجعه عليكم ولا يوقفه عند حده.

حسبنا الله ونعم الوكيل.. نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الثاني

النورسي ودعائم الفكر السياسي الإسلامي

نعرض فى هذا المبحث كيف تناول الإمام النورسى دعائم الفكر السياسى الإسلامى، كى لا نغمط هذا الرجل العظيم حقه، ولكى ندعم وجهة نظرنا أنه صاحب فكر سياسى متكامل، وعلى درجة عالية من الوعى والنضج والتطور.

أولا : العدل

إن رسائل الإمام النورسى تفيض بروح الإسلام التى تشيع عدلا. ويكفينا ذلك الحديث القدسى -كدستور وأسلوب لتعامل الناس فى أحكام الحياة- كما أن آيات القرآن تحتشد بكل معانى العدل والأمر به.

- عن أبى ذر ﷺ عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا" **(رواه مسلم والترمذي وابن ماجة).**

وإن دفاع النورسى عن نفسه، وعن طلاب النور، أمام الجهات المختلفة، ليضع مفهوما راسخا للعدل فى جميع صوره، يصلح دستورا متكاملا للسياسة الإسلامية فى كل العصور.

ومن ذلك:[١]

وأنا أقول لمحكمة وزارة العدل الموقرة!

إن إدانة من يفسر أقدس دستور إلهى وهو الحق بعينه، ويحتكم إليه ثلاثمائة وخمسون مليونا من المسلمين فى كل عصر فى حياتهم

---

(١) من دفاعات محكمة "آفيون". الشعاع الرابع عشر ص ٤٨٤ من الشعاعات.

الاجتماعية، خلال ألف وثلاثمائة وخمسين عاما. هذا المفسر استند فى تفسيره إلى ما اتفق عليه وصدق به ثلاثمائة وخمسون ألف تفسير، واقتدى بالعقائد التى دان بها أجدادنا السابقون، فى ألف وثلاثمائة وخمسين سنة.. أقول: "إن إدانة هذا المفسر، قرار ظالم لابد أن ترفضه العدالة -إن كانت هناك عدالة علــى وجه الأرض- ولابد أن ترد هذا الحكم الصادر بحقه وتنقضه".

أعدل دستور فى السياسة الشخصية والجماعية والقومية:[1]

تمثل الآية الكريمة ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ (**الأنعام: ١٦٤**). أعدل دستور فى السياسة الشخصية والجماعية والقومية: لأن العدالة القرآنية المحضة، لا تهدر دم برئ ولا تزهق حياته، حتى لو كان فى ذلك حياة البشرية جمعاء. فكما أن كليهما فى نظر القدرة سواء، فهما فى نظر العدالة سواء أيضا.

أما الآية الكريمة: ﴿**إنه كان ظلوما جهولا**﴾ (**الأحزاب: ٧٢**). فتبين استعداد الإنسان إلى الظلم الرهيب المغروز فى فطرته. فالذى تمكن فيه الحرص والأنانية، يصبح إنسانا يريد القضاء على كل شئ، يقف دون تحقيق حرصه، حتى تدمير العالم والجنس البشرى إن استطاع.

ولنتناول هذا الدستور فى نطاق الشخص والجماعة:

فى نطاق الشخص:

يحوز الشخص أوصافا كثيرة. فإن كانت صفة منها تستحق العداء، فيقتضى حصر العداء فى تلك الصفة وحدها، حسب القانون الإلهى الوارد فى الآية الكريمة ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾.

بل على الإنسان أن يشفق على ذلك الشخص، المالك لصفات بريئة كثيرة أخرى، ولا يعتدى عليه، بينما الظالم الجهول يعتدى علــى ذلك الشخص، لصفة جانية فيه، لما فى طبيعته من ظلم مغروز، بل تسرى

---

(١) السنوحات ص ٣٤٥ : ٣٤٦ من صيقل الإسلام. وكذلك نوى الحقائق ص ٦٠٨ من المكتوبات.

عداوته لأوصاف بريئة فيه، حيث يخاصم الشخص نفسه، وربما لا يكتفى بالشخص وحده، فيشمل ظلمه أقارب الشخص، بل كل من فى مسلكه.

وفى نطاق الجماعة:

نشاهد أن شخصا حريصا قد طرح فكرا ينطوى على رغبة، فقال بدافع الانتقام، أو بدافع اعتراض جارح: سيتبعثر الإسلام ويتشتت أو ستمحى الخلافة. فيتمنى أن يهان المسلمون -والعياذ بالله- وتخنق الأخوة الإسلامية، لكى يظهر صدق كلامه، ويشبع غروره وأنانيته فحسب، بل يحاول إيضاح ظلم الخصم الجاحد فى صورة عدالة، باختلاق تأويلات وحذلقات لا تخطر على بال.

وفى نطاق المدنية الحاضرة:

نشاهد أن هذه المدنية المشئومة: قد أعطت البشرية دستورا ظالما غدارا، بحيث يزيل جميع حسناتها، ويبين السر فى قلق الملائكة الكرام لدى استفسارهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (البقرة،٣٠). إذ لو وجد خائن واحد فى قصبة، فإنها تقضى بتدميرها وبمن فيها من الأبرياء، ولو وجد عاص واحد فى جماعة، فهى تقضى بالقضاء على تلك الجماعة مع أفرادها وعوائلها وأطفالها. ولو تحصن من لا يخضع لقانونها فى جامع "أيا صوفيا" فإنها تقضى بتخريب ذلك البناء المقدس، الذى هو أثمن من مليارات الذهب. وهكذا تحكم هذه المدنية بوحشية رهيبة.

فلئن كان المرء لا يؤاخذ حتى بجريرة أخيه فى الدستور الإسلامى، فكيف تدان ألوف الأبرياء فى قصبة، أو فى جماعة لوجود مخرب واحد فيها، علما أنه لا تخلو مدينة أو جماعة منهم.

نماذج لتطبيق العدالة الخالصة فى السياسة الإسلامية:

- الإمام على ﷺ فى أيام خلافته يمثل أمام المحكمة مع يهودى ليتحاكما.[١]
- شاهد أحد مسئولى العدل أن أحد الموظفين احتد وغضب على سارق ظالم وهو يقطع يده، فأصدر أمره بعزل ذلك الموظف فى الحال، وقال آسفا : "من خلط مشاعره الذاتية بإجراء العدالة فقد اقترف ظلما كبيرا". أجل إن الموظف عندما يقوم بتنفيذ حكم القانون، إن لم يشفق على المحكوم، فليس له أن يحتد عليه، فإن فعل ذلك كان ظالما. حتى أن أحد الحاكمين العادلين قال: "إن الشخص الذى يقوم بتنفيذ قصاص القتل، إن احتد وغضب أثناء ذلك التنفيذ يعد قاتلا".[٢]
- فى إحدى الغزوات الإسلامية، كان الإمام على ﷺ يبارز أحد فرسان المشركين، فتغلب عليه الإمام وصرعه. فلما أراد الإمام أن يجهز عليه تفل على وجه الإمام. فما كان من الإمام إلا أن أخلى سبيله وانصرف عنه. فاستغرب المشرك من هذا العمل. فقال: إلى أين؟ قال الإمام: كنت أقاتلك فى سبيل الله، فلما فعلت ما فعلت، خشيت أن يكون قتلى إياك فيه ثأر لنفسي، فأطلقتك لله.

فأجابه الكافر : كان الأولى أن تثيرك فعلتى أكثر فتسرع فى قتلى! وما دمتم تدينون بدين هو فى منتهى السماحة، فهو بلا شك دين حق.[٣]

مفهوم العدالة فى الإسلام:

إن لم تكن تصرفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السامية التى وضعها الحديث الشريف: "الحب فى الله والبغض فى الله" **(رواه مسلم**

---

(١) الشعاع الرابع عشر ص ٤٤٨ من الشعاعات.

(٢) المرجع السابق ص ٤٤٨.

(٣) المكتوب الثانى والعشرون ص ٣٤٨ من المكتوبات.

والبخاري في كتاب الإيمان). والاحتكام إلى أمر الله فـي الأمـور كلهـا، فالنفـاق والشقاق يسودان.. .

نعم إن الذى لا يستهدى بتلك الدساتير، يكون مقترفا ظلما، فـي الوقـت الذى يروم العدالة.(١)

كيف انحرفت الحكومة عن مفهوم العدالة؟

فى رسائل متعددة دافع بها الشيخ عن دور رسـائل النـور فـى إرسـاء مفاهيم الشريعة، وضح كيف تنحرف بعض الحكومـات عن مفهوم العدالـة فقال:

– إن الذين استغفلوكم وضللوا المراجـع العدليـة، وأشـغلوا الحكومـة بنـاء، بمـا يجلب الضـرر للأمـة والوطـن، هـم المعـارضون لنـا مـن الملحديـن والزنادقة والمنافقين.. فهؤلاء خدعوكم عندما أطلقوا اسم "الجمهورية" علـى الاستبداد المطلق، واسم "النظام" على الارتداد المطلق، واسم "المدنية" على السفاهة الصرفـة، واسـم "القـانون" علـى مـا وضعـوه مـن أمـور قسـرية واعتباطيـة وكفريـة. فآذونـا وضيقوا علينـا، ووجهـوا ضربـاتهم نحـو حكـم الإسلام وحكم الأمة، خدمة للأجنبى.(٢)

– إنه بسبب التعصب العنصرى والأنانية، التـى نشـأت فـى هـذا العصـر العاصف من المدنية الغادرة، والدكتاتوريـة العسكرية التى أعقبت الحـرب العالمية، وما أفرزته الضلالة مـن القسـوة وعدم الرحمـة، سـاد أشد أنـواع الظلم، وأشد أنواع الاستبداد، بحيث لو قام أهل الحق بالدفـاع عن حقوقهم بالقوة، لأصاب الكثير من الأبرياء والضعفاء أشد الظلم، نتيجـة الحيدة عن العدل، فيبقى هؤلاء مغلوبين على أمرهم يقاسون أشد أنواع الظلم.(٣)

هذا هـو السبب والحكمـة مـن تهربنـا الشـديد، ونفورنـا مـن التعـرض

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٨.

(٢) الشعاع الثانى عشر ص ٣٤٠ من الشعاعات.

(٣) الشعاع الثانى عشر ص ٣٤٦، ٣٤٧ من الشعاعات.

للسياسة والحكم، وذلك بأمر القرآن. وإلا فإن عندنا من قوة الحق، ما يمكننا من الدفاع عن حقنا بكل جدارة. وإن محاولة الإخلال بسكوتنا وهدوئنا بإيقاع الأذى بنا، فإنها تناقض كل مفاهيم العدالة والغيرة الوطنية والحمية الملية.

فأين عدالة القوانين التى هى رمز الأمة وتذكارها، وتجل من تجليات الله سبحانه.[١]

نسأل الله أن يوفق الحكام إلى إحقاق الحق وإقرار العدل.. آمين.

ثانيا: الشورى

تناولنا فى الفصل الأول جانبا من جوانب الشورى، التى تكلم عنها الشيخ وألح فى دعوة المسلمين إلى التمسك بها.. وذلك حينما عرضنا تشخيص العلة لأمراض الأمة الإسلامية (من وجهة نظر الإمام النورسى) وكان مما قاله فى هذا المجال:

- إن الدرس الذى تعلمته من الشورى الشرعية هو: أن سيئة امرئ واحد فى هذا الزمان، لا تبقى على حالها سيئة واحدة، وإنما قد تكبر وتسرى حتى تصبح مائة سيئة. كما أن حسنة واحدة أيضا، لا تبقى على حالها حسنة واحدة، بل قد تتضاعف إلى الآلاف، وحكمة هذا وسره هو: أن الحرية الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا سيادة أمتنا الحقيقية. إذ أن حجر الأساس فى بناء أمتنا وقوام روحها إنما هو الإسلام.[٢]

- إن مفتاح سعادة المسلمين فى حياتهم إنما هو "الشورى" فالقرآن يأمرنا باتخاذ الشورى فى جميع أمورنا، إذ يقول سبحانه: **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: ٣٨)، ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ (آل عمران:١٥٩).**

---

(١) الشعاع الرابع عشر ص ٤٣٠ من الشعاعات.

(٢) الكلمة الخامسة من الخطبة الشامية ص ٥١٠ : ٥١٤ من صيقل الإسلام.

• فالشورى الحق تولد الإخلاص والتساند. إذ أن ثلاث ألفات هكذا (III) تصبح مائة وإحدى عشرة. فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقى يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مائة شخص.(١)

ونعرض هنا جانبا آخر من جهاد الإمام النورسي، فى إرساء تلك الدعامة الهامة، من دعائم الفكر السياسى الإسلامى، وهى (الشورى) فهى محصلة الآراء والخبرات، وطريقا إلى تحقيق أفضل النتائج المطلوبة، لأنها توفر الوقت والجهد والمال، مما يحقق التقدم والرقى للأمة الإسلامية، إذا هى تمسكت بوحدة الرأى والهدف.

نصيحة الشيخ للأوفياء لدينهم:(٢)

تحت عنوان "لا تفسحوا المجال للانتقاد" كتب الشيخ رسالته لجميع المسلمين المخلصين، فى كل زمان ومكان قائلا:

إخوتى الأعزاء الأوفياء! حذار حذار.. لا تفسحوا المجال لانتقاد بعضكم البعض الآخر، فيستغل أهل الضلالة اختلاف مشاربكم وعروقكم الضعيفة وحاجاتكم المعيشية.. صونوا آراءكم من التشتت، بإقامة الشورى الشرعية بينكم. اجعلوا دساتير رسالة الإخلاص نصب أعينكم دائما.. وبخلاف هذا فإن اختلافا طفيفا فى هذا الوقت، يمكن أن يلحق أضرارا بليغة بكم.

---

(١) الكلمة السادسة من الخطبة الشامية ص ٥١٤، ٥١٥ من صيقل الإسلام.

(٢) ملحق قسطمونى ص ٢١٢ من الملاحق.

دعوته إلى إنشاء مجلس شورى للاجتهاد:[١]

إن السلطنة والخلافة متحدتان ومتلازمتان، وإن كانت وجهة كل منهما مغايرة للأخرى. وبناء على هذا فسلطاننا هو سلطان، وهو خليفة فى الوقت نفسه يمثل رمز العالم الإسلامى.. فالوزارة تمثل السلطنة، أما المشيخة الإسلامية فهى تمثل الخلافة.. وبينما نرى الوزارة تستند أصلا إلى ثلاثة مجالس شورى-وقد لا توفى هذه المجالس حاجاتها الكثيرة، نجد أن المشيخة قد أودعت إلى اجتهاد شخص واحد، فى وقت تعقدت فيه العلاقات وتشابكت، فضلا عن الفوضى الرهيبة فى الآراء الاجتهادية، وتشتت الأفكار، وتدنى الأخلاق، الناشئ من تسرب المدنية الزائفة فينا.

ولما كان من المعلوم أن مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضحى بكثير من أحكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية.

لذا ينبغى أن تؤول هذه المشيخة إلى درجة ومنزلة، تتمكن من كسب ثقة العالم الإسلامى فتكون كالمرآة العاكسة لمشاكل المسلمين. وتغدو منبعا فياضا للاجتهادات والأفكار. وعندها تكون قد أدت مهمتها حق الأداء تجاه العالم الإسلامى.

لسنا فى الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصا واحدا، ومفتيه ربما شخص واحد أيضا، يصحح رأيه ويصوبه. فالزمان الآن زمان الجماعة والحاكم شخص معنوى ينبثق من روح الجماعة. فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية، فالذى يفتى لمثل هذا الحاكم ينبغى أن يكون متجانسا معه، أى ينبغى أن يكون شخصا معنويا نابعا من مجلس شورى عال، كى يتمكن من أن يسمع صوته للآخرين، ويسوق ذلك الحاكم إلى الصراط السوى فى أمور الدين.

---

(١) السنوحات ص ٣٥١ : ٣٥٤ من صيقل الإسلام.
طالب النورسى بهذه الفكرة أعضاء "تركيا الفتاة" إبان إعلان الدستور، فلم يوافقوا عليها. وبعد مضى اثنتى عشرة سنة طالبهم بها أيضا، فقبلوها ولكن المجلس النيابى قد حل.. ثم عرضها مرة أخرى على نقطة تمركز العالم الإسلامى.

وإلا فسيبقى صوته كطنين الذباب، أمام الشخص المعنوى الناشئ من الجماعة، حتى لو كان فردا فذا عظيما. فهذا الموقع الحساس يعرض قوة المسلمين الحيوية إلى الخطر، مادام باقيا على وضعه المنكفئ هذا، حتى يصح لنا أن نقول:

إن الضعف الذى نراه فى الدين، والإهمال الذى نشاهده فى الشعائر الإسلامية، والفوضى التى ضربت أطنابها فى الاجتهادات، قد تفشت نتيجة ضعف المشيخة وانطفاء نورها، حيث أن الشخص الموجود خارج المشيخة، يمكنه أن يحتفظ برأيه إزاء المشيخة المستندة إلى شخص واحد. بينما كلام شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى المسلمين، يجعل أكبر داهية يتخلى عن رأيه أو يحصر اجتهاده فى نفسه على الأقل.

نعم، إن كل من يجد فى نفسه كفاءة واستعدادا للاجتهاد يمكنه أن يجتهد، ولكن لا يكون هذا الاجتهاد موضع عمل، إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور. فمثل هذا الشيخ - أى شيخ الإسلام المستند إلى مجلس شورى- يكون قد نال هذا السر. فكما نرى فى كتب الشريعة أن مدار الفتوى: الإجماع، ورأى الجمهور، يلزم الآن ذلك أيضا، ليكون فيصلا قاطعا لدابر الفوضى الناشبة فى الآراء.

إن الوزارة والمشيخة جناحا هذه الدولة المسلمة، فإن لم يكونا جناحين متساويين متكافئين، فلا يدوم لها المضى، وإن مضت المشيخة على وضعها الحاضر، فسوف تنسلخ عن كثير من المقدسات الدينية، أمام اجتياح المدنية الفاسدة.

الحاجة أستاذ لكل أمر. هذه قاعدة، فالحاجة شديدة لمثل هذا المجلس الشورى الشرعى، فإن لم يؤسس فى مركز الخلافة، فسيؤسس بالضرورة فى مكان آخر.

لا ينبغى أن نكون مترددين ومتخوفين، فلا نعطى الدنية والرشوة من ديننا، بالتخوف والتردد. وتلعين المدنية الزائفة بما سببت من ضعف الدين، مما يشجع الخوف، ويزيد الضعف، ويقوى التأثيرات الخارجية.. فالمصلحة المرجحة المحققة، لا تضحى لأجل مضرة موهومة.

دعوته إلى إنشاء مجلس شورى علمي لتفسير القرآن الكريم:[1]

ونظرا لأهمية الشورى فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأمة الإسلامية.. ونظرا لأن القرآن هو الدستور المهيمن على حياة المسلمين كلهم. فقد دعا الشيخ إلى إنشاء مجلس شورى علمى لتفسير القرآن الكريم، منتخب من العلماء المحققين، كل منهم متخصص فى علم، حسب التطور العصرى للعلوم، ويجمعوا المحاسن المتفرقة فى التفاسير، ويهذبوها ويذهبوها.. وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة فى كل شئ.

من هم أعداء الشورى من وجهة نظر الإمام النورسي:[2]

جمعية تشكلت برئاسة "الجهل" أغا و "العناد" أفندى و "الغرض" بك، "والانتقام" باشا و "التقليد" حضرتلرى ومسيو "الثرثرة" وهى جمعية من الناس تشوه (الشورى) التى هى منبع سعادتنا وتكدرها.

فالمنتسبون إليها –فى البشرية– هم الذين لا يضحون بدرهم واحد من حسابهم، لأعظم مصلحة من مصالح الأمة ومنافعها.. والذين يرون نفعهم فى إضرار الناس، وبدانتهم فى هزال الآخرين. والذين يفسرون الأموردون محاكمة عقلية عادلة، فيطلقون المعانى جزافا.. فبينما ترى أحدهم لا يكبح جماح نفسه للثأر، ولا يضحى بغرضه الشخصى، إذا به يدعى بغرور: استعداده لفداء روحه للأمة.. وهم أولاء الذين يحملون أفكارا غير معقولة، أمثال تكوين الإمارات "البكلك" أو الحكم الذاتى "المختارية" –التى هى مقدمة طوائف الملوك– أو الجمهورية، بمفهوم الاستبداد المطلق.

وهم أولاء الذين رأوا الظلم، فامتلأت قلوبهم غيظا ورغبة فى الثأر، حتى لم يستطيعوا أن يهضموا العفو العام والأمن العام. فيثيرون الآخرين

---

(١) محاكمات عقلية ص ٣٧ من صيقل الإسلام.

(٢) المناظرات ص ٣٨٩ من صيقل الإسلام.

للإخلال بالأمن، ويهيجونهم للقيام بالاضطرابات، كى يتشفوا بإنزال العقوبة بهم وتأديبهم.

وفى ختام التكلم عن تلك الدعامة الهامة، من دعائم الفكر السياسى الإسلامى (الشورى)، أدعو الله أن أكون قد وفقت فى عرض موقف الإمام النورسى من إرساء الشوى، بما يليق بجهده المبذول.

ثالثا : المساواة

من الدعائم المتينة التى أقام عليها الإسلام أركان الدولة: المساواة. ويقصد بها: أن يكون الناس جميعا أمة واحدة، لا يتميز أحد فى تطبيق القانون العام للدولة عن الآخرين. وهذا يعنى تكافؤ الفرص والقضاء على امتياز الأشراف أو الحكام أو غيرهما، بسبب الجنس أو اللون أو العصبية. وقد قرر الإسلام مبدأ المساواة بين الناس فى أكمل صوره، وأمثل أوضاعه، بناء على قواعد واضحة تكفل حمايته من العبث والانحراف، وتحقق للمجتمع أقصى ما يصبو إليه، من رفاهية وحضارة حقيقية. ودورنا هنا فى تلك العجالة المختصرة أن نبين القواعد العامة للمساواة فى المنهج الإسلامى، وموقف النورسى من الدفاع عنها.

١- ***المساواة بين الأجناس فى القيمة الإنسانية المشتركة:***(١)

قال تعالى فى كتابه الكريم: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣)**. أى أن الأمة يجب أن تكون قوية متماسكة لا مكان فيها للتفاضل بين الناس بحسب أصلهم فكلهم لآدم، وآدم من تراب. وسبب التنوع هو: ليتعارفوا ويتعاونوا ويتحابوا، لا ليتناكروا فيتعاندوا فيتعادوا.

---

(١) ص ٣٣٤، ٣٣٥ من صيقل الإسلام.. وبتفصيل أكبر فى المبحث الثالث من المكتوب السادس والعشرين ص ٤١٣ من المكتوبات.

إذ كما أن هناك روابط تربط الجندى بفصيلتـه وفوجـه ولوائـه وفرقتـه فى الجيش، وله واجب ووظيفة فى كل منها، كذلك كل إنسان فى المجتمع له روابط متسلسلة ووظائف متزابطة. فلو اختلطت هذه الروابط والوظائف ولم تعين وتحدد، لما كان هناك تعاون ولا تعارف.

فنمو الشعور القومى فى الشخص إما أن يكون إيجابيا أو سلبيا: فالإيجابى ينتعش بنمو الشفقة على بنى الجنس، التى تدفع إلى التعاون والتعارف. أما السلبى فهو الذى ينشأ من الحرص على العرق والجنس، الذى يسبب التناكر والتعاند. والإسلام يرفض هذا الأخير.

٢- ***المساواة بين الحكام والمحكومين:***

روى عن ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ قال: ما من أمتى أحد ولى من أمر الناس شيئا لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه إلا لم يجد رائحة الجنة. **(رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط).**

وفى رده على سؤال وجه إليه من أفراد الدولة وأهل الحكم: يبين الإمام النورسى جذور الشريعة الإسلامية الكامنة فى أعماقه، وهذا المفهوم للمساواة عنده فيقول:[١]

إن على منفذى القانون تنفيذه على أنفسهم أولا، ثم يمكنهم إجراؤه على الآخرين. فإجراء دستور على الآخرين دون أنفسكم، يعنى مناقضتكم لدستوركم وقانونكم قبل كل أحد، لأنكم تطلبون إجراء قانون المساواة المطلقة هذا على، بينما لم تطبقوه أنتم على أنفسكم.

٣- ***المساواة فى شئون المسئولية والجزاء:***

قال تعالى فى كتابه الكريم: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (الأنبياء: ٤٧).**

---

(١) اللمعة الثانية والعشرون ص ٢٦٠ من اللمعات.

وقد تكلمنا فى أول دعامة من دعائم الفكر السياسى (العدل) كيف بين النورسى أن الآية الكريمة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ١٦٤). تمثل أعدل دستور فى السياسة الشخصية والجماعية والقومية.

ونضيف هنا تلك الكلمات للإمام النورسى:(١)

فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية.

وغالبا ما يرى الأول -مطيع الشريعة والعاصى لها- ثوابه وجزاءه فى الدار الآخرة. والثانى -مطيع السنن الكونية والعاصى لها- غالبا ما ينال ثوابه وعقابه فى الدار الدنيا.

فكما أن ثواب الصبر: النصر، وجزاء البطالة والتقاعس: الذل والتسفل.. كذلك ثواب السعى: الغنى، وثواب الثبات: التغلب.

إن العدالة التى لا مساواة فيها ليست عدالة.

٤- ***المساواة فى الحقوق المدنية:***

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين." **(رواه الحاكم).**

ويقول الإمام النورسى(٢): القرآن الكريم النازل رحمة للعالمين، لا يقبل إلا طرازا من المدنية التى تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية. بينما المدنية الحاضرة قد أطلقت الأهواء والنوازع من عقالها، فالهوى حر طليق طلاقة البهائم، بل أصبح يستبد، والشهوة تتحكم، حتى جعلتا الحاجات غير الضرورية، فى حكم الضرورية.

---

(١) نوى الحقائق ص ٦١١ من المكتوبات (رقم ٩٦).

(٢) اللوامع ص ٨٥٦ : ٨٦١ ، ص ٨٥٢ من الكلمات.

إن التجارب القاطعة أظهرت لنا: أن الدين حياة للحياة ونورها وأساسها، وأن إحياء الدين إحياء لهذه الأمة. والإسلام هو الذى أدرك هذا. والحروب القادمة بين الدول والشعوب، ستتحول إلى صراعات أشد ضراوة بين طبقات البشر. لأن الإنسان لم يرض فى أدواره التاريخية بالأسر، بل كسر الأغلال بدمه. ولكن الآن أصبح أجيرا يتحمل أعباءه وسيكسرها يوما ما.

وكل هذا بسبب عدم المساواة فى الحقوق المدنية نتيجة المدنية الحاضرة ونظامها الفاسد.

- وعن سؤال وجه إلى الشيخ: كيف نتساوى مع غير المسلمين؟[1]

أجاب الشيخ: المساواة ليست فى الفضيلة والشرف، بل هى فى الحقوق.. فالسلطان الملك، والفقير المسكين، كلاهما سيان فى الحقوق.. فيا للعجب إن الشريعة التى نهت عن تعذيب نملة، وأمرت ألا تداس عمدا، أتهمل حقوق بنى آدم ؟ كلا ! ولكن نحن الذين لم نمتثل الشريعة، ألا يكفى لتصحيح خطئكم هذا، محاكمة أمير المؤمنين الإمام على ﷺ، مع يهودى فقير.. ومرافعة صلاح الدين الأيوبى – وهو مدار فخركم– مع نصرانى مسكين؟!

- وعن مطالبته بأن تعم المساواة فى الحقوق المدنية أبناء الأمة بأسرها قال:[2]

من المعلوم أن عدم التعرض لكتب الملاحدة، وبعض الساسة المتزندقين، ومجلاتهم وجرائدهم –مع ضررها الفادح للأمة والبلاد والأمن العام– تحت ستار الحرية العلمية، يدفعنا حتما إلى التساؤل: ما الجانب المحظور من التحاق شاب برئ يحتاج إلى العون والمساعدة إلى صفوف طلبة النور، كى ينقذ إيمانه وينجو من التردى فى هاوية

---

(١) المناظرات ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ من صيقل الإسلام.

(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٤٧٠ من الشعاعات.

الأخلاق الذميمة ؟ أفليس من الحكمة والعدل والواجب: أن تحتضن الحكومة ووزارة المعارف (التربية) هذا العمل وتشجعه وتقدره حق قدره، بدلا من أن تعمل على مكافحته وعلى ملاحقتنا دون سبب؟

٥- ***استنكار التفرقة العنصرية:***

ستظل تلك قضية العصور كلها إلى يوم الساعة، ولذلك فقد أولاها النورسى اهتماما كبيرا، نابعا من اهتمام الإسلام بتلك القضية، التى تزلزل أركان الشعوب والأمم.

وسنحاول إيراد مقتطفات من جهاد النورسى الفكرى فى هذا المجال، وعلى من يريد المزيد الرجوع إلى رسائل النور :[1]

- لقد نظرت –منذ السابق– إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية نظرة السم القاتل، لأنها مرض أوروبى خبيث سار . وذلك حسب الأمر النبوى الجازم: بأن الإسلام يجب العصبية الجاهلية. ولقد ألقت أوروبا بذلك المرض الوبيل بين المسلمين، ليمزقهم ويفرقهم شذر مذر ، ليسهل عليها ابتلاعهم قطعا متناثرة. كما فعل فرعون مع قومه. **﴿إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص: ٤).**

ولقد بذلت ما وسعنى الجهد لعلاج هذا الداء الخبيث، ويشهد طلابى ومن له علاقة معى بذلك.

- لقد ظهرت أضرار النعرة القومية والعنصرية فى عهد الأمويين، كما فرقت الناس شر فرقة، فى بداية عهد الحرية وإعلان الدستور ، حيث تأسست النوادى والتكتلات، كما استغلت إثارة النعرة القومية –مجددا–

---

(١) المكتوب السادس عشر ص ٧٩ من المكتوبات وكذلك المبحث الثالث من المكتوب السادس والعشرين ص ٤١١ : ٤٢١، وكذلك القسم السادس من المكتوب التاسع والعشرين ص ٥٤١ : ٥٤٩ .. وقد تناولنا تلك المواضيع بتفصيل أكبر فى الفصل الرابع (يقظة الأمة اجتماعيا) المبحث الرابع.

للتفريق بين الإخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين، فعم الاضطراب وسلبت راحة الناس.

علما أن الإضرار بالناس بأعمال سلبية، هو فطرة القومية والعنصرية، التى فطر عليها الغرب. والأتراك مسلمون فى أنحاء العالم كافة، فقوميتهم مزجت بالإسلام، لا يمكن فصلهم عنه. فالتركى يعنى المسلم، حتى أن غير المسلمين منهم لا يكون تركيا. وكذلك العرب، فإن قوميتهم مزجت بالإسلام أيضا، وينبغى هكذا. فقوميتهم الحقيقية هى الإسلام وهو حسبهم. ألا إن العنصرية ودعوى القومية خطر عظيم[١].

جهاد النورسي لمواجهة العنصرية:[٢]

قبل خمس وستين سنة[٣]، أردت الذهاب إلى الجامع الأزهر، باعتباره مدرسة العالم الإسلامى، لأنهل فيه العلوم. ولكن لم يكتب لى نصيب فيه، فهدانى الله إلى فكرة وهى:

أن الجامع الأزهر مدرسة عامة فى قارة أفريقيا، فمن الضرورى إنشاء جامعة فى آسيا على غراره، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا. وذلك لئلا تفسد العنصرية الأقوام فى البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التى هى القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة، فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآنى: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (الحجرات:١٠). وكذلك لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة. ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية فى الأناضول.

---

(١) ملحق أميرداغ-٢ ص ٤١٥ من الملاحق.

(٢) نفس المرجع السابق ص ٤١٦ : ٤١٩.

(٣) كتب الشيخ هذه الرسالة إلى رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقد جاوز الثمانين من عمره.

لذا بذلت جهدى كله لتأسيس هذه الجامعة، فى مركز الولايات الشرقية، التى هى وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والقفقاس وتركستان، وأسميتها "مدرسة الزهراء" فهى مدرسة حديثة ومدرسة شرعية فى الوقت نفسه.

فيا أيها النواب السائلون! إن فى الشرق حوالى خمسة ملايين من الأكراد، وحوالى مائة مليونا من الإيرانيين والهنود، وسبعين مليونا من العرب، وأربعين مليونا من القفقاس. فهؤلاء جميعا تربطهم الأخوة وحسن الجوار، وحاجة بعضهم إلى البعض الآخر.

فأنا أسألكم! أيهما ضرورى أكثر: الدرس الذى يتلقاه الطالب فى مدرسة "وان" الجامعة بين الشعوب والأمم، أم الدرس الذى ينفر بين تلك الشعوب، ويحصر تفكيره بقومه فقط، وينكر أخوة الإسلام، ويبذل جهده لتعلم العلوم الفلسفية، دون اعتبار للعلوم الإسلامية.

وحيث أنكم ترون أنفسكم، مضطرين إلى استشارة أمريكا وأوروبا فى هذه المسألة، إلا أن لى حق أيضا فى إدلاء الرأى فيها، حيث قضيت خمسا وخمسين سنة من عمرى لتحقيقها. بل ننتظر ذلك منكم باسم الأمة جميعا.

وقد أدخل رئيس الجمهورية إنشاء الجامعة فى الشرق، ضمن المسائل السياسية المهمة، حتى أنه حاول إصدار قانون لتخصيص ستين مليونا من الليرات لإنشائها.

وبهذا العرض يتبين: أن الإمام النورسى لم يعتزل من السياسة إلا أساليبها الملتوية والتطاحن على كراسى الحكم. أما منهاجها القويم، وتشريعاتها النابعة من العقيدة الإسلامية، فقد ظل يدعو إليها، حتى لقى ربه راضيا مرضيا، بفضل الله ورحمته ورضوانه.

رابعا : الحرية

لقد وضع الإمام النورسى للحرية مكانا واسعا فى رسائل النور، ولا غرو فى ذلك، فهو سليل المدرسة المحمدية التى بعثت لتخلص الناس من كل أنواع العبودية إلا لله الواحد الأحد. وكان من الأساسيات الراسخة فى

تلك المدرسة، ذلك الدستور الأمثل فى الحريـة: **﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ (الزمر: ٢٩)**. كما ساعد على اهتمام الشيخ بكل معانى الحرية، ذلك الاضطهاد الذى لاقاه، والاعتقالات التى فرضت عليه، خلال سنى حياته. فاتسمت كتاباته بالعشق للحرية، وتقدير أهميتها فى حياة الإنسان بصفة خاصة، وتدعيم أركان الأمة بصفة عامة.

مفهوم الحرية عند الإمام النورسي:

يتسم مفهوم الحرية عند النورسى: بتهيئة المناخ العام فى الدولة، لقيام الفرد بالتزاماته النابعة من تعاليم الشريعة الغراء. (أى الحرية الملتزمة بضوابط الشرع)

ويظهر هذا المفهوم فى الكلمات التالية:

– لقد سمعت أن المسئولين عهدوا إلى حكومة هذه المنطقة، أمر إعاشتى الدنيوية. وإننى إذ أشكر هؤلاء أعلن لهم[1]:

أن حريتى فى أداء واجبى: هى أهم من كل شئ. فهى أول ركن من دستور حياتى. وإن سلب حريتى بحبائل الأوهام الكاذبة، وتقييدها بقيود الاستبداد والطغيان، يجعلنى أمل الحياة ملا شديدا، حتى أفضل القبر على هذه الحالة، فضلا عن السجن والحبس.

إن على هؤلاء الذين لا يريدون ظلمى: أن يردوا على حريتى ولا يمسوها بسوء.. إننى أتمكن من العيش بدون طعام، ولكنى لا يمكن أن أعيش بدون حرية. نعم إن الذى عاش على مبلغ لم يزد على مائتى ليرة تركية، طوال تسع عشرة سنة، مع الأخذ بمنتهى الاقتصاد، والقيام برياضة روحية شديدة، حفاظا على حريته، وعزته العلمية، من دون أن يعرض نفسه إلى ذل الصدقة والمسألة، والتوسل بالزكاة والمرتبات والهدايا.. لا ريب أنه اليوم أحوج ما يكون إلى الحرية ضمن العدالة، منه إلى الإعاشة.

---

(١) ملحق أمير داغ-١ ص ٢٣٢، ٢٣٣ من الملاحق.

– إن دستور حرية الضمير (حرية المعتقد الدينى) مهيمن بصورة عامة فى العالم قاطبة، ولاسيما فى هذا العصر، عصر الحريات، وبخاصة فى نطاق المدنية الحاضرة[1].

فإلى أية قوة تستندون أنتم فى جرأتكم هذه، بخروجكم على هذا الدستور، واستخفافكم به، مما يعد إهانة للبشرية كلها، وإهمالا لرفضها لعملكم؟ وأية قوة لديكم حتى تمسكتم بالإلحاد وكأنه دين لكم، فى الوقت الذى أطلقتم على أنفسكم اسم "اللادينية" وأعلنتم عدم التعرض للدين ولا للإلحاد على السواء.. بيد أنكم تتعدون على حقوق أهل الدين إلى حد كبير، فلا شك أن أعمالكم هذه لن تبقى فى طى الخفاء، بل ستسألون عنها.. وعندها بماذا تجيبون؟

مظلة الحرية يجب أن تشمل الجميع وخاصة أهل الدين:

– مادامت حكومة الجمهورية لا تتعرض لأهل الإلحاد ولأهل السفاهة، وذلك تحت شعار "حرية الوجدان" السارية فى الجمهورية، لذا فإن عليها – من باب أولى– ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى.. ومادامت أية أمة لا تستطيع العيش دون دين، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار: أن أمم قارة آسيا لا تشبه أمم أوروبا من ناحية الدين، وأن الإسلام لا يشبه النصرانية من زاوية الحياة الشخصية والحياة الأخروية. فالمسلم الملحد لا يشبه الملاحدة الآخرين. لذا أصبح هذا الدين حاجة فطرية فى أعماق هذه الأمة:

وليس هناك أى تقدم وأية مدنية، تستطيع الحلول محل تعلم الصلاح والدين وحقائق الإيمان، ولا أن تنسيها إياه.. وعلى أية حكومة تحكم هذه الأمة، أن تأخذ ذلك بعين الاعتبار لتحقيق العدالة والأمن[2].

– إننى أتساءل: أهناك قانون أو مصلحة فى محاولة إجبار شخص منزو، وإكراهه على لبس القبعة؟ علما بأنها رفعت عن رءوس نصف

---

(١) ذيل القطعة السادسة ص ٥٥٤ من المكتوبات.

(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٤١٦، ٤١٧ من الشعاعات.

العساكر، وجميع المجتهدين من شيوخ الإسلام منعوا لبسها. فلماذا يؤذوننى رغم أنه لا يتعرض أحد إلى الذين يشربون الخمر جهارا نهارا فى شهر رمضان، ولا يصلون باسم الحرية الشخصية(١).

- لماذا يقوم أهل السياسة بتجريدى من جميع حقوقى المدنية، ومن حقوقى فى الحرية، بل ربما من حقوقى فى الحياة، مع أننى لم أشترك فى السياسة ولم أدخل معتركها؟ لقد عاملونى وكأننى سفاح خضب يديه بدماء مئات الضحايا، فوضعونى فى حبس منفرد ومنعزل ثلاثة أشهر ونصف، وحاولوا أثناءها التعرض لحياتى وأقدموا على تسميمى إحدى عشرة مرة. وعندما أراد أصدقائى الحريصون، وتلاميذى الصادقون حمايتى من شر هؤلاء، منعوا اتصالهم بى، بل إنهم حرمونى حتى من مطالعة كتبى المباركة، والخالية من أى ضرر، والتى أجد الأنس معها فى وحدتى وشيخوختى ومرضى وغربتى.. هذا على حين أن قراءة الروايات، التى تلهب الشهوات الفانية غير المشروعة، ونشر الكتب التى تضر بسلامة الأمة، والتى تهاجم الإسلام، ومن ثم مدح هذه الكتب وتقريظها والثناء عليها.. كل هذا مسموح به ولا يعد ذنبا(٢).

- إن ما أتعرض له فى أخريات أيامى هذه، من الإهانات المتكررة، والمعاملات الظالمة التى أقابل بها، وحياة الاغتراب والتشرد التى أعيشها، والتى لم أر مثلها من قبل، جعلنى أمل الحياة.. إننى سئمت من الحرية المقيدة. تلك الحرية التى يحدها التحكم، ويعقلها الجور والاستبداد(٣).

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤٣، ٥٠٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٥٣ ، ٦٠٥.

(٣) المرجع السابق (الشعاعات) ص ٤٦٨.

الحرية الشرعية هي جنة الأمة الإسلامية[1]:

تحت عنوان "خطاب إلى الحرية" كتب الإمام النورسي معبرا عن فرحته بالحرية الشرعية، التي حصلت عليها البلاد بعد طول استعباد.. وإن هذا الخطاب يتضمن مبادئ قيمة لمعاني الحرية، كما يرتضيها الشرع الإسلامي، تصلح كدعائم ثابتة لفكر سياسي إسلامي متحضر.

ونتناول من هذا الخطاب ما يسمح به مجالنا هنا:

أيتها الحرية الشرعية! إنك تنادين بصوت هادر، ولكنه رخيم يحمل بشارة سارة، توقظين بها كرديا بدويا مثلي، نائما تحت طبقات الغفلة. ولولاك لظللت أنا والأمة جميعا في سجن الأسر والقيد. فإذا ما اتخذت الشريعة التي هي عين الحياة، منبعا للحياة، فإنني أزف بشرى سارة أيضا، بأن هذه الأمة المظلومة، ستترقى ألف درجة عما كانت عليه في سابق عهدها.

وإذا ما اتخذتك الأمة مرشدة لها، ولم تلونك بالمآرب الشخصية، وحب الثأر والانتقام، فقد أخرجنا إذن من له العظمة والمنة، من قبر الوحشة والاستبداد، ودعانا إلى جنة الاتحاد والمحبة. وتلك الجنة لها أبواب:

الأول: اتحاد القلوب. والثاني: محبة الأمة. والثالث: المعارف. والرابع: السعي الإنساني. والخامس: ترك السفاهة.

وأحيل إلى أذهانكم بقية الأبواب.. علما أن إجابة الدعوة واجب شرعي، إن هذا الاتحاد، اتحاد القلوب والمحبة الموجهة للأمة كافة، وهي معدن السعادة والحرية، قد أنعمها المولى الكريم علينا مجانا، بينما الأمم الأخرى قد ظفروا بها، بعد دفع الملايين من جواهر النفوس الغالية.

إن صدى الحرية والعدالة، ينفخ نفخ إسرافيل، فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية وآمالنا الخامدة، ورغباتنا القومية الرفيعة، وأخلاقنا

---

(١) خطاب إلى الحرية ص ٤٦٥ : ٤٦٨ من صيقل الإسلام.

الإسلامية الحميدة، حتى يرن صماخ الكرة الأرضية المجذوبة، ويهيج الأمة جميعا.

وإياكم يا إخوان الوطن! أن تقضوا عليها بالموت مرة أخرى، بالسفاهات والإهمال فى الدين.

إن مائة ونيفا من السنين، التى تأخرنا فيها عن مضمار الرقى والتقدم، سنتجاوزها بإذن الله تعالى، بمعجزة نبوية، مستقلين -عملا- قطار القانون الأساسى الشرعى، وممتطين -فكرا- براق الشورى الشرعية:

وسنكون فى صف الأمم المتمدنة، عندما نطوى هذا الزمان القاصر، الشبيه بالصحراء الكبرى الموحشة. بل نتسابق معهم، حيث أنهم درجوا على ركوب العربات التى تجرها الثيران، بينما نحن -بتكامل الوسائل التى يتوقف عليها العلم- سنركب مباشرة القطار والمنطاد، فنسبقهم بفراسخ وفراسخ، وذلك بما تسهل لنا هضم تلك الوسائل، حقيقة الإسلام الجامعة للأخلاق الإسلامية، والاستعداد الفطرى الكامن فينا، وفيض الإيمان الذى نحمله، وشدة الجوع للرقى التى نشعر بها، فنسبقهم بإذنه تعالى، كما كنا سابقين لهم فى الماضى.

يا أبناء الوطن! لا تفسروا الحرية تفسيرا سيئا، كى لا تفلت من أيديكم، ولا تخنقونا بسقى الاستعباد السابق الفاسد فى إناء آخر، ذلك لأن الحرية إنما تزدهر بمراعاة الأحكام الشرعية وآدابها والتخلق بالأخلاق الفاضلة.

والبرهان الباهر على هذا الإدعاء: هو ما كان يرفل به عهد الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين، من الحرية والعدالة والمساواة، على الرغم من الوحشية السائدة والتحكم المقيت.

وبخلافه: فإن تفسير الحرية والعمل بها على أنها التحرر من القيود، والانغمار فى السفاهات والملذات غير المشروعة، والبذخ والإسراف، وتجاوز الحدود فى كل شئ، اتباعا لهوى النفس.. مماثل لمن يتحرر من أسر سلطان واحد، ويدخل فى استبداد حقراء سافلين كثيرين. فضلا عن أن هذا النمط من الحرية، يظهر أن الأمة غير راشدة، ومازالت فى عهد

الصبـاوة، وليست أهـلا للحريـة. فهـى سفيهة إذن تستحق الحجـر عليهـا، بالرجوع إلى الاستبداد السابق.

وبنـاء علـى مـا سبق: لا ينبغـى أن ننخـدع، بـل نجعـل القـاعدة الآتيـة دستور عمل لنا وهى: "خذ ما صفا ودع ما كدر".. وفى ضوئها سنأخذ مـن الأجانب -مشكورين- كل ما يعين الرقى المدنى من علوم وصناعـات، أمـا العادات والأخلاق السيئة، فهى ذنوب المدنية ومساوئها، التى لا يتبين قبحها كثيرا، لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة.

حاصل الكلام: سنمنع بسيف الشـريعة، مسـاوئ المدنيـة وذنوبهـا، مـن الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا، حفاظا على فتوة مدنيتنا وشبابها، بـزلال عين حياة الشريعة.

ينبغى لنا الاقتداء باليابانيين فى المدنيـة، لأنهـم حـافظوا علـى تقـاليدهم القومية، التى هى قوام بقائهم، وأخذوا بمحاسن المدنية، من أوروبا. وحيـث أن عاداتنا القوميـة ناشـئة مـن الإسـلام، وتزدهـر بـه.. فـالضرورة تقتضـى الاعتصام بالإسلام.

وقبل أن ننتقل من هذا المجال، نود أن نلمح إلـى أن الحريـة الشـرعية التى ينادى بها الإمام النورسى، تقوم على ركائز عدة منها:

- حرية العقيدة: **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف: ٢٩).**
- حرية الفكر والرأى: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها. أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ (الأعراف: ١٧٩).**
- الحرية السياسية: **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى:٣٨).**
- الحرية المدنية: وتشمل حرية البيع والشـراء -حريـة التوظـف- حريـة حياة الإنسان آمنا علـى نفسـه ومالـه وعرضـه، مـن القتـل والجراحـات والترويع والاغتصـاب والسـرقات والاسترقاق والتجسـس والتصنـت والمراقبة و.. وهذا مجال يطول شـرحه، حيـث تحفـل الآيـات القرآنيـة

والسنة النبوية، بتنظيم قواعد تلك الحرية، مما شهد له علماء الغرب المنصفين، بسبق الإسلام في هذا المجال، على نمط فريد، يحقق للبشرية أروع ما تصبو إليه من حرية..

خامسا : الجهاد

إن الجهاد دعامة أساسية، من دعائم الفكر السياسى الإسـلامى، حفاظـا على كرامة الأمة الإسلامية، وأراضيهـا، وثرواتهـا، وعرضهـا، وقبل هذا كله على عقيدتها التى فيها حياتها.

والجهاد له قواعد منظمة تنظيما دقيقا فى الإسلام، يستمد أصوله من عدل الإسلام ورحمته وعزته وكرامته، فهو ليس قوة غاشمة هوجاء، تبيد البشرية من أجل الأهواء، بل هو قـوة تدعم المفاوضـات السلمية، وتعطـى للقرار السياسى سلطته وهيبتـه: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (الأنفال:٦٠).

ولذلك فإن نظرة الإمام النورسى للحروب العالميـة (الأولـى والثانيـة) التى عاصرها، كانت تنبع من المفهوم الإسلامى للجهاد، ولذلك كانت تتسم بالاستنكار، لأن تلك الحروب لم تكن قائمة دفاعا عن الحق والعدل والخير، بـل كـان يشعلها الرغبـة فـى الاستعلاء والسيطرة، الناتجـة عـن القوميـة العنصرية السلبية.. وهذا مـا سنراه فـى كتابـات الإمـام النورسـى، ليكـون للمسلمين نظرة متميزة تجـاه الأحداث الجاريـة، لا تبـدد قواهـم النفسـية أو المادية.

أسباب الحروب العالمية وموقف الإسلام منها[1]:

إن ضلال البشرية، وعنادها النمرودى، وغرورها الفرعونـى، تضخم وانتفش، حتى بلغ السماء ومس حكمة الخلق، وأنزل من السماوات العلا، ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا.. تلك هى الحرب العالميـة الحاضرة. إذ أنزل الله سبحانه لطمة قوية على النصارى، بل على البشـرية قاطبة، لأن أحد أسبابها التى يشترك فيها الناس كلهـم: هـو الضـلال الناشـئ من الفكر المادى، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى.

---

(١) اللوامع ص ٨٥٩ من الكلمات، وكذلك ملحق قسطمونى ص ٢٠٢ : ٢٠٤ من الملاحق.

أما ما يعود إلينا من سبب فهو: إهمالنا أركان الإسلام وتركنا الفرائض.

إن العمل الصالح نوعان: أحدهما: إيجابى واختيارى.. والآخر: سلبى واضطرارى.

فالآلام والمصائب كلها، أعمال صالحة سلبية اضطرارية، كما ورد فى الحديث الشريف. وفيه سلواننا وعزاؤنا.. ولهذا فقد تطهرت هذه الأمة المذنبة وتوضأت بدمها.

لأن الإنسان الذى يخوض غمار هذه الحرب الطاحنة، يمثل أصدق تمثيل الآية الكريمة: **﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ (الأحزاب:٧٢).**

لذا لا يجوز النظر إلى المظالم المحيرة، فضلا عن موالاة تلك التيارات، وتتبع أخبارها، والاستماع إلى دعاياهم الكاذبة الخداعة، ومشاهدة معاركها بأسى وحزن. لأن الرضى بالظلم ظلم، وإذا ما مال إليه يكون ظالما. وإذا ما ركن إليه ينال زجر الآية الكريمة: **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ (هود:١١٣).**

نعم، لأن هذه الحرب المدمرة، ليست لأجل إحقاق الحق، وإرساء الحقيقة، ولا لأجل إعلاء شأن الدين وإقرار العدالة. بل تستند إلى العناد والعصبية القومية، والمصلحة النوعية، وإشباع أنانية النفس. فترتكب مظالم شنيعة ومآسى أليمة لم ير مثيلها فى العالم.. والدليل على ذلك: إفناء الأبرياء من أطفال، وعوائل وشيوخ ومرضى، بالقنابل المدمرة، بحجة وجود جندى أو اثنين من جنود الأعداء فيما بينهم.. واتفاق أعتى المستبدين من البرجوازيين، مع الفوضويين والإرهابيين، الذين هم المتطرفون من الاشتراكيين والشيوعيين، وإهدار دماء ألوف بل ملايين من الأبرياء.. والاستمرار فى هذه الحرب الضارة للإنسانية جمعاء.. ورد الصلح والسلام.

لذا، فإن الإسلام والقرآن الكريم: بريئان بلا شك من مثل هذه الحروب المدمرة، التى لا تنسجم مع أى قانون كان، من قوانين العدالة، ولا مع الإنسانية، ولا مع أى دستور كان، من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق..

ولا يتنازلان ولا يتذللان لمعاونة أولئك، لأن فرعونية رهيبة، ومصلحية عجيبة تستحوذان فيهم، بحيث لا يمدون يد العون إلى القرآن والإسلام، بل يحاولون جعلهما آلتين طيعتين فى سبيل مآربهم. فلا شك أن أحقيقة القرآن، تأبى الاستناد إلى سيوف ظالمين كهؤلاء. بل الفرض على أهل القرآن، والواجب عليهم، الاستناد إلى قدرة رب العالمين ورحمته، بدلا من الاستناد إلى قوة عجنت بدماء ملايين الأبرياء.

ولما كان الإلحاد يسحق أهل الدين، مستندا إلى إحدى القوتين المتصارعتين، وأن الانحياز إلى التيار المخالف للزندقة، يبدو كوسيلة للنجاة من جورهم.. إلا أن التجارب أثبتت أن ذلك الانحياز يولد أضرارا كثيرة، دون أن يجدى نفعا.

ثم إن الزندقة تدور -بسبب النفاق- حيث دارت مصلحتها، إلى أى جهة كانت. وتجعل صديقك حليفها، وتدفعه إلى معاداتك. فتبقى الآثام التى اكتسبتها من الانحياز ثقيلة فى عنقك.

وهكذا يبين الإمام النورسى مبررات الجهاد فى الإسلام، كما يبين الواجب على المسلمين، تجاه الحروب التى تشتعل فى أى منطقة من العالم: أى أنه يدعم مبدأ: الحياد الإيجابى والتعايش السلمي. فإذا انحاز المسلمون إلى جهة، فيجب أن يكون انحيازهم هذا قائما على الحق والعدل، وتجاوبهم كذلك مع الأحداث العالمية، يجب أن يكون لإرساء الحقيقة وإعلاء شأن الدين. وإلا فالتعايش السلمى أفضل كثيرا للمسلمين.. على أن يكون هذا كله، نابعا من تعاليم الشريعة الغراء.

موقف النورسي من السلام والتعايش السلمي:

يرى الإمام النورسى: أن الجهاد فرض على المسلمين لتحقيق العزة والكرامة لهم، إذا تعرضت أراضيهم وأموالهم وديارهم للاغتصاب. **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة،٢١٦)**. فإن لم يكن الجهاد لتحقيق تلك المعانى السامية، فالسلام أفضل، نظرا لما تكبده الحروب من خسائر مادية ومعنوية، تتطلب أن يكون الدافع إليها، أغلى وأعظم من تلك الخسائر.

لذلك فقد رد الشيخ على سؤال، حول سبب رفضه لهجوم الأجانب، كانكلترا وايطاليا على الحكومة (رغم فسادها)، ومعارضته هذه الحرب بشدة، ورجائه أن تحل القضية بسلام وأمان.. فقال[1]:

نحن نسأل الله الفرج والبشارة والسرور والفتح، ولكن ليس بسيف الكفار.. فسحقا لسيوفهم، ولتكن وبالا عليهم. نحن لسنا بحاجة، ولا نرجو الفائدة من سيوفهم، لأن أولئك الأجانب المتمردين، هم الذين سلطوا المنافقين على أهل الإيمان، وهم الذين ربوا الزنادقة فى أحضانهم.

أما مصيبة الحرب وبلاؤها، فهى ضرر بالغ لخدمتنا القرآنية، لأن معظم إخواننا العاملين المضحين الفضلاء، لا يتجاوز أعمارهم الخمس والأربعين سنة، فيضطرون إلى الذهاب للحرب تاركين الخدمة القرآنية المقدسة. ولو أن لى مبلغا من المال، لكنت أدفعه -بكل رضاى- لأجل إنقاذ هؤلاء الإخوة الكرام، حتى لو كان البدل النقدى ألف ليرة! إن انخراط مئات من إخواننا العاملين فى الجندية، ومزاولتهم الجهاد المادى خسارة فادحة لخدمتنا، أشعر أنها تعدل أكثر من مائة ألف ليرة. بل إن ذهاب "ذكائى" إلى الجندية خلال السنتين الماضيتين، أفقدنا أكثر من ألف ليرة من الفوائد المعنوية.

وعلى كل حال: فإن القدير ذا الجلال، الذى يطهر وجه السماء الملبد بالغيوم، ويبرز الشمس الساطعة فى وجه السماء اللامع، خلال دقيقة واحدة، هو القادر أيضا على أن يزيل هذه الغيوم السوداء المظلمة الفاقدة للرحمة، ويظهر حقائق الشريعة كالشمس المنيرة، بكل يسر وسهولة وبغير خسارة.. إننا نرجو هذا من رحمته الواسعة، ونسأله سبحانه ألا يكلفنا ذلك ثمنا غاليا. وأن يمنح رءوس الرؤساء العقل، ويهب لقلوبهم الإيمان.. وهذا حسبنا، وحينها تتعدل الأمور بنفسها وتستقيم.

---

(١) اللمعة السادسة عشرة ص ١٥٨ من اللمعات.

هل يمكن الاستعانة بغير المسلمين فى الجهاد الإسلامى[1]؟

نحن نقبل يد المعاونة، ولا نقبل يد المعاداة فهما شيئان متغايران. لذا لا مشاحة فى مصافحة يد الكافر الذى مدها لمعاونة الإسلام، وذلك لدفع عدو الإسلام المعتدى العريق. بل قبولها إنما هو خدمة للإسلام، وذلك من عدة وجوه:

أولا : ما الجندية إلا الحرب.. فلقد قاتلتم بالأمس دبا ضخما، وعاونكم النساء والغجر والصبيان والكلاب ونصروكم، فهل فى ذلك من بأس عليكم أو من عار عليكم؟

ثانيا : كان للنبى ﷺ معاهدون وحلفاء من مشركى العرب، وكانوا يخرجون معا إلى الحرب، بينما هؤلاء أهل كتاب.. ولأنهم يكونون متفرقين فى الجيش، لا مجتمعين، فإن كثرتنا الغالبة، وقوة مشاعرنا، ستحدان من الضرر الموهوم.

ثالثا: قد استخدم فى جيش الدول الإسلامية غير المسلمين -ولو نادرا- والجيش الإنكشارى[2] شاهد على هذا.

رابعا: إن الوظائف ليست للسيادة، بل هم خدام مأجورون.. ولو فرضنا أنها ضرب من الرئاسة والسيادة، فإن إشراك ثلاثة آلاف غير مسلم فى سيادة رئاستنا، يفتح طريقا إلى الرئاسة أمام ثلاثمائة ألف من إخواننا المسلمين فى أقطار العالم. فالذى يخسر واحد ويربح الألف لا يتضرر.

---

(١) الخطوات الست ص ٥٥٢ من صيقل الإسلام. وكذلك المناظارات ص ٤٠٢ : ٤٠٤ من صيقل الإسلام.

(٢) هو تنظيم عسكرى وضعه الغازى أورخان ابن عثمان (مؤسس الدولة العثمانية). خدم الدولة العثمانية كثيرا فى البداية، ثم دب فيه الفساد وأصبح مشكلة عويصة، إلى أن نجح السلطان محمود الثانى فى إلغائه وتصفيته، وإقامة "النظام الجديد" بدلا منه.

وهكذا فإن الإمام النورسى يعتبر صاحب منهج فكرى سياسى متكامل وداعية متميز فى كل مجال من المجالات التى نطلع على فكره ورسائله فيها.. ندعو الله أن ينفع المسلمين بنصائحه الغالية النفيسة ومنهاجه السديد الثرى بنواحى الإصلاح الرشيدة.

فقد تناولنا من رسائله المتنوعة العديدة، بما تيسر لنا -بحول الله وقوته- ما يعيننا على شرح وجهة نظره، حول دعائم الفكر السياسى الإسلامى، وندعو الله أن يكون ذلك فاتحة خير لمزيد من جهد المخلصين فى هذا السبيل.

المبحث الثالث

قضايا سياسية تعوق نهضة الأمة الإسلامية

هناك كثير من القضايا السياسية، تطرح نفسها على ساحة الأمة الإسلامية، بحيث لم تتحدد لها الملامح النهائية بعد، مما يسبب كثيرا من الاضطرابات والانقلابات والفوضى الرهيبة فى معظم الدول الإسلامية.. وهذا بعكس الدول الغربية، التى تحددت فيها ملامح تلك القضايا بشكل نهائى، مما يحقق لها الاستقرار، الذى يعتبر مناخا ملائما للتقدم فى جميع المجالات.

من تلك القضايا:

نظام الحكم – علاقة الجيش بالسياسة – الأحزاب والسلطة السياسية – تكوين رأى عام قوى – الإرهاب – الوحدة الإسلامية فى مواجهة التكتلات الدولية.. .

الشعور الدينى واليقظة السياسية:[1]

يرى الإمام النورسى أن يقظة الأمة الإسلامية سياسيا، تبدأ من يقظة الشعور الدينى. كما ثبت باستقراء التاريخ حيث ترقى المسلمون دائما فى مضمار الحضارة، بقدر تمسكهم بدينهم. وتدنوا كلما بدأ ضعف الدين يدب فيهم.. بخلاف ما يحدث لأصحاب الأديان الأخرى. إذ متى ما تمسكوا بدينهم أصبحوا كالوحوش الكاسرة، ومتى ما ضعف لديهم الدين ترقوا فى مضمار الحضارة.

ويقول: إن ظهور جمهور الأنبياء فى الشرق، رمز من القدر الإلهى: أن المهيمن على شعور الشرقيين هو الدين. فما نراه فى الوقت الحاضر من

---

(١) السنوحات ص ٣٥١ من صيقل الإسلام.

مظاهر اليقظة في أنحاء العالم الإسلامى، تثبت لنا أن الذى ينبه العالم الإسلامى، وينقذه من الذل والهوان، هو الشعور الدينى ليس إلا.. ونحن نتميز بهذه الخاصية عن الغرب، ولا نقاس معهم.

من هذا المفهوم: يتبين لنا كيف تناول الإمام النورسى جميع القضايا السياسية التى تخص الأمة الإسلامية، بغرض تحقيق اليقظة المطلوبة.

فالشيخ يرى أن الإسلام وشريعته الغراء هو[1]:

المالك الحقيقى وصاحب العنوان المعظم.. والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة.. ويحقق نقطة استنادنا.. ويرسى المشروطية على أساس متين وينقذ ذوى الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة.. ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا.. وينقذكم من التصرف فى حقوق الله بدون إذن منه، تلك الحقوق التى تضمن مصالح الناس كافة. ويحافظ على حياة أمتنا.. ويظهر ثباتنا وكمالنا، ويحقق وجودنا أمام الأجانب.. وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة.. ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف.. ويولد الأفكار العامة (الرأى العام)، التى هى روح ذلك الاتحاد.. ويحول دون دخول مفاسد المدنية، إلى حدود حريتنا ومدنيتنا.. وينجينا من ذل التسول من أوروبا.. ويطوى لنا المسافة الشاسعة التى تخلفنا فيها عن الرقى، فى زمان قصير بناء على سر الإعجاز.. ويرفع من شأننا فى زمن قصير، بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين.. ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام.. ويبطل الظنون الفاسدة التى تحملها أوروبا سابقا.. ويحملهم على التصديق بأن النبى محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، وأن الشريعة خالدة.. ويقيم سدا أمام الإلحاد الذى يدمر المدنية.. ويزيل بصفحته النورانية، ظلمة تباين الأفكار وتشتت الآراء.. ويجعل جميع العلماء والوعاظ متحدين فى سبيل سعادة الأمة، لتنقية إجراءات الدولة، وخداما للمشروطية المشروعة.. ويؤلف قلوب غير المسلمين ويربطهم به أكثر، بعدالته المحضة الرحيمة.. ويجعل

---

(١) نيل النيل (لتحيا الشريعة الغراء) ٢٦ شباط ١٣٢٤ رومى. الجريدة الدينية / ٧٣ / ٧ مارت ١٩٠٩م. من صيقل الإسلام ص ٥٢٥ ، ٥٢٦.

أجبن شخص وأكثرهم ضعة، أشجع وأرفع إنسان لأنه يعاملهم هكذا.. وينفخ فيهم الشعور بالرقى والتضحية، وأهمية حب الوطن.. ويخلصنا من السفاهة التى تهدم المدنية، ومن الحاجيات غير الضرورية. ويبعث فينا النشاط فى العمل للدنيا، مع تذكر الآخرة والمحافظة عليها. ويعلمنا الأخلاق المحمودة التى هى حياة المدنية، ويفهمنا قواعد المشاعر النبيلة.

فإذا ما أظهرتم الإسلام وشريعته الغراء، واتخذتموها أساسا لأحكامكم، وطبقتم دساتيرها.. مع اغتنام فوائد إلى هذا الحد، هل تفقدون من شئ؟!

وبعد استعراض ذلك المفهوم اليقينى للإمام النورسى، فى أهمية الإسلام كشريعة لتحقيق اليقظة السياسية، نبدأ فى بيان نظرته للقضايا السياسية، التى تعوق نهضة الأمة الإسلامية:

أولا: نظام الحكم:

يرى الإمام النورسى أن نظام الحكم ليس عقبة تستحق أن يقف المسلمون أمامها كثيرا. فالمهم أن يكون هذا النظام قائما على مبادئ الشريعة الإسلامية من عدل وشورى ومساواة وحرية.. ويقول فى ذلك[1]:

الجمهورية: (وهى الكلمة الحديثة بدلا من المشروطية الموجودة سابقا): عبارة عن العدالة والشورى وحصر القوة فى القانون. أليس من الجناية على الإسلام، أن نستجدى الأحكام من أوروبا، ولنا شريعة غراء تأسست قبل ثلاثة عشر قرنا؟ إن هذا الاستجداء شبيه بالتوجه إلى غير القبلة فى الصلاة.

إن القوة لابد أن تكون فى القانون، وإلا فسيتفشى الاستبداد فى الكثيرين. ولابد أن يكون المهيمن والأمر الوجدانى قوله تعالى: **﴿إن الله لقوى عزيز﴾ (الحج:٧٤)**. وهذا يكون بالمعرفة التامة، والمدنية الكاملة، أو بتعبير آخر بالإسلام. وإلا سيكون الاستبداد هو المستولى دائما.. إن الإتفاق فى

---

(١) **حقيقة (٢٦ شباط ١٣٢٤ - الجريدة الدينية/٧٠ - ٧ مارت ١٩٠٩ م.). من صيقل الإسلام** ص ٥٢٧، ٥٢٨.

الهدى، وليس فى الهوى والهوس. نعم إن الله خلق الناس أحرارا، وهم عبيد الله، فقد تحرر كل شئ فيهم.

فنحن بامتثالنا الشريعة أحرار، وبتمسكنا بالمشروطية أحرار أيضا، ولن نتنازل عن المسائل الشرعية، ولن نعطيها أتاوة، إن قصور فرد عن شئ لا يكون عذرا لقصور آخر. اعلموا أن اليأس مانع كل كمال. وأن هدية الاستبداد وتذكاره هو: "مالى أنا.. فليفكر غيرى".

إن الاستبداد ظلم وتحكم فى الآخرين، أما المشروطية فهى العدالة والشريعة[(١)]. بمعنى أننى رضيت بالمشروطية بالدلائل الشرعية، وليس كما رضى بها بعض دعاة المدنية الغربية، إذ قبلوها تقليدا وفهموها خلافا للشريعة. فلن أتنازل عن الشريعة التى سعيت دوما لانقاذها، وصون علمائها من شبهات أوروبا وأوهامها، التى تظن أن الشريعة هى التى تمد الاستبداد بالقوة وتعينه. حاشى وكلا.. إن الجهل والتعصب المتفشيان فينا، ساعدا أوروبا على هذا الظن الخاطئ.

افهموا المشروطية فى ضوء المشروعية وتلقوها على أساسها.. وقيدوا الحرية بآداب الشرع، لأن عوام الناس والجاهلين، يصبحون سفهاء وعصاة وقطاع طرق، بعد أن ظلوا أحرارا سائبين بلا قيد أو شرط. ولتكن قبلتكم فى صلاة العدالة على المذاهب الأربعة، كى تصح صلاتكم. لأننى قد أعلنت دعوى: أنه يمكن استخراج حقائق المشروطية صراحة وضمنا وإذنا، من بين المذاهب الأربعة.

- وعن سؤال وجه إليه فى محكمة (اسكى شهر) حول رأيه فى النظام الجمهورى:[(٢)]

أجاب الإمام النورسى:

---

(١) المحكمة العسكرية العرفية ص٤٤٢ : ٤٤٤ من صيقل الإسلام.

(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ من الشعاعات.

تستطيعون أن تتأكدوا من كتاب "السيرة الذاتية" الموجود لديكم، بأننى كنت شخصا متدينا ومن أنصار النظام الجمهورى. وخلاصة ذلك أننى كنت آنذاك منزويا كحالى الآن - تحت قبة مقبرة (ضريح) خالية، فكانوا يأتون لى بالحساء، وكنت أقوم بإعطاء حبات الحساء إلى النمل، وأكتفى بغمس الخبز فى سائل الحساء. سألونى عن السبب فقلت: إن أمة النمل، وكذلك النحل، تعيش فى نظام جمهورى، وأنا أعطى الحبات للنمل، احتراما لنظامها الجمهورى.

- ثم قالوا: أنت تخالف بذلك السلف الصالح. فأجبتهم:

لقد كان الخلفاء الراشدون، خلفاء ورؤساء جمهورية فى الوقت نفسه.. فالصديق الأكبر ﷺ كان دون شك، بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرين بالجنة، وللصحابة الكرام. ولكن ليس تحت عنوان أو شكل فارغ، بل كل منهم رئيس جمهورية متدين، يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية.

- أما إن كان سؤالكم حول الجمهورية العلمانية: فإن ما أعلمه هو:

أن معنى العلمانية هو البقاء على الحياد.. فكما لا تتعرض مثل هذه الحكومة للملحدين، ولا لأهل السفاهة بحجة حرية الضمير، فيجب ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى. وإننى الآن لا أعلم الأوضاع السياسية، والأحوال التى تعيش فيها الحكومة الجمهورية، لأننى قد اعتزلت الحياة الإجتماعية منذ خمس وعشرين سنة، فإن كانت قد دخلت فى مرحلة مرعبة ومذهلة، من العمل لحساب الملاحدة، وبدأت بسن القوانين التى تدين من يعمل لآخرته ولإيمانه - والعياذ بالله - فإنى أقول لكم دون خوف أو خشية: أنه لو كان لى ألف نفس لما ترددت فى التضحية بها، فى سبيل إيمانى وفى سبيل آخرتى. واعملوا أنتم ما بدا لكم. وسيكون آخر كلامى: "حسبنا الله ونعم الوكيل".

<u>وعن نظام السلطنة قال:</u>[١]

إن السلطان إذا ما أطاع أوامر سيدنا الرسول الكريم ﷺ، وسار فى نهجه المبارك، فهو الخليفة، ونحن نطيعه. وإلا فالذين يعصون الرسول ﷺ، ويظلمون الناس هم قطاع طرق، ولو كانوا سلاطين. وقال أيضا في لمعة الشيوخ: "لقد آحزنتنى وفاة سلطنة الخلافة".

نخلص من ذلك: أن النورسى لا يشترط شكلا معينا لنظام الحكم. ولكنه يشترط أن ذلك النظام يستمد أصوله وقواعده من أحكام الشريعة. ويلخص ذلك الرأى فى تلك الكلمات:[٢]

ترى لو فوضت حماية الدين إلى رئيس مغلوب على أمره، أو إلى مسئولين مراهقين، أو إلىفئة من ضباط لا منطق لهم. أيكون أولى، أم يعتمد على العمود النورانى، ذلك السيف الألماسى، الحاصل من امتزاج شرارات حمية الإسلام النيرة، ولمعات الأنوار الإلهية، التى تشع من عاطفة الإيمان فى قلب كل فرد، والتى هى معدن المشاعر الإسلامية، الممدة لأفكار الأمة العامة (الرأى العام)؟

<u>حول دور الحاكم ومواصفاته:</u>

ردا على سؤال وجه للشيخ: ألا يلزم أولا إصلاح رؤسائنا؟ [٣]

أجاب: نعم، كما أن الرؤساء قد أخذوا أموالكم وحجزوها فى جيوبهم، فقد أخذوا عقولكم أيضا، أو حجزوها فى أدمغتكم. لذا فأنا الآن أخاطب عقولكم الموجودة لديهم:

فيا أيتها الرءوس والرؤساء، إياكم والتواكل الذى هو عين التكاسل، ولا تسوفوا فى الأعمال فيحولها بعضكم إلى بعض، اخدمونا بأموالنا التى فى أيديكم، وبما تملكون من عقول. فقد أخذتم أجرتكم باستخدامكم هؤلاء

---

(١) المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ من صيقل الإسلام، ص ٤٨٢ من الشعاعات.

(٢) المناظرات ص ٣٨٧ من صيقل الإسلام.

(٣) المناظرات ص ٤١٧ : ٤٢٠ من صيقل الإسلام.

المساكين.. فهذا أوان الخدمة والعمل، وعليكم بتدارك ما ضيعتموه على أنفسكم.

وبعد سقوط الرؤساء الظالمين قال الشيخ:

إننى أريد أن أحفظكم سنة الحرية الشرعية حتى يمتثلوها ما داموا على قيد الحياة.. نعم، لقد تساقط الرؤساء الذين تربوا بقوة الاستبداد وحدها، وهم يستحقونه إلا أن فيهم حماة. نعم إن بينهم حماة للملية فنشكرهم، ومتكاسلين، فنشكوهم.. ومتحيرين فنرشدهم.. وأمواتا فنحافظ على ميراثهم لئلا يأخذه من برز إلى الميدان حديثا.

وعن مواصفات الحاكم فى كلمات موجزات قال النورسى:[1]

- إن جدية ولى الأمر فى مقامه وقار. أما لينه فهو ذلة. كما أن جديته فى بيته دليل على الكبر، ولينه دليل على التواضع.
- إن عزة النفس التى يشعر بها الضعيف تجاه القوى: لو كانت فى القوى لكانت تكبرا.. وكذلك التواضع الذى يشعر به القوى تجاه الضعيف، لو كان فى الضعيف لكان تذللا.
- إن كان الفرد متكلما عن نفسه: فصفحه وسماحه -عن المسيئين- وتضحيته بما يملك عمل صالح.. أما إذا كان متكلما باسم الجماعة فخيانة وعمل غير صالح.
- إن المرء يستطيع أن يكظم الغيظ لما يعود لنفسه، وليس له أن يتفاخر بشئ يخصه.. ولكن يمكنه أن يفخر باسم الأمة من دون أن يكظم غيظا بحقها.

أى أن الإمام النورسى يضع مواصفات للحاكم، تحافظ على هيبة الأمة وعزتها، وتمكنه من إقامة العدل بين الناس وتتلخص فى قاعدة: حزم فى غير شدة، ولين فى غير ضعف.. وأن الأمور إذا خرجت عن حيز الفرد

---

(١) نوى الحقائق ص ٦١١ من المكتوبات.

إلى الجماعة، فهى تستلزم وجها آخر من التصرف، للحفاظ على الترابط الاجتماعى للأمة الإسلامية، وكرامتها فى مواجهة المجتمع الدولى.

ثانيا: علاقة الجيش بالسياسة:(١)

يرى الإمام النورسى ضرورة استقلال الجيش عن التيارات السياسية، لأن تدخل الجنود فى السياسة، يؤدى إلى أضرار جسيمة للدولة وللأمة معا. فالمهمة الأساسية للجيش هى: الاتحاد والأخوة والطاعة والمحبة لإعلاء كلمة الله. فالجيش هو مركز الأمة، ولا داعى أن ينتسب جنوده إلى أى جمعية سياسية، بل على الأمة والجمعيات أن ينتسبوا إلى الجنود. وأن شرف الملايين من المسلمين، وكرامتهم وسعادتهم ورمز وحدتهم، منوطة بقوة الجيش، ومدى طاعته لولى الأمر، المستقيم المتدين القائم بالحق. أما عصيان الجيش، فيؤدى بالأخوة الإسلامية إلى التهلكة.

وفى "خطاب إلى الجنود" يقول الإمام النورسى:

يا عساكر الموحدين! إنى أبلغكم أوامر سيد العالمين ﷺ:

- إن طاعة أولى الأمر ضمن الدائرة المشروعة فرض: فأولياء أموركم وأساتذتكم ضباطكم.
- إن الثكنات العسكرية أشبه ما تكون بمعمل عظيم منتظم، إذا اختل دولاب من العمل، يؤثر فى خراب المعمل بأكمله.
- إن مصنعكم العسكرى القوى المنظم: نقطة استناد واعتماد ثلاثين مليونا من العثمانيين، وثلاثمائة مليونا من المسلمين، ونقطة استمدادهم.
- إن التضحية بألوف من الشهداء، فى سبيل قوة الحمية الإسلامية وقدسية الشريعة، لا يعد شيئا غاليا. ولكن لو ضحى بجزء من ألف جزء من طاعتكم، فهو غال جدا، لأن تناقض طاعتكم يولد الموت، كتناقض الحرارة الغريزيج والعقدة الحياتية.

---

(١) ص ٤٤٧ : ٤٥١ من صيقل الإسلام، ص ٥٤١ ، ٥٤٢ من صيقل الإسلام أيضا.

- إن تاريخ العالم يشهد أن تدخل الجنود فى السياسة، قد أدى إلى أضرار جسيمة للدولة وللأمة معا. فلابد أن حميتكم الإسلامية، ستصرفكم عن مثل هذه الأضرار، والتى تصيب حياة الإسلام التى تكفلتم بحفظها.
- إن الذين يفكرون فى السياسة، هم بمثابة قوتكم المفكرة من أولياء الأمور والضباط. وإن ما تظنونه أحيانا من ضرر يصبح خيرا، لأنه يدفع ضررا أكبر فى السياسة. فضباطكم حسب تجاربهم، يرون هذا الأمر ويأمرونكم به. فعليكم الطاعة دون تردد، إذ لا يجوز التردد والتلكؤ.
- إن الأفعال غير المشروعة الخاصة، لا تنافى المهارة والحذاقة فى الصنعة، ولا تجعل الصنعة غير مرغوب فيها. فالطبيب الحاذق مثلا، أو المهندس الماهر، إذا ما تصرف تصرفا غير مشروع، فلا يؤدى ذلك إلى ترك الاستفادة مما لديه من طب أو هندسة.. كذلك فن الحرب، فضباطكم المجربون والماهرون، المنورون فكرا بالحمية الإسلامية، إذا قام بعض منهم بأمر غيرمشروع، لا يجوز أن يؤدى ذلك إلى عدم طاعتهم وعصيانهم، لأن فن الحرب مهارة مهمة.
- إن الشريعة الغراء التى هى قوام حياتكم، قد ابتلعت الجمعيات التى تشتت الأفكار، وتفرق الناس، فهى كاليد البيضاء لسيدنا موسى، عليه السلام، أرغمت السحرة على السجود.
- إن أعمالكم كانت علاجا لهذه الحركات الانقلابية. فإذا ما زادت قليلا انقلبت سما قاتلا، وأدت بالحياة الإسلامية إلى أمراض جسام.. ثم إن ما فينا من استبداد قد زال بهمتكم، ولكن نحن لا زلنا تحت الاستبداد المعنوى لأوروبا، فى مضمار الرقى، ولابد من الالتزام بأقصى درجات الحذر والسكينة والهدوء.

ثالثا: الأحزاب والسلطة السياسية:

يرى الإمام النورسي أنه لا مانع من تعدد الأحزاب في الأمة، ولكن يجب أن يجمع هذا التعدد وحدة الهدف، لتحقيق صالح الأمة، وليس التنازع والشقاق، الناتج عن داء العنصرية الغربية.

ولما كان الإمام يتناول الأحزاب فى الأمة الإسلامية، فإنه يؤكد على ضرورة أن تكون الشريعة هى منهاج الأحزاب، لتحقق تلاحما مع الجماهير، ونجاحا فى كسب ثقتها، ورقيا للدولة فى حالة وصول أى حزب منها للسلطة.

ونلخص نظرته إلى الأحزاب فى تلك الرسالة[1]:

توجد على أرض الوطن أربعة أحزاب:

الأول: حزب الشعب الجمهورى. - الثاني: الحزب الديمقراطى.

الثالث: حزب الأمة. - الرابع: حزب الاتحاد الإسلامى.

إن حزب الاتحاد الإسلامى: يستطيع أن يأخذ بناصية الحكم، متى ما كان ستون إلى سبعين بالمائة منه تام التدين، لئلا يحاول جعل الدين أداة للسياسة. بل ربما يسخر السياسة فى سبيل الدين. ولكن يلزم ألا يتولى هذا الحزب الحكم حاليا، لأنه سيضطر إلى استغلال الدين فى إمرة السياسة، لمجابهة جرائم السياسة الحالية وشرورها. حيث أن التربية الإسلامية قد أصابها الوهن والخلل منذ زمن بعيد.

أما حزب الشعب الجمهورى: فإن جميع الجرائم التى اقترفها طوال ثمان وعشرين سنة، وجرائم غيره، علاوة على سيئات الاتحاد والترقى والماسونيين منهم، قد حملت على هذا الحزب.. وعلى الرغم من جميع هذه السيئات، فإنه فى حكم الغالب على الديمقراطيين، ذلك لأنه يرشى بعض

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٩١ : ٣٩٣ من الملاحق. وقد تكلم الشيخ عن الأحزاب، وموقف رسائل النور من الجمعيات السياسية، فى رسائل متعددة منها: ص ٤٤٩، ص ٤٦٣ من الشعاعات.

الموظفين -تحت ستار القانون- رشوة عجيبة ولذيذة حقا. ففى مثل هذا الزمان، الذى طغت فيه فرعونية النفس، أصبحت الوظيفة الحكومية تورث النفس روح التسلط والسيادة والفرعونية، علما أنها مجرد قيام بخدمة الآخرين، حسب الدستور الوارد فى الحديث الشريف: (سيد القوم خادمهم)[1]. إذ القوة إن لم تكن فى القانون فإنها تسرى إلى الأشخاص، فالاستبداد يكون اعتباطيا بمعنى الكلمة. فلا مناص من أن تستند الديمقراطية وحرية الوجدان، إلى هذا الدستور الإسلامى، لا أن يعطى الحزب مرتبة الحاكمية، ذات المشاعر اللذيذة العجيبة إلى نفوس قسم من الموظفين رشوة لهم، فيغلب الأحزاب الأخرى.

أما حزب الأمة: فإن كان المقصود بالأمة، فكرة الأمة الإسلامية، التى هى الأساس فى الوحدة الإسلامية -والقومية التركية ممتزجة بها- فهى موجودة فى معنى الحزب الديمقراطى، وسيضطر هذا الحزب إلى الالتحاق بالديمقراطيين المتدينين.

بيد أن العنصرية التى نعدها داء السيلان الغربى، قد سرت فينا سريان الوباء من الغرب، ولقحته أوروبا فينا كى تستطيع أن تمزق العالم الإسلامى. هذا الداء الوبيل يورث حالة روحية جاذبة، حتى أن كل أمة تحمل رغبة وشوقا بشكل كلى أو جزئى نحوها، على الرغم من أضرارها الوخيمة ومهالكها المدمرة.

فلو أحرز هذا الحزب، بسبب استحواذ المدنية الغربية، وضعف التربية الإسلامية، نصرا، فإن العناصر غير التركية، التى تمثل سبعين بالمائة من الأمة، ستضطر إلى اتخاذ جبهة مضادة للأتراك الحقيقين -الذين لا يتجاوزون الثلاثين بالمائة- معارضة لسيادة الإسلام.

حيث أن من أسس القوانين الإسلامية ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (فاطر:١٨). أى لا يؤاخذ الشخص بجريرة غيره، بينما فى العنصرية يجد الشخص نفسه

---

(١) رواه عبد الرحمن السالمى فى آداب الصحبة، والخطيب، وأخرجه الديلمى. والحديث ضعيف (باختصار عن كشف الخفاء ٢/٤٦٣).

محقا في قتل شقيقه الجاني، بل أقاربه، بل حتى أفراد عشيرته. فمثلما لا يحقق هذا عدالة، يفتح سبيلا إلى ارتكاب مظالم شنيعة، علما أن الدستور الإسلامي يقرر أنه لا يضحى ببرئ واحد لأجل مائة جان. فهذه مسألة مهمة من مسائل البلاد، وخطوة تجاه السيادة الإسلامية. فما دامت هذه هي الحقيقة فيا أيها الديمقراطيون المتدينون، والذين يحترمون القيم الدينية! أنتم مضطرون إلى جعل الحقائق الإسلامية ركيزة لكم، فهي أقوى من ناحية جاذبيتها المعنوية والمادية، تجاه جاذبية ركائز هذين الحزبين وإغرائها. وبخلافه فإن الجرائم التي ارتكبت بحق هذه الأمة منذ القدم تحمل عليكم، وإن لم تكونوا اقترفتموها، مثلما تحمل على الحزب السابق. وعند ذاك يستغل الحزب الشعب الجمهوري العنصرية فيغلبونكم. وهذا احتمال قوي، كما شعرت به. لذا فإنني قلق باسم الإسلام من هذا الوضع.

لماذا يعمل النورسي على الحفاظ على الحزب الديمقراطي:[1]

إن استعراضنا لآراء النورسي بالنسبة لأحزاب تركيا، لا تعني أن نظرته محدودة في حدود دولته، بل تلك الآراء يمكن تعميمها على كل الشعوب الإسلامية بشكل أو بآخر، لأن الظروف التي تعترض تلك الشعوب تتشابه في مضمونها، وإن اختلفت في مظاهرها، حيث العقيدة التي تجمعها واحدة، والتحديات التي تجابهها واحدة.

وقد جاهد الإمام النورسي، للحيلولة دون وصول حزب الشعب إلى السلطة، مؤيدا في الوقت نفسه الحزب الديمقراطي. ولما سأله تلاميذه عن دواعي ذلك أجاب:

إذا سقطت حكومة الحزب الديمقراطي، فسيتولى السلطة حزب الشعب الجمهوري، أو حزب الأمة. والحال أن الجنايات التي ارتكبها الفاسدون من الاتحاد والترقي، والقسم الأعظم من الإجراءات التي نفذها رئيس الجمهورية الأول، بموجب معاهدة "سيفر"، طوال خمس عشرة سنة، تحت

---

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٩٦ من الملاحق.

ضغوط ومكايد سياسية كثيرة، كل هذه الأمور حملت على حزب الشعب الجمهورى، لذا فإن هذه الأمة التركية العريقة، لن تمكن بإرادتها ليتولى حزب الشعب السلطة، ذلك لأن حزب الشعب إذا تولى السلطة، فإن القوة الشيوعية ستحكم فى البلاد، تحت اسم الحزب نفسه، علما أن المسلم يستحيل عليه أن يكون شيوعيا، بل يصبح إرهابيا فوضويا، ولا موضع لمقارنة المسلم بالأجنبى.

ولأجل الحيلولة دون وصول حزب الشعب إلى السلطة، والذى يشكل خطرا رهيبا على حياتنا الإجتماعية وعلى الوطن، أعمل على المحافظة على الحزب الديمقراطى، باسم القرآن والوطن والسلام.

رابعا: تكوين رأي عام قوي:

يختلف علماء السياسة فى تحديد مفهوم واحد للرأى العام[1]:

- فالبعض يعرفه بأنه "يشير إلى اتجاهات أفراد الشعب، إزاء مشكلة ما، فى حالة انتمائهم إلى مجموعة اجتماعية واحدة".
- والبعض الآخر يعرفه بأنه: "تعبير أعضاء الجماهير عن الموضوعات المختلف عليها".

فالرأى العام هو: رأى أغلبية الشعب تجاه القضايا التى تواجه الوطن. وهو حين يبلغ مرحلة من القوة، يستطيع أن يخذل أو يناصر قضية ما أو مبدأ معين، ومن ثم يكون هو القوة الموجهة للسلطة الحاكمة. والحكومات الرشيدة لا تستطيع أن تتجاهل الرأى العام، ولهذا فإنها تطور سياستها وتشريعاتها لتتفق مع حقيقة الرأى العام. وفى هذا ما يدل على أن الشعب هو صاحب السلطة دائما، ما دامت الحكومة تعترف بإرادته.

ونظرا لتلك الأهمية البالغة للرأى العام فى توجيه سياسة الأمة، وتدعيم معالمها الأساسية، فقد تكلم الإمام النورسى كثيرا عن واجب

---

(١) المدخل فى علم السياسة (د. بطرس غالى - د. محمود خيرى عيسى). مكتبة الأنجلو المصرية ص ٥٤٤.

الصحافة فى تكوين رأى عام ناضج. وكيف أن ضلال الصحافة والإعلام أحيانا، يسبب تشتت الرأى العام وضياعه.

ونذكر هنا جهاد الإمام النورسى لصقل الرأى العام:

- لقد دأبت الصحف على زعزعة الأخلاق الإسلامية بقياسين فاسدين، وبما يوهن العزة والإقدام، حتى أهلكوا الأفكار العامة السائدة. فتصديت لهم بمقالات نشرتها فى الجرائد، وقلت لهم[1]:

يا أرباب الصحف! على الأدباء أن يلتزموا بالآداب، وعليهم أن يتأدبوا بالآداب اللائقة بالإسلام، فينبغى أن تكون أقوالهم صادرة من صدور لا تحيد لجهة، ومن قلوب عموم الناس، فيشترك معهم عموم الأمة.

ويجب تنظيم برنامج المطبوعات بما فى وجدانكم من شعور دينى ونية خالصة. بينما أنتم بقياس فاسد، أى بقياس الريف باستانبول، واستانبول بأوروبا، أوقعتم الرأى العام والأفكار السائدة فى مستنقع آسن. فنبهتم عروق الأغراض الشخصية والمنافع الذاتية وأخذ الثأر، حيث يلقن الطفل الصغير الذى لم يدرج بعد فى المدرسة، الفلسفة الطبيعية المادية. فكما لا تليق بالرجل فساتين الراقصات، فلا تطبق مشاعر أوروبا فى استانبول، إذ اختلاف الأقوام. وتخالف الأماكن والأقطار، شبيهة بتباين الأزمنة والعصور. بمعنى أن الثورة الفرنسية لا تكون دستورا لنا. فالخطأ ينجم من تطبيق النظريات، وعدم التفكير بمتطلبات الوقت الحاضر.

فأنا القروى الذى لا أجيد الكتابة، قد قمت بإسداء النصائح إلى أمثال هؤلاء المحررين الحاملين لأغراض شخصية، ومغالطات فى رؤية الأمور التى يعملون فيها بذكائهم.. فارتكبت إذن جناية!

---

(١) المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٤٤ من صيقل الإسلام.

- إن كانت المدنية الحاضرة هى التربة الخصبة لإنماء التصرفات التى تمس الكرامة الإنسانية وتعتدى عليها، والافتراءات التى تؤدى إلى النفاق، والأفكار التى تغذى الحقد والانتقام، والمغالطات الشيطانية، والتحلل من الآداب الدينية[1].. إذا كانت هذه هى المدنية، فليشهد الجميع بأننى أفضل قمم الجبال الشاهقة فى الشرق، وأفضل حياة البداوة فى تلك الجبال فى بلدى حيث الحرية المطلقة، على موطن النفاق الذى تسمونه أنتم قصر المدنية. إن حرية الفكر، وحرية الكلام، وحسن النية، وسلامة القلب، التى لم أشاهدها فى هذه المدنية الدنية، مستولية على جبال شرقى الأناضول بكل معانيها.

وحسب علمى: أن الأدباء يكونون متأدبين، إلا أننى أجد بعض الصحف الخارجية، خالية من الأدب وناشرة للنفاق.. فإن كان هذا هو الأدب، والآراء العامة مختلطة إلى هذا الحد، فاشهدوا أننى تخليت عن هذا الأدب، فلست داخلا فيهم أيضا، وسأطالع الأجرام السماوية، واللوحات السماوية النيرة على ذرى جبال موطنى "قمة باشت" بدلا من مطالعة هذه الصحف.

كيف تكون الصحف وسيلة للفوضى والإرهاب؟[2]

لقد عمت الفوضى والإرهاب فى الأوساط، بما نشرته الصحف من مقالات محرضة، وغلو الصحف فى المجادلات المبالغ فيها بالكذب، عوضا عن بلاغة الكلام. وزرع المستبدون والمتعصبون الجهلاء -والذين تنقصهم المحاكمة العقلية فى الدين- البذور فى ذلك المستنقع الآسن، بظن الإحسان. وظلت السياسة العامة للدولة بيد الجهلاء، وتدخلت الأيادى الداخلية والخارجية.

إننى أعترض على أساس فكر الصحف التى ظهرت بعد منتصف نيسان: وذلك لأنهم أوجدوا منفذا ومبررا للتضحية بالعزة والكرامة والطاعة

(١) المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٦١ من صيقل الإسلام.
(٢) المحكمة العسكرية العرفية ص ٤٥٦، ٤٥٧ من صيقل الإسلام.

العكسرية -التى هى أسمى من الحياة بل تضحى لأجلها الحياة- فى سبيل أعمال غير مشروعة، وأفعال خسيسة خادمة للحياة نفسها لدى أهل الوجدان.

ثم إنهم ظنوا أن شمس الشريعة التى تنجذب إليها الحقائق والأحوال وترتبط بها، تابعة للسلطة أو منقادة للخلافة أو أداة لأية سياسة أخرى، فأظهروا -ما اعتقدوه- أن الشمس المنيرة تابعة لنجم منخسف.

أقول بكل ما أملك من قوة: أنه لا رقى لنا إلا برقى الإسلام الذى هو ملتنا، ولا رفعة لنا إلا بتجلى حقائق الشريعة. وبخلافه نكون مصداقا للمثل القائل: "أضاع المشيتين".

نعم، علينا أن نستشعر بشرف الأمة وعزتها وثواب الآخرة، وبشأن المجتمع وقيمته، وبالحمية الإسلامية، وحب الوطن وحب الدين، ففى المضاعفات قوة أية قوة.

دور الشيوخ وعلماء الإسلام فى تكوين الرأى العام:[1]

إن للشيوخ وعلماء الإسلام دورا خطيرا فى تشكيل الرأى العام، بسبب قوة تأثر الغالبية العظمى من المسلمين بآرائهم.. ولذلك فإن الإمام النورسى يتطلب من هؤلاء الشيوخ والعلماء أن يتحلوا بصفات معينة منها:

- الإخلاص وترك التزام النفس وترك المنافع الشخصية.
- التحلى بالمحبة التى هى جوهر مزاج الإسلام: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات:١٠)**.
- أن يرفعوا العناد والغيبة والانحياز فيما بينهم: لأن قسما من المتشيخين المبتدعين، قد تسببوا فى تشكيل فرق من أهل البدع والضلالة.
- أن يتحدوا ويتفقوا فيما بينهم، عملا بالدستور النبوى الكريم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" **(رواه مسلم فى كتاب الإيمان: ٧١)**.

---

(١) المناظرات ص ٤٢٢ : ٤٢٥ من صيقل الإسلام.

- أن يرجعوا أسباب المحبة العظيمة الناشئة من الإيمان والإسلام والإنسانية والجنسية، على أسباب العداء الناشئة من تصرفات غير مشروعة واهية كحجج الصبيان.
- إن العداء والمحبة كالضياء والظلام لا يجتمعان أبدا، فإذا تغلب العداء، انقلبت المحبة إلى مداراة وتصنع، أما إذا تغلبت المحبة، فالعداء ينقلب إلى ترحم وإشفاق ورقة قلب.
- يجب أن يهدف كل شيخ إلى: اتحاد آراء المسلمين بضياء القلب ونور الفكر، ومسلك المحبة وترك حب الذات والأنانية. ولا يكون هدفه إظهار مزاياه بتنقيص الآخرين، والانحياز على نفسه، فهذا يستلزم الاختلاف، وشق وحدة الجماعة، وخصومة الآخرين.
- يجب أن يشكل علماء العالم الإسلامى فيما بينهم مجلسا للشورى، ينصتون فيه بهدوء وثناء إلى آراء بعضهم البعض. فهذا إثراء للفكر الإسلامى، ومساعدة على تكوين رأى عام ناضج، يكمل فيه الخلف ما بدأه السلف. وهذا هو الخير المحض.

خامسا: الإرهاب: بواعثه وكيفية احتوائه:

يرى الإمام النورسى أن الإرهاب ينتج عن التحلل من تعاليم الدين. الذى يأمر بالرحمة والحب بين العباد، ويأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن المنكر والفحشاء والبغضاء. ويرى أنه لا يمكن مواجهة هذا الارهاب، إلا بتعميق مفهوم الدين، وغرس مبادئ الحق والخير بين أبناء الأمة الإسلامية.

ونسجل وجهة نظر النورسى هذه فى النقاط التالية:

- الشكر لله شكرا لا منتهى له، فقد أحسن إلى حالة روحية بحيث أضحى بألوف من كرامتى وشرفى فى سبيل راحة الضعفاء ودفعا للبلاء النازل بهم.(١)

فقررت أن أتحمل جميع إهاناتهم وحقاراتهم وكل ما تنطوى صدرورهم عليه من نيات فاسدة. وإنى مستعد لتلقى كل ذلك فى سبيل استتباب الأمن والنظام فى ربوع البلاد، ولاسيما لراحة الأطفال الأبرياء والشيوخ الموقرين والمرضى الضعفاء والفقراء، وسعادتهم الدنيوية والأخروية...

إننا نسعى بما أوتينا من قوة، لإقامة سد قرآنى، شبيه بسد ذى القرنين، أمام الفوضى والإرهاب، فالذين يتعرضون لنا إنما يهيئون الأوساط ويمهدون السبيل للفوضى والشيوعية.

نعم! لو كنت على دأبى السابق فى أن أرد كل إهانة وتحقير حفاظا على عزة العلم.. ولو لم تكن وظيفتى الحقيقية منحصرة فى أمور الآخرة وحدها، وموجهة لإنقاذ المسلمين من الإعدام الأبدى للموت.. ولو كان سعيى هو لأجل الحصول على حطام الدنيا واللهاث وراء شئون السياسة السلبية، كما هو الشغل الشاغل للمعترضين علىّ.. لكان هؤلاء المنافقون الذين يعملون فى سبيل الفوضوية والإرهاب، سببا فى حدوث عشرات الحوادث، من أمثال (منمن)(٢) وحادثة (الشيخ سعيد).(٣)

---

(١) ملحق أمير داغ-١ ص ٢٣٩، ٢٤٠ من الملاحق.

(٢) هى حادثة مفتعلة فى الأغلب دبرت من قبل حكومة مصطفى كمال إذ ادعت ظهور تمرد إسلامى انطلق من جامع فى ناحية "منمن" كان يقوده شخص مختل العقل، وقد تم التنكيل بأهالى تلك المدينة بقسوة، واستغلت الحادثة لضرب الشعور الإسلامى.

(٣) هو الشيخ سعيد المشهور بـ "بيران" كردى من شيوخ الطريقة النقشبندية، كان جده من خلفاء مولانا خالد الشهرزورى، قاد ثورة فى الأقاليم الشرقية فى تركيا ضد السلطة الحاكمة لاتجاهها المعادى للدين. نشبت ثورته فى ١٩٢٥/٢/١ وتم القضاء عليها فى

- إذا لم يفق الإنسان من غفلته بسرعة، ولم يسترشد بعقله، ويفتح أبواب المحاكم لتنفيذ عدالة الله، ضمن حقائق الإسلام، فستتفلق على رأسه قيامات مادية ومعنوية، ويسلم السلاح إلى الفوضويين والإرهابيين، ومن هم أمثال يأجوج ومأجوج.[1]

- إن إظهار أعضاء الاتحاد والترقى شيئا من عدم المبالاة في الحياة الاجتماعية، وفي الدين وفي السجايا القومية، أدى إلى ظهور الأوضاع الحالية بعد ثلاثين سنة تقريبا، من حيث الدين والأخلاق والعفة والشرف. والأوضاع الحاضرة ستنعكس على الجيل الآتى لهذه الأمة بعد خسمين سنة، حيث سيلطخ قسم من الجيل الآتى، ذلك الماضى المجيد لهذه الأمة، المضحية منذ ألف سنة، بلطخات رهيبة، قد تقضى عليه بعد خسمين سنة.

لذا فإن إنقاذ قسم من هذا الجيل من ذلك التردى المريع، بتزويده بالحقائق التى تحتويها رسائل النور، تعد أفضل خدمة لهذه الأمة، ولهذا الوطن. فنحن لا نخاطب إنسان هذا الزمان، بل نفكر بإنسان ذلك الزمان.. وبذلك فإن رسائل النور تقدم خدمة جليلة وهى إنقاذ الأمة من براثن الفوضى، وإنقاذ ضعفاء الجيل المقبل من مخالب الضلالة المطلقة. لأن المسلم لا يشبه غيره، فالذى يحل رقبته من الدين، ليس أمامه إلا الضلالة المطلقة، فيصبح فوضويا إرهابيا، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام.[2]

- إن الأمة التركية، ومن معها من إخوة الدين، الحاملين لراية الإسلام منذ ألف سنة، نجوا البشرية بالقرآن العظيم وحقائق الإيمان،

١٩٢٥/٤/١٥ وقدم الشيخ إلى محكمة الثورة فأصدرت عليه وعلى سبع وأربعين من مقربيه حكم الإعدام وتم تنفيذه فى "ديار بكر" فى ١٩٢٥/٦/٢٩.

(١) الخطبة الشامية ص ٥٢٤ من صيقل الإسلام.

(٢) محاورة مع وزير العدل والحكام الذين لهم علاقة برسائل النور.. ملحق أمير داغ-١ ص ٢٣٣، ٢٣٤ من الملاحق.

من الكفر المطلق والضلال الرهيب.. فإن لم تتبنوا حاليا الحقائق القرآنية والإيمانية، بدل قيامكم خطأ في عهد سابق، بالدعاية للمدنية الغربية وإضعاف الروح الدينية، فإني أحذركم وأنذركم: بأن العالم الإسلامي سينفر من هذه الأمة، بدلا من أن يوليها المحبة، بل سيضمر العداوة لها، وستقهرون أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت ستار الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الإسلامي.. وستمهدون لاستيلاء الغول الوحش -الشيوعية- على هذه البلاد.[1]

- ترى هل نحن ورسائل النور: أكثر إضرارا في الأوساط، بحيث يكتب كل محرر للصحف ما يشاء، ويعقد كل صنف اجتماعا دون مداخلة أحد؟[2]

والحال: أنه إذا انعدمت التربية الدينية، فلا تكون لدى المسلمين وسيلة للإدارة، سوى الاستبداد المطلق والرشوة التي لا تحدها حدود. إذ كما لا يتهود المسلم التارك لدينه حقا، ولا يتنصر حقا، بل يكون ملحدا ويضل ضلالا بعيدا، كذلك لا يكون شيوعيا قط، بل فوضويا إرهابيا، وعندئذ لا يمكن إدارته إلا بالاستبداد المطلق.

أما نحن طلاب النور، فإننا نسعى لمعاونة الإدارة، وإقرار الأمن والنظام، وإحراز السعادة للأمة والوطن. والذين يجابهوننا هم إرهابيون وملحدون أعداء الأمة والوطن.

فالأولى للحكومة، بل الألزم لها: أن تسعى لحمايتنا ومعاونتنا، لا التعرض لنا والتعدي علينا.

- أقول: إنه لا يمكن إلصاق تهمة الانتماء، إلى التنظيمات والجمعيات السياسية، إلى طلاب النور إلا بأمرين:[3]

---

(١) من رسالة إلى سكرتير حزب الشعب الجمهوري. ملحق أمير داغ-١ ص ٣٠٤، ٣٠٥ من الملاحق.

(٢) الشعاع الرابع عشر ص ٥٦٣ من الشعاعات.

الأول: إنكار الروابط الأساسية التى تبنى عليها الحياة الاجتماعية الإنسانية، ولاسيما الأمة الإسلامية: وهى المحبة الصادقة بين الأقارب، والعلاقة الوثيقة بين القبائل والطوائف، والأخوة معنويا ضمن الملية الإسلامية، والأصرة القوية المتسمة بالتضحية والفداء مع أبناء جنسه وقومه، والروابط التى لا تنفصم، والالتزام التام بحقائق القرآن وناشريها، تلك التى تنقذ حياته الأبدية.. وأمثالها من الروابط التى تشد أبناء المجتمع، وتحقق الحياة الاجتماعية السليمة.

الثاني: بقبول الخطر الأحمر القادم من الشمال، الذى ينشر بذور الفوضى والإرهاب، والذى يفنى وشائج النسل والقوم، فيقطع روابط الأبوة والنبوة، مزيلا علاقات القرابة والقوم. ويفتح الطريق إلى إفساد الحضارة البشرية، والمجتمع الإنسانى إفسادا كليا.

- الفلسفة المادية طاعون معنوى، حيث تسببت فى سريان حمى مهلكة في البشرية، وعرضها للغضب الإلهى.[1]

فكلما توسعت قابلية التمرد والانتقاد. بالتلقين والتقليد-توسع ذلك الطاعون أيضا وانتشر.. فانبهار الإنسان بالعلوم، وانغماره فى تقليد المدنية الحاضرة، أعطته الحرية وروح الانتقاد والتمرد، فظهر الضلال من غروره.

وهكذا فالإمام النورسى يبين أن الإرهاب: ليس وليد ظروف طارئة، بل هو نتيجة تغيير فى المفاهيم السياسية والاجتماعية والعقائدية، نتجت على مر سنين عدة، تعرضت لها الأمة الإسلامية، أدت إلى تخلخل فى العقيدة والسلوك والبنيان الاجتماعى بأسره.

وعلاج الإرهاب أيضا: لا يتم بإجراءات وقتية تتمثل فى القمع، بل يحتاج إلى وقت، يماثل الوقت الذى تم فيه تفريخ هذا الإرهاب، يقوم فيه

---

(٣) الشعاع الرابع عشر ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ من الشعاعات.

(١) اللوامع ص ٨٧٧ من الكلمات. (والمقصود بالحمى المهلكة هى الحرب العالمية الأولى).

المصلحون من كل الطوائف برأب الصدع فى الهيكل السياسى والاجتماعى والاقتصادى، فى ضوء ترسيخ العقيدة فى الوجدان، بمفهومها النقى الواضح.. .

فالإلحاد والظلم والبطالة والرشوة والمحسوبية والفقر و.... كلها معامل نشطة فى تفريخ الإرهاب فى أفظع صوره. وعلى القيادات السياسية أن تتنبه إلى ذلك، بصورة إيجابية فعالة.

سادسا: الوحدة الإسلامية فى مواجهة التكتلات الدولية:

فى عصر التكتلات الدولية، أصبحت الوحدة بين الشعوب الإسلامية ضرورة حيوية، وقد تكلم عن تلك الوحدة العلماء المخلصون فى كل المجالات:

فعلماء الاقتصاد: تكلموا عن التكامل الاقتصادى باعتباره المخرج الوحيد، للأزمات الاقتصادية والمجاعات، التى تعانى منها معظم الدول الإسلامية.. وأنه ضرورة حتمية لمواجهة التخلف والبؤس، اللذين كانا نتيجة الاستعمار والتشتت وضياع الهوية الإسلامية.

وعلماء السياسة: تكلموا عن ضرورة وجود تنظيمات سياسية قوية، تنظم العلاقات بين الدول الإسلامية، ويكون لها قرار فعال فى المحافل الدولية، يساعد على نصرة قضايا الشعوب الإسلامية، بدلا من تعرضها للهوان، واغتصاب الأرض والعرض، والكرامة والثروات.

وعلماء الاجتماع: تكلموا عن ضرورة توحد الشعوب الإسلامية، فى كل الصور الحضارية: نقابات – مناهج دراسية – مؤلفات – مؤتمرات – اتحادات قوية لجميع الطوائف: مهندسين – محامين – أطباء – أدباء – مدرسين.. .

وأن هذا الاتحاد لن يجد صعوبة، نظرا لقوة العقيدة التى تجمعهم، وتفرض عليهم وحدة الهدف والسلوك والتاريخ، وأهم من ذلك كله توحد القلوب وتآلفها بنور الحق المبين: **﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (الأنفال: ٦٣).**

ولذلك فإن الإمام النورسي: قد أولى الاتحاد بين المسلمين أهمية كبرى، وجعله غاية قصوى، فى جهاده على طريق الدعوة.. وسنحاول هنا بيان مؤشر بسيط لجهاده فى هذا المجال.

مفهوم الوحدة الإسلامية عند الإمام النورسي وأهدافها: [1]

أقول مكررا: إن التوحيد الإلهي هو جهة الوحدة فى الاتحاد المحمدى الذى هو حقيقة اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية).

أما يمينه وبيعته فهو : الإيمان.

ومقراته وأماكن تجمعاته: المساجد والمدارس الدينية والزوايا.

ومنتسبوه: جميع المؤمنين.

ونظامه الداخلي: السنن الأحمدية، والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها. **فهذا الاتحاد ليس نابعا من العادة، وإنما هو عبادة.** فالإخفاء والخوف من الرياء، والفرائض لا رياء فيها. وأوجب الفرائض فى هذا الوقت: هو اتحاد الإسلام (الوحدة الإسلامية).

وهدف الاتحاد وقصده: تحريك الرابطة النورانية التى تربط المعابد الإسلامية، التى هى منتشرة ومتشعبة. وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقى بأمر وجدانى.

مشرب هذا الاتحاد هو: المحبة، وعدوه: الجهل والضرورة والنفاق، وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث ليس إلا. وبالنسبة إليهم فسبيلنا الإقناع، لأننا نعتقدهم مدنيين. وأننا مكلفون بأن نظهر الإسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب، لأننا نظن فيهم الإنصاف.

ألا فليعلم المهملون غير المكترثين: أنهم لا يحببون أنفسهم بالانسلاخ من الدين لأى أجنبى كان، وإنما يظهرون أنهم على غير هدى ليس إلا. ومن كان على غير هدى فى طريق الفوضوية، لا يقدره أحد قطعا. والذين

---

(١) صدى الحقيقة ص ٥٢٩، ٥٣٠ من صيقل الإسلام (٢٧ مارت ١٩٠٩ م).

انضموا إلى هذا الاتحاد، بعد التدقيق العلمي والبحث والتحري لا يتركونه تقليدا لأولئك حتما.

نحن نعرض أفكار اتحاد الإسلام، الذى هو الاتحاد المحمدى ومسلكه وحقيقته للناس أجمعين. ونحن مستعدون لسماع أى اعتراض كان.

من مظاهر الوحدة الإسلامية:[1]

أجل نحن جمعية.. جمعية لها منتسبون، يبلغ عددهم فى هذا العصر ثلاثمائة وخمسين مليونا، وفى كل يوم يظهر كل منتسب: حرمته وتوقيره الكامل لمبادئ هذه الجمعية المقدسة، بأدائه الصلاة خمس مرات، ويظهر استعداده لخدمة هذه المبادئ، ويهبون لمساعدة بعضهم بعضا، بأدعيتهم وبمكاسبهم المعنوية، حسب دستورهم المقدس: **﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (الحجرات:١٠)**.

إن رسائل النور، هى أقوى وسيلة، وأنجح دواء لهذه الأمة، فى هذا البلد، فى سبيل إعادة الأخوة الإسلامية السابقة، والمحبة السابقة، وحسن الظن، والتعاون المعنوى بين جميع المسلمين، وفى سبيل البحث عن وسائل هذا التعاون.

إن الاتحاد المحمدى الذى أعرفه وانضممت إليه: هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، فالذين ينضمون تحت رايتها: يتجاوز عددهم ثلاثمائة مليونا فى هذا العصر. وجهة الوحدة والارتباط فى هذا الاتحاد هو توحيد الله.

قسمه وعهده هو: الإيمان. والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليقة. وسجل أسماء أعضائه: هو اللوح المحفوظ. وناشر أفكاره: جميع الكتب الإسلامية والصحف اليومية التى تستهدف إعلاء كلمة الله. ومحال

---

(١) الشعاع الرابع عشر ص ٤٤٥ : ٤٤٩ من الشعاعات.
وكذلك ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ من صيقل الإسلام (المحكمة العسكرية العرفية).

اجتماعاته ونواديه هي: الجوامع والمساجد والتكايا والمدارس الدينية. ومركزه: الحرمان الشريفان.

فجمعية مثل هذه: رئيسها هو فخر العالمين، سيدنا الرسول الكريم محمد ﷺ. ومسلكها ومنهجها: مجاهدة كل شخص نفسه، أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم، وإحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين، وإسداء النصح لهم، ما لم ينشأ منه ضرر. والنظام الداخلي لهذا الاتحاد: السنة النبوية. وقانونه: الأوامر الشرعية ونواهيها. وسيوفه: البراهين القاطعة، حيث أن الظهور على المدنيين المثقفين، إنما هو بالإقناع وليس بالضغط والإجبار. وأن تحري الحقيقة لا يكون إلا بالمحبة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب. أما أهدافهم ومقاصدهم: فهي إعلاء كلمة الله.

هذا وإن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة، هي تسع وتسعون بالمائة، بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحد بالمائة، فليفكر فيها أولياء أمورنا.

والآن فإن مقصدنا هو: سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات، بطريق الرقي، وذلك بتحريك تلك السلسلة النورانية، إذ أن الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان.

وهكذا فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد، ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه، وإلا فلست من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس.

خطوات على درب الوحدة الإسلامية:[1]

- لقد بايعت السلطان سليم، وقبلت فكره في الاتحاد الإسلامي، لأن ذلك الفكر هو الذي أيقظ الولايات الشرقية، فهم قد بايعوه على ذلك.

فالشرقيون الآن ههم أولئك لم يتغيروا. فأسلافي في هذه المسألة هم: الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد

(١) ص ٤٢٦، ٤٢٧ من صيقل الإسلام (المحكمة العسكرية العرفية).
وكذلك ص ٤٢٠، ٤٢١ من صيقل الإسلام (المناظرات).
و ص ٥٣٠ من صيقل الإسلام.

عبده. ومن العلماء الأعلام: على سواعى، والعالم تحسين. والشاعر: نامق كمال الذى دعا إلى الاتحاد الإسلامى.

والسلطان سليم الذى قال: "إن مغبة الاختلاف والتفرقة يقلقانى" حتى فى قبرى.. فسلاحنا فى دفع صولة الأعداء إنما هو الاتحاد.. إن لم تتحد الأمة فإنى أتحرق أسى".

- ولقد دعوت ظاهرا إلى هذا الاتحاد المحمدى من أجل مقصدين عظيمين:

المقصد الأول: إنقاذ ذلك الاسم من التحديد والتخصيص، ولأعلن شموله المؤمنين عامة، كى لا يقع الخلاف والفرقة، ولا ترد الشبهات والأوهام.

المقصد الثانى: ليكون سدا أمام افتراق الفرق والأحزاب، الذى كان سببا فى هذه المصيبة الفائتة العظيمة (حادثة ٣١ مارت). وذلك بمحاولة التوحيد بينها، فيا أسفى لم يسعفنا الزمن فجاء السيل، فأوقعنى أيضا.

- لا يحصل الاتحاد بالجهل، بل الاتحاد امتزاج للأفكار، وهذا الامتزاج لا يتم إلا بالنور الوضئ للمعرفة.

"فالكعبة المكرمة" هى الحجر الأسود لكعبة سعادتنا التى هى الاتحاد الإسلامى المنور.. "والروضة المطهرة" درته البيضاء، و "جزيرة العرب" مكته المكرمة. و "الدولة العثمانية" المنفذة للحرية الشرعية بحذافيرها، هى مدينته المنورة لمدنيتها.

إن نهر العلوم الحديثة، والثقافة الجديدة الجارى، والآتى إلينا من الخارج كما هو الظاهر، ينبغى أن يكون أحد مجاريه: قسما من أهل الشريعة كى يتصفى من شوائب الحيل، ورواسب الغش والخداع. لأن الأفكار التى نمت فى مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود.

فلابد إذن من تصفيته بمصفاة الشريعة، حتى يكون الاتحاد بين الشعوب الإسلامية على أركان راسخة، من الأفكار النابعة من وحى

الشريعة الغراء. مما يحقق الامتزاج الفعلي، للأفكار المنيرة بضوء المعرفة الحقة.

أيها العالم الإسلامي! إن حياتك في الاتحاد:[1]

ان كنت طالبا للإتحاد فاتخذ هذا دستورك: لابد أن يكون "هو حق"، بدلا من "هو الحق" و "هو حسن" بدلا من "هو الحسن".

إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: إن هذا "حق" ولا أعترض لما عداه. فإن يك جميلا فمذهبي أجمل.. بينما لا يحق له القول في مذهبه: إن هذا هو "الحق" وما عداه باطل، وما عندي هو "الحسن" فحسب وغيره قبيح وخطأ!

إن ضيق الذهن وانحصاره على شئ، ينشأ من حب النفس ثم يكون داء. ومنه ينجم النزاع، فالأدوية تتعدد حسب تعدد الأدواء، ويكون تعددها حقا. وهكذا الحق يتعدد والحاجات والأغذية تتنوع. وتنوعها حق.. وهكذا الحق يتنوع.

والاستعدادات ووسائل التربية تتشعب، وتشعبها حق.. وهكذا الحق يتشعب. فالمادة الواحدة قد تكون داء ودواء، حسب مزاجين اثنين.. إذ تعطى نسبية مركبة وفق أمزجة المكلفين، وهكذا تتحقق وتتركب.

إن صاحب كل مذهب يحكم حكما مطلقا ومهملا، من دون أن يعين حدود مذهبه، إذ يدعه لاختلاف الأمزجة، ولكن التعصب المذهبي هو الذي يولد التعميم. ولدى الالتزام بالتعميم ينشأ النزاع.

كانت هناك هوات سحيقة بين طبقات البشر، قبل الإسلام. مع بعد شاسع عجيب بينها. فاستوجب تعدد الأنبياء وظهورهم في وقت واحد، كما استوجب تنوع الشرائع وتعدد المذاهب.

ولكن الإسلام أوجد انقلابا في البشرية، فتقارب الناس، واتحد الشرع، وأصبح الرسول واحدا.

---

(١) اللوامع ص ٨٦٣، ٨٦٤ من الكلمات.

وما لم تتساو المستويات، فإن المذاهب تتعدد. ومتى ما تساوت وأوفت التربية الواحدة بحاجات الناس كافة، تتحد المذاهب.

وفي نهاية المطاف لهذا الفصل:

هل يمكن القول إن الإمام النورسى قد اعتزل السياسة بحق؟!

إنه تواضع جم أن يظن الإمام نفسه هذا الظن.. فهو قد انغمس فى السياسة إلى أقصى مدى بفكره وقلمه وجهاده المعنوى ودعوته إلى الإصلاح بكل صوره.. ولكن السياسة التى نقصدها: هى السياسة النزيهة القائمة على دعائم الحق، والسياسة التى يقصدها: هى النزاع على المناصب وكراسى الحكم، وهذه قد اعتزلها حقا، لأنه رجل صاحب مبادئ سامية وأهداف عالية.

وإن لم يكن الإمام النورسى صاحب منهج سياسى متكامل، فمن يكون إذن؟!

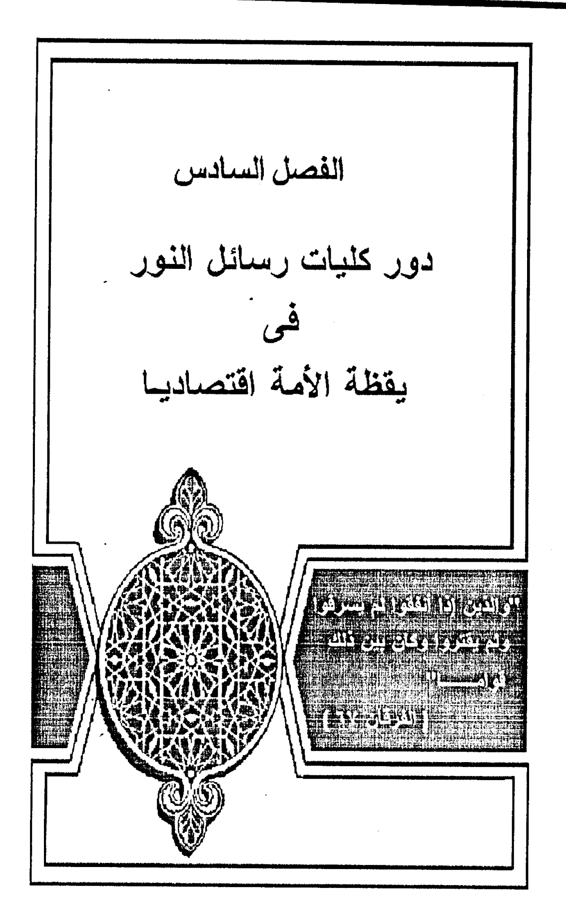
لاشك أن أية داعية مخلص، تجرد بقلبه ووجدانه وفكره عن أهواء الدنيا وشهواتها، لابد أن تكون دعوته فى صميم الإصلاح السياسى، لأن السياسة هى تولى أمر المسلمين وقيادتهم، إلى ما فيه رقى الأمة الإسلامية وتقدمها فى جميع المجالات.

فاللهم وفق ولاة أمورنا، إلى ما فيه صلاح أحوالنا، وأن يكونوا نبراسا لنا لإيقاظنا من سباتنا، والأخذ بيدنا، إلى ما فيه خيرنا وفلاحنا ورقينا، فننفض عن أنفسنا غبار التخلف المشين، والذل المهين، ونليق بالانتساب إلى رسالة رب العالمين، التى جاء بها النبى الأمين. صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

اللهم آمين..

الفصل السادس

دور كليات رسائل النور فى يقظة الأمة اقتصاديا



يقظة الأمة اقتصاديا

إن البنيان الاقتصادى هو دعامة الأمة، وقوام حياتها، ومحور تقدمها أو تخلفها، ومؤشر لتحقيق الرفاهية، أو شظف العيش. وعليه تدور عجلة الحياة، وتحتل به الأمة مكانتها العالمية، وتملك حرية قراراتها: السياسية والعسكرية والاجتماعية.. وقبل هذا وذاك، حرية العقيدة، التى تقوم على حرية الفكر والوجدان، وحرية تقرير المصير.

لذلك فقد أولى الإمام النورسى تلك الناحية: اهتماما يليق بأهميتها فى حياة الأمة .. ورغم أنه لم يتكلم عن الاقتصاد كأسلوب إنتاج، وتوزيع، وتخصيص موارد، وتخطيط، و.. إلا أنه تكلم عن الاقتصاد كأسلوب حياة وطريقة معيشة، وبذلك فإنه تكلم عن الاقتصاد من أوسع أبوابه، لأن المتخصص فى هذا العلم، يمكن أن يدرج كلام الشيخ تحت مفهوم: تحقيق التوازن العام فى اقتصاديات الدولة.

أى أن النورسى: تكلم فى الاقتصاديات الكلية، وترك الجزئية لذوى التخصص.. ولا شك أنه اتبع فى ذلك المنهج الإسلامى الحقيقى، حيث تكلم القرآن فى الكليات الأساسية، وترك الجزئيات التفصيلية، لظروف كل أمة على حدة، حسب تغير الأزمان، ومدى التقدم العلمى الذى تحققه البشرية.

ونظرا لأن الشيخ -رحمه الله- قد أنعم الله عليه بفيوضات، يجل عن حصرها القلم، فقد تناول قضية من أخطر القضايا التى تواجهها الأمة الإسلامية، وهى قضية التجويع كسلاح اقتصادى لهدم عقيدة المسلمين.. ويمكن أن تسمى تلك القضية بأسماء مختلفة، حسب مدلولات العصر مثل: الحصار الاقتصادى - التبعية الاقتصادية - الضغوط الاقتصادية لصالح الدولة الأقوى - التكتلات الدولية لمواجهة شبح الإسلام المخيف كما يدعون.. .

وإن الإمام النورسى بتناوله تلك القضية، وغيرها من القضايا التى تتعلق بصالح الأمة الإسلامية، إنما يضع أسسا متينة لعلوم اقتصادية هامة مثل: السياسة الاقتصادية - التنبؤ الاقتصادى. فهذه العلوم لكى تنجح وتؤتى

ثمارها المرجوة تحتاج إلى أولي العلم الغزير، والبصائر النقية الثاقبة، التي تمحص الأحداث بدقة، وتستنبط منها النتائج، وتأخذ حذرها منها قبل أن تفاجئها تلك النتائج، وتجد الأمة نفسها أسيرة تيارات شتى، وضغوط قوية لا تستطيع منها فكاكا.

وإننا إذ نسجل في هذا الفصل: دور الإمام النورسي في يقظة الأمة اقتصاديا، نسجل معه إعجابنا بهذا الإمام، الذي تناول جميع القضايا التي تعوق تقدم الأمة: سواء على مستوى الفرد أو مستوى المجموع.. وهذا يزيدنا يقينا بعظمة الشريعة الإسلامية، وقدرتها على الإصلاح في جميع المجالات، ويزيدنا يقينا بأن الإمام النورسي كان مرآة مجلوة للحق، فسجل بصدق، وبسبق يحسب له، مشاكل الأمة الإسلامية التي يمكن أن تجابهها في جميع الميادين، وكيف يمكن علاجها.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين رئيسيين:

المبحث الأول: كيف يتحقق التوازن الاقتصادي.

المبحث الثاني: التجويع كسلاح اقتصادي لهدم العقيدة.

المبحث الأول

كيف يتحقق التوزان الاقتصادى؟

نظرة عامة على تحقق التوازن فى الكون:

يرى الإمام النورسى أن التوازن الاقتصادى، يدخل ضمن التوازن العام فى الكون، وأى خلل فى هذا التوازن مرجعه إلى سوء تصرف الإنسان، واختراعه قوانين ضد انسجام الفطرة العام، وضد التشريعات الإلهية الموزونة بميزان حساس دقيق.

ويقول فى ذلك[1]:

إن ما يحدث ضمن هذه الموجودات التى لا يحصرها العد من تحولات، وما يلج فيها وما يخرج منها، لا يمكن إلا أن يكون بعملية وزن وكيل وميزان، من يرى أنحاء الوجود كلها فى آن واحد، ومن تجرى الموجودات جميعها أمام نظر مراقبته فى كل حين.. ذلكم الواحد الأحد سبحانه.

وإلا فلو كانت الأسباب الساعية إلى اختلال التوازن، سائبة أو مفوضة إلى المصادفة العشواء، أو القوة العمياء، أو الطبيعة المظلمة البلهاء، لكانت بويضات سمكة واحدة، التى تزيد على الألوف، تخل بتلك الموازنة. ناهيك عن تدفق العناصر الجارية كالسيل، والانقلابات الهائلة، والتحولات الضخمة التى تحدث فى أرجاء الكون.. كل منها لو كان سائبا، لكان قمينا أن يخل بتلك الموازنة الدقيقة المنصوبة بين الموجودات، ويفسد التوازن الكامل بين أجزاء الكائنات خلال سنة واحدة، بل خلال يوم واحد. ولكنت ترى العالم وقد حل فيه الهرج والمرج، وتعرض للاضطرابات والفساد: فالبحار تمتلئ بالأنقاض والجثث وتتعفن، والهواء يتسمم بالغازات المضرة

---

(١) اللمعة الثلاثون ص ٥٢٣ : ٥٢٦ من اللمعات.

الخانقة ويفسد، والأرض تصبح مزبلة ومسلخة، وتغدو مستنقعا آسنا لا تطاق فيه الحياة.

فإن شئت فانعم النظر فى الموجودات كلها؛ ابتداء من حجيرات الجسم، إلى الكريات الحمراء والبيضاء فى الدم، ومن تحولات الذرات، إلى التناسب والانسجام بين أجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريفها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها، إلى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم، إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام، إلى تعارض الحرارة والبرودة.. وما شابهها من أمور، كى ترى أن: الكل يوزن ويقدر بميزان خارق الحساسية، وأن الجميع يكتال بمكيال غاية فى الدقة، بحيث يعجز عقل الإنسان أن يرى إسرافا حقيقيا فى مكان وعبثا فى جزء.. بل يلمس علم الإنسان ويشاهد: أكمل نظام وأتقنه فى كل شئ، فيحاول أن يظهره، ويرى أروع توازن وأبدعه فى كل موجود، فيسعى لإبرازه.

فما العلوم التى توصل إليها الإنسان، إلا ترجمة لذلك النظام البديع وتعبير عن ذلك التوازن الرائع.

فيا أيها الإنسان المسرف الظالم:

اعلم أن الاقتصاد والطهر والعدالة، سنن إلهية جارية فى الكون، ودساتير إلهية شاملة، تدور رحى الموجودات عليها، لا يفلت منها شئ إلا أنت أيها الشقى، وأنت بمخالفتك الموجودات كلها، فى سيرها وفق هذه السنن الشاملة، تلقى النفرة منها والغضب عليك، وأنت تستحقها. فعلام تستند وتثير غضب الموجودات كلها عليك، فتقترف الظلم والإسراف ولا تكترث للموازنة والنظافة؟

نعم، إن الحكمة العامة المهيمنة فى الكون، والتى هى تجل أعظم لاسم "الحكيم" إنما تدور حول محور الاقتصاد وعدم الإسراف، بل تأمر بالاقتصاد.. وإن العدالة العامة الجارية فى الكون، النابعة من التجلى

الأعظم لاسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل.

وإن ذكر الميزان أربع مرات فى قوله تعالى: **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ۝ ألا تطغوا فى الميزان ۝ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ (الرحمن ٧ ـ ٩)**. إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين، فى أربع مراتب، وبيان لأهمية الميزان البالغة، ولقيمته العظيمة فى الكون.

نعم، فكما لا إسراف فى شئ، فلا ظلم كذلك ظلما حقيقيا فى شئ، ولا بخس فى الميزان قط، بل إن التطهير والطهر، الصادر من التجلى الأعظم لاسم "القدوس" يعرض الموجودات، بأبهى صورتها، وإيداع زينتها، فلا ترى ثمة قذارة فى موجود، ولا تجد قبحا أصيلا فى شئ، ما لم تمسه يد البشر الوسخة. فاعلم من هذا أن: "العدالة والاقتصاد والطهر" التى هى من حقائق القرآن ودساتير الإسلام، ما أشدها إيغالا فى أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقة وأصالة. وأدرك من هذا مدى قوة ارتباط أحكام القرآن بالكون، وكيف أنها مدت جذورا عميقة فى أغوار الكون، فأحاطته بعرى وثيقة لا انفصام لها.. ثم افهم منها أن إفساد تلك الحقائق ممتنع، كامتناع إفساد نظام الكون، والإخلال به، وتشويه صورته.

التوازن الاقتصادى العام:

تناول الإمام النورسى التوازن الاقتصادى العام من ناحية جانبيه الهامين:[1]

جانب الطلب: ويتمثل فى ترشيد الاستهلاك، أى ضغط الطلب الاستهلاكى الترفى امتثالا لقول الحق جل شأنه: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ (الأعراف: ٣١)**.

جانب العرض: ويتمثل فى استغلال مصادر الثروة الاقتصادية، بإثارة الهمم للسعى والعمل والكد، تحقيقا لقوله تعالى: **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ..﴾ (النجم: ٣٩)**.

---

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٧٨ من الملاحق.

وسنحاول تناول كل جانب من هذين الجانبين، من وجهة نظر الإمام النورسى، داعين الله أن يوفقنا للرشد ويسدد خطانا.

أولا: التوازن الاقتصادى من ناحية الطلب الكلى:

لقد تناول الإمام النورسى التوازن الاقتصادى من ناحية الطلب، بالتركيز على الرشد الاستهلاكى، ويعنى به ضغط الاستهلاك الترفى. صحيح أنه لم يفصل كلامه بالمفهوم الاصطلاحى لعلم الاقتصاد الحديث، ولكنه خاطب وجدان الإنسان المسلم وعقله، الذى يستمد ينابيع علمه من لدن حكيم خبير.. فجاءت كلماته تشيع بالنضج والأصالة، وتتفق مع أحدث التطورات العلمية والعالمية. وكأن النورسى بيننا يرى حالنا، ويصف علاجنا، وهذا ما جعله يحتل مكانة ممتازة بين العلماء المصلحين، لأنه جمع بين أنوار الشريعة الغراء، وبين أقصى ما وصل إليه العلم الحديث من اجتهاد، فى حدود القدرات البشرية، فاتسمت كتاباته بالسبق لأحداث عصره، والمواءمة للعصور المستقبلية.

ونعرض هنا دور الإمام النورسى فى ترشيد الاستهلاك بصفة عامة، بدون التفرقة بين الاستهلاك الفردى والاستهلاك الحكومى، فهو ينظر نظرة أوسع وأعمق من نظرة الاقتصاديين، حيث يرى أن كل إنسان رئيس فى دائرة سلطته الصغيرة، ومرؤوس فى دائرة دولته الكبيرة، فإذا تبلورت سلوكياته على أساس من الرشد الاقتصادى، اتسم الطلب الكلى بالاستقرار والتوازن، فتصرفات الإنسان فى حدود اختصاصاته المنوطة به، تساهم بلا شك فى التأثير على الاتجاهات العامة للدولة، وهذا ما جعل الإسلام يهتم بالإنسان اهتماما كبيرا، بصفته اللبنة الأساسية فى بنيان الأمة.

الرشد الاستهلاكى وأثره على تحقيق التوازن:

يتناول الإمام النورسى الرشد الاستهلاكى بمفاهيم إسلامية حقيقية، تبعد عن المفاهيم الغربية بعدا كبيرا.

فالنظرية الغربية: تدرس الرشد الاستهلاكى من ناحية المنفعة الحدية، والمقارنة بينها وبين الألم الحدى الناتج من الإنفاق. أو بين الإشباع الممكن

تحقيقه فى حدود الدخل المتـاح.. وبنـاء علـى ذلـك فـإن الرشـد الاسـتهلاكى يختلف من فرد لآخر حسب: دخله وذوقـه وميولـه ودرجـة إشـباعه الناتجـة عن أهوائه، وتنوع السلع فى المجتمع وأثر المحاكاة و...

أمـا فـى النظريـة الإسـلامية: فـإن الرشـد الاسـتهلاكى ينبـع مـن مـدى الامتثـال لأوامر الشريعة، ومجاهدة رغبات النفس وشهواتها، والتفاعل مـع أحاسيس الفقراء، وإيثـار الغير علـى النفس حتـى يقترب الجميـع مـن حـد الكفاية، وفى حالة المجاعات، يتساووا فى حد الكفاف. فليـس مـن المسـلمين من بات شبعان وجاره جوعان.

من هذا المنطلق يعبر الإمام النورسى عن ذلك بقوله:[1]

أيها الإنسان ويا نفسى!

اعلـم يقينـا: أن بدنـك وأعضـاءك، ووجـودك ومـالك وحيوانـاتك، التـى أنعمها الله سبحانه عليك، ليس للتمليك بل للإباحـة. أى أنـه ملكـك ملكـه لتستفيد، وأباحه لك للانتفاع، ولم يملكه لك ملكـا. فمثلك العـاجز عن إدارة المعدة -التى هى أسهل إدارة وأظهرها، والداخلة ضمن الاختيار والشعور- كيف تكون مالكا للعين والأذن، وأمثالهما من الحواس، التـى تستدعى إدارة خارجة عن دائرة الاختيار والشـعور؟! فمـا دامـت الحيـاة ومـا تتطلبهـا مـن أمور، لم تمنح لك للتمليك بـل للإباحـة، فمـا عليك إلا العمـل وفـق دسـتور الإباحـة.. أى بمثـل المضيـف يسـتضيف ضيوفـا، ويبيـح لهـم الانتفـاع ممـا وضع أمامهم فى المجلس، من دون تملك لها، إذ قـاعدة الإباحـة والضيافـة: هى التصرف ضمن رضى المضيف. فـلا يمكـن إسـراف مـا أبيـح لـه، ولا إكرام أحد منـه، ولا التصـرف فيـه ولا تضييعـه والعبـث بـه.. إذ لـو كـان تمليكا، لكان يستطيع أن يتصرف فيه، وفق رغباته وأهوائه.

فمثل هذا تماما: لا يجوز الانتحار، وإنهاء الحياة التـى وهبهـا لـك اللـه سبحانه إباحة، ولا يمكنك أن تفقأ عينك (معنى) بالنظر إلى الحـرام، ممـا لا

(١) ملحق بارلا ص ٩٣ من الملاحق.. تحت عنوان: مسألة تخص الاقتصاد.

يرضى به صاحبها.. وكذا الأذن واللسان والأنف وما شابهها من الجوارح والحواس والأجهزة، لا يمكن قتلها معنى بالولوج فى الحرام.

لذلك ينبغى التصرف فى جميع النعم فى الدنيا وفق شريعة المضيف الكريم..

فما هى شريعة المضيف الكريم فى هذا الشأن؟

نوجز ما يحقق مرادنا فى النقاط التالية[1]:

- الرشد الاستهلاكى يحقق الربح المعنوى والمادي:

إن الخالق الرحيم سبحانه، يطلب من البشرية شكرا وحمدا إزاء ما أغدق عليها من النعم والآلاء، إلا أن الإسراف مناف للشكر واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة، بينما الاقتصاد توقير مربح إزاء النعمة.

أجل إن الاقتصاد كما هو شكر معنوى، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة فى النعم والإحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذل الاستجداء المعنوى.. وهو وسيلة قوية لإحساس ما فى النعم والآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة فى ثنايا نعم تبدو غير لذيذة.. ولكون الإسراف يخالف الحكم المذكورة آنفا، باتت عواقبه وخيمة.

- الرشد الاستهلاكى يحقق عدم الاحتياج للمعونات والقروض الأجنبية:

إن المقتصد لا يعانى فاقة العائلة وعوزها، كما هو مفهوم الحديث الشريف "لا يعول من اقتصد"[2]. أجل هناك من الدلائل القاطعة التى لا يحصرها العد، بأن الاقتصاد سبب جازم لإنزال البركة، وأساس متين للعيش الأفضل. أذكر منها ما رأيته فى نفسى، وبشهادة الذين عاونونى فى خدمتى، وصادقونى بإخلاص فأقول:

---

(١) اللمعة التاسعة عشرة ص ٢١١ : ٢١٨ من اللمعات.

(٢) حديث "ما عال من اقتصد" رواه أحمد عن ابن مسعود (كشف الخفاء ٢/١٨٩).

لقد حصلت أحيانا وحصل أصدقائى، على عشرة أضعاف من البركة بسبب الاقتصاد. حتى أنه قبل تسع سنوات[1] عندما أصر على قسم من رؤساء العشار المنفيين معى إلى "بوردور" على قبول زكاتهم، كى يحولوا بينى وبين وقوعى فى الذلة والحاجة، لقلة ما كانت عندى من النقود، فقلت لأولئك الرؤساء الأثرياء: برغم أن نقودى قليلة جدا، إلا أننى أملك الاقتصاد، وقد تعودت على القناعة، فأنا أغنى منكم بكثير. فرفضت تكليفهم المتكرر الملح.. ومن الجدير بالملاحظة أن قسما من أولئك الذين عرضوا على زكاتهم، قد غلبهم الدين بعد سنتين، لعدم التزامهم بالاقتصاد.. إلا أن تلك النقود الضئيلة قد كفتنى -ولله الحمد- ببركة الاقتصاد إلى ما بعد سبع سنوات، فلم ترق منى ماء الوجه، ولم تدفعنى لعرض حاجتى إلى الناس، ولم تفسد على ما اتخذته دستورا لحياتى وهو "الاستغناء عن الناس".

نعم إن من لا يقتصد، مدعو للسقوط فى مهاوى الذلة، ومعرض للانزلاق إلى الاستجداء والهوان معنى.

- الرشد الاستهلاكى يحافظ على الكرامة والمقدسات الدينية:

إن المال الذى يستعمل فى الإسراف فى زماننا هذا لهو مال غال وباهظ جدا، حيث تدفع أحيانا الكرامة والشرف ثمنا ورشوة له، بل قد تسلب المقدسات الدينية، ثم يعطى نقودا منحوسة مشؤومة، أى يقبض بضعة قروش من نقود مادية، على حساب مئات الليرات من النقود المعنوية.

بينما لو اقتصر الإنسان على الحاجات الضرورية، واختصرها وحصر همه فيها، فسيجد رزقا يكفل عيشه من حيث لا يحتسب، وذلك بمضمون الآية الكريمة: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات، ٥٨). وأن صراحة الآية الكريمة: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ (هود، ٦). تتعهد بذلك قاطعا.

---

(١) المقصود سنة ١٩٢٦ – المترجم.

نعم، إن الرزق قسمان:

القسم الأول: وهو الرزق الحقيقي الذى تتوقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الربانى بحكم هذه الآية الكريمة، يستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق الضرورى مهما كانت الأحوال، إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه، ولا التضحية بشرفه وعزته.

القسم الثاني: هو الرزق المجازى، فالذى يسئ استعماله لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية، التى غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد. وثمن الحصول على هذا الرزق باهظ جدا، ولا سيما فى هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الربانى، إذ قد يتقاضى ذلك المال، لقاء تضحيته بعزته سلفا راضيا بالذل، بل قد يصل به حد السقوط فى هاوية الاستجداء المعنوى، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين وضيعين، لا بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس الممحوق، بالتضحية بمقدساته الدينية التى هي نور حياته الخالدة. ثم إن الألم الذى ينتاب ذوى الوجدان، من حيث العاطفة الإنسانية -بما يرونه من آلام يقاسيها المحتاجون البائسون فى هذا الزمان، الذى خيم عليه الفقر والحاجة- يشوب لذتهم التى يحصلونها بأموال غير مشروعة، وتزداد مرارتها إن كانت لهم ضمائر. إنه ينبغى فى هذا الزمان العجيب، الاكتفاء بحد الضرورة فى الأموال المريبة، لأنه حسب قاعدة "الضرورة تقدر بقدرها" يمكن أن يؤخذ باضطرار من المال الحرام حد الضرورة، وليس أكثر من ذلك. وليس للمضطر أن يأكل من الميتة إلى حد الشبع، بل له أن يأكل بمقدار ما يحول

بينـه وبين الموت. وكذا لا يؤكل الطعام بشراهة، أمام مائة من الجائعين.

نورد هنا حادثة واقعية للدلالة على كون الاقتصاد سبب العزة والكمال:

أقام "حاتم الطائي" المشهور بكرمه وسخائه، ضيافة عظيمة ذات يوم، وأغدق هدايا ثمينة على ضيوفه. ثم خرج للتجوال في الصحراء، فرأى شيخا فقيرا، يحمل على ظهره حملا ثقيلا، من الحطب والكلأ والشوك، والدم يسيل من بعض جسمه.. فخاطبه قائلا:

أيها الشيخ، إن حاتما الطائي يقيم اليوم ضيافة كريمة، ويوزع هدايا ثمينة، بادر إليه لعلك تنال منه أموالا، أضعاف أضعاف ما تناله من هذا الحمل!!.

قال له ذلك الشيخ المقتصد: سأحمل حملي هذا بعزة نفسي وعرق جبيني، ولا أرضى أن أقع تحت طائل منة حاتم الطائي.

ولما سئل حاتم الطائي يوما:

من من الناس وجدتهم أعز منك وأكرم؟.

قال: ذلك الشيخ المقتصد الذي لقيته في المفازة ذات يوم، لقد رأيته حقا أعز مني وأكرم.

ضوابط الاعتدال أوحد الإشباع في الاقتصاد الإسلامي:[1]

إن من كمال كرم الله سبحانه وتعالى، أنه يذيق لذة نعمه لأفقر الناس، كما يذيقها أغناهم، فالفقير يستشعر اللذة ويتذوقها كالسلطان.

نعم إن اللذة التي ينالها فقير من كسرة خبز أسود يابس، بسبب الجوع والاقتصاد، تفوق ما يناله السلطان أو الثرى من أكله الحلوى الفاخرة، بالملل وعدم الشهية النابعين من الإسراف.

---

(١) اللمعة التاسعة عشرة ص ٢١٣ : ٢٢٠ من اللمعات.

وهكذا بناء على هذا: نفترض الآن أمامنا لقمتان، لقمة منها من مادة مغذية -كالجبن والبيض مثلا -يقدر ثمنها بقرش واحد، واللقمة الأخرى حلوى من نوع فاخر، يقدر ثمنها بعشرة قروش، فهاتان اللقمتان متساويتان قبل دخولهما الفم ولا فرق بينهما، وهما متساويتان كذلك من حيث إنماء الجسم وتغذيته بعد دخولهما الفم، ونزولهما عبر البلعوم. بل قد يغذى الجبن -الذى هو بقرش واحد- تغذية أفضل، وتنمية أقوى، من اللقمة الأخرى. إذن ليس هناك من فرق، إلا ملاطفة القوة الذائقة فى الفم التى لا تستغرق سوى نصف دقيقة!. فليقدر إذن مدى الإسراف ويوازن مدى التفاهة، فى صرف عشرة قروش بدلا عن قرش واحد، فى سبيل الحصول على لذة تستغرق نصف دقيقة!

ولا يفوتنا فى هذا المقام: توضيح أن الإمام النورسى بهذا الكلام، يكون معبرا عن المنفعة الحدية الناتجة من استهلاك السلعة، والألم الحدى الناتج من الإنفاق، وهذا من النظريات الاقتصادية الحديثة، وإن اختلف الأسلوب فى التعبير.

ويترجم النورسى ضوابط الاعتدال فى الإسلام فى تلك الكلمات المأثورات:[1]

- لقمة بفلس واحد، وأخرى بعشرة فلوس مثلا، كلتاهما متساوية قبل دخولهما الفم، وبعد مرورهما من الحلقوم، مع فارق واحد: هو تلذذ الفم لها لعدة ثوان، لذا فإن صرف عشرة فلوس بدلا من فلس واحد، إرضاء لحاسة الذوق الموظفة بالتفتيش والحراسة، أسفه أنواع الإسراف.
- لم يكن أكثر المسلمين فى السابق جائعين، فكان الترفه جائز الاختيار إلى حد ما. أما الآن فهم جائعون فلا اختيار فى التلذذ. إذ أن معيشة السواد الأعظم، وغالبية المسلمين بسيطة. فينبغى الاقتداء بهم فى الطعام الكفاف البسيط.. وهذا هو الأفضل بألف مرة من الانسياق وراء أقلية مسرفة، أو ثلة من السفهاء فى ترفههم فى الطعام.

(١) نوى الحقائق ص ٦١٠ من المكتوبات (رقم ٨٧ : ٨٩). واللوامع ص ٨٦٩ من الكلمات.

ونحن نضيف، ونؤكد قول الشيخ: فى مثل هذا الزمان: حيث تعانى كثير من الدول الإسلامية: الفقر والمجاعات والتبعية الاقتصادية، والضغوط المتعددة لصور الاستعمار الحديث.. فى مثل هذا الزمان العصيب: لا يأذن الشرع لنا باختيار الترفه.

- كلما نادت اللذائذ: ينبغى الإجابة بـ "كأننى أكلت". فالذى جعل هذا دستورا له، كان بوسعه أن يأكل مسجدا مسمى بـ "كأننى أكلت".[1] ولكنه لم يأكل.

فإذا كان بوسع فرد واحد، أن يبنى مسجدا من ضغط شهواته، فإنه بوسع الأمة الإسلامية بأسرها، أن تبنى مجدها ورفعتها، بترشيد استهلاكها، وتوجيه مدخراتها إلى ما فيه منفعتها، وسطوع نجمها.

مساوئ الإسراف على الاقتصاد القومي:[2]

يبين الإمام النورسى مساوئ الإسراف، وعدم ترشيد الاستهلاك فيقول: إن الإسراف ينتج الحرص، والحرص يولد ثلاث نتائج:

النتيجة الأولى: عدم القناعة.

وعدم القناعة هذا يثنى الشوق عن السعى وعن العمل، بما يبث فى نفس الحريص من الشكوى بدلا من الشكر، قاذفا به إلى أحضان الكسل، فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال، ويبادر بالبحث عما لا مشقة ولا تكليف فيه، من مال غير مشروع، فيهدر فى هذه السبيل عزته، بل كرامته.

ويشرح الشيخ كلمة: يترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال بقوله: إذ بسبب الابتعاد عن الاقتصاد (أى الاتجاه إلى الاستهلاك الترفى) يكثر المستهلكون، ويقل المستحصلون (أى المنتجون). ويبدأ الجميع يشدون نظرهم إلى باب الحكومة، وحينها تنتكس وتتناقص الصناعة والتجارة

---

(١) يقع هذا المسجد فى حى السلطان محمد الفاتح باستانبول، ويقال أن بانيه ادخر الأموال اللازمة لبنائه بقوله: "كأننى أكلت" كلما رأى ما اشتهاه. ومن هنا جاءت التسمية-المترجم.

(٢) اللمعة التاسعة عشرة ص ٢٢٠ : ٢٢٣ من اللمعات.

والزراعة، التى هى محور الحياة الاجتماعية ومدارها، وينهار المجتمع ويتدنى بدوره ويغدو فقيرا معدما.

وإن الشيخ بشرحه هذا: يضع أسسا عريقة، لأحدث ما وصل إليه الباحثون الاقتصاديون، فى أسباب التضخم الاقتصادى، وآثاره السيئة على الاقتصاد القومى، وخاصة فى الدول المتخلفة. فإن أسباب التضخم ترجع إلى أسباب تتصل بالتخلف يتمثل محتواها الاقتصادى فى[1]: سوء استغلال الموارد الاقتصادية، وارتفاع الميل للاستهلاك الشخصى والعام، وانخفاض انتاجية العمل ، وعدم توافر مقومات التطبيق العلمى، لأسلوب التخطيط الشامل، وجمود وتضخم الجهاز الإدارى الحكومى، وعدم التحديد الواضح لدور القطاعات الاقتصادية، العامة والخاصة، فى مجالات النشاط الاقتصادى المختلفة، وعدم كفاءة السياسات السعرية والأجرية والمالية والنقدية.

ولا شك أن ظاهرة التضخم لها آثارها الخطيرة على الاقتصاد القومى:[2] إذ تخل التوازن العام فتجعل الطلب أكبر من العرض، مما يؤدى إلى ارتفاع متزايد للأسعار، وينشأ معها ظاهرة الهرب من النقود لضعف قيمتها، وتفشى ظاهرة حب الثراء السريع، مما تحمله من مخاطر تؤثر على الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، نتيجة شيوع المضاربة والغش والرشوة والاختلاس و...

وهذا ما اختصره الشيخ بقوله: "فيترك المال الزهيد النابع من الكسب الحلال".

والعلاج الأساسى للتضخم هو فى العمل الدءوب، لاستغلال عناصر الانتاج التى منحها الله لكل الدول الإسلامية، وفضلها بها على كثير من بلاد العالم.. وهذا ما شرحه الشيخ بقوله: " إن عدم القناعة يثنى الشوق عن السعى والعمل".

---

(١) من أبحاث مؤتمر "دور البنوك فى التنمية فى مصر" (القاهرة ١٥ : ١٨ مارس ١٩٨١ - المنصورة ٢١ : ٢٢ مارس ١٩٨١).

(٢) من بحث "المعالجة الاسلامية للتضخم" للباحثة.

وبهذا فإنه وضع أسسا هامة لعلاج التضخم.

النتيجة الثانية للحرص: الخيبة والخسران:

إذ يفوت مقصود الحريص، ويتعرض للاستثقال، ويحرم من التيسير والمعاونة، حتى يكون مصداق القول المشهور: "الحريص خائب خاسر".

إن تأثير الحرص والقناعة، يجرى فى عالم الأحياء، على وفق دستور شامل وسنة مطردة فمثلا:

إن وصول أرزاق النباتات المضطرة إلى الرزق إليها، هو لقناعتها الفطرية، وسعى الحيوانات بنفسها بالحرص، وراء الحصول على رزقها فى عناء ونقص، يبديان مدى الضرر الجسيم الكامن في الحرص، ومدى النفع العظيم الكامن فى القناعة.

وإن سيلان الحليب -ذلك الغذاء اللطيف- إلى أفواه الصغار الضعفاء عامة، ومن حيث لا يحتسبون، بما يبدونه من قناعة ينطق بها لسان حالهم، وانقضاض الوحوش بحرص وجشع، على أرزاقها الناقصة الملوثة، يثبت ما ندعيه إثباتا ساطعا.

وإن أوضاع الأسماك البدينة البليدة، التى تنم عن القناعة الباعثة لوصول أرزاقها إليها كاملة، وعجز الحيوانات الذكية كالثعالب والقردة، عن تحصيل غذائها كاملا مع حرصها سعيا وراءه، وبقاؤها هزيلة نحيفة، ليبين كذلك مدى ما يسببه الحرص من المشقة والعناء، ومدى ما تسببه القناعة من الراحة والهناء.

كما أن حصول اليهود على أرزاقهم كفافا، بطرق غير مشروعة، ممزوجا بالذل والمسكنة، بسبب حرصهم وتعاملهم بالربا، واتباعهم أساليب المكر والخداع، وحصول البدويين المتحلين بالقناعة، على رزقهم الكافى وعيشهم العيش الكريم العزيز، يؤيد دعوانا أيضا تأييدا كاملا.

نعم، إن القناعة كنز للعيش الهنئ الرغيد، ومبعث الراحة فى الحياة، بينما الحرص معدن الخسران والسفالة، كما يتبين ذلك من الحديث الشريف: "القناعة كنز لا يفنى"[1].

إن مفهوم القناعة الذى يدعو إليه الإمام النورسى[2]: هو المفهوم الإيجابى فى الحياة، الذى يؤدى إلى الرقى والتقدم، وليس الذلة والمسكنة. أى: السعى الجاد لاستثمار عناصر الانتاج، فى ضوء تعاليم الشريعة الغراء، المتسمة بالصدق والإخلاص واتقان العمل، وليس السعى بشراهة نفس، لتحقيق أقصى ربح ممكن، بصرف النظر عن طرق الحصول على هذا الربح، سواء كان بطرق مشروعة، أو غير مشروعة، تؤدى إلى انتشار المنكر والبغى، والفحشاء والبغضاء، مما يزلزل أركان المجتمع الإسلامى، ويقوض أركانه كما رأينا فى ظاهرة التضخم، وما يصحبها من حب الثراء السريع، القائم على نظرية المنفعة الغربية، وليس على سمو المبادئ الإسلامية.

النتيجة الثالثة:

إن الحرص يتلف الإخلاص ويفسد العمل الأخروى؛ لأنه لو وجد حرص فى مؤمن تقى، لرغب فى توجه الناس وإقبالهم إليه، ومن يرقب توجه الناس وينتظره، لا يبلغ الإخلاص التام قطعا، ولا يمكّنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات أهمية عظمى جديرة بالدقة والملاحظة.

وفساد الإخلاص الذى يقصده الإمام النورسى: هو انعدام الضمير المطلوب لإتقان العمل.

فإن أهم ما يتميز به نظام العمل فى الاقتصاد الإسلامى: هو رقابة الضمير، النابعة من الإيمان بالله واليوم الآخر.. وتلك الرقابة هى أهم من

(١) حديث (القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى) رواه الطبرانى فى الأوسط والعسكرى عن جابر. والمشهور (القناعة كنز لا يفنى). وفى القناعة أحاديث كثيرة. انظر الخفاء ١٠٢/١ وتمييز الطيب ص ١١٨.

(٢) شرح لمفهوم القناعة هذا ص ٤٠٣ من صيقل الإسلام. وسنعرضه بالتفصيل فى (التوازن من ناحية العرض الكلى).

أى نظام رقابى تضعه الإدارة فى كل وحدة انتاجية، لمراقبة الجودة الانتاجية.. فإذا انعدمت رقابة الضمير لم يعدم الإنسان من استغلال ثغرات فى نظم العمل، للتزويغ والتعلل بالأعذار، مما يؤدى إلى نقص الكفاءة الانتاجية للعمل.

الإسراف وتبديد مصادر الثروة الاقتصادية[1]:

جئت إلى مدينة مباركة -قبل تسع سنوات- كان الموسم شتاء، فلم أتمكن من رؤية منابع الثروة، وجوانب الانتاج فى تلك المدينة، قال لى مفتيها رحمه الله: إن أهالينا فقراء مساكين. أعاد قوله هذا مرارا. أثر فى هذا القول تأثيرا بالغا، مما أجاش عطفى، فبت استرحم وأتألم لأهالى تلك المدينة، فيما يقرب من ست سنوات. وبعد ثمانى سنوات عدت إليها، وهى فى أجواء الصيف، وأجلت نظرى فى بساتينها، فتذكرت قول المفتى رحمه الله فقلت متعجبا:

سبحان الله! إن محاصيل هذه البساتين وغلاتها، تفوق حاجة المدينة بأسرها كثيرا، وكان حريا بأهاليها أن يكونوا أثرياء جدا! بقيت فى حيرة من هذا الأمر.. ولكن أدركت بحقيقة لم تخدعنى عنها المظاهر، فهى حقيقة أسترشد بها فى إدراك الحقائق، وهى: أن البركة قد رفعت من هذه المدينة، بسبب الإسراف وعدم الاقتصاد، مما حدا بالمفتى رحمه الله إلى القول: إن أهالينا فقراء ومساكين، برغم هذا القدر الواسع من منابع الثروة وكنوز الموارد.

نعم، إنه ثابت بالتجربة وبالرجوع إلى وقائع لا تحد: بأن دفع الزكاة، والأخذ بالاقتصاد سببان للبركة والاستزادة. بينما الإسراف ومنع الزكاة يرفعان البركة.

ولقد فسر "ابن سينا" وهو أفلاطون فلاسفة المسلمين، وشيخ الأطباء وأستاذ الفلاسفة، فسر هذه الآية الكريمة: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾. من زاوية نظر الطب فقط، بالأبيات الآتية:

---

(١) اللمعة التاسعة عشرة ص ٢٢٣ من اللمعات.

جمعت الطب فى بيتين جمعا وحسن القول فى قصر الكلام
فقلل إن أكلت وبعد أكـــل تجنب، والشفاء فى الانهضام
وليس على النفوس أشد حالا من إدخال الطعام على الطعام[1]

من مفاهيم الرشد الاقتصادي في الإسلام:

[لا إسراف فى الخير ولا خير فى الإسراف]

إن ذلك المفهوم يتميز به الاقتصاد الإسلامى عن سائر الاقتصاد العالمى، وهو مفهوم يدعو إلى التكافل الاجتماعى والتكتل الاقتصادى، وتوفير حد الكفاية لجميع أفراد الأمة الإسلامية.. ولا شك أن هذا المفهوم، هو الذى ارتقى بالمسلمين الأوائل إلى عنان السماء، وحققوا به حضارة إسلامية زاهرة شملت الأمة الإسلامية المتسعة: من حدود الصين شرقا، إلى جنوب فرنسا غربا.

وتناول الإمام النورسى هذا المفهوم بقوله:[2]

هناك بون شاسع وفرق هائل بين الاقتصاد والخسة، إذ كما أن التواضع الذى هو من الأخلاق المحمودة، يخالف معنى التذلل الذى هو من الأخلاق المذمومة، مع أنه يشابهه صورة. وكما أن الوقار الذى هو من الخصال الحميدة، يخالف معنى التكبر الذى هو من الأخلاق السيئة، مع أنه يشابهه صورة.

فكذا الحال فى الاقتصاد، الذى هو من الأخلاق النبوية السامية، بل هو من المحاور التى يدور عليها نظام الحكمة الإلهية المهيمن على الكون، لا علاقة له أبدا بالخسة، التى هى مزيج من السفالة والبخل

---

(١) أى أن أضر شئ للجسم، هو عدم إعطاء مهلة بين وجبات الطعام، تتراوح بين أربع أو خمس ساعات. أو إملاء المعدة بإدخال الطعام بالتعاقب لأجل التلذذ. (شرح النورسى رحمه الله).

(٢) اللمعة التاسعة عشرة ص ٢١٩، ٢٢٠ من اللمعات.

والجشع والحرص. بل ليست هناك من رابطة بينهما قطعا، إلا ذلك التشابه الظاهرى. وإليكم هذا الحدث المؤيد لهذه الحقيقة:

دخل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وهو أكبر أبناء الفاروق الأعظم، خليفة رسول الله ﷺ وأحد العبادلة السبعة المشهورين، ومن البارزين بين علماء الصحابة الأجلاء، دخل هذا الصحابى الجليل يوما فى مناقشة حادة، لدى تعامله فى السوق على شئ لا يساوى قرشا واحدا، حفاظا على الاقتصاد، وصونا للأمانة والاستقامة، اللتين تدور عليهما التجارة. فى هذه الأثناء رآه صحابى، فظن فيه شيئا من خسة فاستعظمها منه، إذ كيف يصدر هذا الأمر، من ابن أمير المؤمنين وخليفة الأرض. فتبعه إلى بيته ليفهم شيئا من أحواله، فوجد أنه قضى بعض الوقت مع فقير عند الباب، وتبادلا حديثا فى لطف ومودة، ثم خرج من الباب الثانى، وتجاذب أطراف الحديث مع فقيرا آخر هناك. أثار هذا الأمر لهفة ذلك الصحابى فأسرع إلى الفقيرين للاستفسار منهما:

- هلا تفهمانى ماذا فعل ابن عمر حينما وقف معكما؟.
- لقد أعطى كلا منا قطعة ذهب.

فراعه الأمر وقال شدها: يا سبحان الله.. ما أعجب هذا الأمر، إنه يخوض فى السوق فى نقاش شديد لأجل قرش واحد، ثم ها هو ذا يغدق فى بيته بمئات أضعافه، على محتاجين اثنين عن رضى، دون أن يشعر به أحد، فسار نحو ابن عمر رضى الله عنهما ليسأله:

- أيها الإمام: ألا تحل لى معضلتى هذه؟ لقد فعلت فى السوق كذا وكذا، وفى البيت كذا وكذا؟! فرد عليه قائلا:
- إن ما حدث فى السوق هو نتيجة الاقتصاد والحصافة، فعلته صونا للأمانة وحفظا للصدق اللذين هما أساس المبايعة وروحها، وهو ليس بخسة ولا ببخل، وإن ما بدر منى فى البيت نابع من رأفة القلب ورقته، ومن سمو الروح واكتمالها.. فلا ذاك خسة، ولا هذا إسراف.

وإشارة إلى هذا السر قال الإمام الأعظم "أبو حنيفة النعمان" ﷺ: "لا إسراف فى الخير كما لا خير فى الإسراف". أى كما لا إسراف فى الخير والإحسان لمن يستحقه، كذلك لا خير فى الإسراف قط.

وهكذا فإن الإمام النورسى: قد أرسى قواعد الاقتصاد الإسلامى صدقا وحقا. بحيث يكون لاقتصادنا ملامحه الخاصة المتميزة، وليس عبارة عن مقتطفات من كل ملة وعقيدة، بحيث يصير كالبهلوان المتعدد الألوان، ليس له وظيفة حقيقية فى الإصلاح، غير الهرج والمرج.

فاللهم ارحم الإمام النورسى رحمة واسعة. وجازيه عنا خير الجزاء.

ثانيا: التوازن الاقتصادي من ناحية العرض الكلي:

إن السبب الأساسى لتخلف الأمة الإسلامية هو: عدم استغلال مصادر الثروة الاقتصادية، التى منحها الله لها كما يجب. وهذا يؤدى إلى قصور العرض الكلى عن الطلب الكلى، فترتفع الأسعار. ويؤدى هذا الارتفاع فى الأسعار، إلى سلسلة من التغييرات فى الهيكل الاقتصادى تسمى "بالتضخم الحلزونى" أو "التضخم التراكمى".. هذا التضخم يؤدى فى حد ذاته إلى تغييرات فى البنيان الاجتماعى، تخلخل العقيدة والمبادئ والأهداف، وهذا يؤدى إلى مزيد من التخلف لأمة الإسلام.. فالإنسان الذى انسلخ من عقيدته، لا يمكن بأى حال من الأحوال، أن يملك قوة دافعة، تعينه على النهوض بأمته فى أى مجال من المجالات.

لذلك فقد اهتم الإمام النورسى اهتماما كبيرا، باستثارة قوى المسلمين، ودفعهم إلى العمل المخلص الجاد، لاستثمار مصادر الثروة الاقتصادية، والنهوض بقطاع الصناعة والزراعة والتجارة، لأنها قطاعات قيادية فى دفع عجلة التنمية، وتوفير الاحتياجات المعيشية، التى تكفل عزة الأمة وكرامتها، وعدم الاحتياج للدول الأجنبية، وضعف حريتها السياسية فى اتخاذ القرار، سواء فى أمورها الداخلية، أو العلاقات الخارجية، أو المحافل الدولية

ونعرض فيما يلى جهاد النورسى فى هذا الشأن:

أسباب فقر المسلمين وتخلفهم الحالي:

توجه المسلمون الحائرون بسؤال إلى الإمام النورسى ضمن أسئلة عديدة[1]:

كان المسلمون هم الأغنياء، وكان أولئك هم الفقراء، إلا أن الآية انعكست الآن.. فما الحكمة؟

فأجاب الشيخ: هناك سببان لهذا حسب علمي:

السبب الأول:

الفتور فى السعى وعدم الرغبة. خلافا لما هو مستفاد من الأمر الربانى: **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (النجم: ٣٩)**. وانطفاء جذوة شوق الكسب المستفاد من الأمر النبوى بأن: "الكاسب حبيب الله". (وفى كشف الخفاء ١٥٧/١ : أفضل الأعمال الكسب الحلال) وذلك نتيجة إيحاءات بعض الرجال، وتلقينات قسم من الوعاظ الجاهلين. أولئك الذين لم يدركوا: أن إعلاء كلمة الله فى الوقت الحاضر يتوقف على الرقى المادى.. ولم يتفهموا قيمة الدنيا من حيث هى مزرعة الآخرة).. ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما: "القناعة فى التحصيل والكسب' وهى المذمومة.. و "القناعة فى المحصول والأجرة" وهى الممدوحة.. ولم يتبينوا البون الشاسع بين "التواكل" الذى هو عنوان الكسل و "التوكل" الذى هو صدفة الإخلاص الحقيقى.

فالأول: هو تكاسل فى ترتيب المقدمات، وهو فى حكم التمرد على النظام القائم، بين الأسباب التى هى مقتضى مشيئة الله تعالى.

---

(١) المناظرات ص ٤٠٢ : ٤٠٤ من صيقل الإسلام.

والآخر: هو توكل إيماني في ترتب النتائج، وهو من مقتضيات الإسلام، والذي يقود صاحبه إلى التوفيق حتى في النتائج، شريطة عدم التدخل في التقديرات الإلهية.

فالتبس عليهم كلا الأمرين.. ولم يتفرسوا سر "أمتي.. أمتي"[1]. ولا يفهمون حكمة "خير الناس أنفعهم للناس"[2].. فهؤلاء هم الذين حطموا ذلك الميل، وأطفأوا ذلك الشوق

والسبب الثاني:

هو سلوكنا في المعيشة مسلكا غير طبيعي، مسلكا يوافق الكسل ويلائمه، ويداعب الغرور ويربت عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية. لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا.

ولما سئل الشيخ: كيف؟

أجاب رحمه الله: إن الطريق المشروع للمعيشة، والسبيل الطبيعي والحيوي إليها هو: "الصناعة والزراعة والتجارة". أما الطريق غير الطبيعي: فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها.

وعندي أن الذين جعلوا مدار معيشتهم "الإمارة". وإن تسمت بأي اسم كان –فهم في زمرة الشحاذين العاجزين المتسولين، ومن زمرة الخادعين الحيالين.. وفي نظري أن الذي ينخرط في سلك الوظيفة أو الإمارة، فليدخل إليها لأجل الحمية والخدمة للأمة.. وإلا لو دخلها للمعيشة والمنفعة فحسب، فلا يقوم إلا بضرب من التسول.

إذ ثبت أن حصر كل الوظائف فينا، أضاع علينا ثرواتنا، بتسليمها إلى يد الإسراف، وأن حصر العسكرية فينا، شتت ذرارينا في الآفاق. فلو كان الأمر يستمر على هذا المنوال، لكنا ضائعين منقرضين.

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل أخرجه البخاري برقم ٣٣٤٠ و ٣٣٦١ و ٤٧١٢ ومسلم برقم ١٩٤ والترمذي برقم ٢٥٥١ وكلهم برواية أبي هريرة ﷺ.

(٢) حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٤٢٠/٢. وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨.

أهمية العمل لتحقيق التوازن (من وجهة نظر إسلامية):

يرى الإمام النورسي: أن العمل والسعي لاستغلال ثروات الكون، هو فرض عين على الإنسان المسلم، الذى يعرف مكانة العمل المقدسة فى الشريعة الإسلامية.. حيث آيات القرآن الكريم التى تدعو إلى العمل تبلغ ٣٦١ آية[١]، فإذا عرفنا أن الآيات التى تتكلم عن أهمية العلم تبلغ ٨٨٢ آية، عرفنا أن العمل المطلوب، هو القائم على العلم، ليحقق أقصى كفاءة انتاجية ممكنة، نتيجة تسلحه بالتطور العلمي.. كما أن العمل المطلوب فى الإسلام: هو العمل المقرون بروح الإخلاص النابعة من الإيمان بالله ورسوله.

إذا اتصف العمل بهذه الصفات، فلا بد أنه سيحقق استثمارا حقيقيا، لموارد الثروة الاقتصادية، مما يزيد العرض الكلى فى مواجهة الطلب الكلى، ويحقق التوازن المقصود فى الاقتصاد الإسلامي، والذى يتفق مع التوازن الكلى فى الكون، الذى خلقه الله بموازين دقيقة تبهر ذوى العقول والأبصار.

ويقول الإمام النورسى فى ذلك:[٢]

العمل ثواب وسعادة:

يا من لا يدرك مدى اللذة والسعادة والسعي والعمل.. أيها الكسلان! اعلم، أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه، جزاء الخدمة فى الخدمة نفسها، وأدمج ثواب العمل فى العمل نفسه.

ولأجل هذا كانت الموجودات قاطبة، بما فيها الجمادات -من زاوية نظر معينة- تمتثل الأوامر الربانية بشوق كامل، وبنوع من اللذة، عند أدائها لوظائفها الخاصة بها والتى تطلق عليها "الأوامر التكوينية". فكل شئ ابتداء من النحل والنمل والطير.. وانتهاء إلى الشمس والقمر، كل منها يسعى بلذة تامة فى أداء مهماتها. أى: اللذة كامنة فى ثنايا وظائف

---

(١) من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه محمد عبد الباقى - مؤسسة جمال للنشر - بيروت.

(٢) اللمعة السابعة عشرة ص ١٨٨ : ١٩٣ من اللمعات.

الموجودات، حيث أنها تقوم بها على وجه من الاتقان التام، برغم أنها لا تعقل ما تفعل، ولا تدرك نتائج ما تعمل.

فإن قلت: إن وجود اللذة في الأحياء ممكن، ولكن كيف يكون الشوق واللذة موجودين في الجمادات؟

فالجواب: إن الجمادات تطلب شرفا ومقاما وكمالا وجمالا وانتظاما، بل تبحث عن كل ذلك وتفتش عنه، لأجل إظهار الأسماء الإلهية المتجلية فيها، لا لذاتها، لذا فهي تتنور وتترقى وتعلو، أثناء امتثالها تلك الوظيفة الفطرية، حيث أنها تكون بمثابة مرايا ومعاكس، لتجليات أسماء "نور الأنوار".

فمثلا: قطرة من الماء -وقطعة من الزجاج- رغم أنها تافهة وقاتمة في ذاتها، فإذا ما توجهت بقلبها الصافي إلى الشمس، تتحول إلى نوع من عرش لتلك الشمس، فتلقاك بوجه مضيء!..

<u>في العمل رقي معنوي ومادي:</u>

لذا يمكن القول: بأن الموجودات تقوم بأداء وظائفها في غاية اللذة والمتعة، ما دامت تكتسب بها مرتبة نورانية سامية، واللذة ممكنة إن كانت للموجود حصة من الحياة العامة. وأظهر دليل على أن اللذة كامنة في ثنايا الوظيفة نفسها هو ما يأتي:

تأمل في وظائف أعضائك وحواسك، تر أن كلا منها يجد لذائذ متنوعة أثناء قيامه بمهامه -في سبيل بقاء الشخص أو النوع- فالخدمة نفسها، والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذابا مؤلما لذلك العضو.

وهناك دليل ظاهر آخر هو أن الديك -مثلا- يؤثر الدجاجات على نفسه، فيترك ما يلتقطه من حبوب رزقه إليهن، دون أن يأكل منها. ويشاهد أنه يقوم بهذه المهمة، وهو في غاية الشوق، وعز الافتخار، وذروة اللذة.. فهناك إذن لذة في تلك الخدمة أعظم من لذة الأكل نفسه. وكذا الحال مع الدجاجة -الراعية لأفراخها- فهي تؤثرها على نفسها، إذ تدع نفسها جائعة

فى سبيل إشباع الصغار، بل تضحى بنفسها فى سبيل الأفراخ، فتهاجم الكلب المغير عليها لأجل الحفاظ على الصغار.

الثواب الحقيقى للعمل:

فى الخدمة لذة تفوق كل شئ، حتى أنها تفوق مرارة الجوع وترجح على ألم الموت. فالوالدات من الحيوانات، تجد منتهى اللذة فى حمايتها لصغارها، طالما هى صغيرة. ولكن ما إن يكبر الصغير، حتى تنتهى مهمة الأم، فتذهب اللذة أيضا. وتبدأ الأم بضرب الذى كانت ترعاه، بل تأخذ الحب منه.. هذه السنة الإلهية جارية فى الحيوانات، إلا فى الإنسان، إذ تستمر مهمة الأم نوعا ما، لأن شيئا من الطفولة يظل فى الإنسان، حيث الضعف والعجز يلازمانه طوال حياته، فهو بحاجة إلى الشفقة والرأفة كل حين.

وهكذا، تأمل فى جميع الذكور من الحيوانات كالديك، وجميع الوالدات منها كالدجاج، وافهم كيف أنها لا تقوم بتلك الوظيفة، ولا تنجز أى شئ لأجل نفسها، ولا لكمالها بالذات، حيث تفدى نفسها إذا احتاج الأمر. بل إنها تقوم بتلك المهمة فى سبيل المنعم الكريم الذى أنعم عليها، وفى سبيل الفاطر الجليل الذى وظفها فى تلك الوظيفة، فأدرج برحمته الواسعة لذة ضمن وظيفتها، ومتعة ضمن خدمتها.

وهناك دليل آخر، على أن الأجرة داخلة فى العمل نفسه: وهو أن النباتات والأشجار تمتثل أوامر فاطرها الجليل، بما يشعر أن فيه شوقا ولذة، لأن ما تنشره من روائح طيبة، وما تتزين به من زينة فاخرة تستهوى الأنظار، وما تقدمه من تضحيات وفداء حتى الرمق الأخير، لأجل سنابلها وثمارها.. كل ذلك يعلن لأهل الفطنة:

أن النباتات تجد لذة فائقة فى امتثالها الأوامر، بما يفوق أية لذة أخرى، حتى أنها تمحو نفسها وتهلكها لأجل تلك اللذة.. ألا ترى شجرة جوز الهند، وشجرة التين كيف تطعم ثمرتها لبنا خالصا، تطلبه من خزينة الرحمة الإلهية بلسان حالها، وتتسلمه منها، وتظل هى لا تطعم نفسها غير الطين. وشجرة الرمان تسقى ثمرتها شرابا صافيا، وهبها لها ربها، وهى ترضى

قانعة بشراب ماء عكر . حتى أنك ترى ذلك فى الحبوب كذلك، فهى تظهر شوقا هائلا للتسنبل، بمثل اشتياق السجين إلى رحب الحياة.

العمل سنة الله فى الكون:

ومن هذا السر الجارى فى الكائنات المسمى بـ " سنة الله" ومن هذا الدستور العظيم، يكون العاطل الكسلان الطريح على فراش الراحة، أشقى حالا وأضيق صدرا من الساعى المجد، ذلك لأن العاطل يكون شاكيا من عمره، يريد أن يمضى بسرعة فى اللهو والمرح. بينما الساعى المجد شاكر لله وحامد له، لا يريد أن يمضى عمره سدى. لذا أصبح دستورا عاما فى الحياة: "المستريح العاطل شاك من عمره والساعى المجد شاكر". وذهب مثلا: "الراحة مندمجة فى الزحمة والزحمة مندمجة فى الراحة".

نعم إذا ما أمعن النظر فى الجمادات، فإن السنة الإلهية المذكورة تظهر بوضوح؛ فالجمادات التى لم تتكشف استعداداتها، وباتت ناقصة من هذه الناحية، تراها تسعى بشدة، وتبذل جهدا عظيما لكى تنبسط وتنتقل من طور "القوة" الكامنة إلى طور "الفعل". وعندها يشاهد عليها ما يشير إلى أن فى تلك الوظيفة الفطرية شوقا، وفى ذلك التحول لذة، جريا بدستور سنة الله، حتى إن الماء اللطيف الرقراق، ما إن يتسلم أمرا بالانجماد، حتى يمتثل ذلك الأمر بشدة وشوق، إلى حد أنه يكسر الحديد ويحطمه[1].

وعلى هذا فقس جميع ما فى الكون من سعى وحركة: تجد أن كل ذرة، وكل موجود، وكل ذى حياة، إنما هو كالجندى فى الجيش، له علاقات متباينة ووظائف مختلفة، وارتباطات متنوعة، مع كل دائرة من دوائره. فالذرة الموجودة فى عينيك -مثلا- لها علاقة مع خلايا العين، ومع أعصاب العين فى الوجه، ومع الشرايين والأوردة فى الجسم، وعلى أساس هذه العلاقات والروابط تعين لها وظيفة، وعلى ضوئها تنتج فوائد ومصالح وهكذا..

---

(١) وذلك إذا كان داخل كرة حديد مقفلة، وتمدد عند التجمد (ص ١٩١ من اللمعات اللمعة السابعة عشرة).

كيف يؤتى العمل النابع من الإخلاص لله ثمارا مضاعفة؟[1]

يرى الإمام النورسى أن العمل إذا اقترن بالإيمان الحق بالله، فإنه ستجرى عليه القوانين الإلهية فى الكون من جهتين:

الأولى: قيامه بوظائف تفوق طاقته المحدودة بآلاف المرات، مع أنه عاجز عن ذلك، فيشهد بلسان عجزه إذن، على وجود ذلك القدير المطلق.

الثانية: توافق حركته مع الدساتير التى تكون نظام العالم، وانسجام عمله مع القوانين التى تديم توازن الموجودات، فيشهد -بهذا الانسجام والتوافق- على وجود ذلك العليم القدير.

نعم، إن الفاطر الحكيم يدرج دساتير الكتاب المبين وأحكامه، درجا فى غاية الجمال، ويجملها فى غاية الاختصار، ضمن لذة خاصة لذلك الشئ، وفى ثنايا حاجة مخصوصة له. فإذا ما عمل الشئ وفق تلك اللذة الخاصة، والحاجة المخصوصة، فإنه يمتثل -من حيث لا يشعر- أحكام ذلك الكتاب المبين.

فمثلا: إن البعوضة فى حين مولدها ومجيئها إلى الدنيا، تنطلق من بيتها وتهاجم وجه الإنسان، وتضربه بعصاها الطويلة وخرطومها الدقيق، وتفجر به السائل الحيوى، وتمصه مصا، وهى فى هذا الهجوم تظهر براعة عسكرية فائقة..

ترى من علم هذا المخلوق الصغير الذى أتى حديثا إلى الدنيا، وليس له من تجربة سابقة، هذه المهارة البارعة، وهذه الفنون الحربية الدقيقة، وهذا الإتقان فى التفجير، فمن أين اكتسب هذه المعرفة؟.. وهذا السعيد المسكين: أعترف بأنى لو كنت بدلا منه، لما كنت أتعلم تلك المهارة، وتلك الفنون العسكرية من كروفر، وتلك الأمور الدقيقة فى استخراج السائل الحيوى، إلا بعد تجارب طويلة، ودروس عديدة، ومدة مديدة.

---

(١) تابع المرجع السابق (اللمعات ١٨٨ : ١٩٣).

فقس على البعوضة: النحل الملهمة، والعنكبوت، والبلبل الناسج لعشه نسجا بديعا، بل يمكنك قياس النباتات على الحيوانات أيضا.

نعم إن الجواد المطلق ﷻ، قد سلم بيد كل فرد من الأحياء "بطاقة تذكرة" مكتوبة بمداد اللذة، وحبر الاحتياج، فأودع سبحانه فيها منهاج أوامره التكوينية، وفهرس ما يقوم به الفرد من وظائف.. فسبحانه من حكيم ذى جلال.

مزايا تقسيم العمل:

رأينا أن ننقل هنا ما كتبه الإمام النورسى عن مزايا تقسيم العمل، من تحقيق زيادة فى الانتاج وبالتالى العرض الكلى. مما يحقق توازنا فى الاقتصاد القومى..

صحيح أن هذا لم يكن هدف الشيخ فى المقام الأول، لأن هدفه كان دائما صقل الوجدان، وشحذ الإرادة، للتوجه للملأ الأعلى، ولكن خطواته الإصلاحية كان لها تأثيرها الإيجابى على الحياة الدنيا والآخرة معا.. وهذا ما سهل مهمتنا -بفضل الله وحمده- فى الحصول على مقصودنا دائما من كلمات الشيخ، لتوضيح منهجه المتكامل فى الإصلاح، فى كل ناحية من نواحى الحياة.

قال الشيخ عن مزايا تقسيم العمل:[1]

يحصل الصناعيون وأهل الحرف على الانتاج الوفير، وعلى ثروة هائلة، نتيجة اتباعهم قاعدة "المشاركة فى الصنعة والمهارة". وإليك المثال:

قام عشرة من صناعى إبر الخياطة بعملهم، كل على انفراد، فكانت النتيجة: ثلاث إبر فقط لكل منهم فى اليوم الواحد.. ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة "توحيد المساعى وتوزيع الأعمال" فأتى أحدهم بالحديد والآخر بالنار، وقام الثالث بثقب الإبرة والآخر إدخالها النار والآخر بدأ يحدها.. وهكذا. فلم يذهب وقت أحد سدى، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأنجزه بسرعة، لأنه عمل جزئى بسيط أولا، ولاكتسابه الخبرة

(١) اللمعة الحادية والعشرون ص ٢٤٩ من اللمعات.

والمهارة فيه ثانيا. وحينما وزعوا حصيلة جهودهم، رأوا أن نصيب كل منهم فى يوم واحد ثلاثمائة إبرة بدلا من ثلاث إبر.. فذهبت هذه الحادثة أنشودة، يترنم بها أهل الصناعة والحرف، الذين يدعون إلى توحيد المساعى وتوزيع الأعمال.

التكتلات الاقتصادية: مزاياها ومضارها:

تكلم الإمام النورسى عن التكتلات الاقتصادية: مبينا أن هذه التكتلات إذا قامت لأجل الحصول على الثروة والقوة فقط، فإن ضررها سيكون عظيما. ولكنها إذا قامت على أهداف نبيلة بين المسلمين، تبتغى الدار الآخرة، فإنها ستكون محورا لمنافع جليلة، بلا مساوئ ولا أضرار، وتحقق للمسلمين كل تقدم وازدهار.

فقال الشيخ:[1]

لقد اتخذ أرباب الدنيا "الاشتراك فى الأموال" قاعدة يسترشدون بها، لأجل الحصول على ثروة طائلة أو قوة شديدة، بل اتخذ من لهم التأثير فى الحياة الاجتماعية -من أشخاص أو جماعات وبعض الساسة- هذه القاعدة رائدا لهم. ولقد كسبوا نتيجة اتباعهم هذه القاعدة، قوة هائلة، وانتفعوا منها نفعا عظيما، رغم ما فيها من أضرار واستعمالات سيئة، ذلك لأن ماهية الاشتراك لا تتغير بالمساوئ والأضرار التى فيها، لأن كل شخص -وفق هذه القاعدة- يحسب نفسه بمثابة المالك لجميع الأموال، وذلك من زاوية مشاركته فى المال، ومن جهة مراقبته وإشرافه عليه، برغم أنه لا يمكنه أن ينتفع من جميع الأموال. وعلى كل حال فإن هذه القاعدة إذا دخلت فى الأعمال الأخروية، فستكون محورا لمنافع جليلة بلا مساوئ ولا ضرر. لأن جميع تلك الأموال الأخروية، تحمل سر الدخول بتمامها، فى حوزة كل فرد، من أولئك الأفراد المشتركين فيها، دون نقصان أو تجزئة.

ولنفهم هذا المثال:

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٤٨، ٢٤٩ من اللمعات.

اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي. فوقع على أحدهم إحضار النفط، وعلى الآخر الفتيلة، وعلى الثالث زجاجة المصباح، وعلى الرابع المصباح نفسه، وعلى الأخير علبة الكبريت.. فعندما أشعلوا المصباح، أصبح كل منهم مالكا لمصباح كامل. فلو كان لكل من أولئك المشتركين مرآة كبيرة معلقة بحائط، إذن لأصبح منعكسا في مرآته مصباح كامل-مع ما في الغرفة- من دون تجزؤ أو نقص..

وهكذا الأمر في الاشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص، والتساند بسر الأخوة، وضم المساعي بسر الاتحاد، إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منهم.. وهذا أمر مشهود وواقع بين أهل الحقيقة، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق.

فيا أخوتي..! آمل ألا تسوقكم المنافع المادية، إلى الحسد فيما بينكم إن شاء الله تعالى. إلا أنكم قد تنخدعون، كما انخدع قسم من أهل الطرق الصوفية، من باب المنافع الأخروية. ولكن تذكروا.. أين الثواب الشخصي والجزئي، من ذلك الثواب العظيم، الناشئ في أفق الاشتراك في الأعمال المذكورة في المثال، وأين النور الجزئي من ذلك النور الباهر.

وهكذا فإن التكتل الاقتصادي للدول الإسلامية في العصر الحاضر، هو الحل الأمثل لمواجهة مشكلات التخلف الذي تعيشه، وخاصة إذا كان نابعا من وحدة العقيدة، بسر الإخلاص والتساند النابع من روح الإيمان.

لأن هذا التكتل سيساعد على استغلال مصادر الثروة الاقتصادية الاستغلال الأمثل، فيزيد المعروض من السلع والخدمات في مواجهة الطلب الكلي، مما يحقق التوازن الاقتصادي العام. كما أنه سيحرر الدول الإسلامية من التبعية الاقتصادية للدول الأجنبية، ويحرر معها عقيدتها ومبادئها ومقدساتها.

وبذلك نكون قد عرضنا دور النورسي في دراسة التوازن العام في النظام الاقتصادي ككل، من نبع الشريعة وفيوضاتها. ورأينا كيف تناول تحقيق التوازن الاقتصادي من عدة جهات:

- ترشيد الاستهلاك والبعد عن الإسراف.
- ضغط الطلب الكلى بالبعد عن الاستهلاك الترفى.
- العمل الجاد لاستغلال مصادر الثروة الاقتصادية.
- إخلاص العمل واتقانه نتيجة رقابة الضمير.
- التكافل الاجتماعى بين المسلمين إلى أقصى مدى.
- الرشادة الاقتصادية فى إنفاق المال لأنه عصب الحياة.
- مزايا تقسيم العمل.
- التكتلات الاقتصادية وضرورة اقترانها بالمنافع الأخروية.

وندعو الله أن تكون تلك النقاط التى تناولها الإمام النورسى، مصدر علم، ومؤشر هام فى اجتهاد الاقتصاديين المسلمين، لترسيخ قواعد الاقتصاد الإسلامى، حتى ندعم نهضتنا الاقتصادية، من وحى شريعتنا الإسلامية، وليس باستجداء تشريعات أجنبية، من دول لم تعرف بعد عظمة الإسلام وسمو مبادئه.

وصدق العليم الخبير إذ يقول: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ (الحجر ٢).

المبحث الثاني

التجويع كسلاح اقتصادى لهدم العقيدة

إن استخدام التجويع كسلاح لهدم العقيدة، أسلوب قديم، قدم الدعوة الإسلامية نفسها، عندما فرض المشركون فى فجر الدعوة، الحصار الاقتصادى على المسلمين، ثلاث سنوات فى شعاب مكة، لإرجاعهم عن اتباع سيدنا محمد ﷺ.

بل إن سلاح التجويع، هو أسلوب يلازم البشرية، منذ بداية الخليقة، لتفتيت الإرادة وفرض الضغوط المطلوبة، لأن الطعام هو أول ما يشغل بال الإنسان، وامتناعه يزلزل كيانه، ويقض مضجعه.. ولذلك فإن المولى سبحانه، طمأن آدم عند نزوله الأرض بقوله جل شأنه: **﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى﴾ (طه: ١١٨،١١٩).**

فماذا قال الإمام النورسى عن هذا السلاح الفتاك؟ ما هى مبرراته ووسائله ومضاعفاته؟ كيف يمكن مواجهته؟

هذا ما سنحاول – بعون الله وتوفيقه – أن نوضحه خلال هذا المبحث.

دور الجوع فى فتنة آخر الزمان:[1]

لقد أخطر على قلبى فى هذه الأيام – باسم طلاب رسائل النور – سؤال معنوى فى غاية الأهمية والقلق. وهو:

– يفهم من الروايات أن الجوع سيؤدى دورا مهما فى فتنة آخر الزمان، وأن أهل الضلالة يحاولون بهذا التجويع، إغراق أهل الإيمان الضعفاء الجائعين، فى متطلبات هموم العيش، حتى ينسونهم مشاعرهم الدينية، أو يجعلونها فى المرتبة الثانية أو الثالثة.

---

(١) ملحق قسطمونى ص ١٦١، ١٦٢ من الملاحق.

ولما كان لأهل الإيمان وللأبرياء، من حيث القدر الإلهي، وجه رحمة ووجه عدالة في كل شئ، حتى في عذاب القحط. ترى بأي شكل تكون هذه الرحمة والعدالة في هذا الأمر؟ ومن أية جهة يستفيد أهل الإيمان، ولا سيما طلاب النور من هذه المصيبة -من حيث الإيمان والآخرة- وكيف يتصرفون معها ويقاومونها؟

- الجواب:

إن أهم سبب لهذه المصيبة: هو العصيان النابع من كفران النعمة، وعدم الشكر، وعدم تقدير النعمة الإلهية حق قدرها.

لذا فإن العادل الحكيم، لأجل إراءة اللذة الحقيقية لنعمه، ولا سيما الأغذية منها، وخاصة ما يخص الحياة وهو النعمة الكبرى: الخبز.. فإنه سبحانه يسوق الناس إلى الشكر الحقيقي -وفقا لحكمته تعالى- فتنزل هذه المصيبة بالذين لا يشكرون ربهم، ولا يراعون الرياضة الدينية في شهر رمضان.. فعدله سبحانه وتعالى محض الحكمة.

إن مهمة أهل الإيمان وأهل الحقيقة: هي السعي لجعل بلاء الجوع هذا وسيلة الالتجاء إلى الله، والندم على الذنوب، والتسليم لأمر الله.. ويعتبرونه كالجوع الذي يصيب المرء، عند مزاولته الرياضة الدينية في شهر رمضان.. ويجاهدون للحيلولة دون فتح السبيل أمام التسول والسرقة والفوضى بحجة الضرورة.. والسعي لدفع الزكاة إلى أولئك الفقراء الجائعين، الذين لا يرأف بحالهم قسم من الأغنياء، وبعض أهل المرتبات.. وجعل الشباب تلك الحادثة لصالحهم بدلا من أن تكون بلاء عليهم، حيث تحد المصيبة من طغيان نفوسهم، وتحول بينهم وبين نزواتها وأذواقها الدنيئة، فيدخلون حظيرة الطاعة والخيرات، وينسحبون -إلى حد ما- من الذنوب والفحش، بعدما أطغوا نفوسهم بالأطعمة اللذيذة، فأفقدوها وعيها، وساقوها إلى الطغيان والهوى الدنئ..

وأن ينظر أهل العبادة والصلاح، إلى هذا البلاء النازل بهم كرياضة شرعية، في هذا الوقت الذي أصبح أغلب الناس جياعا، واختلط المال الحرام بالحلال اختلاطا شديدا، حتى استحال تمييز أحدهما عن الآخر، (٢٥)

وأصبح بمثابة الأموال المشبوهة، فيقنع بمقدار الضرورة من الإعاشة العامة– التى يشترك فيها الجميع ضمنا – ليكون حلالا.

المدنية الحديثة وإفقار البشرية[1]:

إن المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقا مناقضا لأسس دساتير السماء، وقيامها بمناهضتها، فقد أوقعت البشرية فى فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهى تتمادى فى تهييج نار الإسراف والحرص والطمع، بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات. زد على ذلك أنها ألقت بذلك الإنسان المحتاج المسكين، فى أحضان الكسل والتعطيل المدمر، بعد أن شجعته على وسائل السفاهة. وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعى والعمل، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدى، باتباعه هوى المدنية الحاضرة، وبسيره وراء سفاهتها ولهوها.

لقد كان البشر فى عهد البداوة تعوزهم ثلاثة أو أربعة أشياء، وكان اثنان من كل عشرة أشخاص، يعجزان عن تدارك تلك الأشياء الثلاثة أو الأربعة.. بينما فى الوقت الحاضر، تحت سطوة المدنية الغربية المستبدة، المتميزة بإثارة سوء الاستعمال، والدفع إلى الإسراف، وتهييج الشهوات، وإدخال الحاجات والمطالب غير الضرورية فى حكم المطالب والحاجات الضرورية، فقد أصبح الإنسان العصرى من حيث حب التقليد والإدمان، مفتقرا إلى عشرين حاجة بدلا من أربع منها ضرورية. وقد لا يستطيع إلا شخصان، من كل عشرين شخص، أن يلبوا تلك الحاجات العشرين، من مصدر حلال بشكل مباح. ويبقى الآخرون الثمانية عشر محتاجين وفقراء..

فهذه المدنية الحاضرة إذن تجعل الإنسان فقيرا جدا ومعوزا دائما. ولقد ساقت البشرية –من جهة تلك الحاجة– إلى مزيد من الكسب الحرام، وإلى ارتكاب أنواع من الظلم والغبن، وشجعت طبقة العوام المساكين، على الصراع والتخاصم المستمر مع الخواص، وذلك بهجرها القانون الأساسى

(١) ملحق أمير داغ–٢ ص ٣٧٧ : ٣٨٠ من الملاحق.

الذى سنه القرآن الكريم، القاضى بوجوب الزكاة وتحريم الربا، والذى يحقق بواسطتهما توقير العامة للخاصة، ويوفر بهما شفقة الخاصة على العامة.

فبهجرها ذلك القانون الأساسى، أرغمت البرجوازيين على ظلم الفقراء وهضم حقوقهم، وأجبرت الفقراء على العصيان والتمرد فى معاملتهم معهم. فدمرت سعادة البشرية وراحتها وأمنها واطمئنانها، وجعلتها أثرا بعد عين.

إن ما أنجزته هذه المدنية الحاضرة من خوارق -فى ساحة العلم- نعم ربانية تستدعى شكرا خالصا من الإنسان، على ما أنعم الله عليه، وتقتضى منه كذلك استخداما ملائما لها، لفائدة البشرية ومنفعتهم. بيد أننا نرى الآن خلاف ذلك، إذ تقود الناس إلى موارد الكسل والسفاهة، وتزكى نار الأهواء النفسانية، وتثير كوامن النزعات الشهوانية، فتقعد الإنسان عن الكد والسعى، وتثنيه عن الشوق إلى العمل.

وبهذا نرى معظم الدول الإسلامية، تملك مصادر الثروة الاقتصادية، التى تمكنها من تحقيق التقدم، ولكنها نتيجة الكسل عن استغلالها، انبهارا بمظاهر المدنية الحديثة واتباعا للشهوات، أصبحت تعيش حالة التخلف، وتخضع لجميع الضغوط الأجنبية، للحصول على لقمة العيش الأساسية، وهذا ما تأباه الشريعة الإسلامية، التى جاءت بمبادئها السامية، لتحقق السعادة الدنيوية والأخروية للبشرية.

دور الربا فى زيادة تجويع المسلمين[1]:

إن معدن جميع أنواع الاضطربات والقلاقل والفساد، ومحرك جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنيئة، منبعها كلمتان اثنتان أو جملتان فقط:

الكلمة الأولى: إذا شبعت أنا، فمالى إن مات غيرى من الجوع.

الكلمة الثانية: تحمل أنت المشاق لأجل راحتى، اعمل أنت لآكل أنا. لك المشقة وعلى الأكل.

---

(١) نوى الحقائق ص ٦٠٤، ٦٠٥، ٦١٣ من المكتوبات وكذلك ص ٨٥١، ٨٧٧ من الكلمات.

والداء الشافى الذى يستأصل شأفة السم القاتل فى الكلمة الأولى هو: الزكاة التى هى ركن من أركان الإسلام.

والذى يجتث عرق شجرة الزقوم المندرجة فى الكلمة الثانية هو: تحريم الربا.

إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح فى الربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام، تلقت صفعة قوية. وعليها أن تصغى إليها، قبل أن تتلقى صفعة أقوى وأمر.

فإن كانت البشرية تريد صلاحا وحياة كريمة، فعليها أن تفرض الزكاة وترفع الربا، لأن الربا يسبب العطل، ويطفئ جذوة الشوق إلى السعى.. كما أن أبواب الربا ووسائطه -هذه البنوك- إنما تعود بالنفع إلى أفسد البشر وأسوأهم، وهم الكفار.. وإلى أسوأ هؤلاء وهم الظلمة.. وإلى أسوأ هؤلاء وهم أسفههم.

إن ضرر الربا على العالم الإسلامى ضرر محض. والشرع لا يرى تحقيق رفاهية البشر قاطبة فى كل حين، إذ الكافر الحربى لا حرمة له ولا عصمة لدمه.

كيف نواجه سلاح التجويع؟

لقد تكلم الإمام النورسى فى أماكن كثيرة من رسائل النور، عن كيفية مواجهة سلاح التجويع بوسائل عدة من أهمها:

١ - ***الرشد في الاستهلاك وعدم الإسراف:***

يرى الإمام النورسى أن الشبع مسألة نسبية، فإذا ارتقت روح الإنسان بالإيمان، أصبح التلذذ من الطعام، ليس له الأهمية التى يبيع بها الإنسان كرامته وعقيدته، عند الضغوط الاقتصادية لتجويعه.

فيقول الشيخ فى ذلك:[١]

---

(١) اللوامع ص ٨٦٧ من الكلمات.

لقمتـان مغذيتـان، إحداهمـا بقـرش والأخـرى بعشـرة، همـا سـيان قبـل دخولهما الفم، وسيان كذلك بعد مرورهما من الحلقوم.

فلا فرق إلا ذوق يدوم لبضع ثوان، للغافل الأحمق، إذ تخدعـه حاسـة الـذوق دومـا بهذا الفـرق.. فهذه الحاسـة حارسـة الجسـم، ونـاظرة مفتشــة للمعدة، ولها تأثير سلبى لا إيجابى، إذ أصبحت وظيفتهـا إرضـاء الحـارس. كى يديم الذوق للغافل، فيتعكر صفو وظيفتها، بدفع أحد عشر قرشا بدلا من واحد، فيجعلها تابعة للشيطان..

ويشرح الشيخ كيف أن الرشد فى الاستهلاك، يسمح باستغلال المـوارد المتاحة أطول فترة ممكنة، فيقول[1]:

أصر أحد طلابى إصرارا شديدا، على أن أقبل هديته التى تزن أوقيتين ونصف الأوقية[2] من العسل، خرقا لدستور حياتى[3]، ومهمـا حـاولت فـى بيان ضرورة التمسك على قاعدتى لم يقنع، فاضطررت إلى قبولها مرغمـا، على نية أن يشترك ثلاثة أخوة معى فى الغرفة فيها، ويـأكلوا منـه باقتصـاد طوال أربعين يوما من شهرى شعبان ورمضان المبـارك، ليكسـب صاحبـه المهدى ثوابا، ولا يبقوا دون حلاوة. لذا أوصيتهم بقبول الهديـة، علمـا أنـى كانت عندى أوقية من العسل..

وبرغم أن أصدقائى الثلاثة كـانوا علـى اسـتقامة حقـا، وممـن يقـدرون الاقتصاد حق قدره، إلا أنهم –علـى كـل حـال– نسـوه نتيجـة قيـامهم بـإكرام بعضهم بعضا، ومراعاتهم شعور الآخرين والإيثار فيما بينهم، وأمثالها مـن الخصال الحميدة، فأنفدوا ما عندهم من العسـل فـى ثـلاث ليـال فقـط، فقلـت مبتسما:

– لقد كانت نيتى أن أجعلكم تتذوقون طعـم العسـل ثلاثيـن يومـا أو أكـثر، ولكنكم أنفدتموه فى ثلاثة أيام فقـط.. فهنيئـا لكـم!. فـى حيـن أننـى بـت

---

(١) اللمعة التاسعةعشرة ص ٢١٨ من اللمعات.

(٢) الأوقية تساوى ١٫٢٨٠ كيلو– المترجم.

(٣) وهو أن لأستاذ النورسى ماكان ليقبل الهدايا بلا مقابل – المترجم.

أصرف ما كنت أملكه من العسل بالاقتصاد، فتناولته طوال شهرى شعبان ورمضان، فضلا عن أنه أصبح ولله الحمد سببا لثواب عظيم، حيث أعطيتْ كل واحد من أولئك الأخوة، ملعقة واحدة منه وقت الإفطار.

إن مبادئ كهذه إذا سادت المجتمع الإسلامى، جعلته بحق عزيز الجانب، تظلله المهابة والوقار، لأنه يملك حرية القرار، الناتج عن العزة بالله، وليس مجتمعا ذليلا، يخشى الجوع، ويعيش فى ظلال الشهوات التى تكبله، فيجعل الله دائما الفقر بين عينيه، رغم أنه يمتلك ثروات يسيل لها اللعاب، لأنه جعل الدنيا جل همه.

٢- الإيمان بأن الرزق بيد القدير ولا موت من الجوع:[1]

قال تعالى: **﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ (العنكبوت: ٦٠). ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (الذاريات: ٥٨)**. بدلالة هاتين الآيتين الكريمتين، فإن الرزق بيد القدير الجليل وحده، ويخرج من خزينة رحمته دون وساطة. فرزق كل ذى حياة بعهدة ربه، فيلزم ألا يموت أحد جوعا.. ولكن يبدو أن الذين يموتون جوعا، أو من فقدان الرزق كثيرون. إن حل هذا السر وكشف هذه الحقيقة هو:

إن التعهد الربانى بالرزق وتكفله له بنفسه حقيقة ثابتة. فلا أحد يموت من عدم الرزق، لأن الرزق الذى يرسله الحكيم ذو الجلال، إلى جسم الكائن الحى، يدخر قسم منه احتياطا على هيئة شحوم ودهون داخلية. بل يدخر قسم من الرزق المرسل، فى زوايا حجيرات الجسم، كى يصرف منه فى واجبات الجسم، عند عدم مجئ الرزق من الخارج.

فالذين يموتون إذن إنما يموتون قبل نفاد هذا الرزق الاحتياطى المدخر، أى أن ذلك الموت لا ينجم من عدم وجود الرزق، وإنما من مرض ناشئ من ترك عادة سيئة من سوء الاختيار.

---

(١) اللمعة الثانية عشرة ص ٩٨، ٩٩ من اللمعات.

نعم! إن الرزق الفطرى المدخر بصورة شحوم فى جسم الكائن الحى، إنما يدوم ويستمر بمعدل أربعين يوما كاملا. بل قد يستمر ضعف ذلك، إثر مرض أو استغراق روحانى. حتى كتبت الصحف -قبل تسع وثلاثين سنة[1]- أن رجلا قد قضى لعناد، سبعين يوما فى سجن لندن، دون أن يذوق شيئا وظل على صحة وعافية.

فما دام الرزق الفطرى يدوم أربعين يوما، بل سبعين وثمانين يوما، وأن تجلى اسم الرزاق ظاهر على مد البسيطة بجلاء، وأن الرزق يتدفق من حيث لا يحتسب من الأثداء، ويخرج من الأكمام. فلا بد أن ذلك الاسم يمد الكائن ويسعفه، ويحول بينه وبين الموت جوعا، قبل انتهاء الرزق الفطرى، ما لم يتدخل البشر المتلبس بالشر بسوء عمله.

ولهذا فالذين يموتون جوعا قبل أربعين يوما، لا يموتون بسبب عدم الرزق قطعا، بل من عادة ناشئة من سوء الاختيار، ومن مرض ناشئ من ترك العادة، إذ "ترك العادات من المهلكات" قاعدة مطردة.

فيصح القول إذن: أنه لا موت من الجوع.

نعم! إنه مشاهد أمام الأنظار: أن الرزق يتناسب تناسبا عكسيا مع الاقتدار والاختيار، فمثلا. إن الطفل قبل أن يولد، وليس له من الاختيار والاقتدار شئ، ساكن فى رحم الأم، يسيل إليه رزقه دون أن يحتاج حتى إلى حركة شفتيه. وحينما يفتح عينيه للدنيا، ولا يملك اقتدارا ولا اختيارا، إلا شئ من القابليات، وحس كامن فيه، فإنه لا يحتاج إلا إلى حركة إلصاق فمه بالثدى فحسب، وإذا بمنابع الثدى تتدفق برزق، هو أكمل غذاء وأسهله هضما، وبألطف صورة وأعجب فطرة. ثم كلما نما لديه الاقتدار والاختيار، احتجب عنه ذلك الرزق الميسور الجميل شيئا فشيئا، حتى ينقطع النبع ويغور، فيرسل إليه رزقه من أماكن أخرى. ولكن لأن اقتداره واختياره، ليسا على استعداد بعد لتتبع الرزق، فإن الرزاق الكريم يجعل شفقة والديه ورحمتهما ممدة لاختياره ومسعفة لاقتداره. ثم لما يتكامل الاقتدار

(١) المقصود سنة ١٩٢٠ (المترجم).

والاختيار، فلا يعدو الرزق نحوه، ولا يساق إليه، بل يسكن قائلا: تعال اطلبني، فتش عني وخذني.

فالرزق إذن متناسب تناسبا عكسيا، مع الاقتدار والاختيار، بل إن حيوانات لا اقتدار لها ولا اختيار- تعيش أفضل وأحسن من غيرها، كما أوضحنا ذلك في رسائل عدة.

٣- ***السعي لاستغلال مصادر الثروة الاقتصادية الاستغلال الأمثل:***

إن معنى إيمان المرء أن الرزق بيد الله، لا يعني التواكل من المسلم، بل عليه السعي الجاد المخلص في الحياة، لاستغلال مصادر الثروات التي وهبها الله للشعوب الإسلامية. لأن الرزق نوعان:[1]

الأول: الرزق الحقيقي والفطري للمعيشة، الذي هو تحت التعهد الرباني، وهو مقدر بحيث أن المدخر منه في الجسم بصورة دهون أو بصور أخرى، يمكنه أن يعيّش الإنسان، ويديم حياته أكثر من عشرين يوما، دون أن يذوق طعاما. فالذين يموتون جوعا في الظاهر قبل عشرين أو ثلاثين يوما، من دون أن ينفد رزقهم الفطري، لا ينشأ موتهم من انعدام الرزق، بل من مرض ناشئ من سوء التعود ومن ترك العادة.

والقسم الثاني من الرزق: هو الرزق المجازي والاصطناعي، الذي يكون بحكم الضروري، بعد أن يدمن الإنسان عليه بالتعود والإسراف وسوء الاستعمال. وهذا القسم ليس ضمن التعهد الرباني وتكفله، بل هو تابع إلى إحسانه سبحانه. فإما أن يمنحه أو يمنعه.

فالسعيد -في هذا الرزق الثاني- والمحظوظ فيه، هو من يعلم أن السعي الحلال بالاقتصاد والقناعة- وهما مدارا السعادة واللذة-هو نوع من العبادة، وهو دعاء فعلي لكسب الرزق، لذا يقضي هذا السعيد حياته بهناء، ويقبل ذلك الإحسان شاكرا ممتنا.

---

(١) الشعاع السابع ص ٢٢٠ : ٢٢٢ من الشعاعات.

والشقي التعس فى هذا الرزق، هو من يتخلى عن السعى الحلال بالإسراف والحرص -وهما سبب الشقاء والخسارة والألم- فيقضى حياته بل يهلكها، بطرق كل باب بالكسل والتظلم والتشكى.

فكما أن الخالق القدير الحكيم: قد خلق الحياة خلاصة جامعة مستخلصة من الكائنات، يحشد فيها مقاصده العامة وتجليات أسمائه الحسنى. كذلك جعل الرزق فى عالم الحياة مركزا جامعا للشئون الربانية، خالقا فى ذوى الحياة غريزة الاشتهاء وتذوق الرزق، ليفسح بذلك المجال لأهم غاية لخلق الكائنات وحكمتها، وهى جعل المقابل فى شكر ورضى دائمين وكليين، يتمان بكل خضوع وعبودية تجاه ربوبيته وتودده سبحانه.

فمثلا: أنه سبحانه قد عمر كل طرف من أطراف المملكة الربانية الواسعة جدا، فعمر السماوات بالملائكة والروحانيين، وعمر عالم الغيب بالأرواح، كما عمر العالم المادى -لحكمة بث الروح وإضفاء البهجة فيه، وبخاصة عالم الهواء والأرض، بل كل جهة منه وفى كل وقت وأوان- بوجود الأحياء، وبخاصة الطيور والطويرات والحشرات. فغرز الاحتياج للرزق وتذوقه فى الحيوانات والإنسان، وجعلهم يسعون دوما وراء رزقهم. وكأن ذلك الاحتياج سوط تشويق لهم، يسوقهم ويحركهم ويجريهم وراء الرزق، منتشلا إياهم من الكسل والعطالة، وما ذلك إلا حكمة من حكم الشؤون الربانية. ولولا أمثال هذه الحكمة من الحكم المهمة، لكان سبحانه يجعل التعيينات المقننة للحيوانات تسعى إليها، دون كد وعناء، ولحاجة فطرية، كما جعل أرزاق النباتات تسعى إليها هكذا.

ولو وجدت عين تستطيع رؤية أنواع الجمال لاسم الرحيم، وأوجه الحسن لاسم الرزاق، وشهادتهما للوحدانية رؤية تامة، بحيث تتمكن من الإحاطة كليا بسطح الأرض، ومشاهدته فى آن واحد، لكانت ترى مدى متعة الجمال ومدى لذة الحسن، فى تجلى شفقة الرزاق الرحيم ورأفته، الذى يمد إمدادا غيبيا ويحسن إحسانا رحمانيا قوافل الحيوانات، التى كادت تنفد أرزاقها فى أواخر الشتاء، بأطعمة ونعم فى منتهى اللذة ومنتهى الكثرة ومنتهى التنوع، مودعة إياها فى أيدى النباتات، وموضوعة على هامات

الأشجار، ومعلقة فى اثداء الوالدات، ومرسلة لها مـن خزائـن رحمـة غيبيـة صرفة. وعند ذلك تدرك بأن الذى يصنع تفاحة واحدة -مثلا- ويهبها رزقا حقيقيا، منعما بها على شخص، لا يمكن أن يكون إلا الذى يدير كل المواسم والليالى والأيام، ويجعل الكرة الأرضية كسفينة تجارية يبحرها ويسيحها، مستحصلا بها محاصيل المواسم، فيأتى بها إلى ضيوفه المعوزين فى الأرض، ذلك لأن سكة الفطرة، وختم الحكمة، وطغراء الصمدية، وختم الرحمة، الموجودة على جبين تلك التفاحة الواحدة، موجودة كذلك على جبين تفاح الأرض كلها، وعلى سائر الأثمار والفواكه وعلى النباتات والحيوانات جميعها، لذا فإن مالك تلك التفاحة الواحدة وصانعها الحقيقى، هو مالك وصانع أمثالها وأشباه جنسها من سكنة الأرض، وهو مالك وصانع الأرض الضخمة التى هى حديقتها، وهو بارئ شجرة الكائنات التى هى مصنعها. وهو موجد موسمها الذى هو معلمها، وهو باعث الربيع والصيف اللذين هما ميدان تربيتها ونموها، ذلكم المالك ذو الجلال والخالق ذو الجمال. لا شريك له ولا إله غيره.

فكل ثمرة إذا هى ختم رائع واضح للوحدة، بحيث يعرّف كاتب وصانع شجرتها وهى الأرض، ويعرّف كاتب وخالق حديقتها وهى كتاب الكون، ويبرز وحدته سبحانه، ويشير إلى أن أمر الوحدانية قد ختم بأختام تصديق عديدة بعدد الأثمار.

ومن هذا المنطلق: فإن مواجهة سلاح التجويع، تتطلب العمل الجاد الدءوب المقرون بالإيمان والإخلاص. فما أروع أن يسعى الإنسان فى ملكوت السماوات والأرض، وهو متصل القلب بالله، يعمر الأرض بتعاليم الشريعة، ويجتاز الفضاء تتويجا لعظمة الإسلام. وتحقيقا للحضارة الحقيقية التى تجمع بين العلم والإيمان.

٤- ***ضرورة فرض الزكاة وتحريم الربا:***[١]

إن كانت البشرية تريد الحياة، فعليها أن تستمسك بالزكاة وتقتل جميع

(١) اللوامع ص ٨٥١ من الكلمات.

أنواع الربا، الذى سبب انقطاع صلة الرحم، بين طبقة الخواص والعوام. فانطلقت من العوام أصداء الاضطرابات وصرخات الانتقام، ونفثات الحسد والحقد. ونزلت من الخواص على العوام، نار الظلم والإهانة، وثقل التكبر ودواعى التحكم. بينما ينبغى أن يصعد من العوام: الطاعة والتودد والاحترام والانقياد، بشرط أن ينزل عليه من الخواص: الإحسان والرحمة والشفقة والتربية.

إن الربا سبب لجوع المسلمين: لأنه يتحكم فى تخصيص موارد الثروة الاقتصادية، فى الاستثمارات المربحة السريعة العائد والمضمونة، حتى لو كانت حراما.. وليس تخصيصها حسب الاحتياجات الأساسية، التى أباحها الشرع.. كما أن فوائد القروض تصبح عبئا على كاهل الاقتصاد القومى، مما أصبح يمثل مشكلة حقيقية، تعوق تقدم معظم الدول الإسلامية.

ولهذا فقد جاهد الإمام النورسى جهادا كبيرا، فى بيان أضرار الربا الذى يكاد يقضى على الأمة الإسلامية، ما لم تتنبه من غفلتها، وتتدارك ما فاتها.

٥- ***التقوى هى السلاح الأقوى:***

يرى الأمام النورسى أن سلاح التجويع لا يمكن مواجهته إلا بالتقوى التى هى السلاح الأقوى.. والتقوى كما عرفها سيدنا على ﷺ هى: "الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل".

فكل هذه المعانى قد تكلم عنها الإمام النورسى، وأفاض فيها كثيرا فى رسائل النور، لأن المجتمعات الإسلامية لن تقوم لها نهضة حقيقية، إلا بذلك السلاح الفتاك وهو سلاح التقوى.

ويقول الشيخ فى ذلك:[1]

إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقى السمع كليا إلى الأديان السماوية، لذا أوقعت البشرية فى فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهى تتمادى فى تهييج نار الإسراف والحرص والطمع عندها، بعد أن قوضت

(١) ملحق أمير داغ-٢ ص ٣٨٠ ، ٣٨١ من الملاحق.

أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات. زد على ذلك أنها ألقت بذلك الإنسان المحتاج المسكين فى أحضان الكسل والتعطيل المدمر، وبددت لديه الشوق إلى السعى والعمل.

وهكذا ولدّت المدنية فى الإنسان أمراضا وأسقاما عدة، نتيجة تعدد الحاجات، وفى نفس الوقت ضعف الإنتاج، للكسل عن استغلال مصادر الثروة الاقتصادية وسوء الاستعمال والإسراف.

ففضلا عن هذه العلل الثلاثة التى ولدتها المدنية وهى: الحاجة الماسة، والميل إلى السفاهة، وانتشار مئات الأوبئة والأمراض .. فإنه بتفشى الإلحاد، وتوغله فيها، استيقظت البشرية من غفوتها، وإذا بالمدنية تهددها باستمرار، بإظهار الموت تجاهها إعداما أبديا، فجرعتها نوعا من عذاب جهنم فى الدنيا.

فإزاء هذه المصيبة الرهيبة النازلة بساحة البشرية، يداوى القرآن الكريم تلك الجروح الثلاثة البليغة، بصحوة تلاميذه، الذين يربون على أربعمائة مليون تلميذ، وبما يضمه من قوانين مقدسة سماوية.. مثلما عالج علاجا شافيا أدواء البشرية قبل ألف وثلاثمائة سنة، فإنه مستعد لتضميد تلك الجراحات الغائرة، بقوانينه الأساسية السامية، فضلا عن أنه الكفيل بتحقيق سعادة دنيوية وأخروية للبشرية، ما لم تقم على رأسها قيامة مفاجئة.. زد على ذلك: فإنه يبين لها أن الموت ما هو إلا تسريح من الوظيفة وتذكرة ترخيص للدخول إلى عالم النور بدلا من كونه إعداما أبديا. وهذا ما يجعل الإنسان يرحب بالموت فى سبيل إرساء المبادئ السامية مهما واجه من صعاب. إن كفة حسنات الحضارة النابعة من القرآن ستتغلب حتما على سيئات المدنية الحاضرة، بل يجعل المدنية سائرة فى ركاب تلك القوانين السماوية، تخدمها وتعينها بدلا مما يحدث إلى الآن: من تنازل قسم من الدين لقسم من المدنية، ومن دفع أحكام الدين رشوة فى سبيل المدنية.

كل ذلك يفهم من إشارات القرآن المعجز البيان، ومن رموزاته، فترجو البشرية الصاحية الحاضرة، ذلك العلاج المقدس من رحمته تعالى، وتتضرع إليه وتطلبه..

وفى ختام هذا المبحث نقول:

إن الإمام النورسى قد وضع أسسا راسخة واعية، لعلاج المشكلة الاقتصادية، نابعة من وحى الشريعة الإسلامية، بسموها ورفعة مبادئها، وقدرتها على مواجهة كل التحديات بمرونة وواقعية. فأساس المشكلة الاقتصادية هو: اختلال التوازن بين الحاجات والموارد.

وبالتالى يمكن علاج هذه المشكلة عن طريق علاج شقيها: إما ضغط الاحتياجات أو زيادة الموارد.

- والإسلام قد علم الإنسان كيف يضغط الاحتياجات فى مواجهة الصعاب، والإمام النورسى قد بين قدرة جسم الإنسان على مواجهة الجوع لمدد متفاوتة، أدناها ثلاثة أيام، وقد تصل أحيانا إلى سبعين يوما، نتيجة الرزق الفطرى، والمخزون الذى أودعه الله فى الجسم، وأنه لا موت من الجوع.. فلم يبيع الإنسان كرامته ومبادئه ومقدساته الدينية فى سبيل لقمة عيش؟! أو يبيعها فى سبيل رفاهة زائلة، لن تضيف له إلا متعة مؤقتة، تعرضه لسؤال عسير يعقبه عذاب أليم فى الآخرة.. لا، بل إن العذاب يأتى سريعا فى الدنيا، نتيجة سيطرة الدول الأجنبية على الأمة الإسلامية، فتتحكم فيها حسب أهوائها ومصالحها.. حتى لو أدى ذلك إلى التدخل العسكرى، بحجة الحفاظ على تلك المصالح، وما يتبع ذلك من استنزاف موارد ثروات المسلمين، وضياع الأرض والشرف والكرامة. فهل بعد ذلك من عذاب ؟؟!

﴿ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ (آل عمران: ١٨٨).

- كما علم الإسلام تلاميذه المخلصين كيف يستثمرون موارد الثروة الاقتصادية من أرض وبحار وجبال وسماوات، بالسعى الجاد المخلص.. وقد بين الإمام النورسى كيف أن المسلم كلما سعى فى مجالات الحياة المختلفة، كلما ازداد يقينا بالله، لأنه يرى تجلى عظمة الخالق فى كل مجال من هذه المجالات، وقدرته التى لا تحدها حدود، ولا تقيدها قيود.

إن العمل فى الإسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة، كل فى موقعه، وأمانته التى أوكله الله بها، حتى أن الله قد قرن الإيمان بالعمل فى كل آيات القرآن الكريم.. لأن إيمان بلا عمل هو جسد بلا روح، وحياة بلا أهداف أو ملامح محددة. فكيف تستقيم حياة أمة مع وقف تنفيذ الإرادة؟! وكيف تستقيم حضارة بلا إيمان؟

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ (النور: ٥٥).

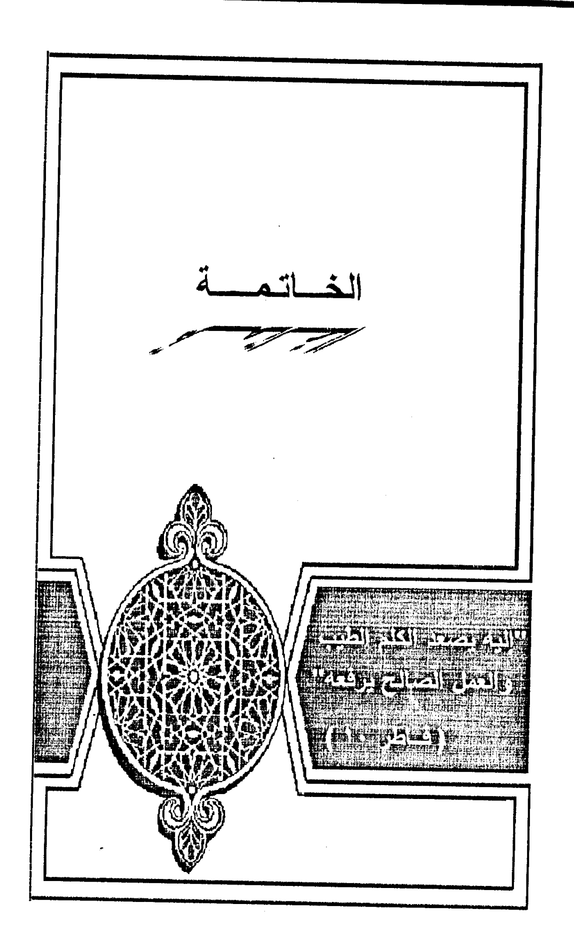
حقا إن الحضارة الحقيقية التى تسعد البشرية، وتنقذها من عذاب الدنيا والآخرة، هى الحضارة القائمة على العلم والإيمان، وهى التى تكلم عنها الإمام النورسى كثيرا فى رسائل النور.. لأن فيها ارتقاء بالإنسان إلى أعلى عليين، لأنها ارتقاء بالروح والجسد معا. وفيها الكسب المادى والمعنوى، والحفاظ على الدنيا والآخرة. وصدق الله العظيم، الذى وضع لنا الموازين، وأشار لنا إلى القوانين، التى فيها ازدهارنا ورقينا، فى جميع الميادين، فقال فى كتابه الكريم: **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم﴾ (الجاثية: ٢١).**

فسلام الله ورحمته وبركاته، على كل من علمنا علما، نرتقى به فى مدارج النور، ونخطو به خطواتنا فى الحياة، ونحن على ثقة بنصر من الله وعون وتأييد.

ودعاء من الأعماق، أن يجعلنا الله من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه وأرشده، حتى نحقق لأمتنا ما تصبو إليه من عزة ومجد، فنكون بحق خير أمة أخرجت للناس. فالخيرية: تعنى التفوق المعنوى والمادى.. أى الجمع بين عناصر القوة التى تبهر العالم حقا، وتجعله يسجد أمام عظمة العلم ونور الإسلام المتألق فى جبين المؤمنين.

إنه على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الخاتمة



الخاتمة

إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ونحن على مشارف الخاتمة.. وكيف لا؟! وقد عشت أروع الأوقات وأجلها، فى رحاب البحث العلمى، مع عالم جليل مثل الإمام النورسى.

معه: أيقنت بعظمة القرآن، وما يحويه من كنوز هائلة، وجواهر نادرة.. ووجدت أنوارا من رسائل النور، تنساب إلى صدرى، وتغمره بنور اليقين وسكينة المؤمنين، وكأننى أحلق فى عليين، مع النبى الأمين وصحبه أجمعين، الذين حملوا مشعل الدين، وأناروا لنا السبيل، فبددوا ظلمات الجهل، وأنقذوا البائسين والمظلومين.

حقا! إن من يقدرك حق قدرك أيها الإمام المخلص، لا بد أن يكون قد ارتشف من معين النبوة العذب، وذاق حلاوة القرآن وروعته. "ومن ذاق عرف".. فماذا عرف؟

- عرف كيف أسبغ القرآن أنواره على المؤمنين المخلصين فى كل زمان ومكان.
- وعرف كيف ربى الإسلام رجالا نابغين، بسمو تعاليمه ورفعة مبادئه. ومن سار على درب النبى الأمين، والصحابة التابعين، وصل إلى نور الحق المبين.
- وعرف أن المؤمنين أخوة، مهما تباعدت بينهم الأزمان، أو تناءت بهم الديار، لأنه يربط بينهم وحدة العقيدة والمبادئ والأفكار.
- وعرف أن: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ (البقرة: ٢٦٩).**

  وأن: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة: ١١).**
- وعرف كيف يميز الخبيث من الطيب، وينحنى إجلالا لعطر الكلمات وأصالتها، التى تزخر بها رسائل النور، وتفيض علما وإيمانا، مما يعجز القلم أن يوفيها حقها من التبجيل، فكل كلمة منها يجب أن توزن بميزان الذهب.

- وعرف: أن الإمام "سعيد النورسى" قد وضع أسس نهضة إسلامية مستقبلية، تتفق مع ما يحتاجه جيل المستقبل من البرهان العقلى، والأدلة المنطقية المقنعة.. وأن هذا الإمام الفذ، يستحق بجدارة لقب "بديع الزمان" فقد أبدع بحق فى أفكاره وعلمه وعقيدته وجهاده، بما يتفق وروح العصر، الذى واكب النهضة الأوروبية، وما صاحبها من تطور علمى مذهل.

فرحمة الله عليه ورضوانه، وعلى كل من سار على درب المصطفى الحبيب، لإنارة السبيل أمام الحيارى والتائهين والضالين، بإعلاء كلمة الحق والدين، وتبديد شبهات الملحدين، حتى يسطع نور الإسلام المبين. ودعاء من الأعماق إلى المولى عز وجل –مخلصين له الدين– أن يوفق العلماء الساعين، لإصلاح حال المسلمين، أن يهتدوا بآراء من سبقوهم من العلماء النابغين، المهتدين بهدى القرآن الكريم، وسنة النبى الأمين.

فلا خير فينا، إن لم نستفد بآراء من سبقنا، ولا خير فينا إن لم نبذل عصارة فكرنا، وندرس مشاكل عصرنا، ليستفيد بذلك من بعدنا. فعلينا جميعا أن نتكاتف فى ميدان البحث العلمى، متفاعلين مع من قبلنا، بالاستفادة بخبراتهم وتجاربهم ومعلوماتهم، فنطورها بما يتناسب مع عقول عصرنا، ونترك أصلح وأنفع ما وصلنا إليه، ليكون دعائم نهضة حديثة لأبنائنا، أبناء المستقبل الزاهر إن شاء الله.

ويجب ألا يكون النحل –وهو حشرة ضعيفة لا عقل لها– أنصح منا، حيث يمتص رحيق الأزهار المتنوعة، ويخرجه لنا عسلا شهيا فيه شفاء لأمراضنا.

فنحن بعقولنا يمكن أن نستوعب آراء العلماء المتنوعة، ونخرج منها اتجاهات واعية فيها شفاء لأمراض مجتمعاتنا.

والله الموفق إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

النتائج والتوصيات

- لقد بدأت أولى خطواتى فى البحث خائفة وجلة، وأنا أخوض ذلك المحيط الزاخر بالعلم والمعرفة.. ولكن بمرور الوقت، شعرت كأنى أعرف الإمام النورسى منذ زمن بعيد، بل كأنى لازمته وعرفت نهج أفكاره، ومقاصده فى كل كلمة كتبها.. وإذا بى أندفع بخطوات ثابتة، وكلى انشراح صدر وطمأنينية نفس ورحابة أفق.. وعندما تعجبت من حالى، تذكرت أن تلك لمحة من "الحياة الروحانية لأهل القبور" التى تكلم عنها الشيخ[١].
- عندما قرأت ما كتبه الإمام النورسى، عرفت أنه عالم من طراز فريد، لأنه جمع بين عالم الشريعة وعالم الحقيقة، بدون شطط أو جنوح عن موازين الشرع.. وهذا مكسب كبير للإسلام، يستحق من أولى العزم بذل مزيد من الجهد، لانتشار هذا الفكر وذيوعه، حتى يحقق الرقى الفكرى والمعنوى للمسلمين، بما يتواءم مع تطور العصر.
- فى بداية قراءتى لرسائل النور: طالعتنى كلمات تلاميذ الشيخ ومحبيه ممن عاصروه، وهى عبارة عن تقدير عميق للشيخ، وتمجيد لدور رسائل النور فى حياتهم أو فى حياة الأمة.. اعتبرت أن هذا أمر (طبيعيا) حيث "من شأن المحب تعظيم المحبوب"، كما قال الشيخ نفسه[٢].. ولكننى عندما تعمقت فى قراءة تلك الرسائل، أيقنت أن فيها سرا نورانيا، أودعه الله فى كلمات الشيخ، نتيجة حبه لله وللرسول، وإخلاصه التام فى هذا الحب.

ومن منطلق هذا الحب وهذا الإخلاص، فإننى أتقدم بتلك التوصيات، لتؤتى الرسائل ثمرتها المرجوة بإذن الله تعالى:

---

(١) المكتوب الأول: ص ٥ : ٧ من المكتوبات.

(٢) ص ٣٢ : ٣٨ من اللمعات.

- إن استيعاب الرسائل كلهـا، يعتبر مـن الصعوبـة بمكـان، خاصـة لغير ذوى الاختصـاص. لذلـك فـإن تلخيـص هـذه الرسـائل -بمـا لا يخـل بالمضمون- يعتبر رسالة حب ووفاء، ليس للإمام الراحل فحسب، بـل للأمـة الإسـلامية بأسـرها.. لأن الرسـائل غنيـة بالمفـاهيم والمعـانى والإصلاحات، التى تحتاج إليها الأمة لتحقيق رقيها المعنوى والمادى.
- يحتاج تلخيص الرسائل، أو كتابتها فى كتيبات مستقلة (مثل إحياء علوم الدين للغزالى) إلى التركيز على نقاط معينة، لأهميتها فى نضـج عقيـدة المسلمين مثل:
  - أصول فهم الأحاديث النبوية الشريفة.
  - إزالة توهم الخلاف بين الإسلام وحقائق العلوم.
  - كيف أن القرآن منبع العلوم وأستاذها؟
  - كيف تجتمع الأمة فكريا حول تراث الشريعة؟
  - معالجة انبهار المسلمين بحضارة أوروبا.
  - الرقى المادى ضرورة فى العصر الحاضر لإعلاء كلمة الله.
  - قواعد البحث العلمى لتحقيق اليقظة المطلوبة.
  - كيـف يتحقـق للمـرأة دورهـا فـى النهضـة الاجتماعيـة النابعـة مـن الشريعة؟
  - مفهوم الفكر السياسى الإسلامى.
  - أهمية الاقتصاد كعلم وسلوك فى حياة الأمة الإسلامية.

وغيرها من الموضوعات الهامة، التى تساهم فـى تدعيم العقيـدة، والتحرر الفكرى من غشاوة الجهل، وفتح أبواب المدنية والمعرفة الحقـة أمـام المسلمين، فيقبلـون بشـغف نحـو فهـم القـرآن الكريـم، والأحاديث النبويـة، ممـا يمهـد السبيل إلـى مستقبل عـالم الإسـلام الزاهر.

- من الموضوعات القيمة فى رسائل النور، وتحتاج إلى إلقاء الضوء عليها:

[أ] دعوة المسلمين إلى البحث العلمى، ووضع الأسس والملامح، التى يجب أن تحكم المحقق، للوصول إلى الحقيقية المجردة.

وتلك الدعوة هى فى حد ذاتها سبق علمى للشيخ، وتدل على أنه من أبناء المستقبل حقا. لأنها دعوة إلى إقناع العالم أجمع بالبراهين العقلية، والأدلة المنطقية، بمدى رقى الشريعة الإسلامية، وما تحويه من المعرفة والمدنية الحقيقية.

[ب] ضرورة الرشد الاقتصادى، وأثره فى تحقيق التوازن الاقتصادى ويشمل هذا الرشد عدة محاور أساسية:

- ضغط الاستهلاك الترفى للحفاظ على مصادر الثروة الاقتصادية.
- العمل المخلص الجاد لتنمية الأمة الإسلامية، فهناك فرق شاسع بين التواكل الذى هو عنوان الكسل والتوكل الذى هو صدفة الإخلاص الحقيقى.
- الاهتمام بالصناعة والزراعة والتجارة، لأن هذا هو الطريق المشروع للمعيشة، والسبيل الحيوى لنهضة الأمة.

- إن الاهتمام بفكر الإمام النورسى، هو دعوة صادقة لتجديد الفكر الإسلامى، لأن هذا الإمام كان مرآة مجلوة للحق، فسجل بصدق، وبسبق يحسب له، مشاكل الأمة الإسلامية، التى يمكن أن تجابهها فى جميع الميادين، وكيف يمكن علاجها.

إنه بحق عالم من علماء العصر الحديث، والمستقبل المنتظر، لأنه عالج مشاكل الأمة الإسلامية، من وحى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، فتناول الكليات الأساسية، التى فيها دعائم نهضة الأمة وتقدمها ورفعتها، وترك الجزئيات الفرعية حسب ظروف كل دولة،

وما يستجد من أحداث العصر، من تغيرات اقتصادية أو سياسية، أو طفرات علمية.

- أرى أن الاكتفاء بالقول: أن فكر الإمام النورسى لا يستوعبه غير المتخصصين، هو تقصير فى حق الشيخ، فلا بد من جعل رسائل النور منهلا عذبا، يرتوى منه العامة والخاصة، حتى يستفيد الجميع من ذلك الفكر المتقدم، استفادة تحقق مراد الإمام -رحمه الله- من يقظة الأمة الإسلامية، فى جميع المجالات: عقائديا - علميا - اجتماعيا - سياسيا - اقتصاديا.

لذا يجب على أولى الفهم والعزم، أن يقوموا بشرح تلك الرسائل، على نمط "الحكم العطائية"(١) وخاصة ما صعب على الفهم منها، وذلك حتى يتحقق منها النفع العام، لإثراء الفكر الإسلامى، وإضفاء الرحابة والنضج والحوار الإيجابى البناء، عند دراسة قضايا المسلمين، والتحديات التى تعوق نهضتهم وعزتهم ورفعتهم.

- تحتاج رسائل النور إلى عنونتها بعناوين تلائم روح العصر. وتضفى عليها الأهمية التى تستحقها. لأن الشيخ كما رأينا تكلم فى كل الموضوعات التى تصلح حال الأمة الإسلامية، فى عصره والعصور المستقبلية. كل ما هنالك، أن الرسائل قد أخذت عناوين تناسب عصر الشيخ والظروف المحيطة به، وتحتاج مع تغير العصور، إلى عناوين تتفق ومفهوم الشعوب، حسب لغة العصر السائدة فى التخاطب الإعلامى، والنواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أما الجوهر والمضمون: فهى على أعلى مستوى فى المناهج الإصلاحية، بحيث يقف المرء عاجزا أمام خزائن الله التى لا تنفذ من علمه المكنون، وينزل منها بقدر على من يشاء من عباده.

---

(١) قام بعض العلماء الأجلاء مثل الشيخ عبد الحليم محمود -رحمه الله- بشرح الحكم العطائية والتعليق عليها، بما يسر فهمها واستيعابها، وزيادة الاستفادة منها.

- إن من معانى الوفاء التى تحتاجها رسائل النور: ضرورة إبراز آراء الإمام النورسى تجاه قضايانا المعاصرة، والتى تعتبر بحق أعظم تشخيص وأدق علاج لأمراضنا.. وكأن الشيخ استشف أمراض العصر من حجب الغيب، وعالجها بحكمة وبصيرة تتفق مع تطور العقول ونضجها، وتشعب الأفكار واتجاهاتها.

ومن تلك القضايا:

- كيف نحفظ للمرأة كرامتها وفعاليتها رغم تحديات العصر؟
- ضرورة الوحدة الإسلامية فى مواجهة التكتلات الدولية.
- كيف يعبر المسلمون هوة التخلف بإمكانياتهم المادية والمعنوية؟
- الإرهاب: بواعثه وكيف يمكن احتواؤه؟
- مواجهة التجويع كسلاح اقتصادى لهدم العقيدة بالسلاح الأقوى وهو: التقوى.
- كيف يكون الإعلام أداة للبناء وليس للهدم؟
- كيف نخلق الجسارة فى الأمة الإسلامية، بعد الوهن الذى أصاب شعوبها.
- القومية والعنصرية وآثارهما الإيجابية والسلبية.

- وفى الختام: أدعو الله أن أكون مظهرا من مظاهر استجابة السميع المجيب، لدعاء الشيخ النورسى.. حيث كان يدعوه أن تتفهم النساء حقيقة رسائل النور[1]. لأنهن خلقن من معدن الشفقة، مما يجعلهن يبذلن غاية الجهد بإخلاص، بدون انتظار مقابل.

فقد تفهمت بحمد الله وفضله حقيقة رسائل النور -حسب اعتقادى- وبذلت غاية الجهد، وأنا فى غاية السعادة، من تلك النورانيات التى تسبغ روحى، وتلك المعلومات التى تصقل عقلى.. غير مبالية فزت فى المسابقة أم لا.. فيكفينى فخرا: أننى فهمت مقصد الإمام النورسى.

(١) ملحق قسطمونى ص ١٣٨، ١٣٩ من الملاحق.

رغم أنه لم يجمعنى معه وحدة الزمان أو وحدة المكان، ولكن جمعنى معه وحدة الروح!

وهذا القدر يكفينى.. "فالأجرة فى اللذة" كما قال الشيخ (رحمه الله)[1].

﴿ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين: ٢٦).

روح هائمة فى عالم النور

خديجة النبراوى

---

(١) اللمعة السابعة عشرة ص ١٨٨ : ١٩٣ من اللمعات.

المراجـــع

يعتبر هذا البحث خاص بفكر العالم الإمام التقى الورع:

"بديع الزمان سعيد النورسي".. وتسمى مؤلفاته "كليات رسائل النور".

ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي.

نشر وتوزيع: "دار سوزلر" للنشر - فرع القاهرة (١٠ شارع يوسف عباس - مدينة التوفيق - مدينة نصر - هاتف ٢٦٣٦٦٨٤).

وتشمل "كليات رسائل النور" الكتب التالية:

١- الكلمات.. ترجمة كتاب سوزلر SÖZLER عن التركية
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 957-432-021-7
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٢/٤٧٤١.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢- المكتوبات.. ترجمة كتاب المكتوبات MEKTUBAT عن التركية
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 975-402-022-5
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٢/٨٤١٤.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٣- اللمعات.. ترجمة كتاب اللمعات LEM'AALAR عن التركية
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977-5323-05-3
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/١٧٨٦.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٤- الشعاعات.. ترجمة كتاب شعاعلر SUÂLAR عن التركية
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977-00-5680-4
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/٨٣٢٣.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٥- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز:
ترجمة كتاب ISÂRÂTÜL - ICAZ عن التركية
الترقيم الدولى: I.S.B.N: 977-00-6366-5
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٣/١١٤٤٠.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٦- المثنوى العربى النورى:
ترجمة كتاب Meshevi i Nuriye عن التركية
الترقيم الدولى: I.S.B.N: 977-00-7972-3
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٤/١٠٥٢٢.
الطبعة الأولى (بمصر) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٧- الملاحق فى فقه دعوة النور:
ترجمة كتاب LAHIKALAR عن التركية
الترقيم الدولى: I.S.B.N: 977-5323-09-6
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٥/٥٨٧٠.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٨- صيقل الإسلام فى فقه دعوة النور:
ترجمة وتحقيق:

5- Munazarât
6- Divan-i Harbiörfî
7- Hutbe-i Samiye
8- Hutuvat-1 Sitte
1- Muhakemat
2- **قزل إيجاز**
3- **تعليقات على برهان الكلنبوى**
4- Sunuhat

الترقيم الدولى: I.S.B.N: 5332-11-X
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٥/١١٣٥٤.
الطبعة الثانية (بمصر) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

الفهـــرس

وآخر دعوانا "أن الحمد لله رب العالمين"